# تأويلات القرآن

لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

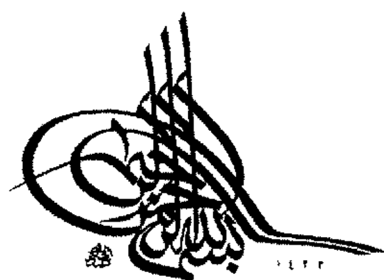

تحقيق
علي حيدر اولوصوي

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلي


الجزء الحادي عشر

القصص - سبأ


دار الميزان



ISBN 978-975-9048-01-3 (Tk.)
ISBN 978-975-9048-10-5

**الكتابة والتنسيق**

علي حيدر أولوصوي
عيسى يوجل

دار الميزان
**MİZAN YAYINEVİ**

استانبول ٢٠٠٧

# تأويلات القرآن

لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م


تحقيق
الدكتور خليل إبراهيم قوتلاي

مراجعة
الأستاذ الدكتور بكر طوبال أوغلي



استانبول ٢٠٠٧

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

## النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* التي التزمنا بها في التحقيق

**ر**: نسخة راشد أفندي – مكتبة راشد أفندي بمحافظة قيصري، تحت رقم ٤٧.

**ن**: نسخة نور عثمانية – مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.

**ث**: نسخة نور عثمانية – مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٣.

**م**: نسخة مهرشاه – مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ٨.

*شرح تأويلات القرآن*: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة حميدية – مكتبة سليمانية، قسم حميدية، تحت رقم ١٧٦.

**الاختصارات:**

**صح ه**: ورد التصحيح بهامش النسخة الخطية.

**ر ه**: هامش النسخة الخطية بمكتبة راشد أفندي الخ.

**و**: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.

**ظ**: ظهر الورقة لها.

– : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.

+ : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة القصص[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿طسٓمٓ﴾[١] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[٢]

قوله[2] عز وجل: **طسٓمٓ تلك آيات الكتاب المبين**، قد ذكرنا تأويل هذا فيما تقدم في غير موضع ما يغني ذكره في هذا الموضع.[3]

﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣]

وقوله:[4] **نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق، من نبإ موسى وفرعون**، أي من خبرهما. وقوله: **بالحق**، أي بالصدق، ما يُعلم أنه صدق وحق. وجائز أن يكون قوله: **بالحق**، أي بالحق الذي لموسى على فرعون وقومه، أو بالحق الذي لله عليه. *والله أعلم*.

وقوله:[5] **لقوم يؤمنون**، يحتمل وجهين. أحدهما **نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون**، للمؤمنين لأنهم هم المنتفعون بالأنباء وما فيها. وأما من لا يؤمن فلا ينتفع بها فلا يكون له.[6] والثاني **لقوم يؤمنون**، بالأنباء والكتب المتقدمة، هم يعرفون أنه حق لِما في كتبهم ذلك. *والله أعلم*.

---

[1] ر م + ذكر أنها مكية؛ ن ث + ذكر أنها مكية نزلت فيها.

[2] ن: وقوله.

[3] انظر مثلا: تأويل الآية ١ من سورة البقرة، والآية ١ من سورة آل عمران، والآية ١ من سورة الرعد.

[4] ن: قوله.

[5] ن: قوله.

[6] ر ث م – له.

**﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٤]**

وقوله:[1] **إن فرعون علا في الأرض،** قال بعضهم: تجبّر واستكبر وأبى أن يخضع[2] لموسى ولأمثاله. وقال بعضهم: **علا في الأرض،** أي بغى وقهر، فيكون تفسيره ما ذكر على إثره: **يستضعف طائفة منهم يذبّح أبنائهم ويستحيي نساءهم،** هذا -والله أعلم- يشبه أن يكون علوّه وبغيَه في الأرض. ويشبه أن يكون قوله: **علا في الأرض،** أي علا[3] قدره وارتفعت[4] رتبته في الأرض لما ادّعى لنفسه الألوهية والربوبية بعد ما كان عبدًا كسائر العباد أو دونهم، فَعَلا قدره وارتفعت منزلته بدعواه بذلك.[5] **و علا في الأرض،** أي غلب. وقوله:[6] **وجعل أهلها شِيَعًا،** قيل: فِرَقًا، يستضعف طائفة ويذبّح طائفة ويستحيي طائفة ويعذّب طائفة. وجائز أن يكون قوله: **وجعل أهلها شِيَعًا،** أي جعل لكل طائفة منهم عبادةَ صَنَم لم يجعل ذلك لطائفة أخرى، وجعل طائفة أخرى على عمل أولئك وحوائجهم ليتفرغوا لعبادة الأصنام التي استعبدهم لها، لأن الشِّيَع فِرَق يرجعون جميعًا إلى أصل واحد وإلى أمر واحد. وقوله:[7] **إنه كان من المفسدين،** كذلك كان لعَنَه الله.

**﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٥] ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[٦]**

وقوله:[8] **ونريد أن نَمُنَّ على الذين استُضعِفوا في الأرض،** هذا في الظاهر إخبار لرسوله أنه سيفعل ذلك، لا أنه منَّ عليهم وفعل ذلك لأنه يقول: **نريد أن نمنَ على الذين** كذا، [فإنه لو كان] وقد منّ عليهم بذلك فهلّا قال: وقد مننّا على الذين استضعفوا في الأرض. لكن معناه -والله أعلم- أي كنا نريد في الأزل أن نَمُنَّ عليهم وأن نجعلهم / أئمّة وأن نجعلهم الوارثين. وإلا الظاهر ما ذكرنا. [٥٦١و]

---

[1] ن: قوله.
[2] ر م: يضع.
[3] ر: على.
[4] جميع النسخ: وارتفع. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٥ظ.
[5] ن: ذلك.
[6] ن: قوله.
[7] ن: قوله.
[8] ن: قوله.

وقوله: **ونجعلَهم أئمَة**، يحتمل وجهين. أحدهما جعَلهم جميعًا أئمة لنا، بهم نقتدي وننقاد لهم.[١] أو أن يكون قوله: **ونجعلهم أئمة**، أي نجعل فيهم أئمَة وقَادَةً لهم، أي نجعل بعضهم أئمة لبعض، كقوله لموسى: اُذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ.[٢] والأئمة المذكورة هاهنا كأنهم هم الأنبياء الذين ذكروا[٣] في هذه الآية.

**ونجعلَهم الوارثين وتُمَكِّنَ لهم في الأرض**، هذا كما ذكر في آية أخرى: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا،[٤] الآية، أي يرثون الأرض ومُلكهم بعد فرعون وقومه.[٥] والوارث هو الباقي على ما ذكرنا. كأنه قال: يَبقون هم في أرضهم وملكهم بعد هلاكهم، كقوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا،[٦] أي نبقَى نحن[٧] بعد هلاك الأرض وهلاك من عليها.[٨] *والله أعلم*.

وقوله: **ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يَحذرون**، أي يرَون ما كانوا يحذرون[٩] منه وهو الهلاك وذهاب الملك، هذا [الذي] كانوا يحذرون. فأراهم ذلك، لأنه كان يذبَح أبناءهم إشفاقًا[١٠] على بقاء ملكه وحذرًا[١١] [من] ذهابه. قال الزجاج: إنَ مِن حماقة فرعون وقلّة عقله أنه[١٢] كان يذبّح أبناءهم لقول الكهنة: إنه يذهب ملكُه بغلام يولد في العام الذي قالوه.

---

[١] «يحتمل وجهين. أحدهما جعل كلهم أئمة لنا لنقتدي بهم ونتبع إثرهم، حيث صبروا على أذى فرعون وقومه شاكرين لله تعالى على ما رزقهم من الدين الحق راجين منه فضله ورحمته. فأنجاهم الله تعالى منهم وتابع عليهم نعمه. فكذا نصبر على أذى الكفرة والظلمة لِتَلْحقنا النجاة في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦٢ظ).

[٢] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يُؤْتِ أحدا من العالمين﴾ (سورة المائدة، ٥/٢٠).

[٣] ن ث: ذكر.

[٤] سورة الأعراف، ٧/١٣٧.

[٥] م - وقومه.

[٦] سورة مريم، ١٩/٤٠.

[٧] م - نحن.

[٨] م: وهلاك أهلها.

[٩] ث - أي يرون ما كانوا يحذرون.

[١٠] ث: إبقاء.

[١١] جميع النسخ: ويحذر.

[١٢] جميع النسخ: أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٥٨ظ.

فلا يخلو إما أن [يكونوا] صدَقوا[1] في قولهم فيذهب ملكه، وإنْ قتَل الأبناء، وإما أن [يكونوا] كذبوا في قولهم فلا معنى لقتل الأبناء، لأنه لا يذهب. لكنّه فعل ذلك بهم[2] لحماقته وسفهه وجهله بنفسه.[3]

وقوله: **ونريد أن نَمُنَّ على الذين استُضعفوا في الأرض**، بالنجاة من فرعون وآله واستنقاذه إياهم من يدَيه ومن قتل الوِلدان وغير ذلك من أنواع التعذيب. ***والله أعلم***.

وفي قوله: **ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض**،[4] إلى آخر ما ذكر وجوه على المعتزلة في قولهم: إ[نه] ليس لله أن يفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم في الدين وإنه لو لم يفعل ذلك كان[5] جائرًا.[6]

فيقال لهم: لو كان عليه فعْل الأصلح لهم في دينهم على كلّ حال لكان لا معنى لذكر المنّة على الذين استُضعفوا في الأرض في جعْلهم أئمّة وإبقائهم في أرضهم وتمكينه إياهم في ملكهم ووِراثتِهم أموالَهم. لأنه على زعمهم فعَل بهم ما عليه أن يفعل، إذ[7] ذاك أصلح لهم في الدين. وكل مَن فعل فعلاً، عليه ذلك الفعل، لا يكون له الامتنان على المفعول به بذلك.[8] فدل ذِكر المنة فيما ذكر أنه فعل بهم على أنه فعل ما لم يكن عليه ذلك، ولكنّه فعل ذلك بهم[9] مُفْضِلا مُمْتَنًّا، وله أن لا يفعل ذلك.

ويقولون أيضًا: إن في إهلاك[10] فرعون وقومه [ما هو] أصلح لهم من إبقائهم وكذلك في إماتة كل كافر. فلم يذكر فيه[11] المنّة. دلّ ذلك أنه ليس على ما يقولون هم وأنّ ذلك منقوض مردود عليهم.

---

[1] ث + هم.

[2] ن – بهم.

[3] *معاني القرآن* للزجاج، ٤/١٣٢.

[4] م – بالنجاة من فرعون وآله واستنقاذه إياهم من يديه ومن قتل الولدان وغير ذلك من أنواع التعذيب والله أعلم وفي قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض.

[5] جميع النسخ + ذلك.

[6] ر م: جائزا.

[7] ر م: أن.

[8] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٢ظ.

[9] ر م – بهم.

[10] ن ث: في هلاك.

[11] ن – فيه.

ويقولون أيضًا: إن الإرادة من الله لهم أمر لهم يأمرهم به. فلو كان أمرًا على ما يزعمون لكان الأمر منه قد شمَل الكلّ، ثم لم يصيروا جميعًا أئمّة وقادة ولكن إنما صار بعض دون بعض. دلّ أن الإرادة غير الأمر وأنه إذا أراد لأحد شيئًا كان ما أراد، ليس على ما[1] يقولون: إنه أراد إيمان كلّ كافر، لكنه لم يؤمن بعدَ ما أعطاه جميع ما عنده من القوّة والعَون على ذلك حتى لم يبق عنده شيء من ذلك إلا وقد أعطاه. فدلّ ما ذَكَر على فساد مذهبهم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٧]

وقوله:[2] **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضِعيه**، قال عامة أهل التأويل: إن الوحي هاهنا وحيُ الإلهام والقذفِ في القلب لا وحيُ إرسال[3] إليها وإخبار، لأنه لو كان وحي إرسال[4] صارت رسولَة، وذلك لا يجوز. لكن يقال: جائز أن تُلْهَم هي إرضاعَه وإلقاءَه[5] في اليَمّ، فأما أن تُلْهَم ما ذَكَر: **ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**، هذا مما لا سبيل إلى معرفة ذلك وعلمه إلا بتصريح قولٍ ومشافهةٍ آخَرَ. اللّٰهم إلا أن يقال: إنه كان بموسى آياتُ الرسالة وأعلام[6] عرفت هي بتلك الأعلام والآيات التي كانت له أنه يُرَدُّ إليها وأنه يبقى رسولًا إلى وقت. وقد كانت بالرسل أعلام وآيات الرسالة في حال صِغرهم وصِبَاهم، نحوَ عيسى حيث كلَّم قومه في المهد: إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ [وَجَعَلَنِي نَبِيًّا]،[7] إلى آخر ما ذكر، ونحوَ ما ذُكر[8] أن محمدًا لمَا وُلد[9] بالليل استنارت تلك الناحية واستضاءت بنوره حتى ظنّوا أن الشمس قد طلعت، ونحوَه. فعلى ذلك جائز أن يكون بموسى أعلام وآيات عرفت أمّه بها أنه رسول وأنه يُرَدُّ إليها.

---

[1] ن: ليس كما.

[2] ن: قوله.

[3] م: إرساله.

[4] ر ث م - إليها وإخبار لأنه لو كان وحي إرسال.

[5] ر ث م: والقاه؛ ن: والقاؤه.

[6] جميع النسخ + به لما. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٦٣و.

[7] سورة مريم، ٣٠/١٩.

[8] ر م - ونحو ما ذكر.

[9] ن + ولد.

وإنما كَلَّفَنا[1] هذا[2] التخريجَ[3] قولُ أهل التأويل: إنه وحي إلهام وقذفٍ في القلب لا غير. وعندنا جائز أن يكون الوحي إليها وحيَ إرسال رسول وإخبار إليها[4] من غير أن صارت هي بذلك رسولَة، نحوَ ما ذُكر في قصّة مريم أن المَلَك لما دخل عليها[5] تعوّذت بالله منه حيث قالت: إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا.[6] وذلك من البِشارة التي بشروها بالولد. فلم تصِر بما أُرسل إليها من الرسل وشافهوها رسولة، فعلى ذلك أمّ موسى. ونحوَ بشارة الملائكة لامرأة إبراهيم بالولد وهو قوله: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ،[7] ونحوَه مما يكثر ذكره ولم يصيرن بذلك رسولاتٍ.[8] فعلى ذلك الوحي إلى أمّ موسى يحتمل ما ذكرنا، وجائز ذلك من غير أن صارت بذلك رسولة. وهو أشبه وأقرب. **والله أعلم**.

**﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾** [٨]

وقوله: **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحَزَنًا**، قال بعضهم: في الآية إضمار، لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًّا وحَزَنًا ولكن كأن فيه إضمارًا،[9] أي التقطه آل فرعون [٥٦١ظ] / ليتخذوه ولدًا ووليًّا فكان لهم عدوًّا وحَزَنًا إذا كَبُر، أو كلام[10] نحو هذا. وقال بعضهم: ذاك إخبار عما في علم الله أنه يكون ما ذكر. معناه –والله أعلم– التقطه آل فرعون فكان في علم الله تعالى أنه يكون لهم عدوًّا وحَزَنًا. وذلك جائز في اللغة، يقال: «لِدُوا للموت وابنُوا للخراب»[11] [والناس] لا يلِدون للموت ولا يبنون للخراب، ولكن إخبار عمّا يؤول [إليه] أمرهم في الآخرة. **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ: تكلفنا.
[2] ر ث م: بهذا.
[3] ن ث: لتخريج.
[4] ر م – إليها؛ ث: إليها وإخبار.
[5] ر ث م – عليها.
[6] سورة مريم، ١٨/١٩-١٩.
[7] ﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ (سورة هود، ٧١/١١).
[8] ر ن م: لم يصيروا بذلك رسلا؛ ث: لم يصرن بذلك رسلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٥و.
[9] جميع النسخ: إضمار.
[10] ر ث م – أو كلام.
[11] «له مَلَك ينادي كل يوم / لِدُوا للموت وابنُوا للخراب». روي هذا الكلام حديثا مرفوعا وموقوفا مِن طُرق ضعيفة. انظر: *كشف الخفاء* للعَجْلُوني، ٢/١٤٠-١٤١.

وقوله:[1] **إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين**، ظاهر. وفيه نقض قول المعتزلة من وجه[2] [حيث قالوا: إن الله تعالى إنما يُبقي الكفرة لما فيه صلاحهم. ثم قد بيّن أنهم كانوا خاطئين في ما مضى من عمرهم، والإبقاء على الخطأ كيف يكون أصلح؟][3]

**﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٩]**

وقوله:[4] **وقالت امرأة فرعون قُرَّةُ عَيْنٍ لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا**، هذا لطف من الله ورحمة حيث ألقى محبته[5] في قلوبهم وحلاه[6] في أعينهم. وهو ما ذَكر منّته عليه حيث قال: وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي،[7] يستأدي[8] بذلك الشكر عليه.

قال أبو معاذ:[9] قال مقاتل: قوله: قُرَّةُ عينٍ لي، ولك لا؛ تقول:[10] ليس لكَ بقُرّة عين. قال أبو معاذ: وهذا محال، ولو كان كذلك لكان في القراءة "تقتلونه"، وهذا أيضا محال لقوله: **عسى أن ينفعنا**. ولو كانت القراءة "قرة عين لي ولك لا، لا[11] تقتلوه" لكان مقاتل مصيبًا.

وقوله: **وهم لا يشعرون**، يحتمل وجهين. أحدهما وهم لا يشعرون أن هلاكهم واستئصالهم على يديه. والثاني لا يشعرون أنه هو المطلوب بقتله من بين الكلّ. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: قوله.

[2] ث – من وجه.

[3] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦٣و.

[4] ن: قوله؛ ث – وقوله.

[5] م: محبة.

[6] ر م: وحلاوة.

[7] سورة طه، ٣٩/٢٠.

[8] ر م: لتادي.

[9] فضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي مولى باهلة، روى عن عبد الله بن المبارك وعبيد بن سليم. وروى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده. مات سنة ٢١١هـ، له كتاب في القرآن حسن. وروى عنه الأزهري في *كتاب التهذيب* وأكثر، وذكره ابن حبان في *الثقات*. ويذكره ابن منظور في *لسان العرب* في مواضع كثيرة (مثلا: وعد، قصر، قطر). وسمى كاتب جلبي كتابه "*كتاب القراءة*". أنظر: *الثقات* لابن حبان ٥/٩؛ و*تهذيب اللغة* للأزهري، ٢٥/١؛ و*الأنساب* للسمعاني، ٥١/١٢؛ و*معجم الأدباء* لياقوت، ٢١٧٧/٤؛ و*الوافي بالوفيات* للصفدي، ٢٨/٢٤؛ و*كشف الظنون*، ١٤٤٩/٢.

[10] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٣و.

[11] ر ن م – لا.

**﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [١٠]

وقوله: **وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغًا**، قال بعضهم: **فارغًا**،[١] مِن همّ موسى وحزنِها[٢] عليه. وقال بعضهم: **فارغًا**، من كلّ شيء إلا على موسى وذِكْرِه. وكان قوله: **وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغًا**، صلة قوله: وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ،[٣] الآية. وهو يحتمل وجوهًا. أحدها أن الله رفع الحزن والخوف عن قلبها[٤] وطبعها من غير أن كان ثمة قول أو كلام. والثاني على القول لها: وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فإن كان على هذا فهو على البِشارة لها بالردّ إليها وجعله رسولاً. أو على النهي والزجر عن الحزن عليه والخوف عليه. والحزن عليه[٥] هو حزن مفارقته[٦] عنها؛ والخوف عليه خوف الهلاك، كقول يعقوب حيث قال: إِنِّي[٧] لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ،[٨] ذَكر الحزن عند المفارقة والذهاب عنه والخوفَ عند الهلاك. فرفع الله عنها حزن المفارقة وبشّرها بالرد إليها وجعْلِه رسوله[٩] وأمّنها عن الهلاك. فيكون قوله: **وأصبح فؤاد أم موسى فارغًا**، مما خافت عليه وحزنت. *والله أعلم.*

وقوله:[١٠] **إن كادت لَتُبْدِي به لو لا أنْ ربَطْنا على قلبها**، كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها، لكنه ربط على قلبها[١١] بما ذكر من قوله: لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي،[١٢] الآية. فلم تكَد[١٣] تبدي وهو كما ذكر: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ،[١٤]

---

[١] ن – قال بعضهم فارغا.
[٢] م: وحزنا.
[٣] سورة القصص، ٧/٢٨.
[٤] ر ت م – عن قلبها.
[٥] ر م – والحزن عليه.
[٦] م: مفارقة.
[٧] ن – إني.
[٨] سورة يوسف، ١٣/١٢.
[٩] ن: رسولا.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ر م – لكنه ربط على قلبها.
[١٢] سورة القصص، ٧/٢٨.
[١٣] جميع النسخ + أن.
[١٤] سورة يوسف، ٢٤/١٢.

أي كان يهُمُّ بها لو لم ير برهان ربه، لا أنه همّ بها. وهو كقوله: وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا،[1] أي كان يَرْكَنُ[2] إليهم شيئًا قليلًا لو لم يُثَبِّته، لكنه ثبّته فلم يركَن إليهم، ونحوه. فعلى ذلك الأول. وقال أهل التأويل: ربط قلبها بالإيمان، وجائز أن يكون رَبْطه [على] قلبها بما[3] ذكر من قوله: وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي،[4] الآية.

وقال بعضهم: **فارغًا**، من عهْد الله الذي كان عَهِد إليها. أنساها عهْدَ الله عِظَمُ البلاء الذي حلّ بها فكادت تبدي به، ثم تداركها الله بالرحمة فربط على قلبها فذكرت وارعَوَت.[5] وقال بعضهم: اتّخذه فرعون ولدًا فصار الناس يقولون: ابن فرعون ابن فرعون،[6] فأدركت أمّه الرقّةُ وحبّ الولد فكادت تقول: بل هو ابني. والأول أشبه. وفي حرف ابن مسعود وأبيّ وحفصة: "إن كادت لتُشْعِرُ به".[7]

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١١]

وقوله: **وقالت لأخته قُصِّيه**، أي اتّبعي أثره. وقوله:[8] **فبصُرَت به عن جُنُب**، قيل: عن بُعد، أي كانت تتبع أثره عن بُعد منه. وقال بعضهم: الجُنُب أن يسمُو بصر الإنسان إلى موضع بعيد وهو إلى جَنبه بقرب منه. وذلك عند الناس معروف ظاهر فيهم ذلك. وقال بعضهم في قوله: **فبصُرت به عن جُنُب**، قال: مشَت بجَنَبَاته[9] وهي معرضة عنه كأجنبيّة.

وقوله:[10] **وهم لا يشعرون**، أن هذه تراقبه أو تنظر إليه وتحفظه، أو **لا يشعرون**، أن هلاكهم على يديه. بَصُرْتُ وأبصرت واحد. وقوله: **عن جُنُب**، عن ناحية بعيدة، وجوانب جماعة.

---

[1] سورة الإسراء، ٧٤/١٧.

[2] ث – يركن.

[3] جميع النسخ: لما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٠و.

[4] سورة القصص: ٧/٢٨.

[5] يقال: ارْعَوى فلان عن الجهل يَرعوي ارعِواءً حَسَنا ورَعْوى حسنة، وهو نُزوعه وحُسْن رجوعه. وارْعَوى يَرْعَوي، أي كفّ عن الأمور (*لسان العرب*، «رعي [رعا]»).

[6] ث – ابن فرعون.

[7] *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٧١.

[8] ن: قوله.

[9] أي بأطرافه.

[10] ن: قوله.

ويقال: رجل جُنُب وقوم أجناب، وجانب وأجناب وأجنبي وأجانب، أي غريب. وهذا كله من الاجتناب. وهو قول أبي[1] عَوْسَجَة[2] والقُتَبي.[3]

**﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[١٢]**

وقوله:[4] **وحرمنا عليه المراضع من قبل**، حرَّم تحريمَ منعٍ وحَظْر، [وهو التحريم] الذي ضدّه الإطلاق والإرسال، لا التحريم الذي ضدّه الحلّ. وذلك لطف من الله تعالى وفضل ورحمة حيث منع موسى عن أن يرتضع من النساء وهو طفل، وهِمَّةُ أمثاله الارتضاع والرغبة في التناول من كل لَبن ومن كل مرضِع تُرضعه لا تميز[5] لهم في الارتضاع. فدلّ امتناعه وكفُّه[6] نفسه عن الارتضاع من النساء أجمع أن ذلك لطف من الله أعطاه ليمتنع عنه. فعلى ذلك جائز أن يكون عند الله لطف لو أعطى الكافر الذي همته الكفر والرغبة فيه[7] لآمن واهتدى، لكنه لما عرف رغبته وهمته فيه واختياره له / منع ذلك عنه ولم يعطه. [٥٦٢و]

[٥٦٢و س٣٦] *قال الكسائي:[8] يقال: امرأة مُرضع ما دامت تُرضع، فإذا فَطَمت سُمّيت مرضعة ما دامت حبلى فهي مرضعة، أي ستُرضع.* [٥٦٢و س٣٧]

---

[1] ر - أبي.

[2] «هو أبو عوسجة توبة بن قتيبة الحُجَيمي النحوي الأعرابي، دخل سمرقند وأقام بها، وكان يذهب مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى في باب الأدب، كان أستاذ الشيخ الإمام أبي منصور الماتُريدي في الأدب، روى عنه سَيحان بن الحسين ابن حازم المؤدب من محلة أشتابديزة» (*القند في ذكر علماء سمرقند* لأحمد النسفي، ١١٥).

[3] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٩. وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبة الدِّينَوَري الكاتب اللغوي، الفاضل في علوم كثيرة، سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة جدا في أنواع العلوم، من كتبه *غريب القرآن*، ومشكل *القرآن*، يقال له القتبي نسبة إلى جده (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م). انظر: *تهذيب الأسماء واللغات* للنووي، ٢٨١/٢؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٢٩٦/١٣-٣٠٠.

[4] ن: قوله.

[5] جميع النسخ: لا تميز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٣ظ.

[6] م: وكف.

[7] ر - فيه.

[8] أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي المعروف بالكسائي، أحد القراء السبعة، كان إماما في النحو واللغة والقراءات. له مع سيبويه وأبي محمد اليزيدي مجالس ومناظرات. وروى عنه الفراء وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما. توفي سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م بالري. انظر: *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٢٩٥/٣.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٢و/سطر ٣٦-٣٧.

وهذا الحرف ينقُض على المعتزلة مذهبهم في زعمهم أن الله قد أعطى كلّ كافر السبب الذي به يؤمن وما به يصير مؤمنًا، حتى لم يبق شيء مما يكون به إيمانه إلا وقد أعطاه، لكنه لم يؤمن. فينقض[١] قولَهم ما ذكرنا من أمر موسى أن عنده لطفًا[٢] لم يعطه لو أعطاه لآمن واهتدى، لكنه لم يعطه لما ذكرنا.

وفيه لطف آخر وهو أن فرعون والقبط كانوا يقتلون الولدان من الذكور ليصير الذي يخاف هلاكه وذهابَ ملكه على يديه مقتولاً، فجعل الله بلطفه ورحمته محبته في قلب فرعون وقلوب أهله حتى صار أحبّ الخلق إليهم وصاروا هم[٣] أشفق الناس وأرحمهم عليه حتى خافوا هلاكه وطلبوا له المراضع لئلّا يَهلِك بعد ما كانوا يطلبون هلاكه وتَلَفه، وذلك لطف منه له ورحمة. وهو ما قال: وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي،[٤] وبالله يستفاد كل فضل ونعمة.

وقوله: **فقالت هل أدُلُّكم على أهل بيت يَكْفُلُونه لكم**، قوله: **فقالت**، أي أخته التي كانت تَتْبَعه وتمشي على إثره. وذلك منها تعريض الدلالة لهم إلى أمّه لئلّا يشعروا أنها أمّه حيث قالت: **هل**[٥] **أدلّكم على أهل بيت**، ولم تقل:[٦] على امرأة لها لبَن وهي ترضع. ولعلها لو قالت لهم ذلك وقع عندهم أنها أمّه ولكن دلّتهم إلى أهلِ[٧] بيت ليقع عندهم أنهم أهل بيت قُتل ولدهم ولهم لبَن.[٨] **يكفلونه لكم**، أي يقبلونه[٩] ويضمّونه إلى أنفسهم.

**وهم له ناصحون**، يحتمل قوله: **وهم له ناصحون**،[١٠] أي لفرعون، لا يخونونه.[١١] ويحتمل، **وهم له ناصحون**، لموسى.

---

[١] ر: فينقضي.
[٢] جميع النسخ: لطف.
[٣] ر: وصاروهم.
[٤] سورة طه، ٣٩/٢٠.
[٥] ر – هل.
[٦] ر ن م: يقل.
[٧] ر م – أهل.
[٨] ر ث م: ولد.
[٩] ن: يقبلون.
[١٠] ر – يحتمل قوله وهم له ناصحون.
[١١] جميع النسخ + فيه.

**﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[١٣]

وقوله:[١] **فَرَددناه إلى أمه كي تَقَرَّ عينُها ولا تَحْزَنَ**، يحتمل قوله: **كي تَقَرَّ عينُها**، بالمُقام معه والكون عندها، **ولا تَحْزَنَ**، على فراقه. أو أن يقال: **كي تَقَرَّ عينُها ولا تَحْزَنَ**، أي تُسَرَّ بردّه إليها. وذلك معروف في النساء ظاهر أنهن يَحزُنَّ بمفارقة أولادهن ويَهمُمْنَ لذلك ويُسرَرنَ[٢] إذا رجعوا[٣] إليهن واجتمعوا.

وقوله:[٤] **ولتعلم أن وعد الله حقّ**، كانت تعلم هي -والله أعلم- أن وعد الله حق كائن لا محالة، لكن كانت تعلم[٥] [ذلك] علْمَ خبَرٍ؛ لا علْمَ عِيانٍ ومشاهدةٍ، كأنه قال: لتعلم علم عِيَانٍ ومشاهدة ما علمتْ علم خبرٍ؛ لأن علم العيان والمشاهدة أكبر وأبلغ وأدفع للشبهة من علم الإخبار. ألا ترى[٦] أن إبراهيم سأل ربه أن يُرِيَهُ إحياء الموتى وإن كان يعلم حقيقةً أنه يحيي الموتى وأنه قادر على ذلك، لكنه كان يعلم علْم خبر فأحبّ أن يعلمه علْمَ عِيان ومشاهدة، لأنه أكبر وأبلغ وأدفع للوساوس من علم الإخبار. فعلى ذلك الأول.[٧]

[٥٦٢و س٣٥] *وقوله: **ولتعلمَ أن وعد الله حقّ**، كان وعده إياها أن يردّه إليها ويجعله من المرسلين، ومعناه ما ذُكر[٨] فيما تقدم.* [٥٦٢و س٣٦]

وقوله: **ولكن أكثرهم لا يعلمون**، والمعتزلة فيهم؛ لأنه أخبر أنه يملأ جهنّم من الجِنّة والناس أجمعين حيث قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ،[١٠] وهم يقولون: أراد أن لا يملأ جهنّم، لأنهم يقولون: إنه أراد إيمان كلّ الناس جميعًا وشاء ذلك لهم فلم يؤمنوا. فعلى قولهم: إذا شاء ذلك لهم شاء أن لا[١١] يملأ جهنّم منهم، فذلك خُلف في الوعد وكذبٌ في القول على قولهم.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن: ويسرون.
[٣] ر م: جعلوا.
[٤] ن: قوله.
[٥] ر ث م – تعلم.
[٦] ن: يرى.
[٧] ر م – الأول.
[٨] ن: ذكرنا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٢و/سطر ٣٥-٣٦.
[١٠] ﴿وتمت كلمة ربك لأملأنّ جهنم من الجِنّة والناس أجمعين﴾ (سورة هود، ١١/١١٩؛ وانظر أيضا: سورة السجدة، ٣٢/١٣).
[١١] ر م – لا.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[١٤]

وقوله: **ولما بلغ أشُدَّه واستوى،** قال بعض أهل التأويل: الأشُدّ هو ما بين ثمانيَ عَشْرةَ سنة إلى ثلاثين سنةً، ثم هو ما بين الثلاثين إلى الأربعين استواء الشدة، ثم يأخذ بعد الأربعين في النقصان، ثم غُيِّر بعمره إلى[١] الأربعين[٢] سنة.[٣] وقال بعضهم: **بلغ أَشُدَّهُ،** ثلاث وثلاثون سنة، **واستوى،** أربعون.[٤] وعن ابن عباس مثله.[٥] وقال بعضهم: **بلغ أَشُدَّهُ،**[٦] قال: الأشُدّ الحُلُم، والاستواء أربعون سنة. وأصل الأشُدّ أن يشتدّ كل شيء منه وصار [بحيث] يحتمل ما قُصد به وجُعل فيه، ويدخل في ذلك العقل وكل شيء.

**واستوى،** أي استوى ذلك واستحكم وصار بحيث يحتمل ذلك. وجائز أن يكون الاستواء هو تفسير[٧] الأشُدّ الذي ذكر. وقال أبو عَوْسَجَة والقُتَبي: **واستوى،** أي استحكم وانتهى شبابه واستقرّ فلم يكن فيه زيادة.[٨] وأصله ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

وقوله: **آتيناه حُكمًا وعلمًا،** أي آتيناه العِلم الذي يحكم به بين الناس، وعِلمًا بمصالح نفسه ومصالح الخلق. وقال بعض أهل التأويل: الحُكم [هو] الفِقه[٩] والعقل والعلم قبل النبوة.

وقوله: **وكذلك نجزي المحسنين،** يحتمل قوله: **وكذلك نجزي المحسنين،** في الآخرة بالوعد الذي وعد لهم في الدنيا كما جزى موسى بإنجاز ما وعد له.[١٠] أو أن يكون من موسى اختيار[١١] وجهد في طلب العلم وغير ذلك مما أعطاه ذلك وأخبر أنه كذلك يجزي مَن ذكر، كقوله: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.[١٢]*

---

[١] ر ث: إلا؛ ن – إلى.

[٢] ر ث م: أربعين.

[٣] أي غُيِّرت ونُقصت شدة عمر الإنسان إلى تمام أربعين سنة، ويكون مجموعه ثمانين سنة.

[٤] انظر: *معاني القرآن* للزجاج، ٤/١٣٥.

[٥] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٤٣٥.

[٦] ث – ثلاث وثلاثون سنة واستوى أربعون وعن ابن عباس مثله وقال بعضهم بلغ أشده.

[٧] ر م – تفسير.

[٨] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٢٩.

[٩] ن – الفقه، صح هـ.

[١٠] ر ث م: لهم.

[١١] ر ث م: إحسان.

[١٢] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ١٢ ورقم ١٣، فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٦٢و/سطر ٣٥-٣٦، وورقة ٥٦٢و/سطر ٣٦-٣٧.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾[١٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١٦]

وقوله: **ودخل المدينة على حينِ غفلةٍ من أهلها**، قال عامة أهل التأويل: على حين غفلةِ أهل المدينة وهو عند الظهيرة وذلك وقت القَائِلة. وقال قائلون: على حين غفلةِ أهل[١] البلد عن دخول موسى، أي دخلها من غير أن شَعَروا به وعرفوا أنه موسى. على هذا التأويل الغفلة تكون على دخول موسى عليهم. وعلى الأول / على[٢] غفلة أهل المدينة، أي وقت غفلتهم. [٥٦٢ظ] فإن كان على هذا فيحتمل أن يكون غفلةُ أهلها هو أن كان ذلك يومَ عيدهم، خرجوا إليه فدخل هو المدينة ليطّلع أحوالها وأسبابها. إلا أن تكون[٣] العادة فيهم أنهم بأجمعهم يَقيلون فذلك محتمل. *والله أعلم*.

وقوله: **فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه**، قال بعض أهل الأدب: إن قوله: **هذا من شيعته وهذا من عدوّه**، إنما يقال للشاهد المشار إليه، فأما للغائب[٤] فإنه لا يقال. لكن قالوا: إن فيه إضمارًا ولطفًا كأنه قال: **فوجد فيها رجلين يقتتلان**، من نظر إليهما يقول: **هذا من شيعته وهذا من عدوّه**. ثم قال أهل التأويل: أحدهما كان إسرائيليًّا[٥] والآخر قبطيًّا.

فإن قيل: كيف سُمّي الإسرائيلي[٦] من شيعة موسى وذلك [كان] أوّل ما دخل موسى المدينة [فكيف يعرف الإسرائيلي من القبطي؟][٧] وبنو إسرائيل يومئذ كانوا عُبّاد الأصنام وقد حُبّب ذلك إليهم، حتى قالوا لموسى بعد ما[٨] أخرجهم من المدينة وبعد هلاك فرعون والقبط جميعًا:

[١] ث + المدينة.

[٢] ث - على.

[٣] جميع النسخ: يكون.

[٤] ر م: الغائب.

[٥] ث: إسرائليا.

[٦] ث: الإسرائلي.

[٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦٤و.

[٨] م - ما.

اِجْعَلْ لَنَا إِلٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ.[١] وكذلك يقول مقاتل: كانا كافرين جميعًا،[٢] ألا ترى أنه قال: فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ.[٣]

لكن يخرج هذا على الإضمار، كأنه قال: يكون هذا من شيعته وهذا من عدوه. أو يقول: يكون هذا من قوم هم شيعته ويبقى هذا عدوًّا في قوم هم أعداؤه. وعلى هذا يخرج قوله: فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا،[٤] أي يبقى عدوًّا لهما أو أن يكون عدوًّا لهما. لأن أبا معاذ النحوي يستدلّ على وَهْم مقاتل ووهمُه في تأويله: إنهما كانا كافرين جميعًا. لكن يخرج على ما ذكرنا. *والله أعلم*.[٥]

وقوله: **فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه**، أي استغاثه الذي كان في علم الله أنه يكون من شيعته على الذي في علم الله أنه يبقى عدوًّا له لينصره.[٦] والاستغاثة[٧] هي الاستعانة والاستنصار، أي سأله أن ينصره.[٨]

وقوله:[٩] **فَوَكَزه موسى فقضى عليه**، قال أبو عَوْسَجَة: الوَكْزَة الطعن في الصدر.[١٠] وقال الزجاج[١١] والقُتَبي وهؤلاء: الوكزة الدَّفعة.[١٢] **فوكزه**، أي دفعه. **فقضى عليه**، قال بعضهم:

---

[١] سورة الأعراف، ١٣٨/٧.

[٢] م - جميعا. *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٩٢/٢.

[٣] الآية التالية.

[٤] الآية ١٩ من هذه السورة.

[٥] «وفي الآية دليل على أن الإسرائيلي لم يكن من الكفرة، فإنه تعالى أخبر عن موسى بقوله: ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما﴾، جعل القبطي الذي استنصر [عليه] الإسرائيلي من موسى - بعد ما قتل موسى رجلا قبطيا لأجله من قبل- عدوا لموسى عليه السلام والإسرائيلي، فدل أنه كان من المسلمين. وهذا لأن بني إسرائيل كانوا على دين إسرائيل عليه السلام ولهذا كان فرعون وقومه يقهرونهم. ولو كانوا كفارا واتبعوه في أوامره ونواهيه لكانوا في أمان منهم، فهذا محتمل. وإنما عرف موسى عليه السلام الإسرائيلي لما لهم علامات يتميزون بها عن القبط، ويخبره الإسرائيلي بذلك، فتظاهره لما عرف من ظلم القبطي على بني إسرائيل بناء على ظاهر الحال. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦٤و).

[٦] جميع النسخ: ينصره.

[٧] م: والاستغانة.

[٨] جميع النسخ: أي سأله أن يكون من شيعته. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٢و.

[٩] ن: قوله.

[١٠] ر م: في الصدور.

[١١] «الوكز أن تضرب بجُمع كفك، وقد قيل وكزه بالعصا» (*معاني القرآن* للزجاج، ١٣٧/٤).

[١٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣٠؛ *وتفسير القرطبي*، ٢٤٦/١٦-٢٤٧.

أي فرَغ منه، كقوله: فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ،[1] وقوله: قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ،[2] أي فُرِغ ونحوه. وقال بعضهم: **فقضى عليه**، أي قتله. وكلاهما سواء: إذا قتله فقد فرَغ منه. وهو لم يتعمّد قتله ولا قَصَدَه، لكن الله قضى أجله وجعل انقضاء عمره بوكزة موسى. وهو في الظاهر قاتل، لأنه قال: إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ،[3] ولم يكذّب[4] الله موسى[5] في قوله [ولم يقل له:] إنك لم تقتل. وقال أيضا: **إني ظلمت نفسي فاغفر لي**، الآية.

وفيه دلالة جواز الاستدلال لقول أبي حنيفة حيث قال: من قتل آخَرَ بحجر عظيم أو بخشبة عظيمة مما لا ينجو من مثله فإنه[6] لا يُقتَل به ولا يجب القصاص فيه،[7] لأن موسى لمّا وكز ذلك القبطي مات[8] -وذُكر[9] أن[10] له قوةَ أربعين رجلاً- لم يرَ القصاص به واجبًا حيث قال له ذلك الرجل: إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.[11] ولو كان القصاص واجبًا لكان أولئك لم يكونوا ظَلَمَة في قتله، بل يكون هو الظالمَ فيه. ولا يحتمل أن يكون القصاص واجبًا أيضًا وموسى يَفِرّ من ذلك ويَهرُب وفي ذلك إبطال حقّهم، دلّ أنه لم يجب. ولا شكّ أنّ وَكْزَةَ[12] مَنْ له قوّة أربعين رجلاً إلى الهلاك أسرع وأقرب[13] وأعمل من الضرب بالحجر العظيم أو الخشبة العظيمة. فإذا[14] لم يجب في هذا لم يجب في ذاك.[15] *والله أعلم.*

---

[1] الآية ٢٩ من هذه السورة.

[2] سورة يوسف، ٤١/١٢.

[3] الآية ٣٣ من هذه السورة؛ وانظر أيضا: سورة الشعراء، ١٤/٢٦.

[4] ن ث: ولم يكذبه.

[5] ن – موسى.

[6] جميع النسخ: أنه.

[7] انظر: *المبسوط* لشمس الأئمة السرخسي، ١٤٦/٢٦.

[8] جميع النسخ: فمات.

[9] ر م: وكز.

[10] ث – أن.

[11] سورة القصص، ٢٨/٢٠-٢١.

[12] م + موسى.

[13] ر: والأقرب.

[14] جميع النسخ: فإذ. والتصحيح من نسخة الظاهرية ٤٩٥، ورقة ٣٩٦و.

[15] ر ن: ذلك.

**﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾**[١٧]

وقوله: **ربّ بما أنعمت علي**، قال بعضهم: **بما أنعمت علي**، بالمغفرة فلم تعاقبني بقتل النفس وعصمتني من أن أُعاقَب به في الدنيا. وجائز أن يكون بما أنعم عليه هو قوّته التي أعطاها. أخبر أنه لا يكون بها ظهيرًا للمجرمين. *والله أعلم*.

**﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾**[١٨]

وقوله: **فأصبح في المدينة خائفًا يترقّب**، أكثر ما ذكر في القرآن أصبح، أي صار، كقوله: أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا،[1] أي صار؛ وقوله: إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا،[2] ونحوه. وأما هاهنا قوله: **فأصبح في المدينة خائفًا**، إنما يريد الصباح نفسه. وقوله: **يترقّب**، قال عامّة أهل التأويل: **يترقّب**، أي ينتظر سوءًا يناله منهم. وقال أبو عَوْسَجَة: الترقّب الخوف كأنه قال: خائفا يخاف هلاكه. وأصل الترقّب هو النظر، والرقوب أن يَرْقُب من يطلبه ومن يأتيه في طلبه، وهو من الترقّب.[3]

وقوله: **فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لَغَوِيّ مبين**، كأنّ الرجل الذي أخبر أنه من شيعة[4] موسى كان ضعيفًا في نفسه حيث لا يقدر أن يقوم لواحد، فيستنصرُ به من موسى ويستعينه به؛[5] إلا أنه كان[6] يخاطب وينازع ويقاتل لسوء فيه وبلاء[7] يقاتل[8] وينازع. وإلا لم يكن بنفسه من القوة ما يقوم لواحد، فمن حيث القُوةُ[9] لا يقاتِل مثلَه ولكنه لما ذكرنا[10] من سوء[11] به. ولذلك قال له موسى: **إنك لغويّ مبين**، لكن موسى إنما عرف[12] غوايته بالاستدلال الذي ذكرنا لا بالمشاهدة.

---

[1] ﴿فعسى ربي أن يؤتيَنِ خيرا من جنتك ويرسل عليها حُسبانا من السماء فتُصبح صعيدا زَلَقًا أو يصبح ماؤها غَوْرا فلن تستطيع له طَلَبًا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٤٠-٤١).

[2] ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء مَعين﴾ (سورة الملك، ٦٧/٣٠).

[3] جميع النسخ: من الرقيب.

[4] ن ث: شيعته.

[5] ر - به.

[6] جميع النسخ: كأنه. والتصحيح من نسخة روان ١٨٢، ورقة ٣٢٥ظ.

[7] ر - وبلاء.

[8] ر: ويقاتل.

[9] ر ث م - القوة.

[10] ث: ذكر.

[11] ر: سوا.

[12] ر: المعروف.

**﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾[١٩]**

[٥٦٣و] / ولذلك أراد أن يبطش بالذي[١] هو عدوّ لهما لئلا يقتله[٢] ولا يهلكه لما عرف غوايته بالاستدلال لا حقيقة. وذَكَر هاهنا البطش، وهو الأخذ باليد، وفي الأول ذكر الوكزةَ، وهي الدفع والطعن على ما ذكرنا، فهو -والله أعلم- لأنه لَمّا[٣] وَكَز[٤] الأولَ فأتت الوكزةُ على نفسه فقتلته، فأخذ هذا من هذا ليمنعه عن[٥] إهلاكه وإتلافه ولا يأتي على نفس الآخر كما فعلَت الوكزة.

ثم قال: **يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس**، اختلف في قائل هذا، قال عامة أهل التأويل: إن قائل هذا هو الذي استصرخه واستغاثه. قالوا: لأنه ظن أن موسى إنما أراد بطْشه وأخذه وإليه قصد، لذلك قال: **أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس.** وقال قائلون: هذا القول إنما قاله[٦] ذلك القبطي. فإن كان هذا فهو يدلّ أن قتله ذلك الرجل بالأمس كان ظاهرًا حيث علم به القبطي وكان قوله [تعالى]: عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا،[٧] أي من دخول موسى المدينة. وإن كان هو الأوّلَ كان قتله إياه خفيًّا غير ظاهر، فعلى هذا تكون[٨] الغفلة على أهل المدينة ليس على دخول موسى. *والله أعلم*.

وقوله: **إن تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين،** لأن الذي يُصلح بين اثنين لا يقتل ولا يأخذ أحدهما دون الآخر، ولكن يصلح بينهما على السواء، لذلك[٩] قال ما قال. وقوله: **إن تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض**، قال بعضهم: يقول: هكذا فعل الجبابرة بقتل النفس بغير نفس.[١٠] وقال بعضهم: الجبّار هو الذي

---

[١] ر ث م: الذي.
[٢] ر م: يقتلهما.
[٣] ر: مما.
[٤] ر م: ذكر.
[٥] ر م: على.
[٦] جميع النسخ: إنما قال له. والتصحيح من نسخة چورلولي علي باشا ١٠، ورقة ٤٥٧ظ.
[٧] سورة القصص، ١٥/٢٨.
[٨] جميع النسخ: يكون.
[٩] ر م: الذي.
[١٠] ر م + وقال بعضهم الجبابرة يقتل النفس بغير نفس.

يحمل الناس[١] على هواه وعلى ما يريده ويقهرهم على ذلك شاءوا أو أبَوا. وقال بعضهم: الجبّار هو الذي يتكبّر على الناس، لا يرى أحدًا لنفسه نظيرًا، أو كلام نحوه. ويقال: كلّ قاتلٍ آخَرَ على الغضب بغير حق فهو جبّار.

**﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾**[٢٠]

وقوله:[٢] **وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى**، يحتمل أن يكون أقصى المدينة هو مسكن فرعون ومُقامه فمنه جاء ذلك الرجل. أو أن يكون أقصى المدينة موطن الملأ والأشراف الذين ذكر أنهم ائتمروا على قتله. وقوله: **يسعى**، والسعي هو العَدْو في اللغة، كأنه يسرع المشي إليه ليخبره بذلك.

وقوله: **إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، يأتمرون**، قال بعضهم: يتشاورون في قتلك. وقال الزجاج: **يأتَمِرون بك**، أي يأمر بعضهم بعضًا أن يقتلوك.[٣] وقال القُتَبي: **يأتمرون**، أي يَهُمُّون في قتلك.[٤] وذكر عنه أنه قال: **يأتمرون**، يتشاورون بك. وهو قول أبي عَوْسَجَة.[٥] وأصل الائتمار في اللغة هو الطاعة والاتّباع لما يؤمَر من الفعل. كأنّ فرعون أمر الملأ أن يقتلوه فأطاعوه وائتمروا لأمره. *والله أعلم*.

وقوله: **فاخرج إني لك من الناصحين**، قال الزجاج: قوله: **لك** [ليس من] صلة [**الناصحين**]،[٦] والصلة لا تتقدم الموصول به ولكن معناه: **فاخرج إني لك من الناصحين** الذين يَنْصَحون لك.[٧] وليس [الأمر][٨] كما قال، [فإن][٩] الصلة تتقدم وتتأخر، وذلك ظاهر في الكلام.

---

[١] ر م: النفس.

[٢] ن: قوله.

[٣] *معاني القرآن* للزجاج، ٤/١٣٨.

[٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣١.

[٥] ونسب هذا القول في *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة (ص ٣٣٠) إلى أبي عبيدة.

[٦] الزيادتان من *معاني القرآن* للزجاج، ٤/١٣٨.

[٧] انظر: *معاني القرآن* للزجاج، ٤/١٣٨.

[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦٥و.

[٩] الزيادة من المرجع السابق.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢١]

وقوله: **فخرج منها خائفًا يترقب**، قد ذكرنا هذا.[١] دلّ قوله: **خائفًا يترقب**،[٢] أن الخوف قد يكون من دون الله، وجائز أن يُخاف من غيره، وليس كما يقول بعض[٣] الناس أنْ لا يسعُ الخوف من دون الله. وحقيقة الخوف تكون[٤] من الله، يَخاف أن ينتقم منه على يدَي هذا. *والله أعلم.*

وقوله:[٥] **رب نَجِّني من القوم الظالمين**، يحتمل الظالم كل مشرك، لأن كلّ مشرك ظالم. ويحتمل قوله: **رب نَجِّني من القوم الظالمين**، حيث همّوا قتلَه. وقتْل موسى ذلك القبطيَّ لم يوجب عليه القتل والقصاصَ، لأنه لم يتعمّد قتله أو لم يقتله بسلاح يجب به[٦] القتل. فذَكَر أنهم فيما همّوا قتله ظَلَمَة.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٢٢]

وقوله: **ولما توجَّهَ تلقاءَ مَدْيَنَ**، قال بعضهم: أخذ طريقًا إذا سلك ذلك الطريق ونفَذ فيه خرج تلقاء مدين، أو وقع تلقاء المكان المقصود إليه.

وقوله:[٧] **قال عسى ربّي أن يهديني سواء السبيل**، أي الطريق الذي كان يقصده ويطلبه وهو طريق مدين. وذُكر أنه كان ضلّ الطريق.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[٢٣]

وقوله:[٨] **ولما ورد ماء مدين**، أي ورد[٩] البئر التي كان ماء مدين من تلك البئر، **وجد عليه أمّةً من الناس يَسقُون**، **أمّة** أي جماعة، وقيل: أناس من الناس يَسقُون أغنامهم ومواشيَهم.

---

[١] ن – قد ذكرنا هذا.
[٢] ن + دل قوله خائفا يترقب.
[٣] ن – بعض، صح هـ.
[٤] م: يكون.
[٥] ن: قوله.
[٦] ن: فيه.
[٧] ن: قوله.
[٨] ن: قوله.
[٩] م: موارد.

**ووجد من دونهم امرأتين تَذُودَانِ**، قال بعضهم: **تَذُودَانِ**، أي[1] تحبسان أغنامهما[2] حتى يفرغ الناس ويُصدروا[3] ويخلو لهما البئر. وقال بعضهم: **تَذُودَانِ**، أي تطردان أغنامهما لتَسْقِياها.[4] ثم قوله: **ووجد من دونهم امرأتين تَذُودَانِ**،[5] يحتمل وجهين. أحدهما تحبسان[6] غنمهما ولا تَسقيانها[7] حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ لِما لا تُترَكان تسقيان غنمهما مع غنم أولئك الرِّعاء حتى يُصدروا هم.[8] والثاني لا تمنعان ذلك ولكنهما تستحيِيان[9] أن تُزاحما الرجال وتختلطاهم فتنتظران[10] فراغهم وصدور[11] الرعاء عنها.

فإن قيل: فما بالهما لا تتخلّفان وقت اجتماع القوم وتَشهَدان في ذلك الوقت / ولا تنتظران خلاء البئر عنهم؟ [٥٦٣ظ]

قيل: لِما ذُكر أن على رأس البئر حجرًا يُلْقَى عليها[12] لا يطيقه إلا كذا كذا نفرًا، وكذلك الدلو التي يُستَقى منها لا يطيقها إلا كذا كذا نفرًا[13] من عشرة إلى أربعين على ما ذُكر. فهما تشهدان ذلك البئر وقت شهود القوم وحضورهم ليتولّوا هم[14] نَزْح الدلْو واستقاءها. ولو تخلّفتا وانتظرتا خلاء البئر عنهم ثم تأتيان لم تقدرا على نزح الماء والدلو ورفع الحجر الذي ذكر أنه كان على رأس البئر، لذلك كان ما ذُكر. ***والله أعلم***.

وقوله:[15] **ما خطْبكما**، أي ما شأنكما وما أمركما؟ **قالتا لا نَسْقِي حتى يُصدر الرِّعاءُ**، لما ذكرنا. وقرئ يَصدُر بنصب الياء وبالرفع جميعًا.[16] فمن قرأ بالنصب فإنه يقول:

---

[1] ر م – أي.
[2] ر م – أغنامهما.
[3] جميع النسخ: ويصدرون.
[4] ر م: لتسقيها.
[5] ث – أي تطردان أغنامهما لتسقياها ثم قوله ووجد من دونهم امرأتين تذودان.
[6] ر ث م – تحبسان.
[7] م: ولا تسقيانهما.
[8] م: يصدروهم.
[9] ر م: تستحيان.
[10] ن: فينتظران.
[11] ر م: صدور.
[12] جميع النسخ: عليه.
[13] ر م – نفرا.
[14] ر ن م: ليتولوهم.
[15] ن: قوله.
[16] انظر: حجة *القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٥٤٣.

حتى يَصْدُرَ الرعاء بأنفسهم، أي يرجع؛ ومن قرأ بالرفع [فإنه يقول]: حتى يَصرفوا ويُرجعوا أغنامهم. *والله أعلم*.

وقوله:[1] **وأبونا شيخ كبير**، تذكران -والله أعلم- عذْر أبيهما في التخلّف عن سقْي الغنم وإرساله إياهما في ذلك دون تولّي ذلك بنفسه، وقالتا[2] ذلك لكبره وضعفه مما[3] يتخلّف عن ذلك ويرسلهما، وإلا لا معنى لذكرهما[4] كِبَرَ[5] أبيهما بلا سبب يحملهما على ذلك سوى ما ذكرنا. وجائز أن يكون لمعنى آخر لا نعلمه.

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٢٤]

وقوله:[6] **فسَقَى لهما ثم تولّى إلى الظلّ**، دلّ أن البئر التي كانت تُسقَى الماشية منها كانت في الشمس حيث أخبر أنه لمّا[7] سقى[8] لهما تولّى إلى الظل.[9] وفيه أن لا بأس بأن يَجلس في الظلّ.

وقوله:[10] **فقال ربِّ إني لِما أنزلتَ إليّ من خير فقير**، قيل: إن هذا منه[11] شكاية عما أصابه من الجوع، لأنه ذُكر أنه خرج من مصر[12] إلى مَديَنَ هاربًا من فرعون وقومه غير متزوّد، وهو مسيرة ثماني ليال.[13] وفيه دلالة أنْ لا بأس للرجل أن يخبر ويذكر عما هو فيه[14] من الشدّة والبلاء حيث ذكر موسى حاله التي هو فيها من الجوع الذي أصابه، وكذلك ما قال في آية أخرى: لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هٰذَا نَصَبًا.[15] وذلك يردّ قول من يقول: إن مثل هذا يخرج مخرج الشكاية عن الله، ولو كانت شكاية لكان موسى لا يقول ذلك ولا يذكره.

---

[1] ن: قوله.
[2] جميع النسخ: وقالا.
[3] ر ث م: على ما.
[4] ر ث م: لذكر.
[5] م: كبير.
[6] ن: قوله.
[7] ر م - لما.
[8] جميع النسخ: أسقى. والتصحيح من نسخة جورلولي علي باشا ١٠، ورقة ٤٥٨و.
[9] ث - دل أن البئر التي كانت تسقى الماشية منها كانت في الشمس حيث أخبر أنه لما سقى لهما تولى إلى الظل.
[10] ن: قوله.
[11] ن - منه.
[12] جميع النسخ: المصر.
[13] ر م: ليالي.
[14] ر ث م - فيه.
[15] سورة الكهف، ٦٢/١٨.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢٥]

وقوله: **فجاءته إحداهما تمشي على استحياء**، قوله: **تمشي** مَشْيَ مَن لم يعتد الخروج. أو **تمشي على استحياء**، أي تمشي مشْي من لم يخالط الناس على التستر والتغطية. **قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا**، هذا يدلّ على[١] أنْ لا بأس أن يؤخذ على المعروف الذي صُنع إلى آخَر أجر. والأفضل على مَن صُنع إليه المعروف والتبرّع أن يعطِي لمعروفه وتبرّعه بدلًا وأجرًا. والأفضل على المتبرع وعلى صانع المعروف أن لا يأخذ على ذلك بدلًا، إلا أن موسى كان قد اشتدت به الحاجة، لذلك كان[٢] ما ذكر وأخذ لمعروفه ما ذكر بدلًا. *والله أعلم*.

وقوله:[٣] **فلمّا جاءه وقصَّ عليه القصص**، أي لمّا جاء موسى أبا المرأتين وقص عليه قصته، **قال[٤] لا تخَف نَجَوت من القوم الظالمين**، دلّ قوله[٥] لموسى: **لا تخف نجوت من القوم الظالمين**، أن لم يكن لفرعون على ذلك المكان[٦] سلطان ولا يَد، إذ لو كان له سلطان لكان له فيه الخوف[٧] الذي كان من قبل ولم يكن نجا موسى منه. دلّ أنه لم يكن له عليهم سلطان.

وقوله: **الظالمين**، يحتمل المشركين،[٨] إذ كل مشرك ظالم. ويحتمل، **نجوت من القوم الظالمين**، الذين يقتلون بغير حق. حيث قال: رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.[٩]

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[٢٦]

وقوله:[١٠] **قالت إحداهما يا أبت استأجِره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين**، قال أهل التأويل: قال أبوهما لمّا قالت له: "استأجره فإنه قويّ أمين": ما قوّته وأمانته؟ فقالت:

---

[١] ن – على.
[٢] م – كان.
[٣] ن: قوله.
[٤] ر م + له.
[٥] ر ن ث + هذا.
[٦] ر م: لكان.
[٧] ن – الخوف، صح هـ.
[٨] ث: المشركون.
[٩] الآية ٢١ من هذه السورة.
[١٠] ن – قوله: صح هـ.

أما قوّته فإنه رفَع الحجر من رأس البئر وحده وكان لا يطيقه إلا كذا كذا نفرًا، ونَزَح الدلْو من البئر وحده وكان لا يطيق[1] نزحه إلا كذا كذا[2] [نفرًا] فذلك قوّته. وأما أمانته فإنه قال لي: "امشي خلفي وصِفى لي الطريق". فذلك أمانته. ولكن قد كانت تَعرف أمانته قبل ذلك لما جرى بينه وبينهما من المعاملة حين قال لهما: **ما خطبكما**، وحين سقى لهما. في مثل هذا تُعرف أمانته في ترك النظر إليهما وترك الاعتراض لما يوجب التهمة. ***والله أعلم***.

وقولها: **يا أبتِ استأجرْه**، كأن أباها كان[3] في طلب أجير قويّ أمين لكنه لا يجد ولا يَظفَر به، لذلك[4] قالت له: **استأجِره إن خير من استأجرت القوي الأمين**، إذ لا يحتمل أن يكون مَن[5] له ماشية وله غِنى[6] وبه حاجة إلى رعْي ذلك وسقيه –وقد بلغ في نفسه من الكبر والضعف ما ذُكر– يرسل ابنته في الرعي والسقي ولا يستأجر الأجير ليتولّى ذلك[7] دون بناته. هذا لا يحتمل ذلك. وخاصّة ما وصف ابنته من الحياء حيث قال: **فجاءته إحداهما تمشي على استحياء**، دلّ ذلك أنه كان في طلب الأجير. وإنما أرسل ابنته في سقي الغنم وهو مضطرّ إلى ذلك محتاج إليه لذلك قالت له: **يا أبَتِ استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين**.[8]

**﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٢٧]**

**قال إني أريد أن أُ نْكِحَك إحدى ابْنَتَيَّ هاتين على أن تأجُرني ثمانِيَ حِجَجٍ**، طلبت هي الاستئجار وهو عرَض عليه النكاح لما لم ترغب[9] هي في النكاح. أو طلبت الاستئجار لما[10] لم تر من نفسها الرغبة / في النكاح –وإن[11] كانت لها الرغبة– حياءً. ***والله أعلم***. [٥٦٤و]

---

[1] جميع النسخ: لا يطيقه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٤ظ.
[2] ن ث – كذا.
[3] م – كان.
[4] ر م: كذلك.
[5] ر م – من.
[6] جميع النسخ: غناء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٥و.
[7] ن ث + له.
[8] جميع النسخ + ثم.
[9] ن: لم يرغب.
[10] ر م: ولما.
[11] ر: فإن.

ثم قوله: **على أن تأجُرني ثمانِيَ حِجَجٍ**، يحتمل وجهين. أحدهما أنه جعل عمله ثماني حجج بدلاً للنكاح ومهرًا لِبُضْعِها.[١] ثم تحديده بثماني حِجج لِما رأى عمل ثماني سنين مهرَ مثلها.

وقوله:[٢] **فإن أتممت عشرًا فمن عندك**، أي فإن أتممت عشرًا وزدت[٣] على مهر المثل فمن عندك، أي لك ذلك، [وهو] فضل منك وإحسان.

والثاني قوله: **على أن تأجُرني ثمانِيَ حِجَجٍ**، ليس على جعله بدلاً للنكاح ولكن على الإجارة المعروفة على أجرٍ معلوم على حِدة من غير أن كان ذلك مهرًا لها.

ثم التحديد بثماني سنين على هذا الوجه يخرج على إحدى خَلّتين. إحداهما[٤] أنه لمّا قصّ عليه قصّته علم أنه لا يقدر على العَود إلى مصر،[٥] ورأى أنه لا يأمن تلك الناحيةَ بدون ما ذكر من المدة. أو لِما رأى أن نفسه تنزَع وتَتُوق[٦] بالعود إلى ذلك في ذلك الوقت، فشرط ذلك[٧] عليه لئلّا يحدّث نفسه بالرجوع إليه إلى ذلك الوقت.

*وقال القُتَبي: **على أن تأجرني**، أي تُجازِيَني من التزويج، والأجر من الله، إنما هو الجزاء على العمل.[٨]* [٥٦٤و س ٢١]

وقوله:[١٠] **فإن أتممت عشرًا فمِن عندك**، أي فإن زدت سنتين على ذلك فمن فضلك وإحسانك. **وما أريد أن أشُقّ عليك**، في الزيادة على ذلك كله. ***والله أعلم***.

ثم قال: **ستجدني إن شاء الله من الصالحين**، في جميع ما يجري بينك وبيني من المعاملة والصحبة. وفيه أن الثُّنيا فيما يَعِدُون كان ظاهرًا في الأمم السالفة.

---

[١] ر م: لبعضها. البُضْع: النكاح. يقال: ملَك فلان بُضْع فلانة إذا ملك عقدة نكاحها، وهو كناية عن موضع الغشيان (*لسان العرب*، «بضع»).

[٢] ن: قوله.

[٣] ن: ورددت.

[٤] م: احديهما.

[٥] جميع النسخ: المصر. والتصحيح من نسخة نجيب باشا ١٨٢، ورقة ٣٨٦و.

[٦] ر م: وتشوق. وتاق يَتُوق تَوْقا وتَوَقَانًا: اشتاق إليه ونزع (*لسان العرب*، «توق»).

[٧] ن + ذلك.

[٨] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣٢.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٤و/سطر ٢١.

[١٠] ن: قوله.

ثم اختلف في أب[1] المرأتين. قال بعضهم: كان شعيبًا. وقال بعضهم: [كان] ابن أخ[2] شعيب. وقال الحسن: لم يكن شعيب ولكنه كان سيد الماء يومئذ.[3] وليس لنا إلى معرفة مَن كان [هو] حاجةٌ. أما شعيب فإنه لم يكن في زمن موسى. *والله أعلم*.

**﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾**[٢٨]

وقوله:[4] **قال ذلك**، يعني الشرط -والله أعلم-، **بيني وبينك أيَّما الأجلين قضيتُ**، أي أوفَيت وعملت، إما الثماني وإما العَشْرَ، **فلا عدوان علي**، يقول: لا سبيل لك عليّ بعد ذلك ولا تَبِعة. والعدوان هو الظلم والمجاوزة عن الحدّ الذي جُعل له، يقول: لا ظلْم عليّ ولا مجاوزة عليّ، أي الاختيار إليّ: قضيتُ أيَّ الأجلين اخترتُ وشئت أنا.

ثم قال: **والله على ما نقول وكيل**، قال بعضهم: يقول:[5] والله كفيل على مقالتي ومقالتك. والوكيل هو الشهيد أو الحافظ، كأنه يقول: والله على ما نقول شهيد. ذكر أن جبريل جاء إلى[6] رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن سُئِلْت أيَّ الأجلين قضى موسى فقُل: أَبَرَّهما وأوفاهما؛ وإن سُئِلْت أيّ المرأتين تزوَّج فقل: أصغرهما».[7] فإن ثبت هذا ففيه أنه قضى الأجلين جميعًا الثماني والعشر، وليس في الآية إلا قضاء الأجل حيث قال:[8] فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ.[9]*

---

[1] جميع النسخ: في أبي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٥ظ.

[2] جميع النسخ: أخي. والتصحيح من المرجع السابق.

[3] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٢٢٤.

[4] ن: قوله.

[5] ر ث م – يقول.

[6] ر م – إلى.

[7] عن سعيد بن جُبَير قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: أيَّ الأجلَين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أَقدَم على حَبْر العرب فأسأله. فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبَهما، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل (*صحيح البخاري*، الشهادات، ٢٩). قارن: *تفسير القرآن العظيم* لابن كثير، ١٠/ ٤٥٤-٤٥٥.

[8] ر م – قال.

[9] الآية التالية.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٦٤و/سطر ٢١.

**﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[٢٩]**

وقوله: **فلما قضى موسى الأجل**، قال أهل التأويل: ما ذكرنا أنه قضى: [أي] أتَمّهما وأكثرهما.[١] لكن لا نعلم إلا بالخبر الصحيح عن فعل ما ذكروا.[٢] وليس في الآية إلا قضاء الأجل فلا يزاد على ذلك إلا بخبر[٣] يثبت، فإن ثبت ما روي من الخبر فهو هو.[٤] *والله أعلم*.

وقوله:[٥] **وسار بأهله آنس من جانب الطور نارًا**، "آنس" قيل: أبصر وأحسّ نارًا. قال بعضهم: إن موسى لم يكن رأى نارًا ولكن إنما رأى نورًا ظنّ أنه نار؛ فلا يحتمل ذلك، لأنه أخبر أنه آنس نارًا، فإن[٦] لم يكن ذلك في الحقيقة نارًا[٧] ولكن نور كان ذلك يوجب الكذب في الخبر. إلا أن يقال على الإضمار: **آنس من جانب الطور** نورًا ظنّ أنه نار،[٨] أو في ظنّه أنه نار.

**قال لأهله امكُثُوا إني آنست نارًا لعلّي آتيكم منها بخبر أو جَذْوَةٍ من النار**، أي امْكُثُوا لعلّي آتيكم منها بخبرٍ يدلّنا ويخبرنا عن[٩] الطريق. فكأنه قد ضلّ الطريق فيقول: **لعلي آتيكم منها بخبر** الطريق **أو جذوة من النار**، أي آتيكم بجذوة من النار لو بقيتم فيه ولم آتكم بخبر الطريق، **لعلكم تصطلون**، هذا يدلّ أنه كان في أيام الشتاء وفي وقت البرد.

* وقوله: **أو جَذْوَةٍ**، [و] بكسر الجيم ورفعها.[١٠] قال بعضهم: عُود قد احترق بعضه. |٥٦٤ظ س ٥
وقال قتادة: أصل شجرة فيها نار.[١١] وقال أبو عَوْسَجَة: الجذوة مثل الشِهاب سواء،

---

[١] ر م: أو أكثرهما. أي قضى الأجلين.
[٢] ر م: فعلى ما ذكروا. أي ليس عندنا علم فيما فعل موسى عليه السلام في قضاء الأجل. وما ذكر أهل التأويل في هذه المسألة لا يعلم إلا بالخبر الصحيح.
[٣] جميع النسخ – بخبر. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٥ظ.
[٤] ر ث م – هو.
[٥] ن: قوله.
[٦] جميع النسخ: وإن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٦٦و.
[٧] ن ث: نار.
[٨] م: نارا.
[٩] ر م: على.
[١٠] انظر: *حجة القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٥٤٣-٥٤٤.
[١١] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٢٤٠.

والجُذَى [برفع الجيم وكسرها] جمع[1] الجَذوة. وقال أبو عبيدة:[2] الجذوة القطعة الغليظة.[3] وقال القُتَبي: الجذوة عود قد احترق، أي قطعة منها.[4] **وشاطئ**، أي شطّ الوادي،[5] **آنست**، أبصرت. وكذلك قوله: فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا،[6] أي أبصرتم وعلمتم.* [٥٦٤ظ س٨]

**﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**[٣٠]

[وقوله:] **فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمَن في البقعة المباركة**، قال بعضهم: **الأيمن**، أي عن يمين الجبل، وقال بعضهم: عن يمين موسى، وقال بعضهم: يمين الشجرة، ولكن الأيمن [عندنا] المبارك وهو من اليُمْن.[8]

**في البقعة[9] المباركة**. قال بعض أهل التأويل: سميّ[ت] مباركة[10] لكثرة أشجارها وأنزالها وكثرة مياهها وعُشبها، ولكن سمّاه[11] مباركًا وأيْمَنَ -والله أعلم- لأنه مكان الأنبياء والرسل وموضع الوحي.

وقوله:[12] **نودي ... من الشجرة أنْ يا موسى إني أنا الله رب العالمين**. ولله أن يُسمِع ويخبر من شاء ممّا[13] شاء [و]فيما[14] شاء[15] وكيف شاء، كما أسمع مريم من تحتها حيث قال: فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي.[16]

---

[1] ن: جميع.
[2] ر ث م: أبو عوسجة.
[3] «أي قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب. وهي مثل الجِذْمة من أصل الشجرة، وجماعها الجذا» (*مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/١٠٢-١٠٣).
[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣٢.
[5] من الآية التالية.
[6] ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ (سورة النساء، ٤/٦).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٤ظ/سطر ٥-٨.
[8] جميع النسخ + الوادي اليمن. وهي لا توجد في *الشرح*، ورقة ٥٦٦و.
[9] جميع النسخ: والبقعة.
[10] جميع النسخ: مباركا.
[11] أي سمّى الوادي.
[12] ن: قوله.
[13] جميع النسخ: مم.
[14] ن ث: فيم.
[15] ر م - فيما شاء.
[16] ﴿فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا﴾ (سورة مريم، ١٩/٢٤).

**﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾**[٣١]

وقوله: **وأن ألق عصاك**، ليس هذا بموصول بقوله: إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ[١] **وأن ألقِ عصاك**، ولكنَّ ذلك[٢] كما[٣] ذكر في سورة طه: إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ،[٤] إلى آخر ما ذَكَر.[٥] ثم قال في آخره: **وأن ألقِ عصاك فلما رآها تهتزُّ**، أي تتحرك، **كأنها جانٌ**. قال بعضهم: الجانُّ الحيّة الصغيرة، وقال بعضهم: الجانُّ ما بين العظيمة والصغيرة. ***والله أعلم***. وقوله: **ولّى مُدْبِرًا**، أي[٦] فارًّا هاربًا، **ولم يُعَقِّب**، أي لم يلتفت ولم يرجع لشدّة / خوفه وفَرَقه. |٥٦٤ظ|

وقوله: **يا موسى أَقْبِل ولا تَخَف إنك من الآمنين**، قوله: **لا تَخَف**، يحتمل وجوهًا. أحدها على رفع الخوف من قلبه وإدخال الأمن فيه. والثاني على البِشارة أنه لا يؤذيه، كأنه يقول: لا تَخَف وكُن من الآمنين فإنه لا يؤذيك. والثالث على النهي: **لا تخف**، فإني أحفظك وأدفع أذاه عنك، كقوله: قَالَا[٧] رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى،[٨] أي أسمع ما يقول لكما وأرى ما يفعل بكما وأدفع ذلك عنكما.*

**﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾**[٣٢]

وقوله: **اُسلُك يدك في جيبك**، أي أَدْخِل يدك في جيبك،[١٠] على ما ذكر في آية أخرى:

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ث: ذكر.
[٣] جميع النسخ: ما.
[٤] سورة طه، ١٢/٢٠.
[٥] وعبارة السمرقندي رحمه الله هكذا: «ليس هذا بموصول بقوله ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾ كأنه قال إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك، ولكن ذكره كما قال في سورة طه ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾ إلى آخر ما ذكر» (شرح *التأويلات* ورقة ٥٦٦و). يعني كلم الله تعالى موسى عليه السلام في هذه الآيات (٢٠/١٢-٢١) وقال في أواخرها: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ وكذلك قال هنا في آخر كلامه: ﴿وأن ألق عصاك...﴾.
[٦] ر ث م - أي.
[٧] ر م - قالا.
[٨] سورة طه، ٢٠/٤٥-٤٦.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٩، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٦٤ظ/سطر ٥-٨.
[١٠] ر ث م - أي أدخل يدك في جيبك.

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ.[1] هذا يدلّ أنْ لا بأس بتغيير[2] الألفاظ واختلافها بعد إصابة المعنى وما قُصد بها.

وقوله: **تَخْرُجْ بيضاء من غير سوء**، قد ذكرناه فيما تقدم.[3]

وقوله:[4] **واضمُم إليك جناحك من الرُّهْب**، بالضم، والرَّهب بالفتح، قد قرئ بهما جميعًا.[5] ثم قال بعضهم: هو على التقديم والتأخير. قوله: **من الرهب**، موصول بقوله: أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ **من الرهب**،[6] أي الخوفِ والفَرَق. وقال[7] بعضهم: أمره أن يضمّ يديه إلى نفسه لأن ذلك أخوف وأهيب وأعظم من إرسالهما. وذلك معروف أيضا في الناس أنهم إذا دخلوا على ملِك من الملوك ضمّوا أيديهم وأجنحتهم[8] إلى أنفسهم تعظيمًا لهم وتبجيلاً وخوفًا[9] منهم. فعلى ذلك جائز أن يأمره بضمّ يديه إلى نفسه ليكون بين يدَي ربه أهيَب[10] وأخوف ما يكون وأعظمَ ما يجب له، وهو ما قال له: فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى.[11]

وقوله: **فَذَانِكَ برهانان من ربك**، أي اليد والعصا اللتان ذكرهما، **برهانان من ربك**، أي حجّتان،[12] **إلى فرعون وملئه**، أي اذهب بهما إلى فرعون وملئه،[13] **إنهم كانوا قومًا فاسقين.**

---

[1] ﴿وأدخل يدك في جيبك تَخرج بيضاءَ من غيرِ سوء في تِسْعِ آياتٍ إلى فرعونَ وقومه﴾ (سورة النمل، ١٢/٢٧).

[2] ر: تغيير.

[3] ر – وقوله تخرج بيضاء من غير سوء قد ذكرناه فيما تقدم.      انظر تفسير الآية ٢٢ من سورة طه.

[4] ن: قوله.

[5] «قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ﴿من الرَّهَب﴾ بفتح الراء والهاء. وقرأ حفص عن عاصم ﴿من الرَّهْب﴾ بفتح الراء وسكون الهاء. وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿من الرُّهْب﴾ بضم الراء وسكون الهاء» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٤٠).

[6] الآية السابقة.

[7] ن: قال.

[8] ر ث م: وجناحيهم؛ ن: وجناحهم.

[9] ر ث م: أو خوفا.

[10] ن ث: وأهيب.

[11] سورة طه، ١٢/٢٠.

[12] ر م: حجتنا.

[13] ر ث م – أي اذهب بهما إلى فرعون وملئه.

**﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنهُمْ نَفسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾[٣٣] ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾[٣٤]**

وقوله: **قال ربّ إني قتلت منهم نفسًا فأخاف أن يقتلونِ وأخي هارون هو أفصح منّي لسانًا،** وقال في سورة الشعراء: قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ، إلى قوله: فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ،[١] أخر في هذا ما كان مقدّما في الذكر في ذلك وذَكَر على اختلاف الألفاظ وتغيير الحروف لِيُعْلَم أنْ ليس على السامع حفْظ الألفاظ والحروف[٢] بعد إصابة[٣] المعنى وفهْم ما قُصد بها وأودِعَ فيها، لأن الله ذكر هذه الأنباء والقصص التي كانت من قبل في القرآن على اختلاف الألفاظ وتغيير الحروف على التقديم والتأخير والزيادة والنقصان لِيُعلم أن المقصود والمراد بذكرها ما فيها لا عين اللفظ والحرف.[٤] فإذا عرف ما فيها وفهم جاز الأداء بأيّ لسان كان وبأيّ لفظ كان.[٥] *والله أعلم.*

وقوله:[٦] **هو أفصحُ مني لسانًا،** يحتمل وجوها.[٧] أما أهل التأويل فإنهم قالوا: كان في لسانه رُتَّةٌ[٨] أي عُقدة لما أدخل في فَمِه من النار. فذلك لا نعلمه. وقد قال في آية أخرى:[٩] وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي.[١٠] فيجوز أن يكون ذلك خِلْقة خَلَقَه [الله تعالى] هكذا على ما خلق بعض الخلق أفصح وأبْيَن من بعض. أو أن يكون لِما ذكر له من الخوف والذنب ما لم يكن ذلك لهارون.[١١] ولا شكّ أنّ[١٢] من اشتد به الخوف منع صاحبه عن التكلم والبيان،

---

[١] ﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون. ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون. ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/١٢-١٤).

[٢] ت: حفظ الحروف والألفاظ.

[٣] ر م: إصابته.

[٤] م: والحروف.

[٥] ن ث - كان.

[٦] ن: قوله.

[٧] ر م + أحدها.

[٨] الرُتَّة: عَجَلة في الكلام وقلة أناة. وقيل: هي العُجمة في الكلام. والأرتّ: الذي في لسانه عقدة وحُبسة (*لسان العرب*، «رتت»).

[٩] ن ث - أخرى.

[١٠] سورة طه، ٢٠/٢٧-٢٨.

[١١] ر ث م: آخرون.

[١٢] ر م - أن.

وذلك مُتعالَم معروف في الناس، وهو ما قال: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ،[1] الآية. أو أن يكون ذلك لأن نشوء هارون كان فيهم وهم بلسانه أعرف وبنطقه أفهم، ولموسى فَتَراتٌ كان معتزلًا عنهم.

وقوله: **فأرسِلْه معي رِدْءًا**، أي عونًا، **يصدِّقُني**. ثم بيّن في آية أخرى أنه فيم طلبه منه عونًا، وهو ما قال: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ،[2] الآية. **ويصدِّقُني** فيما أقول إذا كذبوني هم. أو أستأنس به إذا ضاق صدري بالتكذيب والرد. فأجابه ربه فقال:

**﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾**[٣٥]

**سنشُدُّ عضُدَك بأخيك**، العضد كناية وعبارة عن القوة والعون. لأن القوة فيه تكون فيمن تكون، وهو كقوله: وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا،[3] ذكر الأقدام لأنه بالأقدام[4] يُثَبّت، وقولِه: نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ،[5] لأنه بالعَقِب يَنكِص، ومثله كثير، فعلى ذلك هذا.[6]

وقوله: **ونجعَل لكما سلطانًا فلا يَصِلُون إليكما بآياتنا**، قال قائلون: هو على التقديم والتأخير، أي نجعل لكما سلطانًا بآياتنا فلا يصلون إليكما. وقال بعضهم: **ونجعل لكما سلطانًا** باللطف ندفع عنكما أذاهم وشرّهم، كقوله: لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى،[7] أي أسمع ما يقول لكما وأرى ما يفعل[8] بكما وأدفع ذلك عنكما، **فلا يصلون إليكما** بالآيات التي معكما.

وقوله: **أنتما ومن اتبعكما الغالبون**، يحتمل هذا وجهين. الغالبون بالحجج والبراهين، أي تغلب[9] حجتكما سحرَهم وتمويهاتِهم. أو أن يكون عاقبة الأمر لكما، أو أن يكون ذلك في الآخرة.

[1] سورة الشعراء، ١٢/٢٦.
[2] ر ن ث - هارون. ﴿واجعل لي وزيرا من أهلي هارونَ أخي اُشْدُدْ به أَزْرِي وأَشْرِكه في أمري﴾ (سورة طه، ٢٩/٢٠-٣٢).
[3] سورة آل عمران، ١٤٧/٣.
[4] ر ث م - لأنه بالأقدام.
[5] سورة الأنفال، ٤٨/٨.
[6] ر ث م: هذا ذلك.
[7] سورة طه، ٤٦/٢٠.
[8] أي فرعون.
[9] جميع النسخ: يغلب.

قال / أبو معاذ: العرب تقول: عَضَدْتُ[1] الرجل، أي أعَنْته. وقال أبو عَوْسَجَة: **ستَشُدُّ عضُدَك بأخيك،** أي أُعينك به وأقوِيك. والعَضُد كناية عن القوة، لأنه فيه يكون القوة وبه يقوَى مَن يوصف بالقوة على ما ذكرنا. [٥٦٥ر]

**﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾**[٣٦]

وقوله:[2] **فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات،** أي جاء موسى فرعونَ وقومه، **بآياتنا،** أي أعلامًا أنشأناها[3] موضِحات مظهرات يظهرن ويوضحن رسالة موسى ونبوته، وقد أظهرنا[4] لهم ذلك وعرفوا أنها آيات من الله نزلت.[5] أفلا ترى أن موسى قال له: يا فرعون لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ،[6] لكنهم عاندوا وكابروا وقالوا: **ما هذا إلا سحر مفترى.** هذا منهم تمويهٌ وتلبيس على الأتْباع والسَّفَلَة، ولم تزَل[7] عادتهم التمويهَ والتلبيس على أتباعهم أمرَ موسى.

وقوله:[8] **وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين،** يقولون –والله أعلم–: إن آباءنا قد عبدوا الأصنام على ما نعبد نحن وقد ماتوا على ذلك من غير أنْ نزل بهم ما توعدنا من الهلاك والعذاب، فعلى ذلك نحن على دين آبائنا وعلى ما هم عليه فلا ينزل بنا شيء مما تذكر وتوعدنا به من العذاب.

**﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾**[٣٧]

ثم قال موسى: **ربِّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار،** هذا –والله أعلم– كأنه ليس بجواب لقولهم: مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ،[9]

---

[1] ر م: أردت؛ ن ث: أردأت.
[2] ن: قوله.
[3] جميع النسخ: أنشأها.
[4] جميع النسخ: وقد أظهرن.
[5] جميع النسخ: نزلن.
[6] سورة الإسراء، ١٧/١٠٢.
[7] جميع النسخ: ولم يزل.
[8] ن: قوله.
[9] الآية السابقة.

ويكون جواب هذا إن كان هو قولَه: **إنه لا يفلح الظالمون**، كنّى بالظلم عن السحر. يقول -والله أعلم-: ليس بسحر لأني قد غلبتكم وقهرتكم وقد أفلحت أنا، ولو كان سحرًا ما آتيتكم به لم أُفلح، إذ الله تعالى أخبر أن الساحر لا يفلح بقوله: إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى،[1] وقال أيضًا: مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ،[2] الآية؛ وقد أصلح عملي فظهر أنه ليس بفساد ولكنه صلاح. ثم نقول:[3] قوله: **ربّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار**، [يحتمل أن يكون جوابًا] لما ذكر[4] في سورة الأعراف[5] حيث قالوا: أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ،[6] فقال عند ذلك: **ربّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار**، أنتم أو نحن. [ويحتمل أن يكون قوله:][7] **ربّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده**، جوابًا لقوله: وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ.[8] *والله أعلم*.

**﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾**[٣٨]

وقوله: **وقال فرعون يا أيها الملأ ما علِمتُ لكم من إلٰهٍ غيري**، كأنه قال للملإ خصوصيةً لهم، لأنه كان اتخذ للأتباع أصنامًا يعبدونها، وجعل للملأ عبادة نفسه وإلٰهيته؛ لِما لم ير الأتباعَ أهلاً لعبادة نفسه، جعل لهم عبادة الأصنام، ورأى الملأ أهلاً لذلك فخصّهم لذلك.[9] ومنه اتخذت العرب عبادة الأصنام دون الله لِما لم يروا أنفسهم أهلاً لعبادة الله، وقالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى.[10]

---

[1] سورة طه، ٦٩/٢٠.

[2] ﴿فلما ألقَوْا قال موسى ما جئتم به السحرُ إن الله سيُبطله إن الله لا يُصلِح عمل المفسدين﴾ (سورة يونس، ٨١/١٠).

[3] جميع النسخ: ويكون جواب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٦ظ.

[4] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح مع الزيادة من المرجع السابق.

[5] جميع النسخ: المص.

[6] سورة الأعراف، ١٢٧/٧.

[7] جميع النسخ: ويقول. والزيادة من المرجع السابق.

[8] ﴿قال فرعون ما أُريكم إلا ما أَرَى وما أَهديكم إلا سبيلَ الرشاد﴾ (سورة المؤمن، ٢٩/٤٠).

[9] ر ث م – لذلك.

[10] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).

وقوله:[١] **فأَوْقِدْ لي يا هامان على الطين فاجعل لي صَرحًا**، قال أهل التأويل: أوّل من اتخذ الآجُرَّ هو،[٢] ولا نعلم ذلك يحتمل أن يكون من قبل ذلك. وقوله:[٣] **فاجعل لي صرحًا**، أي قصرًا، **لعلّي أطّلع إلى إلٰه موسى**. كان يعرف[٤] أنه ليس بإلٰه السماء والأرض إذ لا يملك ذلك. فكأنه أراد بقوله: **ما علمت لكم من إلٰه غيري**، قومه وأهلَه خاصة. **وإنّي لأظنّه من الكاذبين**، كان جميع ما كان بين موسى وفرعون من الكلام كان على الظنّ، كقوله: إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا،[٥] وكذلك قال له موسى: وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا.[٦]

**﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾**[٣٩]
**﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾**[٤٠]

وقوله:[٧] **واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق**، الاستكبار هو أن لا يرى لنفسه شكلًا ولا نظيرًا. وهو كذلك كان لا يرى لنفسه شكلًا ولا نظيرًا، لأنه يدّعي لنفسه الربوبيّة والألوهيّة. واستكبار[٨] قومه لما استعبدوا هم[٩] بني إسرائيل واستخدموهم. أو استكبروا [مِن] أن يخضعوا لموسى ويجيبوا له إلى ما يدعوهم إليه.

وقوله:[١٠] **وظنّوا أنّهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده**، أخذناه أخذَ تعذيب وإهلاكٍ، **فنبذناهم في اليَمِّ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**، يُعذَّبون بظلمهم.

**﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾**[٤١]

وقوله:[١١] **وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار**، ذكر في هؤلاء أنه جعلهم أئمة في الشر، وذكر في الرسل وأهل الخير أنه جعلهم أئمّة في الخير حيث قال: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا

---

[١] ن: قوله.
[٢] أي فرعون.
[٣] ن: قوله.
[٤] ن + اللعين.
[٥] سورة الإسراء، ١٧/١٠١.
[٦] سورة الإسراء، ١٧/١٠٢.
[٧] ن: قوله.
[٨] ر: والاستكبار.
[٩] م: استعبدوهم.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ن: قوله.

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ،[1] وما قال: وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ،[2] فكان من الله تعالى في أهل الخير صنع ومعنى حتى صاروا بذلك أئمّةَ الخير ما لم يكن ذلك منه بأهل الشر وأئمّة السوء. فهذا على المعتزلة، لأنهم يقولون: لم يكن من الله إلى الرسل وَقَادَةِ الخير شيء[3] إلا وقد كان ذلك منه إلى كلّ كافر وفاسق. فلو كان على ما قالوا لكان لا يُحتمل أن يصير هؤلاء أئمّة الخير وأولئك أئمّةَ الشر، فدل ذلك أنه منه إلى هؤلاء معنى صاروا[4] بذلك ما ذكر ما لم يكن ذلك إلى أولئك. إلا أن يقولوا: إن هؤلاء صاروا أئمة الخير بأعمالهم وأولئك أئمّةَ الشر[5] بأعمالهم أيضًا. وإن كان ما مِن الله إليهم على السواء، لكن يضاف ذلك إلى الله بأسباب تكون[6] منه، وكانت حقيقة ذلك منهم وبعملهم، نحو ما قال:[7] إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[8] أضاف إنذاره إلى من اتبع الذكر[9] وإن كان رسول الله [٥٦٥ظ] / أنذر[10] من اتّبع الذكر[11] ومن[12] لم يتّبع. وكذلك ما قال في الشيطان:[13] إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ،[14] وهو يدعو[15] الحزبَيْن جميعًا، لكنه أضاف دعاءه إلى حزبه لما منهم يكون له الإجابة، وأضاف إنذار رسوله[16] إلى من اتّبعه وقَبِله لطاعتهم له. فعلى ذلك الأول، أضاف ذلك إلى نفسه لفعلهم.

---

[1] سورة الأنبياء، ٢١/٧٣.
[2] سورة آل عمران، ٣/١٠٤.
[3] ر م – شيء.
[4] جميع النسخ: فصاروا، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٧و.
[5] ر م – فدل ذلك أنه منه إلى هؤلاء معنى صاروا بذلك ما ذكر ما لم يكن ذلك إلى أولئك إلا أن يقولوا إن هؤلاء صاروا أئمة الخير بأعمالهم وأولئك أئمة الشر.
[6] ث: يكون.
[7] ر م – ما قال.
[8] سورة يس، ٣٦/١١.
[9] ر – أضاف إنذاره إلى من اتبع الذكر.
[10] جميع النسخ: ينذر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٧و.
[11] ر ث م – من اتبع الذكر.
[12] ث: من.
[13] جميع النسخ: في الشياطين. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٦).
[15] ر م – حزبه وهو يدعو.
[16] ر ث: رسول الله.

لكن عندنا لا يكون من الخلق في فعل الخلق حقيقةُ الفعل، إنما يكون منهم الأسباب، ويكون من الله تعالى في أفعالهم الأسبابُ وحقيقةُ الفعل؛ فيكون إضافة ذلك إلى الله على حقيقة الفعل والأسبابِ جميعًا، وإلى الخلق لأسباب تكون منهم إليه.[١]

والثاني إنما خصّ بالإنذار مَن[٢] اتّبع الذكر، لأنه إنما يقصد بالإنذار به من[٣] اتّبعه لا مَن لا يتّبعه. وكذلك[٤] الشيطان إنما يقصد بدعائه[٥] إياهم ضررَهم. وإن كان الرسول ينذر الخلق جميعًا: الذي يتّبعه والذي لا يتّبعه. وكذلك الشيطان يدعو الحزبين جميعًا لأن هذا يقصد ضررهم بما يدعوهم إليه. ألا ترى[٦] أنه قال: إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ،[٧] والرسول -بما ينذر- يقصد نفعهم، لذلك خصّ الإنذار لمن اتّبعه، وخصّ في ذلك حزبه.

وقوله:[٨] **أئمة يدعون إلى النار**، لا يدعون إلى النار[٩] تصريحًا لأنهم لو دعوهم إلى النار لا يجيبونهم، ولكن يدعونهم إلى أعمالٍ توجب لهم النار لو أجابوهم. وهو كقوله: فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ،[١٠] أي ما أصبرهم على عمل يستوجبون به النار.

وقوله: **ويوم القيامة لا يُنصَرون**، كأنّ الشيطان منّاهم النصر والشفاعة بعبادة الأصنام فيخبر أنهم لا ينصرون لما مناهم.

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾[٤٢]

وقوله: **وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة**، وهو ما عُذِّبوا في الدنيا واستُؤصِلوا. **ويوم القيامة هم من المقبوحين**. قال بعضهم: مسودّة[١١] وجوههم. وجائز[١٢] أن يكون ذلك جزاءَ ما افتخروا

---

[١] جميع النسخ: إليهم. أي إلى الفعل.
[٢] ر: مع.
[٣] جميع النسخ: لمن.
[٤] ر م: ولذلك.
[٥] ر م: بدعائهم.
[٦] ن: يرى.
[٧] ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (سورة فاطر، ٦/٣٥).
[٨] ن: قوله.
[٩] ر ث م - لا يدعون إلى النار.
[١٠] ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار﴾ (سورة البقرة، ١٧٥/٢).
[١١] جميع النسخ: مسودون.
[١٢] ر م - لما مناهم وقوله وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة وهو ما عذبوا في الدنيا واستؤصلوا ويوم القيامة هم من المقبوحين قال بعضهم مسودة وجوههم وجائز.

في هذه الدنيا[1] بالحُلِيّ والزينة وطعنوا في موسى، وجوابًا[2] لهم حيث قالوا: فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ.[3] يخبر أنهم يكونون في الآخرة على غير الحال التي كانوا في الدنيا وافتخروا بها. وقال بعضهم: القُبح[4] هو السواد مع الزُّرْقة.

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**[٤٣]

وقوله: **ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى**، من نحو عاد وثمود وهؤلاء الذين كانوا من قبل[5] من الأمم، أي أرسلناه بعد هلاك مَن ذكر، **بصائرَ للناس**. يشبه أن يكون قوله: **بصائر للناس**، أي هلاكُ من ذكر من القرون الأولى بصيرة وعبرة لمن يكون مِن بعدهم ليزجرهم ذلك عن تكذيب الرسل ويكونَ ذلك آية لرسالة موسى. والثاني أن[6] يكون قوله: **بصائر للناس وهدى ورحمة**، أي الكتاب الذي آتاه الله موسى هو بصائرُ وهدًى ورحمةٌ لهم إذا قبلوه واتّبعوه وعملوا به. وكذلك كان جميع كتب الله هدى ورحمة وبصيرة لمن آمن بها وعمل بها. وجائز أن يكون هذا جوابًا وصلة لقولهم: مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ.[7] يقول -والله أعلم-: إنكم لم تسمعوا[8] ذلك في آبائكم الذين اتبعوا رسلهم فأجابوهم، فأما مَن كذّبوهم فإنا أهلكناهم بتكذيبهم الرسل واستأصلناهم. ***والله أعلم***.

**﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾**[٤٤] **﴿وَلَٰكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾**[٤٥] **﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**[٤٦]

وقوله: **وما كنت بجانب الغربي**، قال بعضهم: جانب الغربيّ حيث تَغْرُب الشمس والقمر والنجوم، والشرقيُّ حيث تَشرُق وتَطلُع. وقال بعضهم: **بجانب الغربيّ**، أي بجانب الوادي الغربي.

---

[1] ر م - الدنيا.
[2] ر م: جوابا.
[3] سورة الزخرف، ٤٣/٥٣.
[4] جميع النسخ: المقبوح.
[5] ن: من قبله.
[6] ن ث - أن.
[7] سورة القصص، ٢٨/٣٦.
[8] ر م: لو تسمعون؛ ث: لم تستمعوا.

والله أعلم ما أراد به. وقوله: **وما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين**[١] **وما كنت ثاويًا في أهل مدين**، أي مقيمًا. **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا**، يحتمل وجوهًا. أحدها إنك لم تكن شاهدًا هذه المشاهد التي شهدها موسى حيث قضينا إلى موسى الأمرَ بجانب الغربيّ ولم تكن شاهدًا هنالك. وما كنت في أهل مدين ثاويًا حتى تعلم أمر موسى ونحوه.[٢] **وما كنت بجانب الطور**، حيث نادينا[٣] موسى ونحوه. أي لم تكن شاهدًا هذه المشاهد التي كان موسى شاهدًا فيها، ثم أعلمناك بتلك الأنباء والأخبار على ما كانت لِتَتْلُوَ تلك الأنباء والأخبار على أهل مكّة فتكون[٤] آية لنبوّتك وحجّة لرسالتك. إذ لم تَشهدها ولا اختلفتَ إلى أحد ممن يعرفها فعلَّمك، ثم أنبأتَ على ما كانت ليعرفوا أنك إنما عرفت [ذلك] بالله تعالى.

والثاني يحتمل أن يذكر هذا له امتنانًا عليه يستأدي[٥] به شكره، لأنه ذُكر أنه أوحى إلى موسى وذَكَر محمدًا وأمّته في شرفه وكرمه[٦] حتى تَمنّىَ موسى أن يُجعَل من أمّته. يقول -والله أعلم-: لم تكن أنت شاهدًا في هذه المشاهد فذكرْتُك ثَمّةَ[٧] وأمّتَك.

أو أن يَذكر هذا له على الاختصاص له لِيُعرف أن أمر الرسل والوحي إليهم على الاختصاص لهم من الله لا بأمر كان منهم. على هذه الوجوه الثلاثة يحتمل أن يخرج تأويل ما ذكر له.

وقال بعض أهل التأويل في قوله: **وما كنت بجانب الغربيّ**، **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا**، يقول لمحمد: لم تعاين هذا ولم تشهده وإنما هو شيء أنزلناه عليك لتتلوه على أهل مكّة.

وقوله:[٨] **ولٰكنّا أنشأنا قرونًا فتطاول عليهم العمر**، هذا ليس بصلة بالأوّل ولكن على الابتداء يقول -والله أعلم-: **لٰكنّا أنشأنا قرونًا** بعد انقراض الرسل ودروس أعلامهم وآثارهم وتطاوُل العهد والعمر، ثم بعثناك فيهم رسولًا لتحيي[٩] بك[١٠] آثارهم وتُظهر فيهم سنّتهم وأعلامهم / رحمة منّا إليهم. [٥٦٦ر]

---

[١] ر م - وما كنت من الشاهدين.
[٢] جميع النسخ: وحينه.
[٣] ر م: ناديا.
[٤] ر ث م: فيكون.
[٥] ر ث م: لتأدى.
[٦] ر ث م - وكرمه.
[٧] ن ث: ثم.
[٨] ن: قوله.
[٩] ر م: ليحيي؛ ث: لتحيي.
[١٠] جميع النسخ: به.

وهو ما قال في آخره: **ولٰكنْ رحمةً من ربك**، أي أرسلناه[1] إياك رحمة منا لهم. وهو ما قال: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[2] أو أن يكون قوله: **ولٰكنْ رحمةً من ربك**، أي ما أنبأك [ربك] وأَعْلمك من أنباء موسى وأخباره حيث لم تشهدها من رحمة ربك حيث جعلها آية لنبوّتك وحجّة لرسالتك. *والله أعلم*.

وقوله: **لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **لتنذر قومًا**، ما أُنذر به الرسلُ الذين من قبلك قومَهم. والثاني **لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك**، أي لم يأتهم نذير من قبلك.[3] **لعلّهم يتذكّرون**، أي على رجاء التذكّر تنذرهم. أو أن يكون ذلك خاصة لمن تَذَكّر إذا كان على الإيجاب.

**﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٤٧]

وقوله: **ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم**، "لولا"[4] يستدعي[5] الجواب، وليس ما ذكر على إثره جوابًا[6] له، إلا أن يقال: إن قوله: **ولولا أن تصيبهم مصيبة**، أي لم تصبهم مصيبة،[7] وذلك جائز في اللغة، كقوله: وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهٰذَا،[8] أي لم تقولوا: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، وقوله: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ [فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] لَمَسَّكُمْ،[9] أي لم يَمَسّهم. وجميع ما ذكر في هذه السورة من "لولا" كلّه إنه [بمعنى] لم يكن. فعلى ذلك جائز أن يكون تأويل قوله: **ولولا أن تصيبهم مصيبة**، أي لم تصبهم مصيبة، ولو أصابتهم مصيبة وهو العذاب فيقولوا: **ربنا لولا أرسلتَ إلينا رسولاً**، وهو كقوله: وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً.[10] على هذا يخرج تأويل هذا.

---

[1] ر ث م: أرسلنا.
[2] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٧.
[3] ر م - أي لم يأتهم نذير من قبلك.
[4] ر م: لا.
[5] جميع النسخ: ينتظم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٥٦٧ظ.
[6] جميع النسخ: جواب. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ث م - أي لم تصبهم مصيبة.
[8] سورة النور، ٢٤/١٦.
[9] سورة النور، ٢٤/١٤.
[10] ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبلِ أن نَذِلَّ ونَخزَى﴾ (سورة طه، ٢٠/١٣٤).

ثم في هذه الآية وفي قوله:[١] ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾، وجهان. أحدهما على مَن يقول بأن ليس لله أن يعذّبهم بما كان منهم قبل بعث الرسل إليهم، كقوله:[٢] ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾،[٣] وفي الآية بيان أنّ له أن يعذّبهم وإن لم يبعث الرسل، لأنه أوعدهم الهلاك، فلو لم يكن له التعذيب والإهلاك لم يكن للإيعاد معنى،[٤] فدلّ أن له الإهلاكَ في الدنيا والاستئصال أرسل رسولاً أو لم يرسل.[٥] لكنه أخّره عنهم فضلاً منه ورحمة.[٦]

والثاني على المعتزلة في قولهم [بوجوب][٧] الأصلح، لأنه لا يخلو من[٨] أن يكون ما أوعدهم[٩] أصلح لهم من الترك، أو التركُ لهم أصلح. فإن كان ما أوعد لهم أصلح فقد تركه،[١٠] فيكون في تركه[١١] جائرًا إياهم[١٢] على قولهم، لأنه لم يفعل بهم[١٣] ما هو أصلح لهم في الدين. أو أن يكون الترك أصلح لهم[١٤] فيكون بما أوعدهم جائرًا، إذ أوعد بما كان غيره أصلح لهم[١٥] مما أوعد. فدلّ ما ذكرنا على أن ليس على الله حفْظُ الأصلح لهم في الدين.

---

[١] ر م: في قوله.
[٢] ر ث م - كقوله.
[٣] سورة الإسراء، ١٧/١٥.
[٤] ر ث م - معنى.
[٥] جميع النسخ - أرسل رسولا أو لم يرسل. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٠و.
[٦] وعبارة السمرقندي هكذا: «ثم في هذه الآية وفي قوله: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ دلالة وحجة من وجهين. أحدهما على من يقول بأنه لا يجب الإيمان بمجرد العقل إلا بعد بعث الرسل عليهم السلام، استدلالا بقوله: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾. إلا أن في الآيتين بيانَ أن الله تعالى أن يعذبهم وإن لم يبعث الرسل، لأنه أوعدهم الهلاك، فلو لم يكن له التعذيب والإهلاك لم يكن للإيعاد معنى. فدل أنه له الإهلاك في الدنيا والاستئصال قبل بعث الرسل، لما أقام دلائل التوحيد. لكن أخره عنهم إلى وقت بعث الرسل في الدنيا فضلا منه ورحمة» (شرح *التأويلات* ورقة ٥٦٧ظ).
[٧] الزيادة من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: إما. والتصحيح من نسخة عاطف أفندي ٧٧، ورقة ٨٩ظ.
[٩] ن: مما أوعدهم.
[١٠] ر م: تركتم؛ ن ث: تركهم.
[١١] ر م: تركتم؛ ن ث: تركهم.
[١٢] جميع النسخ: إياهم جائرا.
[١٣] ر ث م - بهم.
[١٤] ر ث: لهم أصلح.
[١٥] ن - ما هو أصلح لهم في الدين. أو أن يكون الترك أصلح لهم فيكون بما أوعدهم جائزا إذ أوعد بما كان غيره أصلح لهم.

ثم قوله: **بما قدّمت أيديهم**، ليس الكفر نفسَه ولكن العناد والمكابرةُ مع الكفر، لأن عذاب الكفر في الآخرة ليس في الدنيا. لأن الله تعالى قد أبقى كثيرًا من الكفرة لم يهلكهم و لم يعذّبهم في الدنيا، ولكن إنما أهلك واستأصل في الدنيا من عاند وكابر الرسل في الآيات والحجج التي أتوها بهم وأقاموها عليهم على إثر سؤالٍ كان منهم، فعند ذلك أهلكهم واستأصلهم لا بنفس الكفر.

ثم مع ما كان له التعذيب قبل بعْث الرسل لم يعذّبهم ولكن أخّر عنهم إلى أن بعَث الرسل إليهم بالآيات والحجج ليقطع به لِجاجَهم ومنازعتهم فضلاً منه وإن لم يكن لهم الاحتجاجُ عليه[1] بقوله:[2] **لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبعَ آياتك ونكون من المؤمنين**. يحتمل قوله: **فنتبِعَ آياتك**، الآياتِ التي تُبعَث مع الرسل لأنه يُبعث الرسل بالآيات. وجائز أن يكون قوله: **فنتبِعَ آياتك**، يَعْنُون بالآيات الرسل أنفسَهم لأنهم بأنفسهم آيات وحجج.[3] ***والله أعلم***.

**﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾**[٤٨]

وقوله: **فلمّا جاءهم الحقّ من عندنا**، جائز أن يكون الحقّ الذي ذُكر الرسولَ نفسَه، ويحتمل الحقُّ الكتابَ الذي أنزل عليه أو آياتٍ. وقوله: **قالوا لولا أُوتي مثل ما أُوتي موسى**، هذا يحتمل وجوها. أحدها قالوا: هلّا أوتي محمدًا[4] من أنواع النعم من المنّ والسلوى وغيره من غير تكلّف ولا تعب مثل ما أوتي موسى لو كان رسولاً على ما يقول. أو أن يقولوا: لولا أوتي محمدًا[5] من الآيات الحسّيّات الظاهرات من نحو اليد والعصا[6] والحجَر الذي كان ينفجر منه الماء[7] والغمام[8] وما ذكر من الضفادع والقمّل والدّم والطوفان[9] وغير ذلك مثل ما أوتي موسى.

---

[1] ر م: عليهم.

[2] ن ث: بقولهم.

[3] ر م: يعنون بالآيات الرسل لأنفسهم وحجج؛ ن ث: يعنون بالآيات الرسل أنفسهم لأنهم آيات لأنفسهم وحجج. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٠ظ.

[4] جميع النسخ: محمد.

[5] ر ث م - محمدا؛ ن: محمد.

[6] ث: والعصى.

[7] ر م - الماء.

[8] انظر لليد والعصا: سورة الأعراف، ٧/١٠٧-١٠٨؛ وللحجر: سورة البقرة، ٢/٦٠؛ وللغمام: سورة البقرة، ٢/٥٧.

[9] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم آياتٍ مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٣٣).

أو أن يقولوا: لولا أوتي محمدُ القرآنَ جملةً عِيانًا جِهارًا كما أُوتي موسى التوراةَ جملةً عِيانًا جهارًا. والله أعلم بذلك: بما عنوا[١] به.

ثم بيّن الله تعالى وأخبر أنهم إنما يسألون ما[٢] سألوه سؤال عناد ومكابرة لا سؤالَ استرشاد وطلب الحق، حيث قال: **أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل**، أي أولم[٣] يكفر هؤلاء الذين سألوك الآيات بما أوتي موسى، يعني أهلَ مكّة لأنهم كانوا مشركين لم يؤمنوا برسول قطّ من قبل. يحتمل قوله: **أولم يكفروا**، أي أولم يكفر قوم موسى بما أوتي موسى بعد سؤالهم الآيات إذا[٤] أتاهم بها، فعلى ذلك هؤلاء يكفرون بما أوتِيتَ. والأول أشبه.[٥]

**قالوا سِحران تظاهرا**، وقد قرئ "ساحران" بالألف؛[٦] قال بعضهم: "ساحران" موسى وهارون. وقال بعضهم: / موسى ومحمد، وقال بعضهم: عيسى ومحمد عليهم السلام. [٥٦٦ظ] وقوله: **سِحران**، بغير ألف كتابان، لكنهم اختلفوا. قال بعضهم: التوراة والإنجيل، وقال بعضهم: الفرقان والتوراة، ونحوه. وقال بعض أهل الأدب: "ساحران" أولى وأقرب، لأنه[٧] ذكّر التظاهر، والتظاهر[٨] إنما يكون بين الأنفس، لا يكون بين الكتب. **تظاهرا**، أي تعاوَنَا. وقال بعضهم من أهل الأدب أيضًا: "سِحران" بغير ألف أولى، لأنه أراد به الكتابين. ألا يرى أنه طلب منهم بما قالوا إتيان الكتاب حيث قال:[٩] ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾،[١٠] ردًّا[١١] على ما قالوا وطلبوا منه. لكن نقول نحن: لا يجب[١٢] أن يختار إحدى القراءتين على الأخرى، لأنه إنما هو خبَر أخبر عنهم أنهم قالوا ذلك.[١٣] فمرّة قالوا: ساحران،

---

[١] جميع النسخ: ما عنوا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٠ظ.
[٢] ن: مما.
[٣] ر م: لم.
[٤] جميع النسخ: إذ. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] جميع النسخ + ثم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] انظر: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود ٧١؛ وحجة *القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٥٤٧.
[٧] ر م: لأن.
[٨] ر م - والتظاهر.
[٩] جميع النسخ: قالوا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧١و.
[١٠] الآية التالية.
[١١] ر م: رد.
[١٢] ر م: لا نحب.
[١٣] م + فمرة قالوا فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما ذلك.

ومرّة قالوا: **سحران**، فأخبر على ما قالوا. وكذلك[1] قوله: سَيَقُولُونَ لِلَّهِ،[2] بالألف وبغير الألف، لا يُختار أحدهما على الآخر، لأنه خبر أخبر عنهم على ما كان منهم فهو على ما أخبر. *والله أعلم*.

وقال بعض أهل التأويل في قوله: **لولا أوتي مثلَ ما أوتي موسى**، قالت اليهود: نأمر قريشًا أن تسأل أن يُؤْتَى محمد مثل ما أوتي موسى. يقول الله لرسوله: قل لقريش يقولوا لهم: **أولم يكفروا بما أوتي موسى [من قبل]**، يعني يهودَ، و **قالوا سحران**[3] **تظاهرا**، قال قولَ يهودٍ لموسى وهارون. وهو قريب بما ذكرنا.[4] *والله أعلم*.

وقوله:[5] **وقالوا إنا بكلٍّ كافرون**، ما أوتي موسى وما أوتي محمد،[6] على اختلاف ما ذكرنا.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤٩]

ثم قال: **قل** يا محمد لقريش أهلِ مكة، **فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما**، من التوراة والفرقان، أو التوراة والإنجيل على اختلاف ما قالوا، **أَتَّبِعْه إن كنتم صادقين**، في زعمكم أنهما سحران تظاهرا[7] وأنه مفترًى، ائتوا أنتم من عند الله[8] بكتاب أتبعه، إلى هذا ذهب أهل التأويل. ووجه آخر يشبه أن يكون أقرب منه وهو أن قوله: **فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما**، أي ائتوا بكتاب من عند الله أنه أمركم بعبادة الأصنام والأوثان، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام دون الله ويقولون [بأن] الله أمرهم بذلك؛[9] ويقولون: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[10] وأن عبادتهم إياها تقرِبهم إِلَى اللهِ زُلْفَى،[11] ونحوه من الكلام. فيقول –والله أعلم–:

---

[1] ن + قالوا.

[2] ن ث + وسيقولون الله. انظر: سورة يونس، ٣١/١٠؛ وسورة المؤمنون،٨٥/٢٣، ٨٧، ٨٩.

[3] جميع النسخ: ساحران.

[4] جميع النسخ: وهو ما ذكرنا قريب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٦٨و.

[5] ن: قوله.

[6] ر م – وما أوتي محمد.

[7] ر م: تظهران.

[8] ن – من عند الله، صح هـ.

[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

[10] سورة يونس ١٨/١٠.

[11] كما في قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).

ائتوا بكتاب من عند الله أنه أمركم بذلك، **هو أهدى منهما**، أي أبيَن منهما وأوضح من هذين، لأن هذين إنما جاءا بنهي عبادة غير الله ومنعها[١] [مما] دونه. يقول: ائتوا بكتاب هو أهدى وأبين مما جاء منه من هذين،[٢] **إن كنتم صادقين**، أن الله أمركم بذلك ويكون عبادتكم إياها على ما تزعمون.[٣] هذا جائز أن يكون أقرب من الأول. ***والله أعلم***.

**﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** [٥٠]

وقوله: **فإن لم يستجيبوا لك**، في إتيان ما تطلب منهم وتسأل من الكتاب، **فاعلم أنما يتبعون أهواءهم**، بغير علم، وهم كانوا يعلمون أنهم إنما يتبعون في عبادة الأصنام وتحريم الحلال وتحليل الحرام أهواءهم ويجعلون هواهم هو الإمامَ، إذ لا يؤمنون برسول حتى يكون لهم كتاب. ثم قال: **ومن أضلُّ**، أي لا أحدَ أضلَّ،[٤] **ممن اتبع هواه**، على إقرار منهم وعلم أن ليس أحد أضلّ ممن اتبع هواه،[٥] **بغير هدى من الله**، أي من غير بيان من الله. **إن الله لا يهدي القوم الظالمين**، أي -والله أعلم- إن الله لا يهدي قومًا يتّبعون أهواءهم ولا[٦] يتبعون الحجج والبراهين لا يهديهم ما داموا في اتباع هواهم. أو **لا يهدي القوم الظالمين**،[٧] الذين هم[٨] ظلَمة الحجج والبراهين. ***والله أعلم***.

**﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾** [٥١]

وقوله: **ولقد وَصَّلْنَا لهم القول لعلهم يتذكّرون**، اختلف فيه. قال قائلون: هو القرآن. ثم يخرج هذا[٩] على وجهين. أحدهما[١٠] وصَل القرآن بعضَه ببعض حتى خرج كله موافقًا بعضُه بعضًا مصدقًا مجتمعًا غير مختلف، وإن فُرّق في الإنزال على تباعد الأوقات وطول المُدَد.

---

[١] جميع النسخ: منعها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧١و.
[٢] ن - لأن هذين إنما جاءا بنهي عبادة غير الله ومنعها ما دونه يقول ائتوا بكتاب هو أهدى وأبين مما جاء منه من هذين.
[٣] ر م: يزعمون.
[٤] ث - أي لا أحد أضل.
[٥] ر م - على إقرار منهم وعلم أن ليس أحد أضل ممن اتبع هواه.
[٦] جميع النسخ: لا يتبعون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ - الظالمين. والزيادة من المرجع السابق.
[٨] ر ث م - هم.
[٩] ر م - هذا؛ ن ث: هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر: أهما.

**لعلّهم يتذكرون**، أن مثل هذا لا يكون إلا ممن يعلم الغيب ولا يَعزُب[1] عنه شيء ولا يغيب. إذ لو كان هو ممن لا يعلم ذلك من كلام المخلوق لخرج مختلفًا متناقضًا على ما يكون[2] من كلام المخلوق في تباعد الوقت وطول المدّة مختلفًا متناقضًا. والثاني وصّل مواعظ القرآن بعضَها ببعض ومواعيده بعضها ببعض وعِدَاتِهِ بعضَها ببعض، وكذلك أوامرُه ومناهيه وإن تفرّق نزولها واختلف مواضعها. يدعوهم لِما يدعوهم[3] به مرة بعد[4] مرة[5] لعلهم يتذكرون به.

ومنهم من يقول في قوله: **ولقد وصّلنا لهم القول**، أي الأنباء وأخبار الأمم الخالية نبأً بعد نبأ وخبرًا على إثر خبرٍ: ما نزل بمكذّبي الرسلِ منهم من الهلاك والعذاب وبمصدّقي[6] الرسل من النجاة والبقاء في النعم الدائمة على إقرار منهم بذلك وعِلْم أنه كان بهم ذلك. **لعلهم يتذكرون** ذلك وينزجرون عن تكذيب رسولهم مخافةَ أن ينزل بهم بالتكذيب ما نزل بأولئك.

وجائز أن يكون قوله: **وصَلْنا لهم القول**، أي قول التوحيد. ووجه هذا أنْ وصّلنا التوحيد حتى جعلنا في كلّ أمة وكلّ قوم أهلَ توحيد لم نُخلِ قومًا ولا أمة عنه، كقوله: / وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ،[7] وكقوله: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ،[8] ونحو ذلك من الآيات [التي] تدل[9] على أن في[10] كل أمة وقرن أهلَ توحيد، **لعلّهم يتذكرون** أن في آباءهم مَن قد آمن بالرسل وصدّق بهم ولا يقولون: إن آباءنا[11] [كانوا] على ما نحن[12] عليه. فيشبه[13] أن يكون هذا وَصْلَ القول الذي ذَكَر: **و[لقد] وصّلنا [لهم] القول**.

[٥٦٧و]

---

[1] ر: ولا يعرف.
[2] ر م: على ما يقول.
[3] ر م – لما يدعوهم.
[4] ر: بعدة.
[5] ر – مرة.
[6] ر م: ومصدقي.
[7] سورة الرعد، ٧/١٣.
[8] سورة الأعراف، ١٥٩/٧.
[9] جميع النسخ: يدل.
[10] ر ث م – في.
[11] ن: إن أبانا.
[12] جميع النسخ: على ما هم.
[13] ر ث م: يشبه.

قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبي: **ولقد وصّلنا لهم القول**، أي أتْبعنا بعضه بعضًا فاتصل عندهم.[1] وقال بعضهم: **وصّلنا**، أي بيّنا شيئًا فشيئًا حتى صار عندهم ظاهرًا. وقال أبو معاذ: "وصّلنا" في كلام العرب "أتممنا"، كصلتك الشيء بالشيء.

**﴿اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾**[٥٢] **﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾**[٥٣]

وقوله: **الذين آتيناهم الكتاب من قَبله هم به يؤمنون**، وقال في آية أخرى: اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ،[2] وقال في آية أخرى: فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هٰؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ،[3] وقال: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ،[4] وأمثاله، يذكر في هذه الآيات أن مِن أهل الكتاب[5] مَن لم يؤمن، ويذكر في الأولى على الإطلاق أن الذين أوتوا الكتاب من قبله هم به يؤمنون. جائز أن يكون قوله: **الذين آتيناهم الكتاب** وانتفعوا به هم[6] يؤمنون به. أو أن يكون، **الذين آتيناهم الكتاب** فيتلونه حقّ تلاوته[7] هم يؤمنون به،[8] على ما ذَكَر في آية أخرى: اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ.[9] وأما من لم يتلُ[ه] حقَّ تلاوته[10] فلا يؤمن به.[11]

فأما أهل التأويل فإنهم صرفوا الآية إلى قوم خاصّ من أهل الكتاب [نحوَ][12] عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا به. ويشبه أن تكون[13] الآية في قوم خاصّ[14] منهم. ألا ترى[15] أنه قال على إثره:

---

[1] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٣٣.
[2] سورة البقرة، ١٤٦/٢.
[3] ر م – ومن هؤلاء من يؤمن به. سورة العنكبوت، ٤٧/٢٩.
[4] سورة المائدة، ١٣/٥.
[5] ث – أن من أهل الكتاب.
[6] ر م – هم.
[7] ن: تلاوة.
[8] ث: به يؤمنون.
[9] سورة البقرة، ١٢١/٢.
[10] ن: تلاوة.
[11] ر م – به.
[12] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٦٨ظ.
[13] جميع النسخ: أن يكون.
[14] ر م – خاص.
[15] ن: يرى.

**وإذا يُتْلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين**؛ يذكر أهل التأويل أنهم كانوا آمنوا به قبل أن يبعث محمد، فلما بُعث ثبتوا على ذلك وآمنوا به[1] على ما كانوا من قبل.

وفيه دلالة أن الإيمان والإسلام واحد، لأنهم قالوا: **آمنا به**، وقالوا: **إنا كنا من قبله مسلمين**، دل أنهما واحد. وكذلك قوله: فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،[2] وهم واحد، ذَكَر مرة الإيمان ومرة الإسلام، دلّ أنهما واحد.

**﴿أُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾** [٥٤]

وقوله: **أولئك يُؤْتَوْن أجرَهم مرّتين بما صبروا**، هذا يحتمل وجوها ثلاثة. أحدها يُؤْتَوْن أجرهم مرّة بالإسلام ومرّة بما صبروا على زوال الرياسة منهم وذهابها، لأنهم كانوا أهل رياسة ومنزلة وقدْر فذهب ذلك كله عنهم بالإسلام، فلهم[3] الأجر مرتين لذلك.

والثاني **يُؤْتَوْن أجرهم مرّتين**: مرّة بالإسلام ومرّة بما صاروا قُدْوة وأئمّة لمن بعدهم يَقتدُون بهم: أحدُ الأجرين بإسلام أنفسهم، والثاني بدعائهم غيرَهم إليه؛ على ما يُعاقَب الرؤساء منهم والقادة ويضاعف العذاب عليهم مرّتين: مرّة بضلال أنفسهم ومرّة بإضلال غيرهم، كقوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ.[4]

و[الثالث] جائز[5] أن يكون إيتاء الأجر مرّتين لما يصيرون أئمّة وقدوة لغيرهم في الخير، ويضاعف عليهم العذاب إذا صاروا أئمّة وقدوة في الشرّ. ألا يُرى أنه قال في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ،[6] وذلك –والله أعلم– لما يصِرْن هنّ أئمّة لغيرهنّ يقتدِين[7] بهنّ، فعلى ذلك الأول.

---

[1] ر م – به.
[2] سورة الذاريات، ٥١/٣٥-٣٦.
[3] ن: وهُم.
[4] سورة النحل، ١٦/٢٥.
[5] ر م: جائز.
[6] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٠.
[7] جميع النسخ: يقتدون.

وجائز أن يكون **يُؤتَوْن أجرهم مرّتين**، بالإسلام نفسه، ويكون الصبر كناية عن الإيمان، كقوله: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[1] أي آمنوا وأسلموا.

وأما أهل التأويل فإنهم يقولون: **يُؤتَوْن أجرهم مرّتين**: مرّة بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعث، ومرّة بإيمانهم بعد ما بُعث، والأول أشبه. وقال بعضهم: **يُؤتَوْن أجرهم مرّتين بما صبروا**، مرّة بإسلامهم، ومرّة **بما صبروا** وتحمّلوا[2] على أذى أولئك الكفرة ولم يكافئوهم بل خاطبوهم بخير، حيث قال [تعالى على لسانهم]: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ.[3] وروي في بعض الأخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل آمن بنبيّ ثم إذا بعث نبيّ آخر آمن به، ومملوك لرجل يَخْدُمه ويُحسن خدمته ويعبد ربّه، ورجل ربّى جارية[4] ثم أعتقها فتزوّجها.[5]

وقوله: **ويَدْرَءُون بالحسنة السيئة**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما يحسنون إليهم بعد إساءتهم إليهم وأذاهم إياهم على ما كانوا يفعلون ويصنعون إليهم قبل ذلك. والثاني **ويَدْرَءُون بالحسنة السيئة**، أي يعفون عن أذاهم ولا يكافئونهم، فيكون كقوله: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ،[6] الآية. والأول كقوله: اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.[7]

وقوله: **ومما رزقناهم ينفقون**، أي ينفقون في حقّ الله وسبيل الخير، وإلا كل كافر ينفق، كقوله: مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا / كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ،[8] الآية. |٥٦٧ظ|

---

[1] ﴿ولئن أذقنا الإنسانَ منا رحمةً ثم نزعناها منه إنه لَيَئُوس كَفور ولئن أذقناه نَعْماءَ بعد ضَرَّاءَ مسّته ليقولَنّ ذهب السيئاتُ عني إنه لَفَرِحٌ فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ (سورة هود، ١١/٩-١١).

[2] ر م: وحكموا؛ ن ث: وحلموا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٢ظ.

[3] الآية التالية.

[4] ر ث م: جاريته.

[5] ن: فزوجها. عن أبي بُرْدَة أنه سمع أباه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: الرجل تكون له الأَمَة فيعلّمها فيحسن تعليمها ويؤدّبها فيحسن أدبها ثم يُعتقها فيتزوجها فله أجران؛ ومؤمنُ أهل الكتاب الذي كان مؤمنا ثم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم فله أجران؛ والعبد الذي يؤدي حق الله ويَنْصَح لسيده» (صحيح *البخاري*، الجهاد ١٤٥؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٤١؛ وسنن *الترمذي*، النكاح ٢٤، وسنن *النسائي*، النكاح ٦٤).

[6] ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٩٩).

[7] ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (سورة فصلت، ٤١/٣٤).

[8] ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حَرْثَ قومٍ ظلموا أنفسَهم فأَهْلَكَتْه وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٧).

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[٥٥]

وقوله:[١] **وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه**،[٢] هذا أيضًا يحتمل وجهين. أحدهما[٣] **إذا سمعوا** منهم مِن الكلام ما يتأذَّون به[٤] من كلام اللغو والأذى والفِرية، **أعرضوا عنه**، أي لم يكافئوهم[٥] لأذاهم. والثاني **إذا سمعوا** ما يُلغون به من الباطل، **أعرضوا عنه**، أي لم يخالطوهم فيما هم فيه، فليس أنهم لا ينهون ولا يمنعونهم عن ذلك إذا رأوا النهي ينجع فيهم، وإذا رأوا لا ينجع فيهم فعند ذلك أعرضوا عنه. وهو كقوله: وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا.[٦]

وقوله:[٧] **وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم**، يقولون هذا لهم إذا لم ينجع النهي والموعظة[٨] ولم يقبلوا ذلك. عند ذلك يقولون: **لنا أعمالنا ولكم أعمالكم**، أي لكم جزاء أعمالكم ولنا جزاء أعمالنا. وكذلك قوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[٩] لم يقل هذا لهم في ابتداء الدعاء ولكن بعد ما أيِس عن إيمانهم وإجابتهم، فعلى ذلك الأول.

وقوله:[١٠] **سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين**، هذا يشبه أن يخرج على وجهين. أحدهما على القول منهم بالسلام عليهم، أي كانوا لا يخاطبون الجهّال ولا يخالطونهم إلا بالسلام خاصّة، بهذا القدر[١١] يخالطونهم فحسب.[١٢] والثاني ليس على حقيقة قول السلام عليهم، ولكن على الصلح وترك المكافأة لهم وتركهم إياهم على ما هم عليه، إذ السلام هو الصلح. *والله أعلم*.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر م – عنه.
[٣] ر ث م – أحدهما.
[٤] ر ث م – به.
[٥] ر م: أي يكافئوهم.
[٦] سورة الفرقان، ٧٢/٢٥.
[٧] ن: قوله.
[٨] ن + فيهم.
[٩] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[١٠] ن: قوله.
[١١] ر – بهذا القدر.
[١٢] ر ث م: حسب.

وقال بعضهم: ردّوا عليهم معروفًا [بمقابلة ما وجدوا منهم من الأذى وقالوا:][١] **لا نبتغي الجاهلين**، يعنون: لا نريد أن نكون[٢] من أهل الجهل والسفه.

**﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾**[٥٦]

وقوله: **إنك لا تهدي من أحببت**، ذكر أهل التأويل أن هذا نزل في أبي طالب عمّ النبي. وذلك أن أبا طالب قال: "يا معشر[٣] بني هاشم أطيعوا محمدًا وصدِّقوه تُفلحوا وتَرشُدوا". فقال له النبي عليه السلام: «يا عمّ[٤] تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتَدَعُها لنفسك؟» قال: فقال له: "ما تريد يا ابن أخي؟" قال: «أريد منك كلمة واحدة في آخر يوم من الدنيا أن تقول: "لا إله إلا الله"، أشهد لك بها عند الله». قال: "يا ابن أخي قد علمتُ أنك لصادق، ولكن أكره أن يقال: جَزِع عند الموت. ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك وأخيك غَضاضة ومَسَبَة بعدي لَقُلْتُها ولأقرَرْت بها عينك عند الفراق لِما أرى من شدّة وَجْدك ونصيحتك، ولكن سوف أموت على ملّة الأشياخ فلان وفلان". فأنزل الله في[٥] ذلك: **إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء**.[٦] فهو [حجة][٧] على المعتزلة. لأنهم يقولون: إن الهدى البيان. ولو كان بيانًا على ما يقولون لكان رسول الله يقدر أن يبيّن له وقد بيّن. لكن الجُبّائي[٨] يحتجّ لهم فيتأوّل ويقول: إن رسول الله كان يحرص أن يُدخله الجنة فيقول: **إنك لا تهدي** طريق الجنة له حتى يدخلها[٩] [هو]، أو كلام يشبه هذا، وذلك بعيد. وقال جعفر بن حرب:[١٠]

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٦٩و.

[٢] ر ث م: يكون.

[٣] ث + قريش.

[٤] ر ث م – يا عم.

[٥] ر م – في.

[٦] انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ٢٨/١؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٢٩، وسنن *النسائي*، الجنائز ١٠٢.

[٧] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٦٩ظ.

[٨] أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي (ت ٣٠٣هـ/٩١٦م) من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة الجبائية. له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. له تفسير حافل مطول، رد عليه الأشعري (*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٢٦٧/٤-٢٦٨).

[٩] جميع النسخ: تدخلها. والتصحيح من نسخة عاطف أفندي ٧٧، ورقة ٩٠ظ.

[١٠] هو أبو الفضل الأشج جعفر بن حرب الهمداني البغدادي (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) من أئمة المعتزلة. أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاّف بالبصرة. وصنف كتبا. (انظر: *الأعلام* للزركلي، ١٢٣/٢).

هذا ليس في ابتداء الهداية ولكن في اللطائف التي تخرج مخرج الثواب لهم، لما كان منهم من الاهتداء في البدء والأُنُف، كقوله: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى،[١] الآية، فيخبر أنك لا تملك الهداية اللطيفة التي تخرج مخرج الثواب أن تهديهم. فيقال له: أخبرنا عن تلك الزيادة التي تخرج مخرج الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء في الابتداء أتنفع[٢] لهم دون الابتداء؟ فإن قالوا: نعم، فيقال لهم: فذلك عليه أن يفعل[٣] بهم. إذ من قولهم: إن عليه أن يعطي كل كافر ما ينفعه ويصلح له في دينه فكيف منع ذلك وذلك[٤] ينفعهم.[٥]

والثاني يقال لهم: إن تلك الزيادة التي تخرج مخرج الثواب لهم واللطائف على ما كان منهم في الابتداء يستوجبها أو لا يستوجبها؟ فإن كان يستوجبها فلا معنى للمنع على قولهم، لأنهم يقولون: إن على الله أن يعطي ذلك. وإن كان لا يستوجبها فلا معنى لقوله: **ولكن الله يهدى من يشاء**، على قولهم. فيبطل الاحتجاج به على قولهم.

وعندنا زيادة الهداية وابتداؤها سواء، وهو على ما أخبر رسوله أنه لا يهديه. ولكن لو كان كل[٦] الهداية بيانًا على ما قالوا لكان قد بيّن لهم ذلك.[٧] فدلّ ذلك منه أن ثَمّ[٨] هدايةً سوى البيان عند الله إذا أعطى العبدَ يصير بها مؤمنًا، وهو التوفيق والعصمة والسداد. ولا يملك[٩] رسول الله إنشاء[١٠] ذلك وابتداعه، بل الله هو المالك لذلك.[١١]

---

[١] ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ (سورة محمد، ١٧/٤٧).
[٢] ر م: ينفع؛ ن ت: أينفع.
[٣] ن: يقول.
[٤] ر م – وذلك.
[٥] وعبارة السمرقندي هكذا: «ولكن يقال أخبرنا عن تلك الزيادة التي تخرج مخرج الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء في الابتداء هل فيها يقع مصلحة لهم في الدين أم لا؟ فإن قالوا: نعم، فيقال: فهي واجبة عليه أن يفعل بهم، لأن قولهم: إن عليه أن يعطي كل كافر ما ينفعه ويصلح له في دينه، فكيف منع ذلك وذلك ينفعهم وهو مصلحة دينهم، وإن لم يكن لهم فيها نفع ومصلحة في باب الدين فكيف يكون ثوابا لهم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٩٦ظ).
[٦] ر م – كل.
[٧] ر ت م – ذلك.
[٨] ن: ثمة.
[٩] جميع النسخ: وذلك لا يملكه.
[١٠] ن: إن شاء.
[١١] جميع النسخ: بذلك. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٣ظ.

﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥٧]

وقوله: **وقالوا إن نَتَّبِعِ الهدى معك نُتَخَطَّفْ من أرضنا**، دل قولهم: **إن نتبع الهدى معك**،[١] على أنهم عرفوا أن[٢] ما جاء به رسول الله ويدعوهم إليه هو الهدى حيث قالوا: **إن نتبع الهدى معك**. وقوله: **نُتَخَطَّفْ من أرضنا**، يخرج قولهم هذا على وجهين. أحدهما، أي[٣] نَهْلِكُ ونَفْنَى[٤] جوعًا إذا خالفْنا أهلَ الآفاق في الدين، لأن أرزاقهم وما به قوام أبدانهم إنما يحمل ويُمارُ من الآفاق، فيقولون: إنا إذا اتبعنا الهدى معك وخالفْناهم في الدين، أي[٥] أهلَ الآفاق، منعونا المِيرة فنَهلِك ونموتُ جوعًا، فذلك تَخطُّفهم من الأرض. والثاني قالوا[٦] ذلك مخافة أن يُغْزَوْا ويُؤسَرُوا أو يُقتلوا إذا خالفوا أهل الآفاق والأطراف في الدين واتبعوا الهدى، [أي] مخافةَ الأسْر والقتل.

/ فأجابهم الله ورد عليهم اعتلالهم في الوجهين، فقال: **أولم تُمَكِّنْ لهم حرمًا آمنًا يُجْبَى إليه ثمراتُ كلِّ شيء رزقًا من لدنَّا**، يقول -والله أعلم-: إنا جعلناهم في الحرم آمنين، وما يُمْتار إليهم من أنواع الثمرات باللطف لا بموافقة الدين. ألا يُرَى أنهم مع موافقة الدين كانوا يَتخطَّفون الناسَ من حولهم[٧] حيث قال في آية أخرى: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ.[٨] أخبر أنهم مع موافقتهم في الدين [كانوا] يُتَخَطَّفون. دلّ أنه إنما جعل لهم الحرم مأمنًا والميرةَ إليهم باللطف لا بالموافقة في الدين حتى لا يُتعرّض[٩] لأهل الحرم في الحرم ولا خارجًا منه، ولا يتعرّض أيضًا مَن دخل الحرم بشيء، ليُعلم أنه إنما كان كذلك باللطف من الله لا بالموافقة في الدين. [٥٦٨و]

والثاني أنه مع ما كانوا يعبدون الأصنام دون الله فيه، لا يمنعهم الرزقَ ويؤمِّنهم فيه، فلَأَنْ يفعل ذلك بهم[١٠] عند عبادتهم لله وتركِهم عبادةَ غيره أحق أن يُرزقوا ويَأمنوا فيه.

---

[١] جميع النسخ + هو.
[٢] ر م - أن.
[٣] ر م: أن.
[٤] جميع النسخ: ونفن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٤و.
[٥] ر م - أي.
[٦] ر ن م: قالوه.
[٧] جميع النسخ: منهم.
[٨] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٧.
[٩] ر: لا يتعرضوا.
[١٠] ن: لهم.

وقوله: **يُجْبَى إليه ثمرات كلّ شيء**، قال أهل التأويل: **ثمرات كل شيء**،[1] أي من كل جنس ونوع من الثمرات يُجبَى إليه. وظاهره أن يُجبَى إليه من كل[2] شيء أرفعه وأنفعه وذلك ثمرته، لأن ثمرة كل شيء أرفعه وأنفعه.[3] يقال: ثمرة الشيء كذا، وثمرة هذا الكلام كذا، أي[4] ما يُنتفَع[5] من هذا هذا. *والله أعلم*.

وقوله: **ولكنّ أكثرهم لا يعلمون**، أي ولكنّ أكثرهم لا يعلمون أن ما يُحمل إليهم من الآفاق ويُجبَى إليه من الثمرات والأطعمة إنما هو باللطف لا بموافقة الدين. وكذلك لا يعلمون أن أَمْنهم فيه باللطف لا بموافقة الدين. *والله أعلم*.

[٥٦٨و س٢٦] *قال أبو عَوْسَجَة: **نُتَخَطَّفْ من أرضنا**،[6] أي نؤخذ. وقوله: **يُجْبَى إليه**، من الجِباية، أي يُجمع. يقال: جبيتُ أَجْبِي جِباية وجَبْيًا،[7] وأجْبَى يُجبي، أي حاز يَحُوز.* [٥٦٨و س٢٨]

**﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾**[٥٨]

وقوله: **وكم أهلكنا من قرية بَطِرَتْ معيشتَها**، قال بعضهم: كفَرت معيشتها، وقال بعضهم: لم ترضَ معيشتها. وفيه إضمار "في"، أي بطرت في[9] معيشتها، فانتصبت[10] لانتزاع[11] حرف "في". وتأويله -والله أعلم- أي كم أهلكنا من[12] قرية بطِر أهلها في معيشتها حتى صرفوا شكرهم إلى غير الذي[13] أنعَم عليهم وجعلوا[14] عبادتهم[15] لغير الذي جعل لهم السعة والرخاء.

[1] ن - قال أهل التأويل ثمرات كل شيء.
[2] ر م - كل.
[3] ث: أنفعه وأرفعه.
[4] ر - أي.
[5] ر: وما ينتفع.
[6] ر م + أي أرضنا.
[7] ث - وجبيا.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٨و/سطر ٢٦-٢٨.
[9] ر م - في.
[10] ر ث م: فانتصب.
[11] ن: بانتزاع.
[12] ر م - من.
[13] ر ث م - إلى غير الذي.
[14] ن: وجعلها.
[15] ر ث م: عبادتها.

فأنتم يا أهلَ مكة! إذا بطِرتم وأشِرْتم في سَعَتكم وخَصْبكم تُهلَكون كما أهلِك من كان قبلكم. وهو كما قال: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ،[1] الآية.

وقوله:[2] **فتلك مساكنهم لم تُسْكَن من بعدهم إلا قليلاً**، من القَرْياتِ قرياتٌ إذا أهلك أهلها أُسكِن غيرهم فيها، نحو قريات فرعون وغيره، جعل مساكنهم لبني إسرائيل حيث قال: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ،[3] الآية، وقوله: وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ.[4] ومن القَرْيات ما جعلها خَرِبَة معطَّلةً لم يُسكَن غيرهم فيها، نحو قريات لوط وغيره.

وقوله: **وكنا نحن الوارثين**، أي الباقين. والوارث هو الباقي في اللغة على ما ذكرنا آنفا في غير موضع.[5] وقوله: **وكنا نحن الوارثين**، يخرج على وجهين في هذا. أحدهما إخبار عن هلاك أهل الأرض وفنائهم ويبقى هو، كقوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.[6] والثاني إخبار عن هلاك أولئك وجَعْلُها لغيرهم، أي للمتقين، كقوله: إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.[7] *والله أعلم*.*

[قال أبو عوسجة:] **بَطِرَت معيشتَها**، أي لم ترض بمعيشتها. وقال القُتَبي: أي أشِرت.[9]★

**﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾**[٥٩]

وقوله: **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً**، جائز أن يكون تلك القرى التي أخبر أنه غير مهلكها حتى يبعث في أمّها رسولاً، القَرْياتِ التي هن[11] حول مكة،

---

[1] ﴿فلما نسوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فَرِحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مُبلسون﴾ (سورة الأنعام، ٤٤/٦).

[2] ن: قوله.

[3] ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ (سورة الأعراف، ١٣٧/٧).

[4] ﴿ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب. هدى وذكرى لأولي الألباب﴾ (سورة المؤمن، ٥٣/٤٠-٥٤).

[5] انظر مثلا: تفسير الآية من سورة مريم، ٦٣/١٩؛ وسورة الشعراء، ٨٥/٢٦.

[6] سورة مريم، ٤٠/١٩.

[7] سورة الأعراف، ١٢٨/٧.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٦٨و/سطر ٢٦-٢٨.

[9] م: أشرقت. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ٣٣٤.

★ وقع هنا مقطع من تفسير الآية التالية، فأخرناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٦٨و/سطر ٢٨-٣٠.

[11] ن: بين.

لا يُهلك تلك[1] القرى حتى يبعث في أمّها[2] -قيل: في أعظمها وهي مكّة- **رسولاً يتلو عليهم آياتنا**. فإن كان هذا فيكون الإهلاك لها الانتزاعَ من أيديهم وجعلها في أيدي أهل الإسلام على ما كان، لأن الله كان يفتح على رسوله قرية فقريةً وبلدةً فبلدة حتى جعل الكل في أيدي المسلمين. وهو ما قال: وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ،[3] وهو وعد فتح مكّة، وذلك إهلاكهم.

والثاني جائز أن يكون هذا في[4] كل القرى وجميع الرسل أنه كان لا يهلكها بالكفر نفسه حتى يبعث في أكبرها وأعظمها[5] -وهي المصر- رسولاً يتلو عليهم آياته. وذلك يشبه قوله:[6] وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا.[7] وإنما ذَكَر بعث الرسول في أمّها لأنه إذا بعث الرسول في أعظمها وهو المصر ينتشر وينتهي إلى الآفاق والصغائر منها. وأهل[8] القرى لما أنهم يدخلون [٥٦٨ظ] المصر لحوائجهم فيتهيأ للرسول تلاوة الآيات عليهم والدعاءُ لهم / وإن[9] كان في[10] بعض القرى لا يتهيأ لهم ذلك. *والله أعلم*.

[٥٦٨و س٢٨] *وقالا: [أي أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي:] **في أمّها رسولاً**، أي في أكثرها وأعظمها قدْرًا وهي[11] مكة والنبيّ منهم والكتاب أُنزل عليهم. وقال [أبو عَوْسَجَة]:[12] و"أمّها" كلمة لا يتكلم بها [٥٦٨و س٣٠] أحد يَعْنُون بها الكبر.*[13]

---

[1] ر ث م – تلك.
[2] جميع النسخ + رسولا.
[3] سورة الرعد، ٣١/١٣.
[4] ر م – في.
[5] ن ث: في أعظمها وأكبرها.
[6] جميع النسخ: كقوله. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٥و.
[7] سورة الإسراء، ١٥/١٧.
[8] جميع النسخ – أهل. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر ن: وإذا.
[10] ر م – في.
[11] م – أي في أكثرها وأعظمها قدرا وهي؛ م + جائز أن يكون تلك القرى التي.
[12] جميع النسخ: وقالا.
[13] جميع النسخ: يعنون بالكسر. وعبارة السمرقندي هكذا: «وقال أبو عوسجة والقتبي: إن كلمة "أمها" لم يتكلم بها أحد وعنى الكبر بها، ولكنها عبارة عن أصل الشيء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٧٠و).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٦٨و/سطر ٢٨-٣٠.

وقوله: **وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون**، أي معاندون مكابرون، لا نهلكهم إهلاكَ تعذيب بنفس الكفر في الدنيا حتى يكون منهم العناد والمكابرة، إنما يعذَّبون عذابَ الكفر في الآخرة وهو عذاب الأبد.

**﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**[٦٠]

وقوله:[١] **وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى**، أي[٢] إنهم كانوا يتفاخرون بما أُوتُوا من السعة ومتاع الحياة الدنيا، وأهل الزهد والتقوى آثروا الباقي[٣] الموعود في الآخرة على متاع الحياة الدنيا وزينتها،[٤] ولذلك قال:

**﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾**[٦١]

**أفمن وعدناه وعدًا حسنًا فهو لَاقِيهِ كمن متَّعناه متاعَ الحياة الدنيا**، فجواب هذا أن يقال: بل الموعود الحسن الملاقَى الذي[٥] له عاقبة خير من المتاع الفاني الذي ليست له عاقبة، لكنه لم يذكر له جواب، فجوابه ما ذكرنا. ثم كل استفهام كان من الله فهو على الإيجاب في الحقيقة ليس على الاستفهام.

وقوله: **ثم هو يوم القيامة من المُحْضَرين**، أي يُحضَرون في النار. وقيل: **من المحضرين**، أي المعذَّبين. وكلاهما واحد.

**﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾**[٦٢]

وقوله: **ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون**، قوله: **شركائي الذين** في زعمكم أنهم شركائي حيث أشركتموهم في العبادة وتسمية الألوهيّة، وإلا لم يكن للهِ شريك فيقولَ: **أين شركائي الذين** زعمتم أنهم شركائي.[٦] ثم قوله: **أين شركائي**، إنما يقال لهم لقولهم:

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر م - أي.
[٣] ث - الباقي.
[٤] م + وما عند الله خير وأبقى انهم كانوا يتفاخرون إلى.
[٥] جميع النسخ: بالذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٠و.
[٦] ث - حيث أشركتموهم في العبادة وتسمية الألوهية وإلا لم يكن لله شريك فيقول أين شركائي الذين زعمتم أنهم شركائي.

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[1] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[2] فيقول: أين شفاعة من زعمتم أنهم شفعاؤكم عند الله؟ وأين قُربَتُكم وزلفاكم بعبادتكم إياها حيث زعمتم أن عبادتكم إياها تُقَرِّبكم إلى الله زلفا؟ أين ذلك لكم منهم؟

**﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾**[٦٣]

وقوله: **قال الذين حق عليهم القول**، يحتمل قوله: **حق عليهم القول**، القولَ[3] الذي قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[4] وجائز أن يكون قوله: **حق عليهم القول**، أي وجب عليهم العذاب، كقوله: وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ،[5] أي وجب العذاب عليهم، وكقوله: وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا [فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ]،[6] أي وجب العذاب عليهم بما ظلموا، ونحوه.

ثم اختلف في الذين حق عليهم القول. فمنهم من يقول: هم رؤساء الكفرة وأئمتهم الذين أضلّوا أتباعَهم ودعوهم إلى الضلال. ومنهم من يقول: هم شياطين الجن. وللفريقين جميعًا في الكتاب ذِكر. قال في أئمتهم: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،[7] وقال: قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا.[8] وأمثال هذا كثير. وقال في شياطين الجن: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ،[9] وقال: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ،[10] الآية، ونحوه كثير أيضًا.

---

[1] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[2] سورة يونس ١٨/١٠.

[3] م – القول.

[4] سورة هود، ١١٩/١١؛ وسورة السجدة، ١٣/٣١.

[5] ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ (سورة النمل، ٨٢/٢٧).

[6] سورة النمل، ٨٥/٢٧.

[7] ر م – من الذين اتبعوا. ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ (سورة البقرة، ١٦٦/٢).

[8] ﴿... فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾ (سورة الأعراف، ٣٨/٧).

[9] سورة الزخرف، ٣٦/٤٣.

[10] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهْدُوهم إلى صراط الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٣).

وقوله:[١] **ربّنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غَوينا**، يقولون: **أغويناهم كما غوينا**، يعتذرون أنه لم يكن منا إليهم إلا الدعاء والإشارة إلى الغَوَاية. وهو كقول إبليس اللعين[٢] وخطبته يومئذ حيث قال: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ،[٣] الآية. فعلى ذلك هؤلاء يقولون: لم يكن منا إليهم سوى الدعاء بلا برهان ولا حجة فاتّبَعونا. فلا تلومونا ولوموا أنفسكم حيث تركتم إجابة الرسل ومعهم براهين وحجج[٤] وأجبتمونا بلا حجّة ولا برهان فأغويناكم كما غوينا، ولو كنا على الهدى لهديناكم، كقولهم: لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ.[٥]

وقوله: **تبرّأنا إليك ما كانوا إيّانا يعبدون**، إنما يتبرّءون [عن الأمر بالعبادة منهم، أي]،[٦] إنا لم نأمرهم بالعبادة لنا، وإلا كانوا عبدوهم.

ثم إن للمعتزلة أدنى تعلّقٍ بهذه الآية لأنهم يقولون: إنما أضافوا الغواية إلى أنفسهم حيث قالوا: **أغويناهم كما غَوَينا**، دلّ أن الله لا يُغْوِي أحدًا.

فيقال لهم: إنا لا نضيف ولا نجيز إضافة الغواية إلى الله فيما يخرج مخرج الذمّ له، وإنما نضيف فيما يخرج مخرج المدح له والثناء عليه. ثم قد أضاف إبليس الغواية إليه ولم يُنْكِر عليه حيث قال: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي،[٧] في غير موضع، وقال: يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ،[٨] ونحوه كثير في القرآن. فما[٩] خرج مخرج المدح له والثناء عليه يضاف إليه، وما خرج مخرج الذمّ له فلا. وقد ذكرنا هذا في غير موضع.[١٠] ***والله أعلم.***

---

[١] ن: قوله.

[٢] ن - اللعين.

[٣] ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾ (سورة إبراهيم، ٢٢/١٤).

[٤] ن: والحجج.

[٥] ﴿وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تَبَعًا فهل أنتم مُغْنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجَزِعْنا أم صبرنا ما لنا مِن محيص﴾ (سورة إبراهيم، ٢١/١٤).

[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٠ظ.

[٧] ﴿قال رَبِّ بما أغويتني لَأُزَيِّنَنّ لهم في الأرض ولَأُغْوِيَنَّهم أجمعين﴾ (سورة الحجر، ٣٩/١٥؛ وانظر أيضا: سورة الأعراف، ١٦/٧؛ وسورة ص، ٨٢/٣٨).

[٨] ﴿قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾ (سورة الرعد، ٢٧/١٣؛ وانظر أيضا: سورة النحل، ٩٣/١٦؛ وسورة فاطر، ٨/٣٥).

[٩] ن: فيما.

[١٠] انظر: فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية في آخر المجلدات، «الإضلال».

وقوله:[1] **حق عليهم القول**، يومَ قال لإبليس: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ،[2] ثم قالت الشياطين في الآخرة: **ربّنا هؤلاء الذين أغوينا**، يَعنون كفار بني آدم. هؤلاء الذين أضللناهم عن الهدى كما ضلَلنا، **تبرّأنا إليك** منهم يا رب، **ما كانوا إيانا يعبدون**. فتبرّأت الشياطين ممن كان يعبدها فقالوا: لم نأمرهم بعبادتنا.

**﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾**[٦٤]

**وقيل**، لكفار بني آدم، **ادعوا شركاءكم**، يقول: سَلوا الآلهة التي سمّيتموها آلهة: أهم آلهة؟[3] **فدعوهم**، أي سألوهم، فلم يجبهم الآلهة بأنها آلهة. وقوله: أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ،[4] في الدنيا أن معي شركاء على ما ذكرنا من قبل. ***والله أعلم***. وقوله:[5] **وقيل ادعوا شركاءكم**، يحتمل شركاءكم[6] في الخلقة أو شركاءكم[7] في العبادة. ادعوهم ليشفعوا لكم[8] ويقرّبوكم[9] إلى الله على ما زعمتم في الدنيا. / **فدَعَوهم فلم يستجيبوا لهم**، أي لم يشفعوا لهم ولم يستجيبوا لهم لِما لم يَجعل في وُسعهم الإجابة لهم واجبًا كائنًا في الآخرة. [٥٦٩و] **ورأَوُا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون**، تأويله، أي لو[10] رأوا العذاب في الدنيا لكانوا يهتدون ولكن لم يرَوه. هذا وجه،[11] ووجه آخر أنهم لم يصدّقوا بالعذاب في الدنيا، ولو صدّقوه لاهتدوا مخافة نزول العذاب بهم. والثالث لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا ما رأوا العذاب في الآخرة. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: قوله.
[2] سورة ص، ٣٨/٨٥.
[3] ث – أهم آلهة.
[4] الآية ٦٢ من هذه السورة.
[5] ن: قوله.
[6] ث – يحتمل شركاءكم.
[7] ر: وشركائكم.
[8] جميع النسخ: ليشفعوكم.
[9] ر م: ويقربكم.
[10] ر م – لو.
[11] جميع النسخ: أوجه. والتصحيح من نسخة چورلولي علي باشا، ورقة ٤٦١ظ.

**﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾[٦٥] ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[٦٦]**

وقوله: **ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعمِيت عليهم الأنباء**، اختلف فيه. قال قائلون: إنما يُسألون عن إجابتهم الرسلَ: ماذا أجبتموهم؟ على علم منه[١] أنهم ماذا أجابوهم. **فعَمِيَتْ عليهم الأنباء**، أي الإجابة، فلا يتهيأ لهم الإجابة لهول[٢] ذلك اليوم[٣] وفَزَعِهم. وقال بعضهم: إنما يسألون عن الحجّة والعذر الذي به كانوا[٤] تركوا إجابة الرسل فيقول لهم: لأيّ حجّة وعذر تركتم إجابتهم؟ **فعَمِيَتْ عليهم الأنباء**، أي الحجج[٥] والعذر لِما لم يكن لهم الحجة والعذر في تركهم إجابتهم.

**فهم لا يتساءلون**، قال بعضهم: لا يَسأل بعضهم بعضًا بل يتبرّأ بعضهم من بعض[٦] ويكفُر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا[٧] على ما ذكر في الكتاب. وقال بعضهم: **فهم لا يتساءلون**، بالحجّة والبرهان لِما لا حجّة لهم ولا برهان، أي لا يسأل بعضهم بعضًا عن الحجج لأن الله أدحض حججهم وكلّل ألسنتهم. وقال بعضهم: **لا يتساءلون**، بالأنساب يومئذ كما كانوا يتساءلون في الدنيا، كقوله: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ.[٨] ***والله أعلم بذلك***.

ثم إن بعض المعتزلة تكلّموا فيه وقالوا: لو كان الأمر على ما يقوله[٩] القدريون والجبريون في المشيئة والإرادة لكان يَسهُل لهم الاحتجاج ويهُون لهم العذر فيقولون: يا ربنا أجَبنا[١٠] ما نفذ من مشيئتك وإرادتك وما مضى من قضائك وكتابتك[١١] علينا، إذ كنت أنت قضيت وكتبتَ علينا وشئت وأردت ما كان منّا من التكذيب لهم وترك الإجابة، فلم يكن لنا تخلّصٌ مما شئت أنت وقضيت علينا.

---

[١] ث: منهم.
[٢] ر: لهو.
[٣] جميع النسخ - اليوم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٦و.
[٤] ن - كانوا.
[٥] ن: الحجة.
[٦] انظر: الآية ٦٣ من هذه السورة.
[٧] وذلك في قول الله عز وجل: ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودةَ بَيْنِكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥).
[٨] سورة المؤمنون، ٢٣/١٠١.
[٩] ر م: قاله.
[١٠] ن ث: أجبناهم.
[١١] ر ث م: وكتابك.

إلى هذا الخيال يذهب جعفر بن[1] حرب. وهذا منه تعليم لأولئك الكفرة الحِجاجَ بالباطل والكَذِبَ بين يدي ربّ العالمين للتكذيب الذي كان منهم. ثم يقال له:[2] لو كان لهم ذلك الحِجاج على زعمكم فلا يكون ذلك لهم بقولنا ولكن إنما يكون بكتاب الله وسنة رسوله وقول المسلمين أجمعَ حيث قالوا: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».[3] وبكتاب الله ما ذكر في غير آية من القرآن [كقوله:]: يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[4] وقوله: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[5] وقوله: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى،[6] وقوله: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ [جَمِيعًا]،[7] الآية وأمثاله مما لا يحصى من الآيات. فَلَإِنْ كان لهم ذلك إنما يكون بما ذكرنا لا بقولنا.

وأصله أنه لا يكون لهم هذا النوع من الاحتجاج، لأنهم وقتَ فعلهم لا يفعلون ما يفعلون بأن الله شاء ذلك لهم أو قضى وكتب ذلك عليهم[8] وهم يودّون ويحبّون وقتَ فعلهم أنْ شاء الله ذلك منهم ويرضى.[9] فإذا كانوا وقت فعلهم لا يفعلون لذلك فكيف يكون لهم الحِجاج على ما كانوا[10] يفعلون لا لذلك؟ لكن هذا منهم تعليم الكذِب لهم لِيَكْذِبوا بين يَدَيْ[11] رب العالمين على ما ذَكَرَ. وأصل قولنا في هذا أنا نقول: إنه شاء من كلٍّ ما علم أنه يكون منه ويختار، وكذلك قضى وكتب على كلٍّ ما علم أنه يكون منه، إذ لا يجوز أنْ يشأ منه خلاف ما علم أنه يكون،[12] لأن فيه أحدَ وجهين: إما الجهلَ بالعواقب، وإما العجز فيه، وذانك عن الله منفِيّان. تعالى الله[13] عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

---

[1] ر: ابن.
[2] ر م – له؛ ث: لهم.
[3] روي حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر: سنن *أبي داود*، الأدب، ١٠١؛ وراجع للتفصيل *الأسماء والصفات* للبيهقي، ٤١٧/١-٤٢٥.
[4] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٧٢/٢؛ وسورة إبراهيم، ٤/١٤؛ وسورة النحل، ٩٣/١٦؛ وسورة فاطر، ٨/٣٥.
[5] سورة القصص، ٥٦/٢٨.
[6] سورة الأنعام/ ٣٥/٦.
[7] سورة يونس، ٩٩/١٠.
[8] جميع النسخ + ولا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٦ظ.
[9] ر م: يرضى.
[10] ر م + عليه.
[11] ث – يدي.
[12] ث – منه ويختار وكذلك قضى وكتب على كل ما علم أنه يكون منه إذ لا يجوز أن يشأ منه خلاف ما علم أنه يكون.
[13] ث – تعالى الله.

وأصله ما روي عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: بيننا وبين القَدَرِيّة حرفان. أحدهما أنا نقول لهم: إن الله أَعَلِمَ[١] ما يكون أنه يكون؟ فإن قالوا: لا، كَفَروا لأنهم جهّلوا الله؛ وإن قالوا: بلى، فيقال لهم: وشاء أن يكون ما علم أنه يكون؟ فإن[٢] قالوا: لا، كَفَروا لأنهم[٣] يقولون: شاء أن يَجْهَل وذلك[٤] كُفر. وإن قالوا: بلى شاء ذلك، لزمهم قولنا في المشيئة والإرادة لله في ذلك.[٥]

قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبي: **فعَمِيت**، بالتخفيف، أي خَفِيت، فعُمِّيت بالتشديد، أي أُخفِيت.

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾[٦٧]

وقوله: **فأمّا من تاب وآمن وعمل صالحًا**، أي فأمّا من[٦] رجع عما كان فيه[٧] من الشرك والكفر، **وآمن**، بالذي دعاهم الرسل وأجابهم، **وعمل صالحًا**، فيما بينه وبين ربه، **فعسى أن يكون من المفلحين**. يحتمل رجوع "عسى" إلى ذلك الرجل الذي نَعَتَه، يقول: على رجاء القبول والفلاح يفعل ما يفعل من التوبة والعمل الصالح. أو أن يقال ما قال أهل التأويل: إن "عسى" من الله واجب، وهو ما ذكرنا أن كلّ استفهام كان من الله فهو على اللزوم والوجوب.[٨] فعلى ذلك حرف "عسى" و"لعل"، وإن كان حرف شكّ في الظاهر فهو من الله على الوجوب واليقين.

قال أبو معاذ: الفلاح في كلام العرب البقاء، ويقال: النجاة. / [٥٦٩ظ] وقد ذكرنا [هذا] في غير موضع.[٩]

---

[١] ن ث: علم.

[٢] ر م: فإنه.

[٣] ن - جهلوا الله وإن قالوا بلى فيقال لهم وشاء أن يكون ما علم أنه يكون فإن قالوا لا كفروا لأنهم.

[٤] ر م: ذلك.

[٥] روي عن أبي يوسف أنه قال: سمعت أبا حنيفة يقول: «إذا كلمت القدري فإنما هو حرفان، إما أن يسكت، وإما أن يكفر. يقال له: هل علم الله في سابق علمه أن تكون هذه الأشياء كما هي؟ فإن قال لا، فقد كفر، وإن قال نعم، يقال له: أ فأراد أن تكون كما علم، أو أراد أن تكون بخلاف ما علم؟ فإن قال أراد أن تكون كما علم، فقد أقرّ أنه أراد من المؤمن الإيمان، ومن الكافر الكفر، وإن قال: أراد أن تكون بخلاف ما علم، فقد جعل ربه متمنيا متحسرا، لأن من أراد أن يكون ما علم أنه لا يكون، أو لا يكون ما علم أنه يكون، فإنه متمن متحسر. ومن جعل ربه متمنيا متحسرا فهو كافر». *تاريخ بغداد* للخطيب البغدادي، ١٥/٥١٥-٥١٦؛ و*تاريخ مدينة دمشق* لابن عساكر، ٤٥/٢٩٩؛ و*الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة* لبياضي زاده، ٧٦؛ وانظر أيضا: *كتاب التوحيد* للماتريدي، ٤٨٣.

[٦] جميع النسخ + تاب أي.

[٧] ث - فيه.

[٨] ن: الوجوب واللزوم.

[٩] انظر مثلا: تفسير الآية ١ من سورة المؤمنون.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٦٨]

وقوله: **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخِيَرَة**، يقول[١] -والله أعلم-: وربك يختار للرسالة من يشاء ويجتبيه لها فيجعلهم رسلاً. **ما كان لهم الخيرة**، يقول: لم يكن لهم أن يختاروا هم ولكن الله يختار ويصطفي من يشاء، ردًّا[٢] لقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ،[٣] الآية، إلى هذا ذهب بعضهم. وجائز أن يكون هذا في كل أمر، أي وربك[٤] يختار ما يشاء ويأمر وما كان لهم الخيرة من أمره، أي التخلّص والنجاة من أمره، كقوله: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا -أي أَمَرَ اللهُ ورسوله أَمْرًا-[٥] أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ،[٦] والقضاء هاهنا أمر. لكنه يحتمل وجهين. أحدهما على الوقف في[٧] قوله: **وربك يخلق**[٨] **ما يشاء ويختار**، والابتداء من قوله: **ما كان لهم الخيرة** من أمرهم. فإن كان على هذا فيكون "ما" هاهنا "ما" جَحدٍ، أي لم يكن لهم الخيرة من أمرهم.[٩]

والثاني على الصلة ليس على الجحد فيكون تأويله: وربك يخلق ما يشاء ويختار الذي لهم الخيرةُ، فيجب[١٠] أن يكون الوقف على هذا على قوله: **وربك يخلق ما يشاء**، ثم يقول: **ويختار** الذي لهم الخيرةُ.

قال أبو معاذ: قرئ[١١] الخِيْرَة بجزم الياء، وبتحريكها[١٢] **الخِيَرَة**.[١٣]

ثم قوله: **وربّك يخلق ما يشاء ويختار**، على المعتزلة من وجهين. أحدهما ما أجمعوا عليه أن الله قد شاء جميع ما يفعله العباد من الخيرات والطاعات، فإذا شاء ذلك دلّ أنه خلقها.

---

[١] ر ث م: ويقول.
[٢] ن - ردا، صح هـ.
[٣] ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. أهُمْ يقسمون رحمة ربك﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣١-٣٢).
[٤] ن: أي ربك.
[٥] ث - أي أمر الله ورسوله أمرا.
[٦] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٦.
[٧] ر م - في.
[٨] ث: كان.
[٩] ر ث م: من أمره؛ ن - من أمرهم.
[١٠] ر ث م - فيجب.
[١١] ن: يقرأ.
[١٢] م: وبتحريك.
[١٣] معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٣/٤٥٩.

إذ أخبر أنه يخلق ما يشاء وقد شاء الخيرات، فدلّ ذلك على خلق أفعال العباد، لكنّهم يقولون: قوله: **يخلق ما يشاء**، إذا خلقه. وكذلك يقولون في قوله: وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[1] أي على خلْق كل شيء قدير[2] إن خلَقَه، أو كلام نحو هذا. فلئن جاز لهم هذا من الزيادة جاز لكل أحد مثله، فذلك بعيد. وعلى قولهم أكثر الأشياء ليست بمخلوقة لله وهو على أكثر الأشياء غير قدير، لأن أفعال الخلق لا شك أنها أكثر من أنفسهم فأخبر أنه على كل شيء قدير وأنه يخلق ما يشاء. وإن هذا منه خرج مخرج الامتداح له والثناء عليه[3] بما له من السلطان والقدرة على الخلق كلهم. فلو كان على ما يقوله المعتزلة لم يكن هذا مدحًا له ولا ثناء بالسلطان والقدرة، إذ هو -على قولهم- على أكثر الأشياء ليس بقادر على ما ذكرنا.

ثم نزّه نفسه وبرّأها عمّا قالوا فيه وأشركوا غيره في ألوهيّته وربوبيّته وفي عبادته فقال: **سبحان الله وتعالى عما يشركون.**

**﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٦٩]**

وقوله:[4] **وربّك يعلم ما تُكِنُّ صدورُهم وما يعلنون**، هذا يخرج على الوعيد لهم والتنبيه ليكونوا على حذَر فيما يُسِرّون من القول والفعل[5] وما يُعلنون. ***والله أعلم.***

**﴿وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٧٠]**

وقوله:[6] **وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم**، قوله: **وله الحكم**[7] كقوله: وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ،[8] وقد ذكرنا أن قوله: وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ من أمرهم، أنه يخرج على وجهين. أحدهما له الاختيار في أمرهم وليس[9] لهم الاختيار في أمرهم[10]

---

[1] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٨٤/٢.

[2] ر م - أي على خلق كل شيء قدير.

[3] ر م: له.

[4] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٧ظ.

[5] ر م - من القول والفعل.

[6] ن: قوله.

[7] ث - قوله وله الحكم.

[8] الآية ٦٨ من هذه السورة.

[9] ر ث م: لا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٨و.

[10] ن - وليس لهم الاختيار في أمرهم.

ولا يملكون هم[1] ما يُختار لهم دفعه. والثاني هو يختار لهم الخِيَرة في أمرهم، لأنه هو العالم بمصالح أمورهم وما يرجع إلى الأوفق والأنفع، هم[2] لا يعرفون ذلك. فعلى ذلك قوله: **له الحكم**، في الدنيا والآخرة، لأن أنفُس الخلائق له دونهم، فله الحكم في أمورهم وأفعالهم كما له الحكم في أحوالهم، لأنه لا يلحقه الخطأ[3] في حكمه إذ هو عالم بذاته، ولا يلحقه التهمة أيضًا في دفع مضرّة أو جرّ نفع لأنه غني بذاته، فله الحكم في الدارين جميعًا. ***والله الموفق***.

وقوله: **له الحمد في الأولى والآخرة**، هذا[4] يخرج على وجوه. أحدها[5] ما قاله أهل التأويل: إن أولياءه يَحْمَدونه في الدنيا والآخرة، في الجنة؛ حيث قالوا: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ،[6] الآية، يقولون [هذا] إذا دخلوا الجنة.

والثاني قال[7] بعضهم: **في الأولى والآخرة**، يقول: في السماوات والأرض، وتصديقه قول الله: وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[8] وقوله أيضًا:[9] يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[10] وقوله: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ.[11]

والثالث **له الحمد في الأولى والآخرة**، وهو أنْ جعل الدنيا مشتركة بين الأعداء والأولياء في نعيمها، غيرَ مفترِقة ولا مختلفة، وأما الآخرة فقد فرّق فيها[12] بين الأولياء والأعداء؛ جعل للأولياء النعمة الدائمة وللأعداء العذاب الدائم فله الحمد على ذلك.

والرابع **له الحمد في الأولى والآخرة**، لما جعل الدنيا دار محنة والآخرة دار الجزاء لم يجعلها دار المحنة. أو أن يكون قوله: **له**[13] **الحمد في الأولى والآخرة**، أي له الحمد من الخلق

---

[1] ن – هم.
[2] ن – هم.
[3] ر ث م: الخطاب.
[4] ن – هذا.
[5] ر: أحدهما.
[6] ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٣٤).
[7] ر م: والثاني وقال؛ ن – والثاني قال.
[8] سورة الروم، ٣٠/١٨.
[9] ر م – أيضا.
[10] سورة الحشر، ٥٩/٢٤.
[11] سورة الإسراء، ١٧/٤٤.
[12] ن + من.
[13] م – له.

في كل حال وكل وقت، كقوله: وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،[١] أنهم يحمدونه في بدء كل أمر وختمه.[٢]

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾[٧١] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٧٢] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٧٣]

وقوله: **قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سَرْمَدًا إلى يوم القيامة**، أو إن جعل النهار سرمدًا، أي دائمًا لا ليل فيه إلى آخر ما ذكر من قوله: **أفلا تسمعون**، و **أفلا تبصرون**، يخرج ذلك[٣] لوجهين. أحدهما في تسفيههم في صرف العبادة والشكر إلى الأصنام التي كانوا يعبدونها على علم منهم أنها لا تملك شيئًا مما ذَكَر من جعل الليل نهارًا أو جعل[٤] النهار ليلاً وتركِهم عبادة من يعرفون أنه يملك ذلك كلّه. وكذلك ما ذكر في آية أخرى حيث قال: أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ / ضُرِّهِ،[٥] الآية. يقول -والله أعلم-: [٥٧٠و] فإذ لا يملك ما تعبدون من دون الله دفْعَ ضرّ أراده الله به وجَعْلَه رحمةً ولا دفْعَ رحمة أرادها الله وجعْلها[٦] ضُرًّا فكيف تعبدونها وتتركون عبادة مَن يملك جعل هذا هذا[٧] ودفع هذا بهذا؟ فعلى ذلك يقول -والله أعلم-: كيف تعبدون من لا يملك جعْل الزمان كلِّه ليلاً دائمًا لا نهار فيه وجَعْلَ[٨] النهار[٩] نهارًا كلَّه دائمًا لا ليل فيه وتتركون عبادة من يملك ذلك كلّه، بجعل وقت الراحة والسكون وقت الاكتساب والتعيّش، ووقت التقلّب والكسب وقت الراحة[١٠] والقرار.

---

[١] سورة يونس، ١٠/١٠.
[٢] جميع النسخ + أو أن يكون له الحمد. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٨و.
[٣] جميع النسخ: ذكره.
[٤] ن م: وجعل.
[٥] ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنِيَ الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣٨).
[٦] جميع النسخ: وجعله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧١ظ.
[٧] ن + وهذا هذا.
[٨] م: جعل.
[٩] ن: الليل.
[١٠] ر ث م - والسكون وقت الاكتساب والتعيش ووقت التقلب والكسب وقت الراحة.

والثاني يذكّرهم عظيم نعمه ومِنَنه حيث أنشأ هذا العالم محتاجًا إلى ما به قوام أنفسهم وأبدانهم في دينهم ودنياهم. ثم جعل ذلك كلّه[1] على التعاون وتظاهر[2] بعضهم بعضًا ما لو جعل ذلك على غير ذلك لا تقوم[3] أنفسهم وأبدانهم بذلك، حيث جعلَ الليل وقتًا للراحة والسكون والنهارَ وقتًا للتقلّب والتعيّش. ولو كان ذلك كلُّه وقتًا للراحة لا تقوم[4] أنفسهم أبدًا للتعيّش والكسب، ولو كان كلّه وقتًا للتقلّب والكسب لا راحة فيه[5] لا تقوم أيضًا أنفسهم بذلك. لكنه من رحمته وفضله جعل لهم وقتًا للراحة ووقتًا للتقلّب. والوقت الذي جعله وقتًا للراحة[6] إنما جعله للكل لا لبعض دون بعض. وكذلك ما جعله وقتا للتقلّب إنما جعله كذلك[7] للكل لا لبعض دون بعض، ليقوم لهم أسباب التعيّش وما به قوام أنفسهم وأبدانهم. ولو كان ذلك كلّه وقتًا لأحدهما لم تقُم[8] أنفسهم ولا بقي هذا العالم إلى الوقت الذي جعل له البقاء إلى ذلك الوقت. وهو ما ذكر: **ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**. وقوله: **أفلا تسمعون**، و**أفلا تبصرون**، إنما هو سَمْعُ عقلٍ وقلبٍ وبصرُ عقلٍ وقلبٍ. كأنه يقول: أفلا تسمعون هذا بالعقل وأفلا تبصرون بالعقل -والله أعلم- كقوله: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ،[9] الآية.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٧٤]

وقوله:[10] **ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون**، قد ذكرناه. وهذه الآيات التي يكرّرها ويعيد[ها] مرّة بعد مرّة من قوله: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ،[11] وقوله: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ،[12] وقوله:

---

[1] ن: كل ذلك.
[2] جميع النسخ: والتظاهر.
[3] جميع النسخ: لا يقوم.
[4] جميع النسخ: لا يقوم.
[5] ث - لا راحة فيه.
[6] ر ث م - ووقتا للتقلب والوقت الذي جعله وقتا للراحة.
[7] جميع النسخ: لذلك.
[8] ر ن ث: لم يقم.
[9] ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (سورة الحج، ٢٢/٤٦).
[10] ن: قوله.
[11] الآية ٦٥ من هذه السورة.
[12] الآية ٦٢ و٧٤ من هذه السورة.

وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ،[1] وأمثال ذلك مما يكثر على علم منه أنهم لا يصدّقونها ولا يقبلونها ولا يستمعون إليها، وإن كرّرت وأعيدت غير مرّة فهو -والله أعلم- يخرج على وجهين. أحدهما لزوم الحجّة لما مُكِّنوا من الاستماع[2] والسماع وإن كانوا لا يستمعون إليها. والثاني يكون فيه عِظةٌ للمؤمنين من وجوه. أحدها ليشكروا على ما عُصِموا من عبادة غير الله ووُفِّقوا عبادة الله المستحق لها ليعرفوا عظيم نعمة الله عليهم.

والثاني ليحذروا[3] عاقبَتهم في الرجوع إلى ما هو عليه أولئك الكفرة على ما حَذِر الرسلُ والأنبياء وأولو[4] العصمة عاقبتهم في الرجوع إلى ذلك، كقول إبراهيم: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[5] وأمثاله كثيرة.[6]

والثالث خوف المعاملة، لئلّا يعاملوا هم[7] في العمل كما يعامَل[8] أولئك في الاعتقاد، لأن المؤمنين وإن خالفوا[9] أولئك الكفرة في الاعتقاد وفي إشراك[10] غيره في العبادة فربما يوافقونهم في العمل.[11] فكرِّرت هذه الأنباء والآيات عليهم وأعيدت مرّة بعد مرّة وإن كان أولئك لا يستمعون إليها للوجوه التي ذكرنا.

والرابع كرِّرت غير مرة لِما لعلّهم لا يقبلون في وقت ويقبلون في وقت، فيقولون: لو كُرِّرت وأعيدت لقَبِلنا. فكرِّرت وأُعيدت لئلّا يقولوا بأنها لو أعيدت وكرِّرت لقبلناها. ***والله أعلم.***

---

[1] الآية ٦٤ من هذه السورة.
[2] ر م: أو الاستماع؛ ث: والاستماع.
[3] ر ن م: ليحذرون.
[4] ر ن ث: وأولوا.
[5] سورة إبراهيم، ٣٥/١٤.
[6] جميع النسخ: كثير.
[7] ر ث م: يعاملوا لهم؛ ن: يعاملونهم.
[8] ر ث م: عامل؛ ن: عمل.
[9] ر ن ث: خالفوا هم؛ م: خالفوهم.
[10] ر م: في إشراك.
[11] «والثالث ذكر الله تعالى المعاملة مع الكفرة في الآخرة بما خالفوا الله تعالى من طريق الاعتقاد وتركوا الإيمان، ليكون زجرا للمؤمنين عن المخالفة في أوامره ونواهيه، لئلا يعاملوا في العمل السيء كما يعامل الكفرة في الاعتقاد السيء؛ لأن المؤمنين وإن خالفوا الكفرة في آية التوحيد و[في] أولئك الإشراك [إشراك غيره في العبادة] فربما توافقوهم في العمل بمخالفة الأمر والنهي، وإن كان هذا دون الأول بكثير، وجواب هذا أيضا كذلك، لكن من جنس الأول. فأعيد مرة بعد مرة ليتعظ المؤمن بذلك عن ارتكاب المعاصي لئلا يلحقه من جنس هذا التعيير [و]العذاب. والله أعلم» (شرح التأويلات، ورقة ٥٧٢و).

**﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٧٥]**

وقوله: **ونزعنا من كل أمة شهيدًا**، قيل: شهيدُها رسولها، كقوله: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ،[١] الآية، وقوله: وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا،[٢] ونحوه. سُمِّي شهيدًا لأنه شهد على ما عملوا[٣] وحضر ما كان منهم -والله أعلم- من التكذيب والتصديق[٤] والقبول والرد، **فقلنا هاتوا برهانكم**، أي قلنا لكفّارها هاتوا برهانكم[٥] في تسميتكم الأصنام آلهة أو في استحقاق العبادة أو في زعمكم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ،[٦] ونحو ذلك، يقول: **هاتوا برهانكم** وحجتكم على ما زعمتم وادّعيتم.[٧]

وقوله:[٨] **فعلموا أن الحقّ لله**، هذا أيضًا يحتمل[٩] وجوهًا. أحدها علموا أن الألوهية والربوبيّة لله. أو علموا أن الشفاعة لله لا للأصنام التي عبدوها ليكونوا شفعاء عند الله، كقوله: قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا.[١٠] أو أن يكون أن الحق الذي عليهم هو[١١] العبادة لله. أو أن يكون ما جاء به الرسل من الحق إنما جاءوا [به] من عند الله. **وضلّ عنهم ما كانوا يفترون**، أي ضلّ عنهم ما كانوا يأمُلون من عبادتهم تلك الأصنام من الشفاعة والزلفى.

**﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[٧٦]**

وقوله: **إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم**، كأنه[١٢] -والله أعلم- يخوّف أهل مكّة ويوعدهم ببغيهم على الله وعلى رسوله[١٣] بعذاب ينزل بهم كما نزل بقارونَ ببغيه على موسى وقومه

---

[١] ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ (سورة النساء، ٤١/٤).
[٢] ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾ (سورة النحل، ٨٤/١٦).
[٣] ن: يشهد ما عملوا.
[٤] ر ث م – والتصديق.
[٥] ر ث م – أي قلنا لكفارها هاتوا برهانكم.
[٦] سورة يونس ١٨/١٠.
[٧] ر ث م – وادعيتم.
[٨] ن: قوله.
[٩] ن + وجهين.
[١٠] سورة الزمر، ٤٣/٣٩.
[١١] جميع النسخ: وهي.
[١٢] ر م + قال.
[١٣] ن: على الله ورسوله.

أنْ لم تنفعه قرابته من موسى ولا صلته به لِما ذُكر أنه كان ابنَ عمّه وكان خَتَنَه زوجَ أخته مريم. فعلى ذلك يقول -والله أعلم-: لا تنفعكم القرابة التي بينكم وبين رسول الله ولا اتصالُكم به من عذاب الله ومَقته في الدنيا إذا بَغَيْتم عليه وتركتم اتباعه، كما لم تنفع القرابة التي / بين قارون [٥٧٠ظ] وبين موسى من عذاب الله ومَقته في الدنيا إذا بغى عليه. وكما لم تنفع أُبُوّة أبي إبراهيم لأبي إبراهيم إذا بغى عليه وترك اتّباعه، حيث تبرّأ إبراهيم منه،[١] وحيث قال: يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ،[٢] الآية، وحيث لم تنفع لامرأة نوح ولوط الزوجيّة التي كانت بينهما[٣] وبين نوح ولوط من نزول العذاب ومقته بهما إذا تركتا اتباعهما وبغتا عليهما.[٤] فعلى ذلك يا أهلَ مكة لا ينفعكم من عذاب الله ومقته قرابتكم لرسول[٥] الله صلوات الله عليه وصِلتكم[٦] به. *والله أعلم*.

وقوله:[٧] **فبغى عليهم**، اختلف أهل التأويل في بَغيه عليهم. قال بعضهم: هو أن موسى طلب منه زكاة ما آتاه الله من المال فمنعه وأبَى أن يعطيه. وقال بعضهم: بَغيه عليهم هو أن أعطى امرأة جُعْلاً[٨] لتقذفه [عليه السلام] بنفسها فأراد أن يفضحه على رءوس الأخيار والملأ وأن يرجموه، فدفع الله ذلك[٩] عنه وبرّأه منه.[١٠] وقال بعضهم: إنما بغى عليه بكثرة ماله وولده. هذا يشبه أن يكون كأنه افتخر بكثرة ماله في دفع عذاب الله ونقمته، كقول أهل مكّة: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا،[١١] الآية. وقال بعضهم: بغى عليه، لأن النبوة جعلت في موسى

---

[١] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون﴾ (سورة الزخرف ٤٣/٢٦).

[٢] سورة مريم، ١٩/٤٥.

[٣] ن: بينهن.

[٤] جميع النسخ: بهم إذا تركوا اتباعهم وبغوا عليه، ن ث: عليهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٢ظ.

[٥] جميع النسخ: برسول.

[٦] ن: ووصلتكم.

[٧] ن: قوله.

[٨] الجُعْل والجِعال والجَعِيلة والجُعالة والجِعالة والجَعالة، كل ذلك: ما جعله له على عمله. وأَجْعَله جُعْلاً وأَجْعَله له: أعطاه إياه (*لسان العرب*، «جعل»).

[٩] ر ن - ذلك.

[١٠] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقال بعضهم بغيه عليه هو أن يعطي امرأة مالا ليقذف موسى عليه السلام ويدّعي عليه بالزنا فأراد أن يفضحه على رءوس الأخيار والملأ وأن يرجموه، فدفع الله تعالى ذلك عنه وبرّأه من ذلك» (شرح التأويلات، ورقة ٥٧٢ظ).

[١١] ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذَّبين﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣٥).

والحُبُورة في هارون ولم يجعل لقارون شيء.[1] فاعتزل عن موسى واتبعه ناس كثير فاعتدى عليه، ونحو هذا كثير مما قالوه. والأشبه أن يكون بغيه الذي ذَكَر عليه كبغْي فرعون وهامان عليه حيث قال: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ،[2] وكقوله: وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ،[3] الآية. فكان منه ما كان من فرعون وهامان من التكذيب والردّ لرسالته وتسميته ساحرًا كذابًا، فذلك هو البغي عليه. أو لا يُفسَّر[4] البغي عليه لأنه ذكر البغيَ ولم يبيّن ما ذلك البغي، والله أعلم بذلك. وقال قائلون: بغيه عليهم هو أن زاد في ثيابهم شِبرًا. فذلك أيضًا لا نعلمه فهو مثل الأول.

وقوله: **وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتَنُوء بالعصبة أولي القوّة**، قال بعضهم: **مفاتحه**، خزائنه، وقال بعضهم: **مفاتحه**، جمع مفتاح وهو في الأصل مفاتيح. وذكر أن كنوزه كانت كذا كذا ألفًا وأن مفاتيحه كان يحملها[5] كذا وكذا[6] بغلاً[7] وأنها من جلود كذا أو مِن كذا قَدرُ كذا. فذلك أيضًا لا نعلمه ولا نفسّره[8] ولا نذكره إلا قَدرَ ما ذكر في الكتاب. إذ ذكر في الكتاب الكنوز والمفاتيح[9] وذكر أن العُصْبة تنوء بها، وذلك لكثرة[10] ما ذكر ولكن لا نعلم قَدرَه وعدده ما هو ولا كم هو. وكذلك "العصبة" أيضًا لا نعلم[11] كم عدده إلا أن أهل التأويل يقول بعضهم: من عشرة إلى أربعين، ويقول بعضهم: من عشرة إلى خمس وسبعين، وبعضهم: من عشرة إلى خمس عشرة. ونحن لا نفسّره ولا نذكر عدده سوى

---

[1] الحِبْر: «الأثر المستحسن. والحَبْر: العالم، لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس ومن آثار أفعالهم الحسنة المقتدَى بها» (*المفردات* للراغب، «حبر»). ويقول علاء الدين السمرقندي: «وقال بعضهم: إنما بغى عليه لأن الرسالة والنبوة جعلت في موسى عليه السلام والحبورة في هارون، فكأنه أُعد لتعليم التوراة وأحكامها وموسى عليه السلام للدعوة وإقامة الرعية ولم يُجعل لقارون شيء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٧٢ظ).

[2] سورة المؤمن، ٤٠/٢٣-٢٤.

[3] سورة العنكبوت، ٢٩/٣٩.

[4] ن: ولا يفسر. وعبارة الشارح: «والأصح أن لا يفسر» (ورقة ٥٧٢ظ).

[5] جميع النسخ: يحمل.

[6] ن: كذا كذا.

[7] ن: بغل، صح هـ؛ ت: بغل.

[8] م: ولا نفسر.

[9] جميع النسخ: والمفاتح. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٢ظ.

[10] جميع النسخ: لكثرة. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.

[11] جميع النسخ: لا نعلم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٧٩ظ.

أنه[١] اسم جماعة يتعصب بعضهم بعضًا ويعين[٢] بعضهم بعضًا، يرجعون جميعًا إلى أمر واحد. وكذلك "الشيعة" هي جماعة يتشيّع بعضهم بعضًا ويتبع بعضهم بعضًا. ولذلك[٣] قال إخوة يوسف لأبيهم: لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ، أي يتعصب بعضنا بعضًا لا نَدَعه يأكله ولئن لم نفعل ولم نحفظه، إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ.[٤]

وقوله: **لَتَنُوءُ بالعصبة**، اختلف فيه. قال بعضهم: لتثقُل بالعصبة تلك المفاتيحُ. وقال القُتَبي: **لَتَنُوءُ**، أي تَميل بها العصبة إذا حملتها من ثِقَلها.[٥] وقال أبو عَوْسَجة: **لَتَنُوءُ بالعصبة**، أي لتَعجِز العصبة[٦] عن حملها. وقال بعضهم: "تنوء" تَثقُل، و"العصبة" جماعة.

وقوله:[٧] **إذ قال له قومه لا تفرح**، قال بعضهم: لا تبطَر ولا تأشَر، **إن الله لا يحبّ** البطِرين الأشِرين. وجائز أن يكون قوله: **لا تفرح**، أي لا تفتخر على الناس بما آتاك الله من المال ولا تتكبر عليهم. أو **لا تفرح**،[٨] أي[٩] لا تسكن إليها ولا تركَنْ إلى ذلك، إن الله لا يحبّ من ذكر.

**﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**[٧٧]

وقوله:[١٠] **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة**، كأن كثرة ما آتاه الله من المال أنسَتْه الآخرة وشغَلته عنها وعن العمل لها حتى حمله ذلك على الجحود والإنكار، فقال: وابتغ الدار الآخرة بما آتاك الله،[١١] **ولا تنسَ نصيبك من الدنيا**، أي لا تنسَ[١٢] نصيبك[١٣] من مالك في الدنيا ولكن قدِّم لآخرتك.[١٤]

---

[١] ث - أنه.
[٢] ر م: ويعير.
[٣] ن: وكذلك.
[٤] سورة يوسف، ١٢/١٤.
[٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣٤.
[٦] م: بالعصبة.
[٧] ن: قوله.
[٨] ر م: ولا تفرح.
[٩] جميع النسخ - أي. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٠و.
[١٠] ن: قوله.
[١١] م: وابتغ فيما آتاك الله.
[١٢] م: أي تنس.
[١٣] ر ث م - نصيبك.
[١٤] ر م: لأخريك؛ ث: لأخراك.

قال[1] الحسن في قوله: **ولا تَنسَ نصيبك من الدنيا**، إلى آخره، قال: أمر أن يأخذ من ماله قدر عَيشه ويقدِّم ما سوى ذلك لآخرته.[2] وكذلك قال في قوله: **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة**، أي قدِّم الفضل وأَمسِك ما يبلغك.[3] **وأحسن كما أحسن الله إليك**، قال: يكفيك ما أحلّ الله لك من الدنيا فإن فيه غَناءً وكِفاية.

وأصله ما روي عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لك من الدنيا ما أكلت ولَبِست وأفنيت وما قَدَّمْتَ».[4] جعل الْمُقَدَّم من الدنيا له، وأما ما خَلْفَه فهو لغيره. وهكذا إن الدنيا لم تُخلَق[5] لِتبقَى لأهلها أو يبقى أهلها فيها، ولكن إنما خلقت لتَفنَىَ هي أو يفنى أهلها، وخلقت الآخرة للبقاء. فنصيبه من الدنيا ما قدّم وأنفق في طاعة الله وفي سبيله ليس ما خلّفه في هذه الدنيا.

وقوله:[6] **وأحسِنْ كما أحسَنَ الله إليك**، يحتمل قوله: **أحسن**، إلى نفسك في العمل للآخرة، [٥٧١ر] / **كما أحسن الله إليك**. أو **أحسن**،[7] إلى الخلق، **كما أحسن الله إليك**.

وقوله:[8] **ولا تبغ الفساد في الأرض**، هذا يدلّ أنه كان ينفق ماله إلا أنه كان ينفق في الصدّ عن سبيل الله حيث قال: **ولا تَبْغِ الفساد في الأرض**، ولو كان في ترك الإنفاق لم يكن في ذلك بَغْي الفساد في الأرض.

ثم الواجب على مَن حضر الملوك وشهِد مجالسهم من أهل العلم أن يخوِّفوا الملوك ويُوعِدوهم[9] بما أوعد قومُ موسى قارونَ وخوَّفوه، و[أن] يأمروهم بالصلاح في أنفسهم وفي رعيّتهم كما أمَر أولئك قارونَ ويَنهَوهم كما نهاه أولئك. فإن أجابوهم [فنِعْمَ] وإلا امتنعوا عنهم وكَفُّوا أنفسهم عن الاختلاف إليهم، فإن لم يفعلوا فهم شركاؤهم في جميع ما يفعلون. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: وقال.
[2] *تفسير عبد الرزاق*، ٢/٤٩٨؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٩/٣٠١١.
[3] *تفسير الطبري*، ١٨/٣٢٤؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٩/٣٠١١.
[4] عن مطرف عن أبيه قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ﴿ألهاكم التكاثر﴾ قال: يقول ابن آدم: مالي مالي. (قال:) وهل لك يا ابنَ آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لَبِست فأبلَيت أو تصدقت فأمضيت؟» (*صحيح مسلم*، الرقاق، ٣؛ و*سنن النسائي*، الوصايا ١).
[5] جميع النسخ + للدنيا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٠و.
[6] ن: قوله.
[7] ر م: وأحسن.
[8] ن: قوله.
[9] جميع النسخ: ويواعدوهم.

**﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٧٨]**

وقوله:[١] **قال إنما أُوتِيته على علم عندي**، اختلف فيه. قال بعضهم: إن قارون كان أقرأَ الناس بالتوراة وأعلمَهم بها، وسُمِّي قارون لذلك. وذكر أنه سُمِّي المُنَوَّر لِحُسن صوته بالتوراة.[٢] *والله أعلم*. وقال بعضهم: قوله: **إنما أُوتِيته على علم عندي**، وهو الكِيمِياء. ذُكِر أنه كان[٣] يعالج صَنعة الذهب ويُحسنها. وقال بعضهم: **إنما أُوتيته على علم عندي**، أي على خير عندي. قال ذلك على إثر قول أولئك: وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، إلى قوله تعالى: وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ.[٤] كأنهم أوعدوه بذهاب[٥] ذلك عنه وهلاكه فقال -والله أعلم-: **إنما أوتيته[٦] على علم عندي**،[٧] لم أُوتَ جُزافًا بلا سبب. وكأنه -والله أعلم- نسِي الآخرة بما أُوتِي من المال والكنوز وترَك الإنفاق في الخير. وكان ينفق [ماله] في صدّ الناس عن سبيل الله، ولذلك قال: وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، إلا أنه كان عارفًا بالله حيث قالوا له: وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وقالوا له: إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ، دلّ هذا منهم أنه كان عارفًا بالله تعالى.

وقوله:[٨] **أولم يعلم أن الله قد أهلك مِن قبله مِن القرون مَن هو أشدّ منه قوّة وأكثر جمعًا**، ذكر هذا -والله أعلم- لما أنه كان يفتخر ويستكبر على الناس بما أوتي من الأموال والكنوز والأتباع، ويحسب أنه يدفع العذاب الموعود في هذه الدنيا بذلك عن نفسه. أو يظنّ أنه لِما أُوتي ذلك لا يعذَّب كظنّ أولئك الكفرة حيث قالوا: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[٩] فجائز أن كان من قارونَ من الإعجاب بالكثرة والجمع ما ذكر بأولئك فقال عند ذلك: **أولم يعلم أن الله قد أهلك مِن قبله مِن القرون مَن هو أشدّ منه قوّة وأكثر جمعًا**، ثم لم يتهيأ لهم دفْع ما نزل بهم من العذاب، فعلى ذلك أنت يا قارون. *والله أعلم*.

---

[١] ن: قوله.
[٢] جميع النسخ + وقال بعضهم سمي منورا لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٣و.
[٣] ر م – كان.
[٤] الآية السابقة.
[٥] ث + ماله.
[٦] ن ث + ذلك.
[٧] ر م + أي.
[٨] ن: قوله.
[٩] ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾ (سورة سبأ، ٣٥/٣٤).

وقوله:[1] **ولا يُسْأَلُ عن ذنوبهمُ المجرمون**، اختلف فيه. قال بعضهم: لا يسألون[2] عن ذنوبهم لما يعرفون بسيماهم،[3] كقوله: يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ.[4] وقال بعضهم: لا يسأل هذه الأمّة عن صنيع مجرمِي الأممِ الخالية. وجائز أنهم لا يسألون[5] عن ذنوبهم لأنهم لا يرون ما[6] يعملون من الأعمال ذنوبًا، ولكن إنما يسألون عن الدليل الذي به لا يَرون تلك الأعمال ذَنْبًا. ***والله أعلم***.

**﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾**[٧٩]

وقوله: **فخرج على قومه في زينته**، قال عامة أهل التأويل: إنه خرج على بِغالٍ شُهُب ومعه كذا كذا من الجواري على كذا كذا بِغال شُهُب عليهنّ من الثياب كذا. وقال بعضهم: إنه خرج على بَراذِين[7] كذا بِيضٍ مع كذا كذا غِلمانٍ وجَوارٍ،[8] ونحو ما ذكروا. لكنّا لا ندري على أيّ زينة خرج ولكنّا نعلم أنه خرج على الزينة التي يخرج أمثالُه من الملوك ولا نفسّر أنه كذا على كذا. وكذلك لا نفسّر العِلْم الذي ذُكر أنه أُوتي -على[9] ما أوتي[10] له من المال والكنز- أنه كان عنده كذا من العلم، والله أعلم بذلك، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾**[٨٠]

وقوله:[11] **وقال الذين أوتوا العلم**، أي أوتوا منافع العلم، إذ[12] قد يؤتى العلمَ رُبَمَا ولا يؤتى مِن الانتفاع له به ما أوتي هؤلاء حيث قالوا لأولئك: **ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا**.

---

[1] ن: قوله.
[2] ر م: لا يسأل.
[3] جميع النسخ - لما يعرفون بسيماهم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨١و.
[4] سورة الرحمن، ٥٥/٤١.
[5] ر ث م: أن لا يسأل؛ ن: أن يسألوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: مما يعملون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨١و.
[7] البِرْذَوْنُ: الدابة، وجمعه: بَراذينُ. والبراذين من الخيلِ: ما كان من غير نِتاج العِراب (*لسان العرب*، «برذن»).
[8] ر م: وجواري.
[9] جميع النسخ - على. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨١و.
[10] ر م - ما أوتي.
[11] ن: قوله.
[12] ر م: أن.

لم يكن من أولئك إلا التمنّي أن يُؤتَوْا مثل ما أوتي قارونُ، ثم نهاهم الذين أوتوا منافع العلم والانتفاعَ به عن ذلك التمنّي، فدل ذلك أن التمنّي[١] لا يَسَع فيما لا يسع الاشتغال به والطلب حيث قالوا لهم: **ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يُلَقَّاها إلا الصابرون.** اختلف في قوله: **ولا يُلَقَّاها**، كيف ذكره بالتأنيث وإنما تقدّم له ذكر "ثواب"، فألَا قال: ولا يُلَقَّاه،[٢] لكن اختلف فيه. قال بعضهم: **ولا يُلَقَّاها**، كناية عن تلك المقالة التي كانت من أولئك الذين أوتوا العلم لأولئك الذين يريدون الحياة الدنيا، أي لا يُلَقَّى[٣] تلك المقالة التي قالوها لأولئك إلا الصابرون. وقال بعضهم: لا، ولكن ذلك كناية عن الأعمال، أي ولا يُلَقَّى[٤] تلك الأعمالَ ولا يُوفَّق إلا الصابرون. وقال قائلون: لا، ولكن: **[ولا] يُلَقَّاها**، كناية عن الدار الآخرة، يقول: وما يُلَقَّى تلك الدارَ إلا الصابرون.[٥] قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبي: **ولا يُلَقَّاها**، أي لا يُوفَّق [لها]، ويقال: لا يُرزَق[ها].[٦] و**الصابرون**،[٧] يحتمل المؤمنين أنفسهم،[٨] كقوله تعالى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ،[٩] / وقولِه: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[١٠] أي آمنوا. [٥٧١ظ] ويحتمل **الصابرون**، الذين صبروا أنفسهم وحبسوها على أداء ما افترض الله عليهم ولم يؤتُوا أنفسهم شهوتها[١١] وهواها. *والله أعلم.*

ثم كان في قوم موسى خصالٌ ثلاثٌ[١٢] لم تكن تلك ولا مثلُها في غيره من الأمم. أحدها ما ذَكَر من صَلابة الذين[١٣] أوتوا العلم ويقينهم وطُمَأْنِينَتِهم فيما وُعدوا في الآخرة من الثواب وصبرهم على أداء ما افترض الله عليهم وحبْسهم أنفسَهم عن مُناهم وشهواتهم،

---

[١] م – فدل ذلك أن التمني.
[٢] جميع النسخ: وما يلقاه.
[٣] ن ث: ما يلقى.
[٤] ن ث: وما يلقى.
[٥] ر م – وقال قائلون لا ولكن ولا يلقاها كناية عن الدار الآخرة يقول وما يلقى تلك الدار إلا الصابرون.
[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣٦. والزيادتان من المصدر المذكور.
[٧] ر م: الصابرون.
[٨] جميع النسخ: نفسه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٣و.
[٩] سورة إبراهيم، ٥/١٤.
[١٠] سورة هود، ١١/١١.
[١١] جميع النسخ: شهواتهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨١ظ.
[١٢] ن ث: ثلاثة.
[١٣] ر ث م – الذين.

ولصلابتهم وقوّتهم في الدين ما وَعظوا قارون حيث قالوا له: وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، إلى قوله: إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ،[١] -وهو كان مِلكًا يومئذ- ولما قالوا لأولئك الذين يريدون الحياة الدنيا: **وَيْلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا.**

والثاني ما ذكر سحرةُ فرعون حين أوعدهم بالقطع والصلب والقتل بإيمانهم الذين آمنوا فقَالُوا: لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ،[٢] وقالوا: فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ،[٣] وأمثال ذلك مما لم يُبالوا حلول ما أوعدهم وخوّفهم من أنواع العذاب.

والثالث ما ذكر من الذي كان يكتم إيمانه حيث قال: وَقَالَ[٤] رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ،[٥] وإنما أظهر ذلك حين[٦] قال فِرعون: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ،[٧] كأنه همَّ أن يقتله. ألا ترى أن ذلك الرجل المؤمن الذي كان يكتم إيمانه قال لهم: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ [وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ].[٨] لم يُبَالِ هلاكَ نفسه بإظهاره الإيمان بعد أن أعان نبيَ الله موسى ونفع له بما قال واستقبل فرعونَ وقومه بما استقبل.

فهذه خِصال لم تذكر عن قوم قطُّ[٩] سوى قوم موسى مثلُها. ولذلك وصفهم ونعتهم بفضل الهداية والعدالة، وهو ما قال عز وجل: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ.[١٠] وهكذا الواجب على كل مؤمن إذا أريد منه أخذ الإيمان أو خاف على دينه أن يُذهَب به أو أن يُدخلَ فيه النقصان أن لا يَبْذُلَ[١١] ذلك وإن خاف على نفسه تلَفَها وهلاكَها وتعذيبها بأشدِّ ما يكون من العذاب. ألا يرى أن الله مدح أصحاب الأخدود بما احتملوا أشد العذاب

---

[١] الآية ٧٧ من هذه السورة.

[٢] سورة الشعراء، ٢٦/٥٠؛ وانظر أيضا: سورة الأعراف، ٧/١٢٥.

[٣] ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فَطَرنا فاقضِ ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياةَ الدنيا﴾ (سورة طه، ٢٠/٧٢).

[٤] ث – وقال.

[٥] سورة المؤمن، ٤٠/٢٨.

[٦] ر م: حيوة.

[٧] سورة المؤمن، ٤٠/٢٦.

[٨] سبقت قريبا.

[٩] جميع النسخ + من. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٢و.

[١٠] سورة الأعراف، ٧/١٥٩.

[١١] ر م: يبذل.

وأسوأ القتل ولم يتركوا الإيمان ولم يُعطُوا أولئك الكفرة ما أرادوا منهم.[١] فهكذا الاختيار على كلّ مسلم أن يختار ما اختار أولئك. وهكذا الواجب على كل من يأتي الأمراءَ والسلاطين ويحضر مجالسهم من العلماء أن يعظوهم ويأمروهم بكل ما يؤتى وينهوهم عن كل محظور حرام، ويدلُّوهم على كلّ خير وكلّ ما هو طاعةٌ لله كما[٢] فعل قوم موسى[٣] بقارون، وإلا لم يحضروا مجالسهم ولا أتوهم طائعين، فإن فعلوا فإنهم يكونون شركاءهم.

وذكر عن بعض السلف أنه قال في عيسى وقارون عبرةٌ لمن اعتبر: إن عيسى صلوات الله عليه زهِد في الدنيا زُهدًا حتى لم يتخذ لنفسه مسكنًا يسكن ولا مَقرًّا يقَرُّ فيه ولا اتَّخذ لنفسه ما يتعيّش به ولا اشتغل بشيء منها، فرفعه الله إلى السماء فجعل عَيشه ومَقرّه فيها في كرامة الله وجواره. وقارون كان يَرْغَب في هذه الدنيا رغبة وجَهدَ في طلبها طاقتَه[٤] ووُسْعه وركَن إليها رُكونًا حتى خسَفه الله في الأرض وأدخله فيها مع كنوزه وأتْباعه فيكون فيها إلى يوم القيامة. ففي ذلك عبرة وآية لكلّ راغب وزاهد؛ فيَرْغَب الزاهد في الزهد فيها وينزجر الراغب عن الرغبة فيها. *والله أعلم*.

**﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾**[٨١]

وقوله: **فخسفنا به وبداره الأرض**، بالبغي الذي بغَى عليهم، أعني على موسى وأصحابه. وقوله:[٥] **فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله**، كأنه كان يفتخر بالمال والحواشي ويتقوّى بذلك في دفع عذاب الله ونقمته، لذلك قال: **فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله**، أي لم يُغنِ في دفع عذاب الله عنه أتباعُه وحواشيه. وهو كظنّ أولئك [الذين قالوا]: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ،[٦] وكان ظنّهم ذلك وقولهم إنما كان بوجهين.

---

[١] يشير إلى قوله تعالى: ﴿قُتل أصحاب الأُخدُود، النارِ ذاتِ الوَقود، إذ هم عليها قُعُود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شُهُود، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ (سورة البروج، ٨٥/٤-٨).

[٢] ث: على ما.

[٣] ر ث م: قارون؛ ن: فرعون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٣ظ.

[٤] ث + وجهده.

[٥] ن: قوله.

[٦] ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣٥).

أحدهما[1] أنهم ظنّوا أن أموالهم وأتباعهم تدفع عنهم عذاب الله ونقمته كما تدفع نقمة بعضهم من بعض فيما بينهم، كقول ذلك الرجل: سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ.[2] والثاني ظنّوا أنهم إنما أُعْطُوا هذه الأموال والأتْباعَ في هذه الدنيا لكرامةٍ لهم عند الله فلا يعذَّبون أبدًا. *والله أعلم.*

**﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[٨٢]**

وقوله:[3] **وأصبح الذين تَمَنَّوا مكانه بالأمس**، كانوا تَمَنَّوا أن يُعْطَوْا مثل ما أُعطي قارونُ، **يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر**[4] ... **ويكأنه لا يفلح الكافرون**. قال بعض أهل الأدب: "وَيْ" صلة، وإنما هو "كأنّ" و"كأنه". وقال مقاتل: **ويكأنه**، أي ولكنه:[5] ولكن الله يبسط الرزق لمن يشاء، ولكنه لا يفلح الكافرون. وقال بعضهم: قوله: **ويكأن الله**، أي اعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء، واعلموا أنه لا يفلح الكافرون.[6] وقال بعضهم: ألم تر أن الله يبسط الرزق وألم تر / أنه لا يفلح كذا؟[7] وقال [٥٧٢و] الزجاج: "وَيْ" مقطوعة من "كأن"[8] وهو حرف يُفتتح به للتَّندّم،[9] ثم ابتدأ بقوله: **كأنه لا يفلح الكافرون.**

---

[1] جميع النسخ – أحدهما. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٢ظ.

[2] ﴿ونادى نوح ابنه وكان في مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ (سورة هود، ١١/٤٢-٤٣).

[3] ن: قوله.

[4] م + له.

[5] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٥٠٧/٢.

[6] جميع النسخ: وقال مقاتل ويكأنه أي لكنه ويكأن قال بعضهم قوله ويكأن الله أي اعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء واعلموا أنه لا يفلح الكافرون لكن الله يبسط الرزق لمن يشاء ولكنه لا يفلح الكافرون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٢ظ.

[7] ن ث + وقال أبو عوسجة ويكأن ويك مثل قولك ويلك وويحك طرحت منه الألف والنون. وفي *الشرح*: وقال أبو عوسجة: أصل ويكأن ويك مثل قولك ويلك وويحك والألف والنون زائدتان، انظر: ورقة ٥٧٣ظ.

[8] ن ث: كأنه.

[9] جميع النسخ: التندم، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٣ظ. *معاني القرآن* للزجاج، ١٥٦/٤-١٥٧.

ثم في الآية دلالة نقض قولِ المعتزلة في وجوب الأصلح على الله، لأنهم ذكروا منة الله في منْعه إياهم ما تمنوا بالأمس مما أوتي قارون. فلو كان ما أُعطِي قارون أصلحَ له في دينه لم يكن في منْعه عن هؤلاء[1] منة، دل أن ما أُعطِي قارون لم يكن أصلحَ له، بل المنع أصلح له،[2] وأنْ ليس على الله حفْظ الأصلح للعباد في الدين.

**﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [٨٣]

وقوله: **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين.** في ظاهرها أنّ كل مَن لا يريد العلوّ في هذه الدنيا ولا الفساد فيها يكون من أهل تلك الدار. وكذلك ما ذَكَر من دار الآخرة، وجهنّم هي من دار الآخرة أيضًا. لكن الآية تخرج على وجهين. أحدهما كأنها نزلت في رؤساء الكفرة وفراعِينهم هم الذين كانوا يريدون العلوّ في هذه الدنيا بالتكبّر والتجبّر على الرسل والفساد فيها في صرف الناس عن دين الله واتّباع الرسل فقال -والله أعلم-: **تلك الدار الآخرة**، أي الجنة ليست لهؤلاء ولكن لمن تواضع للرسل ودعا الناس إلى دين الله واتّباع الرسل.

والثاني تكون[3] الآية في الذين كانوا يعملون بالخيرات والطاعات منهم من[4] نحو صلة الأرحام والصدقة على الفقراء والإنفاق في ذلك. فأخبر أنهم وإن كانوا يعملون بتلك الأعمال فإنما يعملون للدنيا والعلوِّ فيها، لا للآخرة. فتلك الدار الآخرة ليست لهم إنما هي للذين يعملون ويريدون بها الدار الآخرة.

وقوله: **تلك الدار الآخرة**، كأنه يقول: تلك الدار التي دُعُوا إليها ليست لمن ذَكَر، وهي الدار التي قال الله: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ.[5] فالدار الآخرة هي تلك[6] الدار التي دُعُوا إليها وهي الجنة. الدار الآخرة على الإطلاق [هي] الجنة،[7] كالكتاب المطلق [هو] كتاب الله، والدين المطلق دين الله ونحوه. وقوله: **والعاقبة للمتقين**، أي **تلك الدار الآخرة** للمتقين.

---

[1] ن + منهم، مشطوب عليه.
[2] م: له أصلح.
[3] جميع النسخ: يكون.
[4] ر ث م: في.
[5] سورة يونس، ٢٥/١٠.
[6] ر ث م - تلك.
[7] ر ث م: كالجنة.

**﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٨٤]

وقوله:[١] **من جاء بالحسنة فله خير منها**، هذا[٢] يخرج على وجوه. أحدها ما قاله[٣] أهل التأويل: على التقديم والتأخير، أي فله منها خير. ومعناه أن ما يكون له في الآخرة من الخير إنما يكون بتلك الحسنة التي جاء بها في الدنيا وهي التوحيد. والثاني قوله: **فله خير منها**، أي ما أُعطُوا في الآخرة من الخير والثواب خير مما يُعْطَوْن في الدنيا بصبرهم وحبسهم أنفسهم عن شهواتها وأمانيّها. والثالث **فله خير منها**، أي ثواب الله وما أُكرِموا به خير مما عملوا في الدنيا. والرابع أن توفيقه إياهم وإرشاده خير مما عملوا. أو أن يكون ذكر الله وحمده خير[٤] مما ذُكر، كقوله: وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ.[٥]

وقوله:[٦] **ومن جاء بالسيِّئَة**، قالوا جميعًا: السيئة هي الشرك، **فلا يُجْزَى**، إلا مثلَها لكن مثلها هو التخليد في النار أبدًا. وقوله في آية أخرى:[٧] وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ،[٨] فيما يُجزَوْن بها بل [هم] ظلموا أنفسهم.

**﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**[٨٥]

وقوله:[٩] **إن الذي فرض عليك القرآن لرَادُّكَ إلى مَعاد**، اختلف في قوله: **فرض عليك القرآن**. قال بعضهم: **فرض**، أي نزل عليك، وقال بعضهم: فرض عليك العمل بالقرآن، وقال بعضهم: فرض عليك[١٠] تبليغ ما أَنزل عليك من[١١] القرآن والرسالة إلى الناس. واختلف أيضًا في قوله: **لرادُّك إلى مَعاد**. قال بعضهم: إلى مكّة، وقال بعضهم: المعاد هو البعث والساعة،

---

[١] ن: قوله.
[٢] ر م – هذا.
[٣] ر ث م: ما قال.
[٤] ن: خيرا.
[٥] سورة العنكبوت، ٢٩/٤٥.
[٦] ن: قوله.
[٧] جميع النسخ – وقوله في آية أخرى. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٣ظ.
[٨] ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٠).
[٩] ن: قوله.
[١٠] ر ث م – عليك.
[١١] ر م – من.

وقال بعضهم: المعاد الجنة، ويقال: الموت، وكله [يرجع إلى معنى][١] البعث. والمعاد هو البعث في الظاهر. وجائز أن تُسمّى[٢] مكة معادًا لِما يعود الناس إليها مرّة بعد مرّة،[٣] كما تسمّى "مثابةً"[٤] لِما يثوب الناس إليها مرّة بعد مرّة. لكن من يقول بأن المعاد هو مكّة يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم لَمّا أُمر بالهجرة إلى المدينة فهاجر إليها اشتاق إلى بلده ومولِده ومولد آبائه فنزل جبريل عليه بهذه[٥] الآية بِشارةً بالعَوْد[٦] إليها ظاهرًا عليهم قاهرًا فاتحًا له مكّة. هذا تأويل من يقول بأن المعاد هو مكة.[٧]

وجائز أن يكون على غير هذا، وهو يخرج على وجهين. أحدهما كأنه حزِن على الفراق منهم إشفاقًا على هلاكهم لإخراجهم الرسول من بين أظهُرهم. لأن الأمم السالفة إذا خرج من بينهم الرسلُ نزل بهم العذاب، فخاف أنهم لَمّا أخرجوه من بين أظهرهم وأبَوا إجابته[٨] أن يُهلَكوا ويعذَبوا، كقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ،[٩] وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[١٠] فبشر بهذا أن [سـ]ـتُرَدَ إليها وستعود إليهم فيتبعونك ويؤمنون بك، وهم[١١] لا يُهلَكون إهلاك استئصال وتعذيب كسائر الأمم.

والثاني يَذكر على الامتنان عليه، يقول: إن الذي أنزل عليك القرآن وألقاه عليك بعد ما لم تكن[١٢] ترجو إلقاءَه[١٣] عليك وإنزالَه ولكن برحمته ومنّه ألقاه إليك وأنزله عليك حيث قال: وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ،[١٤] فعلى ذلك يردّك إلى مكّة بعد ما لم تكن ترجو ردّك وعَودك إليها.

---

[١] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٤و.
[٢] جميع النسخ: أن يسمي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٤و.
[٣] ر ث م – بعد مرة.
[٤] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٥).
[٥] ن: جبريل عليه السلام هذه.
[٦] ر بشارة في العود؛ ن ث: بشارة له في العود.
[٧] *تفسير الطبري*، ١٨/٣٤٩-٣٥١.
[٨] ر: وأبواجابته.
[٩] سورة الشعراء، ٢٦/٣.
[١٠] سورة فاطر، ٣٥/٨.
[١١] ن – وهم.
[١٢] ث – لم تكن.
[١٣] ث: لقاءه.
[١٤] الآية التالية.

[٥٧٢ظ] / وإن كان المعاد هو البعثَ فهو يخرج أيضًا على وجهين. أحدهما على البِشارة، كأنه يقول: إن الذي فرض عليك القرآن يردّك ويبعثك بمن كذّبك وبمن صدّقك فينتقم من مكذبيك جزاء التكذيب ويَجزي من يصدّقك جزاء التصديق.

والثاني يذكّره ويخاطبه وإنما يريد به قومه، أي سيبعثون وسيعودون إليها فيكون كالآيات التي يخاطب بها رسوله والمراد بها قومه، فهو يخرج على الوعيد لهم. ألا ترى أنه قال: **ربّي أعلم بمن جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين**، أي ربّي أعلم بمن جاء بالهدى فيجزيه جزاء الهدى ومن هو في ضلال مبين فيجزيه جزاء ضلاله.[1] ويخرج ذكر هذا عند ادعاء[2] أولئك الكفرة أنهم على الحق والهدى وأن آباءهم كانوا على الحق والهدى وأنتم على ضلال فيقول: **ربّي أعلم بمن جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين**، نحن أو أنتم؟ فهو على التحاكم إلى الله أن يحكم بينهم فيجزي كلًّا بما جاء به. ***والله أعلم***.

**﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾[٨٦] ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٨٧] ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٨٨]**

وقوله: **وما كنت ترجو أن يُلقَى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك**، فهو يخرج على وجهين. أحدهما **وما كنت ترجو**،[3] وإن كنت مطيعًا، أي خاضعًا، **أن يُلقَى إليك الكتاب**، وينزَّل عليك وتصيرَ رسولاً، أي لم تكن تطمع ذلك ولكن الله بفضله ورحمته جعلك رسولاً نبيًّا.

والثاني ما كنت ترجو أن تكون في قومك وقبيلتك رسالةُ فضلاً من[4] أن ترجو وتطمع في نفسك. لأنهم ليسوا من بني إسرائيل ولا من أهل الكتاب، والرسالة من قبلُ كانت لا تكون إلا في بني إسرائيل ولكن الله جعل الرسالة في العرب في نفسك برحمته وفضله. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: ضلالة.

[2] ن: دعاء.

[3] ر ث م: ترجوا.

[4] جميع النسخ – من. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٤و.

وقوله:[١] **فلا تكونَنَّ ظهيرًا للكافرين**، هذا يخرج على وجوه. أحدها على النهي، أي لا تكن ظهيرًا، وإن كان لا يكون للعصمة[٢] التي عصمه الله، لأن العصمة لا تمنع النهي والأمر، بل منفعة العصمة إنما تكون عند النهي والأمر.

والثاني على الأمن له [في عصمته] والإياس أن يكون ظهيرا لهم، كأنه يخاف لعلّه أن يكون ظهيرًا لهم في وقت من الأوقات فأمَّنه الله من ذلك[٣] فقال: لا تَخف فإنك لا تكون ظهيرًا لهم. وهو ما ذكرنا في قوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ،[٤] وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٥] على رفع الحزن والحسرة بتركهم الإيمان، فعلى ذلك الأول.

والثالث أن الخطاب -وإن كان له في الظاهر- فالمراد منه غيره، على ما ذكرنا في غير آي من القرآن أنه خاطب به رسوله والمراد به غيره. وكذلك هذا[٦] في قوله: **ولا يصدُّنَّك عن آيات الله بعد إذ أُنزِلت إليك وادْعُ إلى ربك ولا تكونَنَّ من المشركين**، في هذا ما في الأول من الوجوه التي ذكرنا.

وكذلك هذا في قوله: **ولا تدْع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو**.

وقوله: **كلّ شيء هالك إلا وجهَه**، قال بعضهم: قوله: **كلّ شيء**، يرجى منفعته وشفاعته من دون الله باطل إلا ما ابتُغِي به وجه الله[٧] وعُمِل له. وقال بعضهم: **كلّ شيء هالك**، وزائل، **إلا هو**، فإنه حيّ لا يموت دائم لا يزول.[٨] وقال بعضهم: كلّ أمر وجهة يُتَوجّه إليها ويعمل به هالك إلا الجهة والوجة الذي أمَر هو بالتوجيه إليه والعمل به. وهو قريب من الأول.[٩]

*والله أعلم*.[١٠]

---

[١] ن: قوله.

[٢] ر ن م: العصمة.

[٣] جميع النسخ: عن ذلك.

[٤] سورة النحل، ١٦/١٢٧.

[٥] سورة فاطر، ٣٥/٨.

[٦] جميع النسخ: بهذا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٤ظ.

[٧] جميع النسخ - به وجه الله؛ + منه. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ث - دائم لا يزول.

[٩] جميع النسخ: بالأول. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ر + بالصواب وإليه المرجع والمآب؛ م - والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## سورة العنكبوت[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿الٓمٓ﴾[١] ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٢]**

قوله عز وجل: **الٓمٓ**، قد ذكرنا[2] في غير موضع.[3]

وقوله:[4] **أحَسِبَ الناس،**[5] هو وإن كان في الظاهر استفهاما فهو على الإيجاب، لأنا قد ذكرنا أن كل استفهام واستخبار وسؤال كان من الله فهو يخرج على التقرير والإيجاب، لأنه به خبير عليم لا يحتمل [منه] الاستفهام[6] والاستخبار،[7] إذ حقيقة الاستفهام والاستخبار[8] إنما تكون[9] ممن يجهل الأمور فيستخبر ويستفهم ليعرف ذلك،[10] فالله سبحانه يتعالى عن أن يخفى عليه شيء، فهو على التقرير والإيجاب منه ذلك.[11] ثم يخرج قوله: **أحسب الناس،** على أحد وجهين. أي قد حسب الناس. والثاني، أي لا يَحسبِ الناس أن يُترَكوا أن يقولوا آمنا.

---

[1] ر – سورة العنكبوت؛ ن: ذكر أن سورة العنكبوت كلها مكية وقتادة يقول عشر آيات من أولها مدنية وسائرها مكية والله أعلم؛ ث + وهي ستون وتسع آيات مكية؛ م + كلها مكية.

[2] ن: ذكرناه.

[3] انظر: تفسير أول سورة البقرة وسورة آل عمران.

[4] ن ث: قوله.

[5] جميع النسخ + قوله أحسب الناس.

[6] ر م – لأنا قد ذكرنا أن كل استفهام واستخبار وسؤال كان من الله فهو يخرج على التقرير والإيجاب لأنه به خبير عليم لا يحتمل الاستفهام.

[7] ر م: لا الاستخبار.

[8] ث – إذ حقيقة الاستفهام والاستخبار.

[9] ث: إنما يكون.

[10] ن – ليعرف ذلك.

[11] ر م: وذلك.

وقوله: **أن يقولوا آمنا**، ذكر الإيمان ولم يذكر[1] بِمَن: بالله أو بغيره. وليس أحد من الخلائق إلا وهو يؤمن بأحد ويكفر بغيره. وليس في الآية بيان الإيمان به أو بمن، إلا أن الله تعالى سخر الخلق على الفهم من الإيمان المطلَق المرسَلِ الإيمانَ بالله وبرسله، وسخرهم حتى فهموا من الكتاب المطلق كتابَ الله و[من] الدار الآخرة الجنّةَ وأمثال ذلك: مما فهموا من الكتاب المطلق كتابَ الله وفهموا مما ذكرنا من الإيمان المطلق الإيمانَ بالله وبرسله وفهموا أيضًا من الدين المطلق دينَ الله. فيكون قوله: **أن يقولوا**[2] **آمنا**، [آمنا] بالله وبرسله.[3]

وقوله: **وهم لا يُفتَنون**، أي لا يُبتَلون. والفتنة هي الابتلاء الذي فيه الشدة. يمتحن الله عباده باختلاف الأحوال، / مرة بالضِّيق والشدّة ومرة بالسعة والرخاء وأنواع العبادات،[4] [٥٧٣و] ليكون ذلك علَما للخلق في صدق الإيمان به والكَذِب فيه فيعرفوا صدق كل مخبر عن نفسه الإيمان بالله تعالى وكَذِبَه. إذ قد يجوز أن يكون فيما يخبر ويقول: "آمنت" كاذبًا، فجعل الله تعالى العلم في صدقهم وكذبهم أعمالاً يظهر بها عندهم صدقه ما لو كان الابتلاء والامتحان بجهة لعله لا يظهر ذلك. وهو ما أخبر عن المنافقين فقال: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّٰهَ عَلَى حَرْفٍ،[5] الآية، هذا يدلّ أن الفتنة هي المحنة التي فيها الشدّة والبلاء، وما قال: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ،[6] فإنما يظهر صدق الرجل في إيمانه بما يصيبه من الشدة. فأما السعة والرخاء فهو ما يوافق طبعه وهوَى نفسه، فلا يظهر صدقه بما يوافق طبعه، وإنما يظهر ذلك بما يخالف طبعه ويَثقُل[7] عليه تحمّل ذلك. ثم قال بعضهم: نزلت الآية في قوم أظهروا الإيمان باللسان وأضمروا الخلاف والكذب.[8] وقال بعضهم: نزلت في قوم آمنوا بالله وبرسوله حقيقةً ثم عُذِّبوا بأنواع العذاب فتركوا الإيمان وكفروا به، وفيهم نزل: فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللّٰهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللّٰهِ.[9]

---

[1] ر م: ولم يذكره.
[2] ر م: أن يكونوا.
[3] جميع النسخ: أو برسله.
[4] ر: العباداة.
[5] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).
[6] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[7] ن: وتثقل.
[8] «قال الحسن: "الناس" هنا المنافقون» (*البحر المحيط* لأبي حيان، ١٣٥/٧؛ وروح *المعاني* للآلوسي، ١٣٥/٢٠).
[9] سورة العنكبوت، ١٠/٢٩.

فكيف ما كان ففيه أن من أقرّ بالإيمان وقبِله[1] [فهو] يُمتَحن بأنواع المحن بموافقة الطبع ومخالفته ليظهر صدقه عند الناس فيعاملونه على ذلك. *والله أعلم*.

**﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[٣]**

وقوله:[2] **ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدَقوا وليعلمن الكاذبين**، وقد ذكرنا معنى قوله: **فليعلمن الله الذين صدقوا**،[3] فيما تقدم، أي[4] يعلم ظاهرًا كائنًا ما قد علمه غير كائن أنه يكون، وليعلمه موجودًا مما[5] قد علمه غير موجود أنه يوجد. *والله أعلم*.

**﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٤]**

وقوله: **أم حسِب الذين يعملون السيئات**، هذا أيضا يخرج على وجهين. أحدهما قد حسب الذين ما ذكر. والثاني لا يَحْسَبْ، على النهي.

وقوله: **أن يَسبِقونا**، لا أحدَ[6] يظنّ أن يَسبِق الله في عذابه ونقمته، لكنهم إذا رأوا الكافر والمسلم في هذه الدنيا على السواء في نعيمها وسَعَتها ورأوا أيضًا عند الموت أن[ه] لم ينزل على الكافر عذاب كالمسلم ظنّوا أن لا بعثَ،[7] حملهم ذلك على إنكار البعث، كقوله: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، -حين[8] خلقهما إذا لم يكن بعث- بَاطِلًا،[9] وهم قد علموا أن خلقه إياهما ليس بباطل ولكن صيّر خلقهما إذا لم يكن بعثٌ باطلاً. فإذا أنكروا البعث ظنوا أن لا عذابَ ولا جزاءَ. *والله أعلم*.

---

[1] م ث: وقبل.

[2] ن: قوله.

[3] جميع النسخ - وليعلمن الكاذبين وقد ذكرنا معنى قوله فليعلمن الله الذين صدقوا. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٥ظ.

[4] جميع النسخ: أن. والتصحيح من *الشرح* ورقة ٥٧٤ظ.

[5] ر ن ث: ما.

[6] ر م + أن؛ ن: لأحد.

[7] جميع النسخ + وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٥ظ.

[8] ن: صير.

[9] ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظنُّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾ (سورة ص، ٣٨/٢٧).

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **من كان يرجو لقاء الله**، أضاف اللقاء إلى نفسه، وكذلك ما ذكر من المصير إليه، بقوله:[١] وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ،[٢] وقوله: وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ،[٣] وقوله: وَبَرَزُوا لِلهِ جَمِيعًا،[٤] ونحوه، هذا كلّه لأن خلق الدنيا وخلق العالم فيها لا لها ولكن المقصود بخلقها وخلق العالم فيها الآخرة. فإنما صار خلق هذه الأشياء فيها حكمة بالآخرة إذ لو لم يكن آخرة كان خلْق ما ذكر في هذه الدنيا لعبًا باطلاً، كقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.[٥] صيّر خلْقهم لا للرجوع إليه لعبًا باطلاً.

وقوله: **فإن أجل الله لآتٍ وهو السميع العليم، السميع**[٦] بما يقولون ويظهرون **والعليم** بما يُضمرون ويُسرّون لأن القصّة قصّة المنافقين. أو **السميع** المجيب **العليم** بحوائجهم وأمورهم. *والله أعلم.*

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[٦]

وقوله: **ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه**، وكذلك قوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا،[٧] وقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[٨] أي فعليها. ففي هذا[٩] أن الله إنما امتحن الخلائق لا لحاجة له فيما امتحنهم في دفع مضرّة أو جرّ نفع، لكن إنما امتحنهم لحاجة أنفسهم في دفع المضارّ وجرّ المنافع. وكذلك إنما أنشأ الدنيا وهذا العالم فيها لا لحاجة له في إنشاء ذلك ولكن لحوائج أنفسهم. وكذلك ما أنشأ من الخلائق سوى البشر إنما أنشأ للبشر[١٠] وله سخّر جميع ذلك، وجعل البشر بحيث يقدر على استعمال[١١] جميع ذلك لمنافع أنفسهم وحاجتهم،

[١] ر ث م: لقوله.
[٢] انظر: سورة المائدة، ١٨/٥؛ وسورة المؤمن، ٤٠/ ٣؛ وسورة الشورى، ٤٢/ ١٥؛ وسورة التغابن، ٦٤/ ٣.
[٣] سورة هود، ١٢٣/١١.
[٤] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[٥] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[٦] ر ث م – السميع.
[٧] سورة فصلت، ٤٦/٤١.
[٨] سورة الإسراء، ٧/١٧.
[٩] ن – ففي هذا.
[١٠] ر ث م: البشر.
[١١] ن: في استعمال.

وهو ما ذكر في غير آي من القرآن حيث قال: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ،[١] وقوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا،[٢] ونحو ذلك. فعلى ذلك امتحن هذا العالم لحاجة أنفسهم في دفع مضارّ وجرّ نفع، لذلك قال: **ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه،** أي لحاجة نفسه[٣] ومنفعة نفسه لا لمنفعة أو لحاجة لله تعالى.

**إن الله لغني عن العالمين،** هذا تفسير ما ذكر.[٤] ثم المجاهدة تكون مرة مع الشيطان والجنّ، ومرة مع أعدائه من الإنس، ومرة مع هوى النفس، ومرة في أمر الدنيا، كلّ ذلك مجاهدة في الله. قال الله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.[٥] *والله أعلم.*

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٧]

وقوله: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرنّ عنهم سيّئاتهم،** كأن ما عملوا من الحسنات والصالحات يكفّر بها سيّئاتهم.

وقوله: **ولنجزينّهم أحسن / الذي كانوا يعملون،** هذا يحتمل وجوهًا. أحدها أن جزاءهم [٥٧٣ظ] الذي يُجْزَوْن بتلك الأعمال أحسنُ من أعمالهم التي عملوا، لأن قدر ذلك الجزاء عندهم أعظم وأحسن من قدر[٦] أعمالهم، إذ ليس لأعمالهم عندهم كبيرُ[٧] قيمة وقدر، إذ منهم من يُحيي ليلة بدرهم وبما[٨] يسدّ به حاجته في يوم أو ليلة.

والثاني أن الأعمال التي يعملها المرء تكون على وجوه. سيئات تُكفَّر بالتوبة أو بما كان يعاقَبون عليها. وحسنات يُجزَون بها الثواب الجزيل. وإباحات يعملون لحوائج أنفسهم مما لا يعاقَبون عليه ولا يثابون. فيقول: -والله أعلم- **ولَنَجزينّهم أحسن الذي كانوا يعملون،**[٩]

---

[١] ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/١٣).
[٢] سورة البقرة، ٢/٢٩.
[٣] ر ن م: لنفسه.
[٤] ن ث: ذكرنا.
[٥] الآية ٦٩ من هذه السورة.
[٦] ر ث م + من.
[٧] ر ث م: كثير.
[٨] ن ث: أو بما.
[٩] جميع النسخ: لنجزينهم أحسن الذي عملوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة، ٥٧٥و.

وهو الحسنات والخيرات [التي] عملوها لله. أو أن يكون قوله: **ولَنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون**، أن يكفر سيئاتهم بنوع من الحسنات ويثابون على أحسنها، وهو ما قال: **لنكفرنَ عنهم سيّئاتهم ولنجزينّهم أحسن الذي كانوا يعملون**. *والله أعلم بذلك*.

**﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[٨]

وقوله: **ووصّينا الإنسان بوالديه حُسنًا**، وقرئ أيضًا إحسانًا.[١] قال: الزجاج: قوله: **حُسنًا**، أجمع وأقرب لأنه يرجع إلى حسن الشيء في نفسه وإلى حُسنه عند ذلك الإنسان.[٢] يقال: حَسُن كذا، إذا كان في نفسه حَسَنًا، والإحسان هو ما يحسُنُ عند ذلك المعمولِ له، أو كلام نحو هذا. {قال الشيخ رضي الله عنه:} لكن الإحسان هو اسم ما حسُن أيضًا في نفسه، يقال: أحسن، فإذا أحسن فقد حسُن. *والله أعلم*.

وقوله: **وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم**، إن كان هذا الخطاب لأهل الإيمان فيكون تأويل الآية: **وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم**، أي بأن له شريكًا،[٣] أي تعلم[٤] بأن ليس له شريك[٥] فلا تشرك بي، وهو كقوله: قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ،[٦] أي يعلم بخلاف ما تقولون،[٧] فعلى ذلك قوله:[٨] **ما ليس لك به علم** بأن له شريكًا،[٩] أي لك العلم بخلافه بأن ليس له شريك.[١٠] وإن كان الخطاب لأهل الكفر فهم[١١] يقولون على الله ما ليس لهم به علم.

---

[١] انظر: معجم *القراءات القرآنية* لعبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، ٢٧٣/٣.

[٢] *معاني القرآن* للزجاج، ١٦١/٤.

[٣] جميع النسخ: شريك. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٦ظ.

[٤] ر: تعليم.

[٥] م + وأن.

[٦] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).

[٧] ر ث م: يقولون.

[٨] جميع النسخ + يحتمل؛ ث – قوله.

[٩] جميع النسخ: شريك. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ن – أي لك العلم بخلافه بأن ليس له شريك.

[١١] ر ث م – فهم.

وقوله:[١] **فلا تُطِعْهما**، أمر بالبرّ للوالدين والإحسان إليهما والطاعة لهما ما لم[٢] يكن في طاعتهما معصيةُ الرب ليُعلم أنْ ليس يجب طاعتهما في كلّ شيء وفي كل ما كان عندهما إحسان، ولكن فيما كان في ذلك طاعةُ الخالق.[٣]

وقوله:[٤] **إليّ مرجعكم فأنبّئكم بما كنتم تعملون**، وعيد ليكونوا أبدًا على حذر في أعمالهم[٥] لا يعملون بما فيه معصية الرب.

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾[٩]**

وقوله:[٦] **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين**، كأنه قال: والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولهم سيّئات لنكفّرنّ عنهم تلك السيّئات بأعمالهم الصالحات ثم لنُدخلنهم في الصالحين الذين لا سيئة لهم، وهم الأنبياء، إذ أكثر ما ذكر في الكتاب "الصالحين" إنما أريد بهم الأنبياء صلوات الله عليهم.[٧] وهو ما ذكرنا -والله أعلم- على تكفير السيئات عنهم على ما ذَكَر فيما تقدّم وهو ما قال: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.[٨] أو أن يكون قوله: **لنُدخلنهم في الصالحين**، أي لنجعلنّهم من الصالحين.

فإن قيل: ما معنى قوله: **لندخلنهم في الصالحين**، وهم قد عملوا الصالحات؟

قيل: معناه ما ذكرنا بدءًا[٩] أنهم قد عملوا الصالحات، إلا أن لهم[١٠] سيّئاتٍ يُكفّرها بالصالحات، ثم ليجعلنّهم[١١] في الصالحين الذين لا سيئة لهم. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن - لم.
[٣] ر م: الخلق.
[٤] ن ث: قوله.
[٥] ر م: في أعمالكم.
[٦] ن: قوله.
[٧] ن - صلوات الله عليهم.
[٨] الآية ٧ من هذه السورة.
[٩] ر: بدء.
[١٠] ر م: أنهم.
[١١] ن: لنجعلنهم.

**﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾**[١٠]

وقوله: **ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُوذِي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله**، قال بعض أهل التأويل: ناسٌ مؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم وأموالهم افتُتِنوا فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة. ثم قال: **ولئن جاء نصر من ربك ليقولُنَ إنّا كنّا معكم**، وذلك عَلَم المنافق. ومنهم من يقول: نزلت الآية فيمن حقّق الإيمانَ بالله[١] سرًّا وعلانيةً إلا أنه عُذّب لأجل إيمانه بالله وبرسوله فترك الإيمان وكفر. فعلى تأويل هذا يحتمل[٢] قوله: **ولئن جاء نصر من ربّك**، إلى آخر ما ذكر على القطع من الأول والابتداء منه، [وهو لبيان][٣] صنيع المنافقين وخبرهم. *والله أعلم*.

ويحتمل قوله: **جعل فتنة الناس كعذاب الله**، أي جعل فتنة الناس وتعذيبهم إياه في إعطاء ما سألوه وهو الكفر، **كعذاب الله**، في إعطاء ما سأل من أهل الكفر وهو الإيمان، لأن أهل الكفر إذا نزل بهم عذاب الله أو اشتدّ بهم خوف نزوله عليهم أعطَوا الله ما سألهم من الإيمان به[٤] والتوحيد له[٥] وهو ما قال: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ.[٦] ويحتمل وجهًا آخر وهو أن[٧] جعل فتنة الناس في ترك الإيمان كعذاب الله في ذلك، أي جعل العذاب الذي[٨] من الناس كأنه من الله جاء فترك الإيمان.

وقوله: **أوليس الله بأعلم بما صدور العالمين**. فإن كانت الآية فيمن حقّق الإيمان بالله سرًّا وعلانية فيخرج هذا على التعيير له في تركه الإيمان بما عُذّب به، لأنه كان يقدر أن يظهر الكفر لهم باللسان فيدفع العذاب عن نفسه ويكون في الحقيقة في السرّ مؤمنًا على ما ذكر: إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ.[٩] وإن كانت الآية في المنافقين / فيقول: [٥٧٤و]

[١] ر ث م – بالله.
[٢] ن ث: يجعل.
[٣] جميع النسخ + من. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٥ظ.
[٤] ر م – به.
[٥] ر م – له.
[٦] سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩.
[٧] ر + الله.
[٨] م – الذي.
[٩] ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ (سورة النحل، ١٠٦/١٦).

كيف أسررتم الكفر والخلاف له في القلب وأنتم تعلمون أن الله عالم بما في صدور العالمين؟ فيخبر رسوله بما أضمروا وأسرّوا من الخلاف. *والله أعلم*.

**﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾**[١١]

وقوله:[١] **وليعلمَنَّ الله الذين آمنوا وليعلمَنَّ المنافقين**، قد ذكرنا تأويل هذا [مِن] أن [الله] يعلم كائنًا ما قد علم أنه سيكون، ويعلم موجودًا ظاهرًا ما قد علم [في الأرض] أنه يوجد ويظهر [في وقت كذا].

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**[١٢]

وقوله:[٢] **وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتَّبِعُوا سبيلنا وَلْنَحْمِلْ خطاياكم**، كأنهم قالوا ذلك لهم بعد ما عجزوا عن الطعن في الحُجَج والآيات ما يوجب شبهة فيها[٣] عند الناس وبعد ما انقطعوا عن اللّجاج فيها والاحتجاج عليها. فلما عجزوا عن ذلك كلّه فعند ذلك اشتغلوا بما ذُكّر وقالوا للمؤمنين ما ذكر: **اتَّبِعُوا سبيلنا**، أي ديننا، **وَلْنَحْمِلْ خطاياكم**. يقولون –والله أعلم– اتَّبِعُوا سبيلنا فإنه صواب، فإن أصابكم خطأ أو أخطأتم في الاتّباع له فإنّا نحمل خطاياكم. وقال بعضهم: قالوا لمن آمن منهم: لا نُبعَث نحن ولا أنتم فاتّبعونا، وإن كان عليكم شيء فهو علينا، وهو قريب من الأول. أو أن يقولوا لهم: اتّبعوا سبيلنا فإن الله أمرَنا به فإن أخطأتم في ذلك فإنا نحمل خطاياكم أو نحوه. فهذا القول منهم متناقض، لأنهم ذكروا أنهم كانوا يخطئون في الاتّباع لهم دينهم إلا أن يريدوا بذلك ما ذكرنا. والثاني إنما كانوا يضمَنون ويحملون خطاياهم لا بإذن مَن له الطلب في الخطايا ولكن بإذن من عليه ذلك، وذلك لا يَصلُحُ الضمانُ بإذن من عليه.

ثم أخبر أنهم لا يحملون ذلك حيث قال: **وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون**، يحتمل قوله: **إنهم لكاذبون**، فيما يذكرون من حمل خطاياهم، أي لا يقدرون على حملها، أو كاذبون في الدعاء إلى اتباع سبيلهم، أو كاذبون أن الله أمرَهم بذلك. *والله أعلم*.

---

[١] ن: قوله.

[٢] ن: قوله.

[٣] ث – فيها.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[١٣]

وقوله:[١] **وَلَيَحْمِلُنَّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم**، يحملون أوزارهم بضلال أنفسهم وأثقالاً بإضلال غيرهم ودعائهم إليه، كقوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ.[٢] وذكر في الخبر[٣] أن نبيَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما مِن داعٍ دعا إلى هدى فاتُّبِع عليه إلا كان له مثلُ أجور مَن اتبعه ولا يَنقُص مِن أجورهم[٤] شيء. وما من داعٍ دعا إلى ضلالة فاتُّبع عليها إلا كان عليه مِثلُ أوزار مَن اتبعه ولا ينقُص من أوزارهم شيء».[٥]

وقوله:[٦] **وليُسألنّ يوم القيامة عما كانوا يفترون**، قال بعضهم: افتراؤهم اتخاذهم الأصنام آلهة، إذ يكون الافتراء في الفعل والقول جميعًا. وجائز أن يكون افتراؤهم ما ذكروا من حَمْل خطاياهم، أو ما قالوا: إن الله أمرهم بذلك، أو تسميتهم الأصنام التي عبدوها آلهة. *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[١٤]

وقوله: **ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا**. يَذكر هذا النبأ لوجهين. أحدهما يصبّر رسوله على أذى قومِه لأنه ذَكَر أن نوحًا لبِث في قومه ألف عام غيرَ خمسين عامًا، كان يدعوهم إلى توحيد الله فلم يجبه إلا نفر من أهله. فلم يمنعه من الدعاء إلى دين الله ما أوعدوه من المواعيد حيث قالوا: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ،[٧] ونحو ذلك من المواعيد، فذلك لم يمنعه عن الدعاء. ولذلك قال: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[٨]

---

[١] ن: قوله.

[٢] سورة النحل، ١٦/٢٥.

[٣] ن ث م: خبر؛ ث + عن، مشطوب.

[٤] ر: أمورهم؛ ث: أوزارهم.

[٥] ر ث م – وما من داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليها إلا كان عليه مثل أوزار من اتبعه ولا ينقص من أوزارهم شيء. ورد الحديث في *الموطأ* لمالك، القرآن ٤١، بلفظ: «ما من داعٍ يدعو إلى هدى إلا كان له مثل أجر من اتّبعه لا يَنقص ذلك من أجورهم شيئا، وما من داعٍ يدعو إلى ضلالة إلا كان عليه مثل أوزارهم لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا». وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور من تَبِعه لا يَنقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا» (*صحيح مسلم*، العلم ١٦).

[٦] ن: قوله.

[٧] سورة الشعراء، ٢٦/١١٦.

[٨] سورة الأحقاف، ٤٦/ ٣٥.

والثاني ينقض على المتقشّفة مذهبهم لأنهم يقولون: إن الموعظة إنما لا تَنجَع في الموعوظين لتفريط الواعظ وترك استعمال نفسه في[1] ذلك. فيقال: إن نوحًا قد دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا فلم يُجِبْه إلا نَفَر، فلا يحتمل أن يكون منه تقصير أو تفريط. فدلّ أنها لا تنجع ربما لشقاوة الموعوظ.

وقوله: **فأخذهم الطوفان**، قال بعضهم: هو المطر الشديد. وجائز أن يكون الطوفان كلُّ بلاء فيه الهلاك. والطوفان هو ما أُرسل عليهم من الماء فأغرقهم. ***والله أعلم***.

* قال الزجاج: الاستثناء يخرج على تأكيد ما تقدم من الكلام كذكر الكل على إثر ما تقدم من الكلام، أو كلام نحوه.[2] وقلنا نحن: إن كان ما تقدم من الذكر كافيًا تمامًا فيخرج الثنيا على إثره مخرج التأكيد لما تقدم، نحو قوله: قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ،[3] قوله: إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ، كاف تامٌّ مفهوم أنْ لا يدخل فيه آل لوط حيث ذكر المجرم، إذ آلُه غير مجرمين، فهو كاف مفهوم لا يحتاج إلى ذِكر آل لوط لكنه ذُكر على التأكيد له. وكذلك قوله: مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ،[4] و مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ.[5] إذا قال: مُحْصِنِينَ، يفهم أنهم غير مسافحين، وكذلك قوله: مُحْصَنَاتٍ، يعرف[6] أنهن غير مسافحات ولا مُتَخِذات أَخدان، لكنه ذُكر على التأكيد. وإذا كان ما تقدّم من الكلام مجملاً مرسلاً فيخرج ذِكر الثنيا مخرج تحصيل المراد منه على إضمار حرف "مِنْ" فيه،[7] كقوله: **ألف سنة إلا خمسين عامًا**، كأنه قال: فلبث فيهم مِن ألفِ سنةٍ تسعَ مِائَة / وخمسين. وكذلك قول الناس: لفلان عليّ عشرةُ دراهمَ إلا كذا، كأنه قال: لفلان[8] عليّ مِن[9] عشرة دراهم كذا،[10] فهو على التحصيل يخرج ذِكره. وقال بعضهم: الطوفان كل ماء طافٍ فاشٍ من سبيل أو غيره.

[٥٧٤و س٢٣] [٥٧٤ظ]

---

[1] ر م - في.
[2] *معاني القرآن* للزجاج، ٤/١٦٣-١٦٤.
[3] سورة الحجر، ١٥/٥٨-٥٩.
[4] سورة النساء، ٤/٢٤.
[5] سورة النساء، ٤/٢٥.
[6] ر ن م - أنهم غير مسافحين وكذلك قوله محصنات يعرف.
[7] ن - فيه.
[8] ث - لفلان.
[9] ث - من.
[10] ن - كأنه قال لفلان علي من عشرة دراهم كذا.

وكذلك الموت الجارف يسمّى الطوفان وماءَ الطوفان[1] وهو ما ذكر في سورة الأعراف.[2]

٥٧٤ظ/س٤] وقال بعضهم: هو الغَرق. *والله أعلم*.*

**﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[١٥]**

وقوله: **فأنجيناه**، أي نوحًا، **وأصحاب السفينة**، أي من دخل السفينة. **وجعلناها آية للعالمين**، قال بعضهم: جعْلها آية هو أن هلَكت كلُّ سفينة كانت وهي باقية اليوم على ما هي.[4] وقال بعضهم: **وجعلناها آية**، لمن بعدهم فتمنعهم عن تكذيب الرسل والعناد معهم.★

**﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١٦]**

وقوله:[6] **وإبراهيم إذ قال لقومه**، هو نَسَق على قوله: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ،[7] وأرسلنا إبراهيم أيضًا إلى قومه. أو أن يكون نسَقًا على قوله: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ،[8] وأنجينا إبراهيم أيضًا حين أُلقي في النار. أو يقال: اذكر إبراهيم إذ قال لقومه: اعبدوا الله. وقوله: **إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه**، يحتمل في حق الاعتقاد، أي وحّدوا الله. وقوله: **واتقوه**، [أي] الشرك. ويحتمل قوله: **اعبدوا الله**، في حق المعاملة، أي إليه اصرِفوا العبادة، **واتقوه**، أي اتقوا عبادة مَن تعبدون من الأوثان. يكون قوله: **اتقوه**، في موضع النهي، أي اعبدوا الله ووحّدوه[9] ولا تعبدوا غيره. يكون فيه نهي عن مخالفة ما تقدم من الأمر: افعلوا كذا واتقوا ما يضادّه ويخالفه.[10] *والله أعلم*.

---

[1] ن – وماء الطوفان.

[2] وهو ما ذكر في قوله عز وجل: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم آياتٍ مفصّلاتٍ فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ (سورة الأعراف، ١٣٣/٧).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٧٤و/سطر٣٣ – ٥٧٤ظ/سطر٤.

[4] ر م + عليه.

★ وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٧٤و/سطر٣٣ – ٥٧٤ظ/سطر٤.

[6] ن: قوله.

[7] الآية ١٤ من هذه السورة.

[8] الآية السابقة.

[9] ر م: وحدوه.

[10] ن: وما يخالفه.

وقوله:[١] **ذلكم خير لكم**، أي عبادة الله خير لكم. وقوله: **إن كنتم تعلمون**، يحتمل قوله: **إن**، إذ **كنتم تعلمون**، أن[٢] ذلك خير لكم. وجائز ذكر "إنْ" مكان "إذ" في اللغة.[٣]

**﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[١٧]

وقوله: **إنما تعبدون من دون الله أوثانًا وتخلقون إفكًا**، أي تخلقون كَذِبًا في تسميتكم الأوثان آلهةً معبودِين، أي ليسوا بآلهة ولا معبودين. أو يقال: **وتخلقون إفكًا**، أي كذِبًا في صرف عبادتكم إليها واستحقاق العبادة، أي لا يستحقون العبادة، إنما المستحق للعبادة [هو] اللهُ دون مَن تعبدون. وقال بعضهم: أي جعلتم كذبًا من الآلهة لا حَقًّا، وهو قريب مما ذكرنا.

ثم بيّن سفههم في صرف العبادة إلى الأصنام وعَجْزَها عمّن يعبدها حيث قال: **إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقًا**، يقول -والله أعلم- إنّ في الشاهد لا يخدم أحدٌ أحدًا إلا لِما يَأمُل من النفع له بالخدمة أو لسابقةِ إحسانٍ كان منه إليه. فالأصنام التي تعبدونها لا يملكون أن يرزقوكم ولا ينفعوكم ولا كان منها إليكم سابقةُ صنع، فكيف تعبدونها؟

وقوله: **فابتغوا عند الله الرزق**، أي اعبدوا الله الذي يرزقكم وينفعكم ويملك ذلك لكم واتركوا عبادة من لا يملك ذلك لكم.[٤] **واعبدوه**، يحتمل الوجهين اللذَين ذكرناهما فيما تقدم: التوحيد والعبادةَ. وقوله: **واشكروا له**، أي اشكروا له فيما أنعم عليكم. **إليه تُرجَعون**.

**﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾**[١٨]

وقوله:[٥] **وإن تكذّبوا فقد كذّب أمم من قبلكم**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما وإن يكذّبوك فيما تخبر من نبإ إبراهيم فقد كذّب أمم من قبلك[٦] رسلَهم[٧] فيما أخبروا عن إبراهيم

---

[١] ن: قوله.

[٢] ن - أن.

[٣] جميع النسخ + أو يكون قوله أذلكم [ن: ذلكم] خير لكم إن كنتم تعلمون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٩و.

[٤] ر ث م - لكم.

[٥] ن: قوله.

[٦] ن ث: من قبلكم.

[٧] ن: رسلكم، مشطوب، رسلهم، صح هـ.

بعد انتساب كلّ فريق منهم إليه وادّعائه نِحلتَه[1] ومذهبه. والثاني وإن يكذبوك فيما تبلّغ إليهم من الرسالة فقد كذّب أمم من قبلك رسلهم في تبليغ الرسالة. **وما على الرسول إلا البلاغ المبين**، يبيّن لهم أنها رسالة ربّهم بالحجج والبراهين والآيات. ***والله أعلم***.

**﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾[١٩]**

وقوله: **أولم يروا كيف يُبْدِئُ الله الخلْق ثم يُعيده**، إنهم قد رأوا أنْ كيف أنشأ الله الخلْق في الابتداء وإن عجزوا عن الأسباب التي [بها] خلقهم ولا احتمل وُسعُهم ذلك، فعلى ذلك يعيدهم على ما أبدأهم[2] وإن عجز وسْعهم عن احتمال ذلك وإدراكِه. إذ الأعجوبة في الإعادة ليست بأكثر من الأعجوبة في البداية، بل الأعجوبة في ابتداء الإنشاء أكثر من الإعادة، لِما أن[3] الإعادة عندكم أيسر وأهون من الابتداء. فمن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر. **إن ذلك على الله يسير**، الابتداء والإعادة جميعًا لا يُعجزه شيء، إذ هو قادر بذاته.

**﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢٠]**

وقوله: **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**، كان الأمر بالسير في الأرض والنظر ليس هو سيرًا بالأقدام فيها، ولكنْ أمر بإرسال الفِكر[4] فيما[5] فيها من الخلائق والنظر في بدء ما فيها من الخلق متقَنًا محكمًا بالتدبير والعلم والحكمةِ بلا أسباب. ليعلموا أن التقدير في ابتداء الإنشاء والإعادة الخارج[6] عن احتمال وسْعهم وقُواهم خطأٌ؛ وأن الذي قَدَر على إنشاء الخلق وابتدائه[7] بلا سبب ولا شيء -وإنْ لم يحتمل وسعهم وبِنيتهم وقواهم ذلك، فعلى ذلك الإعادة والنشأة الأخرى وإن كانت خارجة عن احتمال وسعهم وقواهم- قادر عليها. أو أن يقال: انظروا واعتبروا أن بدء الخلق والنشأة من الحكيم[8] العالم الذاتي بلا إعادة ورجوع

[1] ن: ونحلته؛ م: بخلته.
[2] ن: على أبدأهم.
[3] ر ث م - أن.
[4] ر م: الكفر.
[5] جميع النسخ - فيما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٨٩ظ.
[6] جميع النسخ: بالخارج.
[7] ر م: وابتداء.
[8] ر م: من الحكم.

ليس بحكمة في العقل والحكمة جميعًا، إذ[1] في الحكمة والعقل التفريقُ بين الوليّ والعدوّ وبين الشاكر والكافر وبين المطيع والعاصي، إذ قد سوّى بينهم في الدنيا وأشركهم فيها حتى جعل للكافر ما للشاكر، وللعدوّ ما للوليّ، وللعاصي ما للمطيع.[2] فلا بدّ من الإعادة في دار يفرّق بينهم ليخرج[3] بدءُ[4] إنشائه[5] وخلقُه الخلقَ على الحكمة والتدبير والعلم لا على السفه والعبث. *والله أعلم*. وقوله:[6] **إن الله على كلّ شيء قدير**، في النشأة الأولى والآخرة / جميعًا لا يعجزه |٥٧٥ر| شيء، إذ هو قادر بذاته.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾[٢١]

وقوله:[7] **يعذّب من يشاء ويرحم من يشاء**، يحتمل هذا في الدنيا، **يعذّب من يشاء في الدنيا**، أي يمتحنه ويبتليه بالشدّة والضِيق. **ويرحم من يشاء**، أي يمتحنه[8] بالسَّعة والرَّخاء. فيكون التعذيب كناية عن الشدّة والضيق، والرحمة كناية عن السعة والرخاء. وهو كقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ،[9] فعلى ذلك قوله: **يعذّب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تُقلَبون**، أي تُرجَعون. ويحتمل التعذيب في الآخرة والرحمة فيها، أي يعذّب من يشاء في الآخرة من كان في الدنيا أهلاً له مستوجِبًا، ويرحم من يشاء من كان في الدنيا أهلاً لها مطيعًا لله.[10]

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٢٢]

وقوله:[11] **وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء**، أي ما أنتم بمعجزين اللهَ إن كنتم في الأرض أو كنتم في السماء. أو ما أنتم بمعجزين الله في الأرض يا أهل الأرض، ولا [أنتم يا] أهلَ السماء بمعجزين الله[12] في السماء.

---

[1] ر م: إن.
[2] جميع النسخ: والولي والعدو والمطيع والعاصي. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٧٦ظ.
[3] ر م: ليخرجوا.
[4] ر: بدؤا.
[5] جميع النسخ: إنشائهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٠و.
[6] ن: قوله.
[7] ن: قوله.
[8] ث – أي يمتحنه.
[9] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.
[10] ر م: لها.
[11] ن: قوله.
[12] ر ث م – إن كنتم في الأرض أو كنتم في السماء أو ما أنتم بمعجزين الله في الأرض يا أهل الأرض ولا أهل السماء بمعجزين الله.

وعلى قول[1] المعتزلة يكونون معجزين الله في الأرض على ظاهر مذهبهم، لأنهم يقولون: إن الله قد أراد إبقاء الأخيار وأهل الصلاح ثم يجيء كافر فيقتلهم قبل أجلهم الذي أراد الله إبقاءهم إلى ذلك الوقت.[2] وكذلك يقولون: أراد الله أن يَرزُقَهم الحلال وأراد أن يكون أولادهم من رُشْد ونكاح، لكنهم يطلبون الرزق من حرام ويزنون فيَخلُق أولادَهم من زنى، شاء أو أبى لا يقدر التخلّص عما يريدون هم. فأيّ إعجاز يكون أشدّ من هذا؟ فنعوذ بالله من السَّرف[3] في القول.

وقوله: **وما أنتم بمعجزين في الأرض**، هم يعلمون، أعني الكفرة، أنهم لا يعجزون الله ولا يقدرون على إعجازه، لكنه يذكر [هذا] لأنهم كانوا يعملون عمل من هو معجز فائت عن عذاب[4] الله ونقمته، وهو كقوله: وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ.[5] هم[6] يعلمون أنهم لا يقدرون أن يَسعوا في آياته معاجزين لكنهم يسعون في دفع آياته[7] والإنكار لها سعيَ معاجز لها لا سعي خاضع قابل، فعلى ذلك الأول.

وقوله:[8] **وما لكم من دون الله من وليّ ولا نصير**، أي ما لكم من دون الله مما طمَعتم من النصر لكم والشفاعة، أي[9] ليس[10] لكم ذلك، لأنهم عبدوا تلك الأصنام لِما طمَعوا شفاعتها عند الله لهم والزلفى حيث قال: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا؛[11] وقوله:[12] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ؛[13] وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[14] ونحوه. فيقول: ما لكم مما طمعتم بعبادتكم تلك الأصنام من وليّ ولا نصير.

---

[1] ن – قول.

[2] جميع النسخ: إلى وقت. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٠و.

[3] ن + من.

[4] ن: من عذاب.

[5] سورة الحج، ٥١/٢٢؛ وسورة سبأ، ٥/٣٤.

[6] ن – هم.

[7] ث + معاجزين لكنهم، مشطوب.

[8] ن: قوله.

[9] ر م – أي.

[10] ر م: وليس.

[11] سورة مريم، ٨١/١٩–٨٢.

[12] جميع النسخ: وقولهم.

[13] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).

[14] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).

**﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُولٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢٣]**

وقوله:[١] **والذين كفروا بآيات الله ولقائه**. قوله: **كفروا بآيات الله**، يحتمل آياتُ الله[٢] الآياتِ التي جاءت بها الرسل في إثبات الرسالة لهم. ويحتمل آياته الآياتِ التي جعلها لوحدانيّته وألوهيّته ولقائه، أي كفروا بالبعث، وقد ذكرنا فيما تقدم وجهَ تسميته[٣] البعثَ لقاءَه.[٤] وقال: الحسن آيات الله دين الله، وكذلك يقول: كلّ "آية" في القرآن [هي بمعنى] الدين.[٥]

وقوله: **أولئك يئسوا من رحمتي**، قال بعض أهل التأويل: **من رحمتي**، أي من جنّتي. وتأويل هذا أنهم[٦] قد كفروا بالبعث فإذا كفروا به زعموا أن لا ثوابَ ولا جزاء. وجائز أن يكون قوله: **من رحمتي**، أي من رُسلي وكُتبي، لأن الله سمّى رسله وكتبه رحمة في غير آي من القرآن.[٧] أيِسوا منهم حيث كذبوهم وكفروا بهم، أيسوا أن يُرسِل الرسل أو يُنزل الكتب. ويحتمل قوله: **أولئك يئسوا من رحمتي**، أي أولئك عليهم الإياس من رحمتي، لما كفروا بآياته ورسله. **وأولئك لهم عذاب أليم**.

**﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢٤]**

وقوله:[٨] **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه**، قوله: **فما كان جواب قومه** إلا كذا، ليس في جميع الأوقات وجميع المشاهد، ولكن جائز أن يكون هذا: ما كان جوابَ قومه في مشهد[٩] إلا كذا. أو أن يكون: **فما كان جوابَ قومه**، أي ما كان آخِرُ جواب قومه،[١٠]

---

[١] ن: قوله.
[٢] ث – يحتمل آيات الله.
[٣] ر م: تسمية.
[٤] انظر تفسير الآية ١١ من سورة هود.
[٥] هكذا يقول الإمام في تفسير الآية ٤١ من سورة البقرة: «قال الحسن: الآيات في جميع القرآن هي الدين». ويكرر هذا القول في تفسير الآية ٢٧ وفي تفسير الآية ٣٩ من سورة الأنعام. وينقل فخر الدين الرازي تفسير الحسن البصري كلمة "الآيات" بالدين في تفسير الآية ٤٥ من سورة المؤمنون (*مفاتيح الغيب*، ٨٩/٢٣) وكذا أبو حيان الأندلسي (*البحر المحيط*، ٣٧٦/٦). ولكن لم نعثر في المراجع على قول الحسن البصري بأن الآيات في جميع القرآن هي بمعنى الدين.
[٦] جميع النسخ: لأنهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٧و.
[٧] انظر لمحمد عليه السلام: سورة التوبة، ٦١/٩؛ وسورة الأنبياء، ١٠٧/٢١؛ وانظر للتوراة: سورة الأنعام، ١٥٤/٦؛ وسورة الأعراف، ١٥٤/٧؛ وسورة القصص، ٤٣/٢٨؛ وانظر للقرآن الكريم: سورة الأنعام، ١٥٧/٦؛ وسورة الأعراف، ٥٢/٧، ٢٠٣؛ وسورة يونس، ٥٧/١٠؛ وسورة النحل، ٦٤/١٦، ٨٩؛ وسورة الإسراء، ٨٢/١٧ وغيرها.
[٨] ن: قوله.
[٩] ر: في شهد.
[١٠] ر م – أي ما كان آخر جواب قومه.

**إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه.** وإلا لم يحتمل أن لا يكون منهم إلا ما ذكر من الجواب، [بل] قد كان جواباتٌ وأجوِبة سواه، لكن يحتمل ما ذكرنا أنْ ما كان جوابُ قومه في مشهد[1] إلا أن قالوا: اقتلوه أو حرّقوه، أو ما كان آخر جواب قومه إلا أن قالوا: اقتلوه أو حرّقوه. وهو ما ذكرنا في قوله: فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ،[2] لا يحتمل أنْ لم يكن منهم إلا هذا ولكن ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

وقوله:[3] **فأنجاه الله من النار**، حين ألقَوه فيها. **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون،** ذَكر "الآيات" في ذلك، فجائز أن يكون ما ذكر في هذه السورة من أولها إلى آخرها الآيات[4] لِمن ذَكَر، وجائز أن يكون فيما ذَكَر خاصّة.[5] لكن ليس من شيء إلا وفيه آيات من وجوه: آية الوحدانيّة وآية الألوهيّة وآية عِلمه وحكمته وتدبيره وبعثه، فهي[6] آيات. وقوله:[7] **لقوم يؤمنون،** ذِكْر الآيات للمؤمنين يحتمل وجهين. أحدهما ذَكَر الآيات لهم لأنهم هم المنتفعون بها دون من كفر. والثاني [هي] الآيات لهم على المكذّبين بها والكافرين، أي حججًا[8] لهم عليهم، كقوله: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.[9] ***والله أعلم.***

[٥٧٥ظ] وقوله: / **فما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا** كذا، هو صلة قصّة إبراهيم وإليه يرجع، وهو ما تقدّم من دعائه إياهم حيث قال: وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ،[10] الآية.

**﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[٢٥]**

وقوله: **وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا**، يقول -والله أعلم-: ما اتخذتم من دون الله معبودًا وسميتموها آلهة فهي ليست بآلهة ولا معبودٍ إنما هي أوثان. **مَوَدَّةَ بينِكم في الحياة الدنيا،**

---

[1] ر: في شهد.
[2] سورة العنكبوت، ٢٩/٢٩.
[3] ن: قوله.
[4] ر ث م: لآيات.
[5] وعبارة الشرح هكذا: «ذكر الآيات هاهنا وأضافها إلى المؤمنين فيحتمل أن يكون فيما ذكر في هذه السورة من أولها إلى آخرها لآيات للمؤمنين. ويحتمل أن يكون فيما ذكر خاصة لاسم المؤمنين» (٥٧٧و).
[6] جميع النسخ: فهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٧و.
[7] ن: قوله.
[8] جميع النسخ: حجة. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] سورة الأنعام، ٨٣/٦.
[10] الآية ١٦ من هذه السورة.

يقول -والله أعلم-: اتخاذكم هذه الأصنام معبودًا واجتماعكم عليها إنما هي[1] مودّة [ال]حياة الدنيا لا مودّةُ لها عاقبة أو [مودّةُ] تدوم، بل تصير في العاقبة عداوة وبغضًا وهو ما ذكر: **ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا**. قال بعضهم: يتبرأ بعضهم[2] من بعض ويكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا، كقوله: ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ.[3] وقال بعضهم: يتبرأ المتبوع من الأتباع، كقوله: رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ،[4] وقوله: [كَلَّا] سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا،[5] ونحوه. ثم أخبر أن مأوى الكلّ النارُ وما لهم من ناصر[6] ينصرهم من عذاب الله أو يدفع عنهم العذاب.

ثم اختلف في قوله: **وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودّةَ بينكم**، قال بعضهم: هذا قول إبراهيم لقومه، كقوله: أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ [وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ]،[7] وكقوله: هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ.[8] وقال بعضهم: هذا قول رسول الله لقومه. وجائز أن يكون هذا قول كلّ رسول[9] لقومه[10] الذين عبدوا الأصنام. ***والله أعلم.***

**﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢٦]**

وقوله: **فآمن له لوط**، قوله: **فآمن له لوط**، يحتمل وجهين. أحدهما قوله: **فآمن له لوط**، أي أظهَرَ له لوط الإيمانَ مِن بين غيرهم. وقد كان لوط مؤمنًا من قبلُ ليس أنه أحدَثَ له الإيمانَ في ذلك الوقت ولم يكن مؤمنًا قبل ذلك، ولكن ما ذكرنا أنه أظهر له الإيمان من بين غيرهم. والثاني **فآمن له لوط**، فيما دعاه إليه وهو الهجرة، أي صدّقه[11] فيما أخبر أنه أُمر بالهجرة فاستصحبه فيها.

---

[1] ث: هو.

[2] ن ث: بعض.

[3] سورة الزخرف، ٦٧/٤٣.

[4] ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادّاركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾ (سورة الأعراف، ٣٨/٧).

[5] سورة مريم، ٨٢/١٩.

[6] ن: ناصرين، مشطوب، ناصر: صح هـ.

[7] سورة الصافات، ٩٥/٣٧-٩٦.

[8] ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون﴾ (سورة الشعراء، ٩٢/٢٦-٩٣).

[9] ر - الله لقومه وجائز أن يكون هذا قول كل رسول.

[10] م - وجائز أن يكون هذا قول كل رسول لقومه.

[11] ر م - صدقه.

وقوله: **إني مهاجر إلى ربّي**، قال أهل التأويل: هذا قول إبراهيم، كقوله: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي.[1] وجائز أن يكون قوله: **إني مهاجر إلى ربي**، قولَ لوط. ثم لم يفهم من قوله: **إني مهاجر إلى ربي**، وقوله: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي، انتقالُه إليه[2] أو المكان أو شيءٌ مما يوجب التشبيه مما يُفهَم من الخلق. فكيف فُهِم من قوله: هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ،[3] وقوله: وَجَاءَ رَبُّكَ،[4] واستوى،[5] وأمثاله مما يُفهَم من مجيء الخلق وإتيانهم[6] واستوائهم؟ إذ لا فرق بين مجيء آخر إليه وبين مجيئه إلى آخر، هذا في الشاهد سواء. فكيف فُهِم في الغائب في أحدهما ما[7] لم يُفهم من الآخر وهما سِيَّانِ في الشاهد. فدلّ أنه لا يجوز أن يفهم منه في شيء من ذلك مما[8] يفهم من الخلق، إذ أخبر أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[9]

**﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٢٧]**

وقوله: **ووهبنا له**، يعني لإبراهيم، **إسحاق ويعقوب**. ذَكَر أنه وهب له إسحاق ويعقوب لِيُعلَم أن الولد هبة الله وكذلك ولدُ الولد لأن يعقوب كان ولدَ ولده حيث قال: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ،[10] فكلّهم هبة الله إياه [حيث] قال: يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ.[11]

---

[1] ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ (سورة الصافات، ٩٩/٣٧).

[2] ر م - إليه.

[3] ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللهُ في ظلل من الغمام والملائكةُ وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾ (سورة البقرة، ٢١٠/٢).

[4] ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٢٢/٨٩).

[5] ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات﴾ (سورة البقرة، ٢٩/٢)؛ ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (سورة طه، ٥/٢٠). وانظر: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «استوى».

[6] جميع النسخ: وإتيانه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٧و.

[7] ر: مما.

[8] ر ث م: ما.

[9] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[10] ﴿وامرأته قائمةٌ فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ (سورة هود، ٧١/١١).

[11] سورة الشورى، ٤٩/٤٢.

وقوله:[1] **وجعلنا في ذرّيته النبوّة والكتاب**، لم تَزَل النبوّة في ذرية إبراهيم من لدنه إلى هذا الوقت؛ كان جميع أنبياء بني إسرائيل من ولد إسحاق، ونبيّنا محمد صلوات الله عليه[2] كان من ولد إسماعيل عليه السلام.[3]

وقوله: **وآتيناه أجْره في الدنيا**، اختلف في الأجر الذي أخبر أنه آتاه إبراهيمَ في الدنيا. قال بعضهم: هو ما وهب له من الولد في الكِبَر. وقال بعضهم: هو ما سخر له الألسُنَ بأجمعها على الثناء الحسَن عليه، حيث نسب جميع أهل الأديان على اختلاف أديانهم ومذاهبهم [إليه]، فهم[4] على دينه وسنّته وسيرته وتَوَلَّى كلٌّ به. وجائز أن يكون قوله: **وآتيناه أجره في الدنيا**، ما أخبر أنه آتى جميع المؤمنين وأعطاهم، وهو ما قال: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ،[5] وما ذَكَر من ثواب الدنيا. فما من مؤمن إلا وقد آتاه الله في الدنيا أجرًا[6] وثوابًا فذلك الذي آتى إبراهيم. أو لا نفسّر ما ذلك الأجر الذي ذكر أنه آتاه.[7] *والله أعلم*.

وقوله: **وإنه في الآخرة لمن الصالحين**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أنه لو لم يكرمه الله بالنبوّة والرسالة لكان هو أيضًا في الآخرة من الصالحين. والثاني ذَكَر الصلاح له لحقيقة صلاحه، أي يكون هو ممن حقّق الصلاح. وكذلك ما ذكر في موسى وهارون حيث قال: إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ،[8] أي من عبادنا الذين حقّقوا الإيمانَ وغيرهم من المؤمنين لم يحقّقوا. أو أن يكون ما ذكرنا، أي لو لم يكن الإكرام الذي أكرمه وهو النبوة لكان من المؤمنين أيضًا. وإلا ليس في ذكر الإيمان والصلاح لهم كبير منقِبة وفضيلة عند الناس، إذ يسمّى بهذين كل مؤمن ومصلح. *والله أعلم*.

---

[1] ن: قوله.
[2] ن - صلوات الله عليه.
[3] ن - عليه السلام.
[4] جميع النسخ: أنهم.
[5] ﴿قل يا عبادِ الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ وأرض الله واسعة إنما يُوَفَّى الصابرون أجرَهم بغير حساب﴾ (سورة الزمر، ٣٩/١٠).
[6] ث: أجرا في الدنيا.
[7] جميع النسخ + الله. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٢ظ.
[8] سورة الصافات، ٣٧/١٢٢.

وعن ابن عباس في قوله: **وآتيناه أجره في الدنيا**، قال: عمَلَه الذي[1] جوزي[2] به[3] في الآخرة. وقتادة يقول:[4] آتاه الله عافية وعملاً صالحًا وثناءً حسنًا.[5] وقال: فلسْتَ تلقى أحدًا من أهل المِلَل إلا [و]يرضى بإبراهيم ويتولّاه. وقد ذكرنا نحن أنا لا ندري أنه ما أراد بالأجر الذي ذكر أنه آتى إبراهيم.[6] والله أعلم / بذلك. وقال بعضهم ما ذكرنا أنه أُعطِي الولدَ الطيب في كِبَرِ سنّه. [٥٧٦و]

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[٢٨]

وقوله:[7] **ولوطًا إذ قال لقومه**، كأنه يقول -والله أعلم-: اذكرْ لوطًا إذ قال لقومه. ثم ذِكره إيّاه يخرج على وجهين. أحدهما أنْ اذكُر نبأَ لوط وخبره ليكون لك آية على رسالتك ونبوّتك، إذ يعلمون أنك لم تشاهده ولا شهدتَ زمنه، فأخبرت على ما في كتبهم ليعرفوا أنك إنما عرفت ذلك بالله.

والثاني اذكُره أنْ كيف صبر على أذى قومه وكيف عامَل قومَه مع سوء صنيعهم من ارتكاب الفواحش والمناكير وسوء معاملتهم إياه. فاصبر أنت على أذى[8] قومك وسوء معاملتهم إياك. هذا -والله أعلم- يشبه أن يكون معنى ذكر لوط إيّاه. وعلى هذا يخرج قوله: وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ،[9] أي اذكر إبراهيم ونبأه أنْ كيف عامل قومه وماذا قال لهم وكيف[10] صبر على أذاهم؟ فعامِلْ أنت قومك مثله واصبر على أذاهم كما صبر أولئك. *والله أعلم*.

وقوله: **إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين**، قال لهم: ما سبقكم بها من أحد من العالمين،[11] ثم لم يتهيأ لهم أن يعارضوه[12] لقوله: ما سبقكم بها من أحد من العالمين

---

[1] جميع النسخ: ما.
[2] جميع النسخ: جزي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٧ظ.
[3] ر م - به.
[4] ن: قال؛ ث: وقال قتادة.
[5] *تفسير القرطبي*، ٣٥٧/١٦.
[6] ر ث م - ويتولاه وقد ذكرنا نحن أنا لا ندري أنه ما أراد بالأجر الذي ذكر أنه آتى إبراهيم.
[7] ن: قوله.
[8] م - أذى.
[9] الآية ١٦ من هذه السورة.
[10] ر: فكيف.
[11] ث - قال لهم ما سبقكم بها من أحد من العالمين.
[12] ر م: يعارضوا.

[فيقولوا:][١] "بل قد كان سَبَقَنا بذلك أحد". فكان في ذلك[٢] وجهان. أحدهما أن يكون ذلك آية لرسالته وأنه إنما علم بالله أنه لم يسبقهم بها أحد مما[٣] ذكر.

والثاني أنهم يعبدون الأصنام ويرتكبون فواحش ويقولون: إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وإن الله أمرنا[٤] بذلك[٥] ليُعلم أنهم كذَبة في قولهم: إن آباءنا[٦] على ذلك، حيث أخبر أنه[٧] لم يسبقهم بها من أحد. ولو كان آباؤهم على ذلك لذكروه وعارضوه. فإذ[٨] لم يفعلوا ولم يشتغلوا بشيء من ذلك عُلم[٩] أنهم كذَبة فيما يقولون. ***والله أعلم.***

**﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٢٩] ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣٠]**

وقوله:[١٠] **أإنكم لتأتون الرجال**، وهو ما ذكر: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ.[١١] وقوله: **وتقطعون السبيل**، قال[١٢] بعضهم: أي تعترضون الطريق لمن مرّ بكم لعملكم الخبيث، لأنه ذُكر أنهم إنما كانوا يعملون ذلك بالغُرَباء. وقال بعضهم: **وتقطعون السبيل**، أي تقطعون السبيل على الناس، مِن قطْع الطريق. **وتأتون في ناديكم المنكر**، أي وتعملون في مجلسكم المنكر. اختلف في هذا، قال بعضهم: أي تعملون في مجلسكم اللواطة أيضًا. وقال بعضهم: [هو][١٣] حَذْفٌ بالحصى ورمْي بالبُنْدُق وأمثاله. لكنه يخبر عن سوء صنيعهم في كلّ حال وكلّ وقت،

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٧ظ.

[٢] م – في ذلك.

[٣] جميع النسخ: ما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٣و.

[٤] جميع النسخ: أمرهم.

[٥] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

[٦] جميع النسخ: آباءهم.

[٧] ر م: أنهم.

[٨] م: فإذا.

[٩] جميع النسخ: ليعلم. والتصحيح من المرجع السابق..

[١٠] ن: قوله.

[١١] ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾ (سورة الشعراء، ١٦٥/٢٦-١٦٦).

[١٢] ر: وقال.

[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٧ظ.

يقول: إنكم تعملون الفواحش[1] والمناكير في كلّ حال: في الطريق وفي المجلس وفي المنزل. ما سبقكم بذلك[2] كلِّه[3] من أحد من العالمين. *والله أعلم*. *وقوله: **وتأتون في ناديكم المنكر**، [٥٧٦ظ س٢
روي عن أم هانِئٍ[4] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله: **وتأتون في ناديكم المنكر**، قال: «كانوا[5] يَخْذِفُون أهل الأرض ويَسخرون منهم».[6] فإن ثبت هذا كان تفسيرًا له لا يحتاج إلى غيره. والنادي، قال أبو عَوْسَجَة: المجلس، وأندِية جماعة. وكذلك قال القُتَبي.[7] قال أبو معاذ: النَّدِيّ والنادي لغتان، فجمع[8] النادي أَنْدِيَة وجمع[9] النَّدِيّ نُدِيّ ونِدِيّ، كقراءة بعض الناس في سورة مريم: وَأَحْسَنُ نِدِيًّا،[10] أي مجالِس. وقراءة العامة: نَدِيًّا، مجلسًا. *والله أعلم*.* ٥٧٦ظ س٧]

ثم قال: **فما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله**، وقال في موضع آخر: إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ،[12] وقال في موضع آخر: [قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ] لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ.[13] هذه الآيات في الظاهر بعضها مخالف لبعض، لأنه يقول في بعضها: **فما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله**، وفي بعضها: وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ،[14] و فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ،[15] فهو يخرج على وجوه. أحدها أن يكون قوله: إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ، و أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ،

[1] ن ث م: بالفواحش.
[2] ث: بها.
[3] ث – كله.
[4] ر ث م: أمهاني.
[5] ن: كان.
[6] *سنن الترمذي*، التفسير، ٢/٢٩، وانظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٣٨٩–٣٩٠؛ و*تفسير القرطبي*، ١٦/٣٥٨. قال مجد الدين ابن الأثير: «الخَذْف: رَمْيك حصاة أو نواة تأخذها بين سبابتيك وترمي بها، أو تتخذ مِخْذَفة من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين إبهامك والسبابة» (*النهاية* لابن الأثير، «خذف»).
[7] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣٨.
[8] ن ث: فجميع.
[9] ن: وجميع.
[10] سورة مريم، ١٩/٧٣.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٧٦ظ/سطر ٢–٧.
[12] سورة الأعراف، ٧/٨٢.
[13] سورة الشعراء، ٢٦/١٦٧.
[14] ن – من قريتكم. والآية تقدمت قريبا.
[15] سورة النمل، ٢٧/٥٦.

إنما ذلك فيما بينهم يقول بعضهم لبعض: أخرجوهم. وقوله: **ائْتِنا بعذاب الله**، إنما قالوا ذلك لِلُوط. فإذا كان كذلك فليس في الظاهر فيه[1] خلاف.

والثاني فما كان جواب قومه في مشهد وفي وقت إلا كذا. وقد كان منهم له أجوبة أُخَر سواها في غير ذلك المشهد وغير ذلك[2] الوقت. أو أن يكون قوله: فما كان آخِر جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين بنزول العذاب علينا. إنما قالوا ذلك له استهزاء وتكذيبًا. ثم دعا لوط ربّه فقال: **رب انصرني على القوم المفسدين**، فأجيب.

**﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾**[٣١] **﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾**[٣٢]

وقوله:[3] **ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى**، يحتمل البشرى البِشارة[4] بالولد في كِبَر سنه وسنّ زوجته ما لم يُطمَع من أمثالهما الولدُ إذا بلغوا ذلك الوقت، وهو ما ذكر: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ،[5] ويحتمل غيره. **قالوا إنا مهلكو أهلِ هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين**، وقال في آية أخرى: إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ،[6] ولم يَذكر[7] فيه بِمَ أُرسلوا؟ وبيّن في هذا.

ثم قال إبراهيم: **إن فيها لوطًا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجّينه وأهله إلا امرأته**، ففي الآية الدليل من وجهين. أحدهما يخرج الخطاب على العموم والمراد منه الخصوص، لأن الملائكة قالوا عامًّا: **إنا مهلكو أهل هذه القرية**، ولم يكن الأمر بإهلاك كل أهل[8] القرية، ثم استثنوا لوطًا وأهله بعد ما قال إبراهيم: **إن فيها لوطًا**، حيث قالوا: **نحن أعلم بمن فيها لننجّينّه وأهله**.

---

[1] ن – فيه.
[2] ر م: وفي ذلك.
[3] ن: قوله.
[4] جميع النسخ: بشارة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٨و.
[5] ﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ (سورة هود، ٧١/١١).
[6] ﴿فلما رأى أيديَهم لا تصل إليه نَكِرَهم وأوجس منهم خيفةً قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ (سورة هود، ٧٠/١١).
[7] جميع النسخ: ولم يذكروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٨و.
[8] ن – أهل.

[٥٧٦ظ] والثاني فيه جواز تأخير البيان حيث لم يبيّنوا إلا بعد سؤال إبراهيم / إيّاهم.[١] وفيه وجه آخر في امتحان الملائكة بمختلف[٢] الأشياء لأن هؤلاء أُمروا بالبِشارة وأُمروا بإهلاك قوم لوط ليُعلم أنهم يُمتَحنون بمختلِف الأشياء. *والله أعلم*.*

**﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[٣٣]**

وقوله:[٤] **ولما أن جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم**، ظاهر هذا أنه سيء[٥] بالفعل الواقع[٦] بهم، وإنما[٧] ساء[٨] ظنُّه أنهم يفعلون بهم لما يَعلَم من قومه[٩] الخبيثَ من العمل. **وضاق بهم ذَرْعًا**، هذه كلمة[١٠] تَتَكلّم بها العرب عند انقطاع جميع الحِيَل.[١١] فلوط إنما قال ذلك لِما لم يرَ لنفسه[١٢] حيلة[١٣] يدفع بها شرّهم وما قصدوا بهم. ألا يرى أنه قال في آية أخرى: [قَالَ] لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ.[١٤] **وقالوا لا تخف ولا تحزن إنّا منجوك وأهلك**. هذا يدلّ على أنهم قد قصدوهم ولوطًا بالهلاك. ألا ترى[١٥] أنه قال في آية أخرى: لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ،[١٦] دلّ هذا أنهم قد قصدوه بالهلاك حتى قالوا: **إنا منجوك وأهلك**. وإنهم إنما أرادوا بالإخراج بقولهم: لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ،[١٧] إخراجَ قتل، إذ لو كان إخراجًا من القرية لا بقتل لكان لا يكون له النجاة منهم والأمن. *والله أعلم*.

---

[١] ن - لننجينه وأهله والثاني فيه جواز تأخير البيان حيث لم يبينوا إلا بعد سؤال إبراهيم إياهم، صح هـ.
[٢] م: تختلف.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٩، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٧٦ظ/سطر٢-٧.
[٤] ن: قوله.
[٥] جميع النسخ + بهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٨و.
[٦] جميع النسخ: بالواقع من الفعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: لكن. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ث م: ساءه.
[٩] جميع النسخ: قوم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن: كلمات، صح هـ: كلمة.
[١١] ن: الخيل.
[١٢] ر م: نفسه.
[١٣] ر م - حيلة.
[١٤] سورة هود، ١١/٨٠.
[١٥] ن: يرى.
[١٦] سورة هود، ١١/٨١.
[١٧] جميع النسخ: إنك لمن المخرجين. ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/١٦٧).

وقوله: **إلا امرأتك كانت من الغابرين**، وفي بعض الآيات: إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ.[1] والغُبور فِعلها. ثم أخبر أنه قدّر ذلك، دلّ أن أفعال العباد مخلوقة لله مقدّرة له. ***والله أعلم***.

* قال أبو عَوْسَجَة: قوله: **سِيءَ بهم**، أي اغتمّ من ذلك، يقال: سِيئت بفلان، أُساءُ سَوْءًا فأنا مَسُوء.* [٥٧٧و س٢٢ - ٥٧٧و س٢٢]

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٣٤]

وقوله:[3] **إنا منزلون على أهل هذه القرية رِجْزًا من السماء**، أي عذابًا. والرجز[4] اسم كلّ عذاب فيه شدّة. ألا ترى[5] أنه قال في آية أخرى: هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ،[6] أي شديد. ثم ذكر أنه ينزل من السماء، فإن ثبت ما ذُكر أن جبريل أدخل أحد[7] جناحيه تحت الأرض فرفع بها قَرْيات لوط إلى السماء حتى سمع أهل السماء صِياحهم وضَجّتهم ثم أرسلها، فهو نزول العذاب من السماء.[8] أو[9] أن يكون[10] قوله: حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ،[11] أن السجيل لو كان مكانًا منه ينزل فهو في السماء، على ما يقول بعض الناس أنه مكان. وقال بعضهم: هو اسم ذلك الحجر. ***والله أعلم***.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٣٥]

وقوله: **ولقد تركنا منها آية بيّنة لقوم يعقلون**، آية بيّنة لمن عقل وعرف السبب الذي أهلك قَرْيات لوط، كقوله: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ[12] لماذا أهلكوا،[13] أي تعقلون. هذه الأنباء والقِصص [قد] ذكرها الله[14] تعالى في القرآن الكريم وكرّرها وأعادها مرّة بعد مرّة،

---

[1] سورة الحجر، ١٥/٦٠.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٧٧و/سطر٢٢.

[3] ن: قوله.

[4] ر: والرجس.

[5] ن: يرى.

[6] ﴿ولما جاءت رسلنا لوطا سِيء بهم وضاق بهم ذَرْعًا وقال هذا يوم عَصيب﴾ (سورة هود، ١١/٧٧).

[7] جميع النسخ: إحدى.

[8] *تفسير الطبري*، ١٢/٥١٥-٥١٨، ٥٣٣-٥٣٧؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٦/٢٠٦٧-٢٠٦٨.

[9] ر ث م: و.

[10] ر م - يكون.

[11] انظر: تفسير الآية ٨٢ من سورة هود، ففيه تفسير السجيل وبعض مصادر المسألة (*تأويلات القرآن*، ٧/٢١٥).

[12] سورة الصافات، ٣٧/١٣٧-١٣٨.

[13] ن: يهلكوا.

[14] ر م - الله.

لأن الأنباء والقِصص إنما تُذكر[١] للحِجاج على الكفَرة فتُكرَّر وتُعاد لِيَحتجّ بها عليهم مَن بَعُد منهم ومن قرب، إذ لعلّه لا يصل إليهم جميع القرآن فمقدار ما يصل إليهم يكون فيه ما يحتج عليهم.[٢] وأما الأحكام فإنما هي لأهل الإسلام خاصّة فهم يطلبون ما عليهم من الأحكام فلا يقع الحاجة إلى التكرار والإعادة. ثم الكفرة كانوا[٣] على أصناف ثلاثة. منها أهل العناد والمكابرة، وأهل شكّ وحيرة، وأهل استرشاد. ومن كان همته الاسترشاد يؤمن بها بالبداهة[٤] وفي أوّل ما وقع في مسامعهم فلا يقع الحاجة إلى التكرار والإعادة. وأما أهل العناد والمكابرة فإنها تُكرّر عليهم لعلّها تَنْجَعُ فيهم فيؤمنون بها.[٥] وهذه[٦] الآيات كانت آياتٍ وحُجَجًا للتوحيد والبعث وإثبات الرسالة.[٧] وعلى ذلك جاءت الرسل بالدعاء إلى التوحيد وإلى الإقرار بالبعث والإيمان به وإلى الإيمان بالرسل.

**﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٣٦] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[٣٧]**

فشعيب عليه السلام جمع هذه الخصال الثلاث في قوله: **يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين**، دعاهم إلى التوحيد بقوله: **اعبدوا الله**، وفيه نهي عن عبادة مَن دونه. ودعاهم إلى الإيمان بالبعث بقوله: **وارجوا اليوم الآخر**، أي خافوا عذاب ذلك اليوم. ونهى عن[٨] جميع المعاصي بقوله: **ولا تعثوا في الأرض مفسدين. فكذّبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين**، قد ذكرنا هذا.[٩] وقوله:[١٠] **وإلى مدين أخاهم شعيبًا**، أي أرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبًا. ومدين، قال بعضهم: اسم رجل نسب إليه. وقال بعضهم: اسم موضع، وقد ذكرنا فيما تقدم.

---

[١] ن: يذكر.

[٢] ر ث م – من بعد منهم ومن قرب إذ لعله لا يصل إليهم جميع القرآن فمقدار ما يصل إليهم يكون فيه ما يحتج عليهم.

[٣] ن – كانوا.

[٤] ن ث: بالبديهة.

[٥] ن: ويؤمنون منها.

[٦] ر: فهذه.

[٧] ر ث م: والبعث والرسالة.

[٨] ن – عبادة من دونه ودعاهم إلى الإيمان بالبعث بقوله وارجوا اليوم الآخر أي خافوا عذاب ذلك اليوم ونهى عن.

[٩] انظر: تفسير الآية ٧٨ و ٩١ من سورة الأعراف.

[١٠] ن: قوله.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾[٣٨]

وقوله:[١] **وعادًا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم**، إن الرسل صلوات الله عليهم قد خوّفوا الكفَرة بعذاب ينزل بهم في الآخرة بتكذيبهم إياهم وعنادهم، فلم ينجع ذلك فيهم ولم يرتدعوا عما هم فيه، حتى أوعدوهم بعذاب ينزل بهم في الدنيا فلم ينجع ذلك ولم يمتنعوا عن ذلك، حتى أوعدوهم بنزول ما قد شاهدوه وعاينوا من آثار من قد أهلكهم [الله] بتكذيبهم الرسل وردّهم إجابتهم وهو / ما قال: **وعادًا وثمود**،[٢] أي أهلكنا عادًا وثمود.[٣] **وقد تبيّن لكم من مساكنهم**، أي قد تبيّن لكم [٥٧٧و] من مساكنهم[٤] ما تعرفون أنهم إنما أُهلكوا بالذي أنتم عليه وهو التكذيب والرد بأخبارٍ تصدّقونها وبآثار تشاهدونها، وهو كما قال: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.[٥] ***والله أعلم***.

وقوله:[٦] **وزَيّن لهم الشطانُ أعمالهم فصدّهم عن السبيل**، أي زين لهم الشيطان أعمالهم كما زيّن لكم. **فصدّهم عن السبيل** كما صدّكم. **وكانوا مستبصرين**، اختلف فيه قال بعضهم: أي كانوا يحسبون أنهم على هدى وحق. وقال بعضهم: **كانوا مستبصرين**، أي كانوا عالمين بأن العذاب ينزل بهم بما شاهدوا وعاينوا من آثار مَن تقدّمهم وعلموا[٧] أنهم[٨] إنما أُهلكوا بالذي هم عليه، لكنهم عاندوا. وقال بعضهم: **وكانوا مستبصرين**، أي هالكين في الضلالة. وقال بعضهم: **وكانوا مستبصرين**، أي كانوا بُصَراء علماء في أنفسهم يعرفون الحق من الباطل، ليس كغيرهم من الأمم. ألا يرى أنهم قد طلبوا من رسلهم الحجة والآية على ما يَدْعون إليه حيث قالوا: يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ،[٩] وقال قوم صالح: [مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا] فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ،[١٠] ونحوه. وقال: قتادة: **مستبصرين**، أي مُعجَبين بضلالتهم.[١١]

---

[١] ن: قوله.
[٢] ن ث: وثمودا.
[٣] ن ث: وثمودا.
[٤] ث – أي قد تبين لكم من مساكنهم.
[٥] سورة الصافات، ٣٧/١٣٧-١٣٨.
[٦] ن: قوله.
[٧] جميع النسخ: من تقدم وعلمهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٨ظ.
[٨] جميع النسخ: بأنهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٥و.
[٩] ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾ (سورة هود، ١١/٥٣).
[١٠] سورة الشعراء، ٢٦/ ١٥٤.
[١١] انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٣٩٩.

[٥٧٧و س ٢٢ *وقوله:[١] جَاثِمِينَ،[٢] أي لَزِقوا بالأرض. **وكانوا مستبصرين**، أي قد علموا. والمستبصر العالم.

٥٧٧و س ٢٤] وقوله: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ،[٣] أي صِيح بهم فماتوا.*

**﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾** [٣٩]

وقوله:[٥] **وقارون وفرعون وهامان**، أي أهلكنا قارون وفرعون وهامان بتكذيبهم موسى، فتُهلَكون أنتم يا أهلَ مكّة بتكذيبكم محمدًا. وقوله: **ولقد جاءهم موسى بالبينات**، أي كذّبوه بعد ما جاءهم موسى بالبينات على نبوّته ورسالته كما جاءكم محمد. وقوله: **فاستكبروا في الأرض**، جائز أن يكونوا استكبروا [أي] أبَوا[٦] أن يخضعوا لموسى، أو استكبروا[٧] في الأرض، أي سعوا في الأرض بالفساد تكبّرًا واستكبارًا. **وما كانوا سابقين**، أي فائتين عن[٨] عذاب الله.

**﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** [٤٠]

وقوله: **فكلّا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا**، أي الحجارة، وهم قوم لوط، وقوم هود أُهلكوا بالريح العاصف حيث قال: وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ. مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ.[٩] قال أبو معاذ: الحاصب عند العرب الريح التي فيها الزنانير وهي الصغار[١٠] من الحَصَى. **ومنهم من أخذته الصيحة**، وهم قوم صالح وقوم شعيب وهؤلاء. **ومنهم من خَسَفْنا به الأرض**، قارون وأصحابه. **ومنهم من أغرقنا**، قوم نوح وفرعون.

---

[١] ن: قوله.
[٢] الآية السابقة.
[٣] الآية السابقة.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٤٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٧٧و/سطر٢٢-٢٤.
[٥] ن: قوله.
[٦] جميع النسخ: وأبوا.
[٧] ر م: واستكبروا.
[٨] ن: من.
[٩] سورة الذاريات، ٥١/٤١-٤٢.
[١٠] جميع النسخ: صغار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٨ظ.

يذكر إهلاك هذه الأمم والجبابرة لأهل مكّة ولغيرهم من الكفرة وقد تواترت عليهم بذلك الأخبار وظهرت لهم[1] الأعلام والآثار ليرتدعوا عما هم عليه ولئلّا يعاملوا رسولهم كما عامل أولئك رسلهم فيعذّبون كما عُذِّب أولئك.

وقوله: **وما كان الله ليظلمهم**، في تعذيبه إيّاهم، **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**، حيث كذّبوا الرسل وكابروا آيات الله وحججه وبراهينه وعاندوها. *والله أعلم*.*

**﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**[٤١]

العنكبوت[3] هذه التي تَغْزِل، وهي دُوَيبة كثيرة القوائم، وعناكب جمع.[4] وقوله:[5] **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا**، يشبه أن يكون ضَرْبُ مَثَلِ الذين اتخذوا من دون الله أولياء ببيت العنكبوت، هم الرؤساءُ منهم والمتبوعون، يقول -والله أعلم-: مثل اتخاذكم أولئك أولياء من دون الله وما تأمُلون وتطمعون[6] منهم كمثل بيت العنكبوت لا ينفع ولا يُغني ما يؤمل من البيت من دفع الحرّ والبرد وغيره، فعلى ذلك اتخاذكم واتّباعكم هؤلاء أولياءَ من دون الله مِثل ما ذُكر لا ينفع ولا يغني ولا يدفع عنكم ما ينزل بكم، وهو ما قال: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ،[7] الآية. ظاهر ما ذكر من الأولياء أن يكون المتبوعين منهم. وجائز أن تكون[8] الأصنامَ التي اتخذوها آلهة. ضَرَبَ مثَل عبادتهم الأصنامَ واتخاذِهم إياها آلهة ببيت العنكبوت. وذلك أن العنكبوت اتخذت البيت رجاءَ أن تنتفع[9] به كما يُنتفع[10] من البيوت[11] في دفع الحر والبرد والستر والحجاب.

---

[1] ر ث م - لهم.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٣٣ ورقم ٣٨ فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٧٧و/سطر ٢٢ وورقة ٥٧٧و/سطر ٢٢-٢٤.

[3] جميع النسخ: والعنكبوت.

[4] ن ث: جميع.

[5] ن: قوله.

[6] ر ث م - وتطمعون.

[7] ﴿ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥).

[8] جميع النسخ: أن يكون.

[9] م: ينتفع.

[10] ن: تنتفع.

[11] ر ن ث: بالبيوت.

فلما أن وقعت الحاجة إليه لم تنتفع[1] بما[2] كانت تأمُل[3] منه في شيء مما كانت تأمل. فعلى ذلك هؤلاء الذين اتخذوا الأصنام آلهة ومعبودًا رجاء أن ينفعهم ذلك يومًا. فلما أن وقعت لهم الحاجة لم يجدوا ما كانوا يأملون من عبادتهم إياها واتخاذهم آلهة. بل في بيت العنكبوت للعنكبوت شيء من المنفعة وليس لأولئك العبَدة بتلك الأصنام شيء مما كانوا يأملون، فهي دون بيت العنكبوت في المنفعة. لكنه -والله أعلم- ضَرَب مثلها ببيت العنكبوت لِما لا[4] شيءَ أوهنَ وأضعف عند الخلق من بيتها. وهو كما[5] شبّه أعمال الكفرة برماد اشتدت به الريح،[6] وبسراب بقيعة[7] لِما ليس شيءٌ أضيعُ ولا أبعد في الوجود والقدرةِ عليه في الوهم مما ذَكَر فشبّه أعمالهم به. فعلى ذلك تشبيهُ اتّخاذِ أولئك الأصنامِ آلهةً وأولياءَ من دون الله ببيت[8] العنكبوت. *والله أعلم.*

وقوله: **وإنّ أوْهَن البيوت لَبيت العنكبوت**، أي أضعف وأبعد من المنفعة بيتُ[9] العنكبوت.

[٥٧٧ظ] / فعلى ذلك عبادتهم الأصنام واتخاذهم إياها معبودًا أوْهنُ وأبعد مما يأملون. **لو كانوا يعلمون**، أي إن كانوا يعلمون[10] ضَعْفها وعجزها. ***والله أعلم.***

**﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤٢]**

وقوله: **إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء**، يقول[11] -والله أعلم-: إن الله لم يزَل عالمًا بما يكون منهم من اتخاذهم الأصنام[12] معبودًا وإنه عن علم أنشأهم كذلك،[13]

---

[1] جميع النسخ: لم ينتفع.
[2] جميع النسخ: مما.
[3] جميع النسخ: كان يأمل.
[4] ن - لا.
[5] جميع النسخ: ما.
[6] يشير إلى قوله تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ (سورة إبراهيم، ١٨/١٤).
[7] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظّمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (سورة النور، ٣٩/٢٤).
[8] ث: بيت.
[9] ن: ببيت.
[10] ث: يعملون.
[11] ر ث م - يقول.
[12] ث + آلهة.
[13] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٦و.

لا عن غفلة وسهو، لكن أنشأهم لمنافع أنفسهم ولحاجة لهم لا لحاجة ومنفعة له في إنشائه إياهم،[1] وهو ما قال: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.[2]

وقال هاهنا: **وهو العزيز الحكيم. العزيز**، قيل: إنه المنيع، وقيل: إنه الذي يَذِلّ كلُّ شيء دونه. لكن العزيز عندنا هو الذي لا يعلو[3] سلطانَه شيءٌ ولا يقهَر ملكَه شيء، ويعلو سلطانُه وإرادته على جميع[4] الأشياء ويقهرها. و **الحكيم**، قيل: الذي له الحكم، وقيل: هو المصيب، وقيل: هو الذي يضع كل شيء موضعه. والحكيم عندنا هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير. ***والله أعلم***.

## ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٤٣]

وقوله: **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**، فإن قيل: ذكر أنه لا يعقلها إلا العالمون، والعقل يسبِق العلمَ بالشيء، إذ بالعقل يُعلم ما يُعلَم، فكيف ذَكَر أنه لا يعقل[5] إلا العالمون ولم يقل: وما يعلمها إلا العاقلون؟

فهو -والله أعلم- لوجوه. أحدها أن الأمثال إنما تُضرَب لتقريب ما يَبْعُد عن الأوهام ولكشفِ[6] ما استتر من الأشياء على الأفهام ولِتجلِيَتِها[7] عما خفِيت، فلا يَعقِل[8] الأمثالَ أنها لماذا ضُربت وفيم ضربت[9] إلا العالم.

والثاني أن العقول تعرف أسباب الأشياء ودلائلها. فأما أن تعرف حقائق الأشياء وأنفسها فلا،[10] من نحو المسالك والطرق إلى البلدان تَعرف مسالكها وطرقَها التي بها يوصل إليها، فأما أعيُنَها فلا. وكذا المراقي التي بها يُعلى[11] ويُرتفع، فأما عينَ العلوّ فلا. وأما العلم فإنه به[12] يوصَل إلى معرفة حقائق الأشياء وأنفسها وصورها، لذلك كان ما ذكر.

---

[1] جميع النسخ: إياها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٦و.
[2] سورة العنكبوت، ٦/٢٩.
[3] ر: يعلوا.
[4] ن - جميع.
[5] ث: يعقلها.
[6] م: والكشف.
[7] جميع النسخ: وتجليها.
[8] ن: فلا تعقل.
[9] ر ث م - وفيم ضربت.
[10] ر: فلأن.
[11] ر م: يعلو؛ ن ث: يعلا.
[12] ر م - به.

والثالث أن يكون قوله: **وما يعقِلها**، أي وما ينتفع بما ذَكَر، **إلا العالمون**، وهو كما قال: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ،[1] نفَى عنهم هذه الحواسّ وإنْ كانت لهم أنفُسُ تلك الحواسّ لِما لم يستعملوها[2] فيما جعلت وأُنشئت ولم ينتفعوا بها فنفى عنهم تلك. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **وما يعقلها إلا العالمون**، أي ما ينتفع بما يعقل إلا العالم، فأما من لم ينتفع فلا يعلم.[3] ***والله أعلم.***

**﴿خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٤]**

وقوله: **خلق الله السماوات والأرض بالحق**، يحتمل قوله: **بالحق**،[4] أي لعاقبة[5] وهو البعث، لأنه لم يخلقهما لأنفسهما. وكذلك لم يخلق الدنيا للدنيا ولكن إنما خلقها للآخرة، إذ بالآخرة يصير خلقها حكمة وحقًّا، لأنه[6] لو لم يكن خلقها لعاقبة كان خلقها عبثًا باطلاً وهو ما قال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا،[7] لا [يوجد] كافر يظنّ أنه خلقهما باطلاً، ولكن لَمّا تركوا الإيمان بالبعث وأنكروا البعث كأنهم ظنوا أنه خلقهما باطلاً، إذ لولا البعث كان خلقهما باطلاً عبثًا فإنما[8] صار خلقهما حقًّا وحكمة بالبعث، فإذا أنكروا ما به صار خلقه إياهما حكمة وحقًّا فقد ظنوا الباطل بخلقهما. فنسأل[9] الله التوفيق والصواب.

ويحتمل قوله: [**بالحق**]، أي[10] خلقهما لتدلّا إلى الحق، لأنهما تدلّان على[11] وحدانيّة الله وربوبيّته وتعاليه عن الأشباه والشركاء وجميع الآفات. أو أن يكون، **بالحق**، [أي بالحق][12] الذي لله[13] عليهم أو بالحق الذي لبعضهم على بعض. ***والله أعلم.***

---

[1] سورة البقرة، ٢/١٨، ١٧١.
[2] ن: لم تستعملوها.
[3] جميع النسخ: فلا يعقل.
[4] ث – يحتمل قوله بالحق.
[5] م: العاقبة.
[6] ث: لأنها.
[7] سورة ص، ٣٨/٢٧.
[8] ن: فإنهما.
[9] ر ن م: فيسأل.
[10] جميع النسخ: إن. والتصحيح والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٩و.
[11] ن ث: إلى.
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٩و.
[13] ث – لله.

**إن في ذلك لآية للمؤمنين**، تصير[1] آية لمن أقرّ بها وآمن، إذ هو المنتفع بها.[2] فأما من أنكر وجحد وكذبها فهو آية عليه لا له. *والله أعلم*.

﴿**أُتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾[٤٥]

وقوله: **أُتلُ ما أوحي إليك من الكتاب وأَقم الصلاة**، جائز أن يكون قوله: **أُتلُ ما أوحي إليك من الكتاب وأقِم** به **الصلاة**، أي بالكتاب الذي أوحي إليك. ويحتمل: **أُتلُ ما أوحي إليك من الكتاب** عليهم **وأقِم** بهم **الصلاة**. فالخطاب وإن كان لرسول الله فهو لكلّ أحد على ما ذكرنا في سائر المخاطبات. *والله أعلم*.

وقوله:[3] **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على الامتنان. والثاني على الإلزام. فأما وجه الامتنان هو أنْ جعل لكم الصلاة لتمنعكم[4] عن الفحشاء والمنكر ما لو لم[5] يجعلها [كذلك] لكم لا شيء يمنعكم عن الفحشاء والمنكر، فيمُنُّ عليهم بجعل الصلاة لهم لِما تمنعهم[6] عما ذَكَر. وأما وجه الإلزام فإنه يخرج على وجهين. أحدهما أن الصلاة لو كان موهومًا منها النطق والنهي لكانت تنهى عن الفحشاء والمنكر، على ما أضاف التغرير والتزيين إلى الحياة الدنيا.[7] أي لو كان هذا الذي كان من الدنيا، كان ممن[8] له التغرير [ويتحقق منه][9] كان ذلك تغريرًا. فعلى ذلك الصلاة لو كان منها حقيقة الأمر والنهي لكانت تنهى عن الفحشاء والمنكر.

والثاني أضيف النهي إلى الصلاة لِما بها يعرف ذلك، فقد تضاف[10] الأشياء إلى الأسباب وإن لم يكن منها حقيقةُ ما أضيف إليها، نحو ما يضاف الأمر والنهي إلى الكتاب والسنة ونحوه[11] يقال:

---

[1] جميع النسخ: صير. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٦ظ.
[2] ر: بهما.
[3] ن: قوله.
[4] جميع النسخ: فتمنعكم.
[5] ر م – لم.
[6] جميع النسخ: يمنعهم.
[7] مثلَ قوله تعالى: ﴿وذَرِ الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا﴾ (سورة الأنعام، ٧٠/٦)؛ ومثلَ قوله: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ (سورة الحديد، ٢٠/٥٧).
[8] جميع النسخ: من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٩و.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٧٩و.
[10] جميع النسخ: يضاف.
[11] ن ه: ونحوهما.

أمرَنا الكتاب بكذا والسنة[1] بكذا[2] ونهانا عن كذا وإن لم يكن منها أمرٌ حقيقةً ولا نهي لِما بهما يُعرف الأمر والنهي وهما سببا ذلك، فعلى ذلك جائز إضافة النهي إلى الصلاة أن يكون على هذا السبيل.

[٥٧٨و] وقوله: **ولذكر الله أكبر**، اختلف فيه. قال بعضهم: ذِكر الله أكبر في العبادات / من أنفُس تلك العبادات. ووجه هذا -والله أعلم- أن العبادات إنما تكون[3] بجوارح تُغلب وتُقهر وتُستعمل[4] فلا يعرف [المرء][5] أنها[6] لله إلا بتأويل. وأما ذكر الله إنما يكون باللسان والقلب، وهما لا يُغلبان ولا يُستعملان ولا يُقهران فهو يَعرف أن ذلك لله حقيقةً فهو أكبر. وقال بعضهم: **ولذكر الله أكبر**، من سائر الأذكار التي ليست لله. فهذا ليس فيه كبيرُ حكمة، لأن ذلك يعرفه كل أحد. وقال بعضهم: ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة. وقال بعضهم: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، لأن ذكره إياكم رحمة ومغفرة، وذلك مما لا يعدِله ولا يوازيه شيء، وأما العبد فإنه يذكر ربه بأدنى شيء. وقال بعضهم: ذكر الله أكبر، أي ما وفّق الله[7] العبد من ذكره إياه وطاعتِه له أكبرُ من نفس ذلك الذكر ونفس تلك العبادة.

وذكر في حرف ابن مسعود وأُبيّ وحفصة: إن الصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر.[8] وعن الحسن يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من لم تَنهَهُ صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يَزدَد بها[9] من الله[10] إلا بُعدًا ولم يزدد بها عند الله إلا مقتًا».[11] وعن سلمان الفارسي قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما[12] قال: لهذا وجهان.

[1] ر م: أو السنة.
[2] ن - والسنة بكذا.
[3] ث: يكون.
[4] جميع النسخ: ويستعمل.
[5] جميع النسخ + تلك.
[6] ر: أنهما.
[7] ن - الله.
[8] انظر لحرف ابن مسعود: *كتاب المصاحف* لابن أبي داود، ٧٢.
[9] م - بها.
[10] ر: عند الله.
[11] رواه القضاعي في *مسند الشهاب* (٣٠٥/١): عن يونس عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تَزِده من الله إلا بعدا». ورواه الطبراني في *المعجم الكبير* ٥٤/١١.
[12] ر م: عنه.

أحدهما يقول: ذكر الله أكبر مما سواه من أعمال البِرّ. والآخر يقول: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه.[١] والضحاك يقول: العبد يذكر الله عندما أحلّ له وحرم عليه فيأخذ بما أحلّ له[٢] ويجتنب ما حرم عليه. وقتادة يقول: لا شيء أكبر من ذكر الله.[٣] وأصله ما ذكرنا[٤] من الوجوه التي تقدم ذكرها.[٥]

وقوله: **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**، قال بعضهم: تنهى وتمنع مادام فيها [المصلّي] لا يعمل بالفحشاء والمنكر. والثاني إن الصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر، أي لو كانت لها النطق والأمر والنهي لكانت تنهى عما ذُكر. والوجه فيه ما ذكرنا بدءًا. ***والله أعلم***.

وقوله: **والله يعلم ما تصنعون**، وعيد ليكونوا أبدًا على حذر ويَقَظة.

**﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[٤٦]

وقوله: **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم**، الآية، تخرج على وجوه ثلاثة. أحدها ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فلا تجادلوهم لا[٦] بالتي هي أحسن ولا غيره، وهم الذين لا يقبلون الحجة ولا يؤمنون إذا لزمتهم الحجة وهم أهل عناد ومكابرة، والأولون يقبلون الحجة ويؤمنون بها.

والثاني **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**، فقوله: **إلا الذين ظلموا منهم**، ليس على الثنيا من الأول ولكن على الابتداء، كأنه قال: **إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا**، إلى آخر ما ذكر، أي قولوا لهم هذا ولا تجادلوهم، فإنكم وإن جادلتم إياهم فلا يؤمنون، وهو كقوله: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي.[٧] قوله: إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ، ليس على الثنيا من الأول ولكن [على] ابتداءِ نَهي، أي لا تخشوهم واخشوني. فعلى ذلك يحتمل الأول مثله.

---

[١] حول آراء سلمان الفارسي وابن عباس رضي الله عنهما، انظر: *تفسير ابن كثير*، ٥١٦/١٠.
[٢] ر م - له.
[٣] حول آراء الضحاك وقتادة، انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٦٩/١٦-٣٧٠.
[٤] ث: ذكر.
[٥] ن ث: ذكره.
[٦] جميع النسخ: إلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٧٦ظ.
[٧] سورة البقرة، ١٥٠/٢.

والثالث جائز أن يكون قوله: **وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم**، إلى آخر ما ذكر هي المجادلة الحسنةَ التي أُمروا بها، لأن ذلك مما يقبلها العقل والطبع وبها جاءت الكتب والرسل فلا سبيل إلى ردّ ذلك. وقال بعضهم: **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**، أي جادلوا الذين يصدّقون منهم ولا يكتُمون[1] نعتَ محمد وما في كتبهم من الحق. فأما الذين تعلمون[2] أنهم يكتمون ولا يصدقون فلا تجادلوهم، وهو كقوله: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.[3] والأول، كقوله تعالى:[4] تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ،[5] الآية. والمجادلة الحسنة هي التي جاء بها الكتاب ويُوجبها العقل.

ثم فيه دلالة جواز المناظرة والمجادلة مع الكفرة في الدين، وكذلك في قوله تعالى:[6] وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[7] ليس كما يقول بعض الناس أَنْ لا تجوزُ[8] المناظرة معهم، وذلك لجهلهم بحجج الإسلام وبراهينه: ما يَنْهَوْن عن المجادلة[9] والمناظرة معهم.[10] وقال بعضهم: من لا عهْدَ معهم فجادلهم بالسيوف، ومن كان معه عهد وكتاب فجادلهم بالحجج. وقال بعضهم: هو منسوخ بقوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ،[11] الآية. ومنهم من يقول: من أدّى إليكم الجزية فلا تُغلِظوا له القول وقولوا لهم قولاً حسنًا، ومن لم يؤدِ فأَغلِظوا لهم وجادلوهم[12] بالسيف. *والله أعلم*.

---

[1] ن: ولا تكتمون.

[2] ن: يعلمون.

[3] ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (سورة النحل، ١٦/٤٣).

[4] ن ث – تعالى.

[5] ﴿قل يا أهل الكتاب تَعَالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألَّا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/٦٤).

[6] ن – تعالى.

[7] ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (سورة النحل، ١٦/١٢٥).

[8] جميع النسخ: لا يجوز.

[9] ن: المجادله.

[10] «وفيه دلالة وجوب تعلم علم الكلام الذي به يتحقق المجادلة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٧٩ظ).

[11] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يَدِينُون دينَ الحق من الذين أُوتوا الكتابَ حتى يُعطُوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٢٩).

[12] جميع النسخ: وجادلهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٨و.

**﴿وَكَذٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هٰؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾**[٤٧]

وقوله: **وكذلك أنزلنا إليك الكتاب**، أي كما أخبرناك في الكتاب فقلْ لهم أو جادلهم.[١] وقوله: **فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به**، يخرج على وجهين. أحدهما الذين آتيناهم الكتاب، فيتلونه حق تلاوته فهم يؤمنون به، على ما ذُكر في آية أخرى: اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ،[٢] فتكون[٣] هذه الآية تفسيرًا للأولى. وأما من لم يَتلُوه[٤] حقَ / تلاوته فلا يؤمنوا[٥] به. [٥٧٨ظ] والثاني **فالذين آتيناهم الكتاب** وانتفعوا به، أي يؤمنون [هم] الذين أوتوا منافعَ الكتاب. **ومن هؤلاء من يؤمن به**، يحتمل قوله: **ومن هؤلاء**،[٦] أي من أهل مكّة من يؤمن به، وقد آمن كثير منهم. وجائز أن يكون إشارة إلى قوم كانوا بحضرته فقال: **ومن هؤلاء من يؤمن به**. *والله أعلم*.

**وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون**. قال:[٧] قتادة: لا يكون الجحود إلا بعد معرفة.[٨] وإن[٩] اليهود والنصارى عرفوه كما عرفوا أبناءهم[١٠] لكنهم جحدوه. وكلُّ مَن أنكر شيئًا فقد جحده، عرفه أو لم يعرفه.

**﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾**[٤٨]

وقوله: **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تَخُطُّهُ بيمينك**، تأويله –والله أعلم– أي ما كنت تتلو من قبله، أي من قبل هذا الكتاب من كتاب. ولو كنت تتلو لارتاب المبطلون فيقولون: إن ما[١١] أنبأتهم من الأنباء المتقدّمة أو كلامِ الحكمة إنما تَلقَّفتَ وأخذتَ من تلك الكتبِ المتقدّمة

---

[١] ث: وجادلهم.
[٢] سورة البقرة، ١٢١/٢.
[٣] جميع النسخ: فيكون.
[٤] جميع النسخ: لم يتلو. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٨و.
[٥] ر ن م: ولا يؤمنوا؛ ث: لا يؤمنون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ن + من يؤمن به يحتمل قوله ومن هؤلاء.
[٧] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] انظر: *تفسير الطبري*، ٤٢٤/١٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٣٨/١١.
[٩] ر ث م: إن.
[١٠] يشير إلى قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٤٦/٢).
[١١] م: من.

أو من[1] كتب الحكماء. ولو كنت تَخُطّه بيمينك يقولون: إن ذلك من تأليفك ورَصفك.[2] لأن القرآن حجة عليهم من وجهين. أحدهما ما ذُكِر فيه من الأنباء المتقدمة المُتَرجَمَةِ بغير لسان المتقدّم ما علموا بأجمعهم أن رسول الله صلوات الله عليه كان لا يعرفها بمترجِمٍ[3] ولا شهدها هو، ثم أنبأهم على ما كان، فعلموا أنه بالله عرفها.

والثاني هو آية معجزة نظمًا ورَصْفا[4] ما يعلمون أنه ليس من نظم البشر ولا رَصفه.[5] فيقول: ما كنت تتلو من قبله كتابًا فيه تلك الأنباء والحكمة ولا تَخُطّه بيمينك فيقولون: من تأليفك أو من نظمك. فلو كنت كذلك إذًا لارتاب المبطلون بما ذكرنا على عناد منهم ومكابرة ولا يرتاب المُحِقُّون. ولو كان[6] كما ذكرنا[7] لَمَا عرفوا صدقه بأشياء وبآيات كانت فيه.

وقال بعضهم في قوله: **وما كنت تتلو من قبله من كتاب**، يقول: قبل القرآن. **ولا تخطّه بيمينك**، أي لا تَكْتُبُه بيدك، ولو كنت تقرأ كتابًا من قبله أو كنت تكتب بيدك، **إذًا لارتاب المبطلون**، يقول: لَاتَّهموك. هذا قد ذكرناه. ولكن نقول في قوله: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ،[8] يقول: بل هو اليقين أنك لا تقرأ ولا تكتب عند الذين أوتوا العلم وهم مؤمنو[9] أهل الكتاب من نحو عبد الله بن سلام وأصحابه.

**﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[٤٩]**

وقوله: **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**، يحتمل القرآنَ، إذ فيه آيات وحدانية الله وحججه وآيات البعث وحججه.[10] ويحتمل قوله: **بل هو آيات بينات**، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، [إذ] كان من أوّل ما نشأ[11] إلى آخر أمره آيةً لِما ذُكر من النور في وجه أبيه ما دام في صُلبه،

---

[1] ر م – من.
[2] ر: ووصفك. الرَّصْف: ضمّ الشيء بعضه إلى بعض ونَظْمه (*لسان العرب*، «رصف»).
[3] ن: بمترجمة.
[4] ر: ووصفا.
[5] ر: ولا وصفه.
[6] جميع النسخ: وإن كان.
[7] جميع النسخ: كما ذكر. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٨٠و.
[8] من الآية التالية.
[9] جميع النسخ: مؤمنوا.
[10] جميع النسخ + أو آيات. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ١٩٨ظ.
[11] ر: ما أنشأ.

ثم في وجه أمه إذ وقع في رحمها، ثم مِن ضياء الليلة التي وُلِد فيها، ثم من ظِلّ السحاب الذي أظلّه وقتَ ما خرج من وطنه، وأمثالُ ذلك كثير ما لا يُقدَر إحصاؤه. *والله أعلم*. فذلك كلّه يدلّ على رسالته ونبوته لا يرتاب فيه إلا المبطل المعاند المكابر. وقوله: **في صدور الذين أوتوا العلم**، جائز أن يكون قوله: **في صدور الذين أوتوا العلم**، أي أوتوا منافعَ العلم، أي هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا منافع العلم، فأما من لم يؤتَ منافعَ العلم فلا.

وقوله: **وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون**، يحتمل الظالم ظالم الآيات لما لم يضَعْها[1] في موضعها. ويحتمل **الظالمون**، الكافرون.[2]

**﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾** [٥٠]

وقوله: **وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه**، وفي بعض القراءات: آية من ربه، على الوُحدان.[3] فكأنهم سألوه مرة آية، كقوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً.[4] وإنما يُنزل إذا شاء بعد السؤال؛ ومرة سألوه آيات، كقوله:[5] لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا،[6] وكقوله:[7] أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا،[8] الآية، ونحوها من الآيات التي سألوها. فمرة سألوه آيات ومرة سألوه آية. فقول من قال [و]اختار قراءة "آية"[9] على قراءة "آيات"[10] محال إذ[11] ثبت أنها[12] [أيضًا] قراءة. فأخبر عز وجل على ما كان[13] منهم. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: لم يضعوها.
[2] ن: الكافرين.
[3] انظر: *حجة القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٥٥٢.
[4] ﴿إن نشأ نُنَزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٤).
[5] ن ث م: كقولهم.
[6] سورة الفرقان، ٢٥/٧-٨.
[7] جميع النسخ: كقولهم. والتصحيح من نسخة عاطف أفندي ٧٧، ورقة ١٠١و.
[8] سورة الإسراء، ١٧/٩١.
[9] جميع النسخ: آيات.
[10] جميع النسخ: آية.
[11] جميع النسخ: إذا.
[12] جميع النسخ: أنه. أي قراءة "آية".
[13] ن: قال.

وقوله: **قل إنما الآيات عند الله**، أي من عنده تجيء[1] الآيات. فكأنهم إنما سألوه آيات قاهرة تقهرهم وتضطرهم[2] على القبول والإقبال إليه، لا[3] الآياتِ[4] [التي] يكون فيها وجه[5] الاختيار، لكن [هو] سؤالُ عناد ومكابرة لا سؤال استرشاد واستهداء.[6] [غير][7] أن الله قد عفا عن هذه الأمّة عن إنزال ما به هلاكهم على إثر سؤال العناد والمكابرة وإن كان في غيرها من الأمم السالفة ينزل عليهم الهلاك والعذاب على إثر سؤال العناد والمكابرة.[8] *والله أعلم.*

وقوله: **وإنما أنا نذير مبين**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما وإنما أنا نذير من الله مبينٌ، إن الله أمرني بذلك وأرسلني إليكم. والثاني **إنما أنا نذير مبين**، أي ليس عليّ إلا الإنذار لكم، أبيّن النذارة، فأما[9] غير ذلك فليس عليّ، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[10] الآية ونحوه.[11]

**﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**[٥١]

وقوله: **أولم يَكفِهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلَى عليهم**، هذا يدلّ أنهم إنما سألوه سؤال عناد واستهزاء لا سؤال استرشاد حيث / قال: إن فيما أنزل عليهم من الكتاب كفايةً لمن كانت [٥٧٩و] همّته الاسترشاد والإنصافَ، فأما من كانت همته العنادَ والمكابرة فلا. **إن في ذلك لرحمة**، أي فيما أُنزل من الكتاب عليك، **لرحمةً**، أي رشدًا، **وذكرى**، [أي] عِظة لقوم يؤمنون.

---

[1] ر ث م: يجيء.
[2] جميع النسخ: يقهرهم ويضطرهم.
[3] ر ث م - لا.
[4] ن: آيات.
[5] ر م: في وجه؛ ن ث: في ذلك وجه.
[6] جميع النسخ + فقال.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٠و.
[8] ر م - والمكابرة؛ ن - وإن كان في غيرها من الأمم السالفة ينزل عليهم الهلاك والعذاب على إثر سؤال العناد والمكابرة.
[9] ن: وأما.
[10] سورة الأنعام، ٥٢/٦.
[11] انظر مثلا: سورة النور، ٥٤/٢٤.

**﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[٥٢]

وقوله: **قل كفى بِاللهِ بيني وبينكم شهيدًا**، هذا يقال لوجهين. أحدهما عند الإياس من قبول الحجج والآيات،[١] يقول: **كفى بالله [بيني وبينكم] شهيدًا**، أي حاكمًا بيني وبينكم أيّنا على الحق وأيّنا على الضلال: نحن أو أنتم؟ والثاني **كفى بالله [بيني وبينكم] شهيدًا**، عالمًا في تبليغ ما أُمرت بتبليغه[٢] إليكم وإتيان ما أتيتُكم به من الآيات والحجج. **يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون.**

**﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾**[٥٣]

وقوله: **ويستعجلونك بالعذاب**، كان استعجالهم بالعذاب[٣] وسؤالهم الآيات على عِلم منهم أنه لا ينزل ولا يأتيهم يخرج مخرج الاستهزاء بالرسل والتمويه والتلبيس على الأتباع والضعفاء، لأنهم يعلمون أن الله لا يعذّب ولا يهلك هذه الأمة إهلاك استئصال وانتقام كما أهلك الأمم المتقدمة بالعناد والاستهزاء بالرسل، إذ قد أمهلهم إلى وقت. فإذ[٤] علموا ذلك من الإمهال والتأخير سألوا الرسول العذاب الذي أوْعدهم والآياتِ القاهرةَ، ووَعدوا الإيمان لو جاءهم بها[٥] وأقسموا على ذلك، بقوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ،[٦] الآية، تمويهًا وتلبيسًا على أتباعهم وضعفائهم، يُرُونهم أنهم على حق في الإيمان فيما يدعوهم الرسول وأنه لو أتى بآية[٧] وحجة يؤمنون به ويتبعونه، وهم فيما يسألون من الآيات والعذاب عالمون أنهم معاندون كذَبة متمرّدون مُلبِسون[٨] مُمَوّهون على الأتباع والسَّفَلَة لما ذكرنا. ***والله أعلم.***

---

[١] ر - والآيات.
[٢] ر ن ث: تبليغه؛ م: تبليغا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٠ظ.
[٣] ر م - بالعذاب؛ ن ث: العذاب.
[٤] ر م: فإن.
[٥] ر م - بها.
[٦] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليَكُونُنَّ أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).
[٧] ر: بايلتة.
[٨] ر: ملتبسون.

وقوله: **ولولا أجل مسمًّى لجاءهم العذاب وليأتينَّهم بغتة**، الآية. فإن قال لنا ملحد:[1] إنه حيث أخر عنهم العذاب وأمهلهم [هل] علم منهم أنهم يستعجلون ذلك[2] أو لم يعلم ذلك؟ فإن قلتم:[3] على غير علْم منهم فقد أثبتم[4] الجهل له. وإن قلتم:[5] على علْم منه ذلك فكيف أمهل ذلك وقد علِم ما يكون منهم؟

قيل: إمهاله العذابَ عنهم وضربُ الأجل رحمةٌ منه لهم وفضل؛ كأنه قال: ولولا رحمته التي جعل لهم على نفسه لجاءهم العذاب كما جاء الأمم الخالية عند سؤالهم الرسل العذاب والآيات بالعناد والاستهزاء، وهو كقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،[6] حيث لم يستأصلهم كما استأصل أولئك.[7]

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٥٤]

وقوله: **يستعجلونك بالعذاب وإن جهنّم لمحيطة بالكافرين**، يحتمل قوله: **وإن جهنم**، أي عذاب جهنم محيط[8] يومئذ بالكافرين، أو النار محيطة بالكافرين. وجائز أن يكون،[9] **يستعجلونك بالعذاب**، وإن أعمال أهل جهنّم وأسبابها التي توجِب[10] لهم جهنّم محيطة بهم، كقوله: فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ،[11] أي ما أصبرهم على الأعمال والأسباب التي توجب لهم النار، وإلا لا أحدَ يصبر على النار. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **وإن جهنّم لمحيطة بالكافرين**، أي أسباب جهنم وأعمالهم التي توجِب لهم جهنمَ والنارَ محيطة بهم. *والله أعلم.*

---

[1] ن: ملحدي.

[2] ر م – ذلك.

[3] جميع النسخ: فإن قلت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٠ظ.

[4] ر ن ث: أثبتت؛ م: أثبت. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] جميع النسخ: وإن قلت. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.

[7] ر م: إليك؛ ن + والله أعلم.

[8] ن: محيطة.

[9] جميع النسخ: + أي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠١و.

[10] ن ث: يوجب.

[11] ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرَهم على النار﴾ (سورة البقرة، ١٧٥/٢).

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥٥]

وقوله: **يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم**،[١] كقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[٢] ظاهر.

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[٥٦]

وقوله: **يا عباديَ الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإيايَ فاعبدونِ**، في الآية بِشارة ونِذارة. أما البِشارة فقوله: **إن أرضي واسعة**، وعَد لهم السعة في المكان المنتقَل إليه والمتحوَّل إليه[٣] كما كان لهم في مُقامهم. والنذارة والتحذير هو[٤] قوله: **إن أرضي واسعة**، فلا تقيموا في أرضكم.

ثم الأمر بالخروج والهجرة عن أرضهم إلى [أرض] أخرى يخرج على وجهين. أحدهما لما لا يقدرون على إظهار دين الله خوفًا على أنفسهم من أولئك الكفرة، فأُمِروا بالخروج والهجرة عنها إلى أرض يقدرون على إظهاره والقيام به.

والثاني إن كانوا يقدرون على إظهار دينهم لكنهم لا يقدرون القيام على تغيير المناكير عليهم والأمر بالمعروف، فأُمروا بالخروج منها إلى أرض ليس بها مناكير -أو إنْ كانت بها فيقدرون على تغييرها والأمرِ بالمعروف فيها- ففي مثل[٥] هذا جائز أن يُؤمَر الناس بالتحوّل من أرض إلى أخرى إذا لم يقدروا على تغيير المنكر ودفعه. وليسوا كالرسل، لأن سائر الناس إذا كثُر سماعهم المنكرَ يخِفُّ ذلك على قلوبهم وتميل إليه القلوب وتسكن وتطمئن. فيؤمرون بالخروج عنها والتحول إلى أخرى لئلا تميل[٦] ولا تسكن[٧] إليه قلوبهم. وأما الرسل وإن كثُر سماعهم المنكر فإن قلوبهم لا تميل ولا تَلين[٨] ولا تسكن إليه أبدًا، بل يزداد لهم شدّةً وصلابة في ذلك وبُعدًا عن قلوبهم.

---

[١] «هذا إخبار عن شدة عذاب جهنم على أهل العذاب وما يلحقهم من التعيير، وهو كقوله تعالى: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨٠ظ).

[٢] سورة الزمر، ١٦/٣٩.

[٣] ر م: لهم؛ ن ث - إليه. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] ن: هم. ث: ثم.

[٥] ر م: فبمثل؛ ن: فمثل؛ ث: فيمثل. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ر ث م: يميل.

[٧] ث: يسكن.

[٨] ث - ولا تلين.

لذلك اختلف أمر الرسل وغيرهم.[١] أو أن يكون الرسل[٢] لا يؤمرون بالخروج ولا يؤذَن لهم لِما هم إنما بُعثوا إلى أهل الكفر والمنكر ليدعوهم إلى دين الله، فلا يحتمل أن يؤذن لهم بالخروج |٥٧٩ظ| والهجرة إلى أخرى وهم إليهم / بُعثوا ليدعوهم إلى دين الله.

فقوله: **إن أرضي واسعة**، هو ما ذكرنا: أُمروا بالهجرة ليَسلم لهم دينهم ولا يَمنعَهم عن ذلك خوفُ ضيقِ العَيش في غيره، لما يعتزلون عن أموالهم وحِرَفهم وأهل قرابتهم ومعونتهم، لِما وَعد لهم جلّ وعلا التوسيع عليهم لو خرجوا وهربوا إشفاقًا على دينهم. وكذلك روي عن الحسن عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض أخرى وإن كانت شبرًا وجبت له الجنة[٣] ويُبعث مع أبيه إبراهيم ونبيّه محمد» أو نحوه من الكلام.[٤] وعلى مثل ذلك جاءت الآثار من السلف في تأويل الآية: «إذا دُعيتم إلى المعاصي فاهرَبوا في الأرض فإن أرض الله واسعة».[٥] وقال بعضهم [في تأويل الآية]: إذا عُمل بالمعاصي في أرض فاهربوا إلى أخرى فإن أرضي واسعة، وهو ما ذكرنا[٦] أنهم[٧] أمروا بالخروج[٨] والهجرة[٩] ليسلم لهم دينهم، ووَعَد لهم السعة والحسنة في الدنيا، وفي الآخرة أعظم منها وهو[١٠] ما قال: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.[١١]

---

[١] م: وغير.
[٢] ر ث م – الرسل.
[٣] م – الجنة.
[٤] ورد في *تفسير القرطبي* (٣٨٢/١٦): روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض ولو قَيْدَ شِبرٍ استوجب الجنةَ وكان رفيق محمد وإبراهيم عليهما السلام». وورد في *الدر المنثور* للسيوطي (٢٨١/١٤): أخرج ابن مردويه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فر بدينه من أرض إلى أرض مخافة الفتنة على نفسه ودينه كتب عند الله صديقا، فإذا مات قبضه الله شهيدا» وتلا هذه الآية: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ [سورة الحديد، ١٩/٥٦]، ثم قال: «والفازون بدينهم من أرض إلى أرض يوم القيامة مع عيسى ابن مريم في درجته في الجنة».
[٥] انظر: *تفسير ابن كثير*، ١١٧/١٢.
[٦] ر ث م: ما ذكروا.
[٧] جميع النسخ – أنهم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠١ظ.
[٨] ر ث م – بالخروج.
[٩] ر ث م: بالهجرة.
[١٠] ر: وهي.
[١١] سورة النحل، ٤١/١٦.

وقال في هذه الآية: **إن أرضي واسعة فإيايَ فاعبدون**، أي إن أرضي واسعة فإن مُنِعتم[١] عن عبادتي في أرض فاخْرجوا منها[٢] إلى أخرى فاعبدوني ولا تعبدوا غيري، فإن أرضي واسعة فلا عذر لكم بالْمُقام في أرض تُمنعون عن عبادتي وإظهار ديني؛ إلا المستضعفين الذين استثناهم في آية أخرى حيث قال: إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا،[٣] عَذَرَهُم[٤] بما فيهم[٥] من الضعف لترك الخروج والْمُقام بين أظهرهم[٦] وكتمان الإيمان والعبادةِ له سرًّا وإن لم يقدروا على إظهاره. فأما من كانت له حيلة الخروج فلم يَعذِره.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٥٧]

وقوله: **كل نفس ذائقة الموت**، ذكر هذا -والله أعلم- على إثر ما ذكر لئلا يمنعهم عن الخروج والهجرة خوفُ ضيقِ العيش. يقول -والله أعلم-: إن[٧] كل نفس تذوق[٨] الموت إذا استوفتْ رزقَها لا مَحالةَ ولا تذوق[٩] قبل استيفائها رزقها، فلا يَمنعكم خوفُ ضيق العيش فإنها تذوق ذلك لا محالة خرجت أو لم تخرج إذا استوفت رزقها. وهو ما قال: قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ،[١٠] أي لو كان المكتوب عليه القتلُ يَبْرُز لا محالة حتى يُقتَلَ، فعلى ذلك المكتوب عليه الموت يذوق لا محالة، خرج[١١] أو أقام. ***والله أعلم.***
**ثم إلينا تُرْجَعون**، ظاهر.[١٢]

---

[١] ر م: فإن منعتهم؛ ن: وإن منعتم.
[٢] ن – منها.
[٣] سورة النساء، ٤/٩٨.
[٤] جميع النسخ: عذرلهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٠ظ. وعذرهم: أي قبل معذرتهم ورفع عنهم اللوم.
[٥] ن: منهم.
[٦] جميع النسخ: من أظهرهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٢و.
[٧] ر م – إن.
[٨] ن: يذوق.
[٩] ن: ولا يذوق.
[١٠] سورة آل عمران، ٣/١٥٤.
[١١] ر م – خرج.
[١٢] ر ث م – ظاهر.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[٥٨]

وقوله: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لَنُبَوِّئَنَّهم**، بالباء والثاء[١] قد قرئ.[٢] **لَنُبَوِّئَنَّهُمْ**،[٣] أي لَنُهيِّئَنَّ لهم[٤] من الجنة غُرَفًا. يقال: بوّأها: أنزل وهيأ. ولَنُثَوِّيَنَّهم من الثواء وهو الإقامة. وقال القُتَبِي: هو من ثَوَّيت بالمكان[٥] إذا أقمت به.[٦] وبالباء: لنُبَوِّئَنَّهم، أي لنُنزلنّهم.[٧] وقال: أبو عَوْسَجَة: **لَنُبَوِّئَنَّهم**،[٨] أي لنُنزلنهم منها منزلا يقيمون فيه. والثواء الإقامة. وقال: أبو معاذ: بوَّأها هيّأها، والمثوى المنزل، والثاوي الضيف.[٩] **خالدين فيها نعم أجر العاملين**، أي ثوابهم وجزاؤهم.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٥٩]

وقوله: **الذين صبروا وعلى ربّهم يتوكلون**،[١٠] يحتمل قوله: **الذين صبروا**، أي خرجوا وهاجروا وصبروا على الهجرة، وعلى ربّهم توكّلوا في الخروج والرزق، أو الذين[١١] صبروا على الطاعات وأداء الفرائض. أو أن يكون الصبر كناية وعبارة عن الإيمان، أي الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وبه يثِقون[١٢] ويفوِّضون، كقوله: إنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ،[١٣] أي لكل مؤمن.

---

[١] ن + جميعا.

[٢] انظر: حجة *القراءات* لابن زَنْجَلَة، ٥٤٤.

[٣] ر ث م - بالباء والثاء قد قرئ لنبوئنهم.

[٤] جميع النسخ: لنهيئنهم.

[٥] جميع النسخ: بالمقام. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٢و.

[٦] ر ث م: له.

[٧] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٣٨.

[٨] ر ث م - لنبوئنهم.

[٩] ر م: المضيف.

[١٠] ث + يحتمل قوله الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون.

[١١] ر م: والذين.

[١٢] جميع النسخ: به ويثقون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٢و.

[١٣] ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ (سورة لقمان، ٣١/٣١).

ومحمد بن إسحاق[1] يقول:[2] أنزلت الآية بمكة في ضعفاء مسلمي مكة، يقول: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان بها فإن أرض المدينة واسعة. ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾،[3] بها علانية. ثم خوّف بالموت فيها حذرًا[4] فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[5] في الآخرة. ثم نعتهم فقال: **الذين صبروا**، على الهجرة وبالله يثقون في هجرتهم. وذلك أن أحدهم كان[6] يقول بمكة: كيف أهاجر إلى المدينة وليس لي بها مال ولا معيشة، فوعظهم بما ذكر.

**﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٦٠]**

وقوله: **وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم**، من الناس من يجعل الآية صلة قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾،[7] إنهم أمروا بالهجرة من بلدتهم والخروج من مُقامهم ليَسلم لهم دينهم فاشتدّ ذلك عليهم وضاق بذلك ذَرْعُهم لضِيق العيش عليهم[8] هنالك، لما لم[9] يتهيأ لهم ولا يتأتّى[10] لهم حمل أموالهم والمكاسب التي بها يتعيّشون في بلدهم[11] ويتّسعون بها. فأخبر أن له خلائق يرزقهم حيث ما توجّهوا وحيث ما كانوا لا يحملون مع أنفسهم شيئًا[12] من الرزق، بل يرزقهم حيث ما كانوا. فعلى ذلك هو يرزقكم حيث ما كنتم: حملتم مع أنفسكم شيئًا من الأموال والمكاسب أو لم تحملوا، فلا تَضِيقَنّ[13] صدوركم بترككم الأموال والمكاسب في بلدكم.

---

[1] محمد بن إسحاق بن يسار، كنيته أبو عبد الله، المطّلبي القرشي مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية. كان علامة حافظًا أخباريًا، رأى أنس بن مالك وروى عن كثير من التابعين، وروى عنه الكثير. وهو من دوّن العلم. توفي سنة ١٥١هـ/٧٦٨م. انظر: *الطبقات الكبرى* لابن سعد، ٧/٥٥٢؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٧/٣٣-٥٥؛ و*تهذيب التهذيب* لابن حجر، ٥/٢٦-٣٠.

[2] ر: يعقوب.

[3] الآية السابقة برقم ٥٦.

[4] جميع النسخ: ليهاجروا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٢ظ.

[5] الآية ٥٧ من هذه السورة.

[6] ر م: كما.

[7] الآية السابقة برقم ٥٦.

[8] ر م - عليهم.

[9] ن ث: لا.

[10] ر م: ولا يتأدى.

[11] ن: في بلدتهم.

[12] ر ث: مع شيئا؛ م: معهم شيئا.

[13] جميع النسخ: فلا يضيقن.

وجائز أن يكون لا على الصلة بما تقدم ولكن على ابتداء تذكير وتنبيهٍ للبشر لئلا يعلّقوا قلوبهم بأسباب الرزق، / لأن للبشر فَضلَ تعلّق القلوب بأسباب المعاش والرزق ما ليس ذلك [٥٨٠و] لغيرهم. فيخبر أن الرزق ليس يتعلّق بالأسباب بل يرزق [الله] بسبب وبغير سبب، إذ قد يَرزق ويَبسُط من ليس له من الأسباب شيء، نحوَ ما ذَكَر من رزق الطير والدوابّ وغير ذلك من البشر الذين يُرزقون بلا أسباب ومكاسب، وهو ما قال:[1] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.[2] وأكثر الأرزاق يكون للناس بلا أسباب ومكاسب.[3] ولذلك ذَكَر -والله أعلم- على إثر ذلك: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾،[4] يبسط لمن يشاء وإن لم يكن له سبب ويقدر على من يشاء وإن كان معه سبب لئلا يَعلّقوا قلوبهم في الرزق بالأسباب والمكاسب. وعلى قول المعتزلة: إن[5] الله لا يقدر أن يبسط الرزق لمن يشاء، لأنهم لا يجعلون لله في الأسباب والمكاسب صنعًا وإنما يجعلون منه خلق أصول الأشياء من الإنبات والإخراج من الأرض. فأما[6] غير ذلك فهو كله للخلق على قولهم. فعلى ذلك[7] النبات والخارج منها للكل ليس بعضُهم بذلك أولى من بعض. فيذهب فائدة ما ذكر من البسط والتوسيع والتقتير على قولهم.

وقوله: **وهو السميع العليم**، على إثر ما ذكر يخرج على وجوه. أحدها المجيب بكل ما يدعون ويسألون العليمَ بحوائجهم حيث كانوا وأين كانوا. أو **السميع** لقولهم: إنا لا نجد ما نُنفق ونتعيّش، **العليم** بما أضمروا ونحوه.

**﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٦١] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦٢] ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٦٣]**

وقوله: **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولُنّ الله فأنا يؤفكون**، إنهم أعطَوا جميعًا بألسنتهم أن الذي خلق السماوات والأرض وما سخر لهم من الشمس والقمر

---

[1] ث – وهو ما قال.
[2] ﴿ومن يتقِ الله يجعل له مخرجا ويرزقْه من حيث لا يحتسب﴾ (سورة الطلاق، ٦٥/٢-٣).
[3] ر م – وهو ما قال ويرزقه من حيث لا يحتسب وأكثر الأرزاق يكون للناس بلا أسباب ومكاسب.
[4] الآية ٦٢ من هذه السورة.
[5] ن – إن.
[6] ر ث م: وأما.
[7] جميع النسخ: فذلك. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٣و.

وما نزل من السماء من الماء[1] وما أحيى[2] به الأرض، هو الله لا غيره. فيخرج قوله: **فأنى يؤفكون،** على إثر ما أعطوا بألسنتهم ونطقوا به على وجهين. أحدهما أنّ يُصرَفون عما أعطوا بألسنتهم ونطقوا به[3] إلى صرف الشكر والعبادة إلى الأصنام التي يعلمون أنها لم تَخلق شيئًا مما أعطوا بألسنتهم. والثاني **فأنّ يؤفكون،** أي في تسميتهم الأصنام آلهة على علم منهم أنها ليست بآلهة. ***والله أعلم.***

وقوله: **قل الحمد لله،** على إثر ما ذكر يخرج[4] على وجوه. أحدها أمره[5] أن يَحمَد ربّه فيما لم يُبلَ بما بُلِي أولئك من التكذيب والعناد والكفر بربّهم. والثاني أمره أن يحمد ربّه لِما في ذلك إظهار سفههم حيث أعطوا باللسان أن ذلك كلّه من الله وأنه خالق ذلك كلّه ثم صرفوا ذلك إلى غيره. والثالث يقول بعضهم: **قل الحمد لله،** على إقرارهم بذلك كله[6] أنه خَلْق لله وأن ذلك كله منه. ***والله أعلم.***

وقوله: **بل أكثرهم لا يعقلون،** يحتمل قوله: **لا يعقلون،** أي لا ينتفعون بعقولهم. نفى عنهم العقول لِما لم ينتفعوا بها كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان[7] لما لم ينتفعوا بتلك الحواس. فعلى ذلك هذا. والثاني لم يعقلوا لِما تركوا النظر والتفكر في الأسباب التي[8] بها تُعقل[9] الأشياء. ***والله أعلم.***

**﴿وَمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٦٤]**

وقوله: **وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب،** كقوله:[10] **اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ،**[11] لو كان الأمر على ظاهر ما نطق به الكتاب دون معانٍ[12] تُودَع فيه وحكمةٍ تُجعل فيه

[1] ن – من الماء.
[2] جميع النسخ: وما أحيا.
[3] ث – على وجهين أحدهما أن يصرفون عما أعطوا بألسنتهم ونطقوا به.
[4] ر: على إثر ذلك يخرج.
[5] ث: أمر.
[6] ر م – كله.
[7] يقول الله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧١).
[8] جميع النسخ – التي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٣ظ.
[9] جميع النسخ: يعقل.
[10] جميع النسخ: وقوله.
[11] ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢٠).
[12] ن ث: دون معاني.

على ما يحمله بعض الناس لكان لأهل الإلحاد في ذلك مطعن لأنه يقول: **ما [هذه] الحياة الدنيا إلا لهو ولعب**، وهو خلَقها فيقولون: لِم خلقها لهوًا ولعِبًا؟[1] ولهم دعوى التناقض فيه حيث قال: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا،[2] وقال في آية أخرى: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ،[3] فلو جمَع بين هذا وبين الأول فهو في الظاهر متناقض؛ إذ يذكر في بعضها أنه لم يخلقهما وما بينهما باطلاً لعبًا، ويذكر في بعضها أن الحياة الدنيا لهو ولعب[4] وهو خلَقها. لكن تأويل قوله: **وما هذه الحياة الدنيا**، على ما تُقدّرون أنتم وعلى ما عندكم، **إلا لهو ولعب**. فأما ما عند أهل التوحيد وما في تقديرهم فهي حكمة وحق.

ثم هو ما ذكر من اللَّهو واللعب عندهم يخرج على وجهين. أحدهما أنهم رأوا أنه خلق الإنسان وجعل بَدْأَه من نطفة ثم حوّلها إلى علقة ثم إلى مضغة ثم إلى الإنسان الذي صوّر إلى آخر ما حوّله، فلا يحتمل أن يخلقه ويحوّله مِن حال إلى الأحوال التي ذكر ثم يُفنِيه بلا عاقبة تُجعل[5] لهم ولا منفعة[6] فيكون كما ذَكَر: وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا.[7] صيّر نقضها الغزلَ من بعد إحكامها إياه بلا انتفاع به لهوًا ولعِبًا. فعلى ذلك خَلْق الحياة الدنيا وخلق ما فيها من العالَم بعد إحكامه وتحويله حالاً بعد حال وتحويلاً بعد تحويل وإحكامًا بعد إحكام للفناء خاصة على ما يُقدّر أولئك الكفرة بلا عاقبة تُجعل[8] لهم أو منفعة لهوٌ[9] ولعب وسفه وباطل على ما ظنّ أولئك وقدّروه. فأما ما في تقدير أهل التوحيد وأهل الإيمان من العاقبة لهم فهو حكمة وحق.

[٥٨٠ظ] والثاني معنى اللهو واللعب الذي / ذَكَر على ما عندهم هو أن الجمع والتسوية بين العدوّ والوليّ وبين العاصي والمطيع وبين المخالف والموافق سفَه وباطل.[10] وقد سوّى بينهم في هذه الحياة[11] الدنيا وأشركهم جميعًا في نعيمها وسَعَتها وشدّتها وخيرها وشرّها،

[1] ر ن م + وهو خلقها.
[2] سورة ص، ٣٨/٢٧.
[3] سورة الأنبياء، ٢١/١٦.
[4] ن: لعب ولهو.
[5] ر ن م: يجعل.
[6] م: فلا منفعة.
[7] سورة النحل، ١٦/٩٢.
[8] جميع النسخ: يجعل.
[9] هذه الكلمة خبر "خلق الحياة الدنيا".
[10] ر ث م: باطل.
[11] ر ث م – الحياة.

يتمتع الوليّ فيها كما يتمتع العدوّ ويُبتلَى فيها المطيع كما يُبتلى العاصي. فلو لم تكن[١] دارٌ أخرى فيها يفرّق بين الولي والعدوّ وبين المطيع والعاصي لكان[٢] خلقه إياهم في الحياة الدنيا سفهًا وباطلاً، إذ سوّى بينهم وأشركهم جميعًا في هذه. أو أن تكون[٣] الحياة الدنيا على ما اتخذوها هم وعملوا[٤] فيها لهوًا ولعبًا. أو أن يقال: الحياة الدنيا بـ[مقابل] حياة الآخرة لهو ولعب، لأنها خلقت فانية منقطعة وخُلقت حياة الآخرة باقية دائمةً، فهو كما قال: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ [لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا]،[٥] أي متاع الدنيا قليل عند متاع الآخرة، لأن متاع الدنيا فانٍ منقطع ومتاع الآخرة دائم باقٍ.[٦]

وقوله: **وإن الدار الآخرة لهي الحَيَوان**، أي هي دار الحياة لا موت فيها ولا انقطاع ولا فناء. **لو كانوا يعلمون**، أن الدار الآخرة هي الدار التي لا موت فيها. ***والله أعلم***.

**﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[٦٥] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٦٦]**

وقوله: **فإذا ركبوا في الفلك دعَوا الله مخلصين له الدين**، الآيةُ [تردّ] على المعتزلة في قولهم: إن على الله الأصلحَ لهم في الدين، لأنه أخبر أنهم أخلصوا الدين لله إذا ركبوا في الفلك ولا شكّ أن ذلك لهم[٧] أصلح[٨] في الدين. ثم لم يُبقِهم على تلك الحال ليكونوا على ذلك الإخلاص بل أخرجهم منها فعادُوا إلى ما كانوا، فدلّ ذلك أنْ ليس عليه حفظ الأصلح لهم في الدين.

وقوله: **فلما نجّاهم إلى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون**، قوله: **ليكفروا**، أي أنجاهم ليكونوا على ما علم منهم أنهم يكونون. وقد علم أنه يكون منهم الكفر فأنجاهم إلى البرّ ليكون منهم ما قد علم أنه يكون ويختارون. وكان إخلاصهم الدعاءَ في الفلك لم يكن إخلاصَ اختيار ولكن إخلاص دفْع البلاء عن أنفسهم،

---

[١] جميع النسخ: فلو لم يكن.
[٢] ر م: لمكان.
[٣] جميع النسخ: أو أن يكون.
[٤] ر: وعملو.
[٥] سورة النساء، ٤/٧٧.
[٦] ر م: باق دائم.
[٧] ر م – لهم.
[٨] ث: أصلح لهم.

إذ لو كان ذلك إخلاصَ اختيار لا دفْعَ البلاء لكانوا لا يتركون ذلك في الأحوال كلّها. فهذه الآية وإن كانت في أهل الكفر ففي ذلك أيضًا توبيخ لأهل الإسلام، لأنهم لا يقومون بالشكر لله وإخلاص العبادة له[1] في حال السعة[2] والنعمة كما يكونون في حال الضِيق والشدّة، فينبّئهم ليكونوا في الأحوال كلّها مخلصين العملَ لله شاكرين له لئلا يكون عملهم على حرف وجهة كعمل أهل النفاق[3] وكعمل أولئك الكفرة. *والله أعلم*.

وقوله: **فأنى يُؤفكون**، قيل يكذّبون،[4] وقيل يعدِلون، وقيل: يؤفكون: يؤفَنون ويُحمَقون؛ والمأفون الأحمق، والأَفْن الحُمق.

وقوله: **فسوف يعلمون**، أي سوف يعلمون صدقي في قولي: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.[5] كما عادوا إلى ما كانوا عليه إذا نجاهم من الأهوال التي ابتُلُوا بها، أي سوف يعلمون ما أوعدهم الرسل. وفي قوله:[6] وَمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ،[7] وجه آخر وهو أن يقال: ما هذه المحاسن والأعمال التي[8] تعملون وتعدّون محاسن وصلاحًا في هذه الدنيا إلا لهو ولعب لِما لا تبقى[9] ولا تنتفعون[10] بها إلا ما ابتُغِيَ بها وجه الله والدار الآخرةُ، وهو ما قال: وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ، أي هي الباقية الدائمة، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.[11]

**﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾**[٦٧]

وقوله: **أولم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا**، قد ذكرنا في غير موضع أن الاستفهام من الله يخرج مخرج الإلزام والإيجاب، أو يخرج مخرج الخبر لا على حقيقة الاستفهام،

---

[1] ن – له.
[2] ن ث + له.
[3] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).
[4] ن: تكذبون.
[5] ﴿بل بدا لهم ما كانوا يُخفون من قبلُ ولو رُدّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ (سورة الأنعام، ٢٨/٦).
[6] ر م: وفي قولهم.
[7] الآية السابقة برقم ٦٤.
[8] ر م – التي.
[9] ن: لما لا يبقى.
[10] جميع النسخ: ولا ينتفعون.
[11] الآية السابقة برقم ٦٤.

لأنه عالم بذاته يعلم ما في باطنهم وظاهرهم وما يُسرّون وما يُعلنون بما كان أو يكون.[1] لا يستفهم عباده شيئًا ولكنه يخرج على ما ذكرنا على الخبر أو على الإلزام والإيجاب. فالخبر[2] كأنه يقول: قد رأوا وعلموا أن الله جعل الحرم مأمنًا لهم[3] يأمنون فيه وكان الناس حولهم يُتخطَّفون ويَخافون. والإلزام والإيجاب أن يقول لهم: اعلموا أن الله جعل الحرم لكم مأمنًا تأمنون فيه، والناسُ مِن حولكم على خوف يُسلَبون ويُسبَون ويُقتلون.

ثم يخرج تذكيره إياهم هذا على وجهين. أحدهما أن الله قد جعل لكم الحرم مأمنًا تأمنون فيه لتعظيمكم حرم الله وبيته، والناسُ حولكم على خوف، وأنتم تشاركون مَن حولكم في الدين، فكيف تخافون الاختطاف والاستلاب إذا[4] دِنتم بدينه واتبعتم رسوله.[5] فإذ أمَنكم بكونكم في حرم الله وتعظيمكم بيته ودَفَع عنكم الاستلاب والاختطاف[6] فكيف تخافون ذلك إذا دنتم بدينه واتبعتم أمره؟ بل الأمن والسعة إذا دِنتم بدينه واتبعتم أمره[7] أكثر وأحق. فكأنهم إنما تركوا اتباع دينه خوفًا من الاختطاف،[8] كقولهم: إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا، فقال لهم: أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ.[9] أو يذكر هذا لهم أنه قد أمَنكم وصرف عنكم -مع عبادتكم الأصنامَ وصَرْفِكم الشكرَ إليها-[10] كل مكروه وسوء بكونكم في مجاورة بيته وحرمه. فإذا[11] صرفتم العبادة إليه وشكرتم نعمه [فهذا] أحقّ أن يؤمّنكم ويوسّع عليكم نِعَمه ويدفع عنكم ما لم يدفع عمن حولكم وأنتم شركاؤهم في عبادة الأصنام واتخاذهم إياها آلهة، على هذا يخرج. *والله أعلم*.[12]

---

[1] جميع النسخ: كان ويكون. والتصحيح من نسخة عاطف أفندي، ورقة ١٠٢ظ.

[2] ن ت: والخبر.

[3] ت - لهم.

[4] م: إذ.

[5] م: لرسوله.

[6] ر ن: والاختلاب.

[7] ت - بل الأمن والسعة إذا دنتم بدينه واتبعتم أمره.

[8] ر: من الاختلاف.

[9] ﴿وقالوا إن نتّبِع الهُدى معك نُتَخطَّفْ من أرضنا أوَلم نُمَكِّن لهم حرما آمنا يُجْبَى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة القصص، ٥٧/٢٨).

[10] جميع النسخ + عند.

[11] ن ت: فإذ.

[12] ت - على هذا يخرج والله أعلم.

وقوله: **أفبالباطل يؤمنون**، يحتمل قوله: **أفبالباطل يؤمنون**، أي بما[1] أوحى إليهم[2] إبليس من الباطل يؤمنون، وهو ما أوحى إليهم أن هؤلاء شفعاؤكم عند الله وعبادتكم إيّاها تقربكم إلى الله زلفى، / كقوله: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ [لِيُجَادِلُوكُمْ]،[3] الآية. [٥٨١و]

وقوله: **وبنعمة الله يكفرون**، أي بما أوحى إليكم محمد من الله يكفرون.[4] أو أن يكون[5] قوله: **أفبالباطل يؤمنون**، أي بالشرك يؤمنون، **وبنعمة الله يكفرون**، أي بتوحيد الله يكفرون.[6] أو أن تكون[7] النعمة هاهنا هو القرآنَ أو ما ذكرنا وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

**﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾**[٦٨]

وقوله: **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا**، قد ذكرنا أن حرف الاستفهام من الله يخرج على وجهين. على الخبر مرة وعلى الإيجاب والإلزام[8] تارة. فالإلزام[9] [أن يقال لهم]: اعلموا أن ليس أحد من المفترين أظلمَ ممن افترى على الله. وعلى الخبر، أي قد علمتم أنْ ليس أحد من المفترين أظلَمَ ممن افترى على الله، إذ قد عرفتم بعقولكم قبح الافتراء والكذب فيما بينكم، فلا كَذِبَ ولا افتراء أوحش وأقبحَ من الافتراء على الله، فكيف افتريتم عليه وهو أوحش وأقبح.

وقوله: **أو كذّب بالحق**، يحتمل **كذّب بالحق**، برسول الله، أو بالقرآن الذي عجزوا عن إتيان مثله، أو بالتوحيد. **أو كذّب بالحق**، الذي ظهر حقه وصدقه، **لمّا جاءه**.[10]

وقوله: **أليس في جهنّم مثوى للكافرين**، كأنه يقول: اعلم أن جهنّم مثوى للكافرين، يذكّره على التصبّر على أذاهم والتسلّي له بما كان يَضِيق صدره لمكانِ تَرْكِهِم الإيمانَ والإياسِ منهم.

---

[1] جميع النسخ: مما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٥و.
[2] جميع النسخ: إليكم.
[3] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[4] ر م: تكفرون.
[5] ن + النعمة ههنا.
[6] ع ث: تكفرون.
[7] ر ث م: أو أن يكون؛ ن - أو أن تكون، أو أن يكون، صح هـ.
[8] جميع النسخ - والإلزام. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٥و.
[9] ر م: والإلزام.
[10] ث - وقوله أو كذب بالحق يحتمل كذب بالحق برسول الله أو بالقرآن الذي عجزوا عن إتيان مثله أو بالتوحيد أو كذب بالحق الذي ظهر حقه وصدقه لما جاءه.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٦٩]

وقوله: **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا**، يشبه أن يكون هذا صلة قوله: وَمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ،[١] أي ليس لمَن[٢] أجهد نفسَه في طلب الدنيا والعمل لها إلا لهو ولعب. وأما من أجهد نفسه لله وطلب مرضاته فهو حق وله دار الحياة التي لا موت فيها ولا انقطاع. ويشبه أن يكون على الابتداء لا[٣] على الصلة بالأول، يقول: والذين جاهدوا أنفسهم في هواها وشهواتها وأمانِيّها حقيقةَ ابتغاء مرضاة[٤] الله وطلب الهداية والدين وسبيله، **لنهدينهم سبلنا**، ذِكر السبل[٥] هاهنا لما سبق ذكر الجماعة، يقول:[٦] [والذين] جاهَدوا فينا لنهدينهم كُلًّا سبيلاً، فيكون سبيلاً[٧] للكل. وأما قوله: وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ،[٨] إن السبل على الإطلاق على غير تقدُّم ذكر من الهدى أو شيءٍ من الإضافة إلى الله هي سبل الشيطان. ***والله أعلم.***

وقوله: **وإن الله لمع المحسنين**، يحتمل قوله: **إن الله لمع المحسنين**،[٩] في التوفيق لهم في الإحسان والأعمال الصالحة. أو مع المحسنين في النصر لهم والمعونة لهم[١٠] مع أعدائهم. أو مع المحسنين يحفظهم ويتولّاهم.

ثم لم يفهم أحد من الخلق من قوله: **لمع المحسنين**، ومَعَ الْمُتَّقِينَ،[١١] ما يَفهم من الخلق وذوي الأجسام والجُثَث. كيف فهم بعض الناس من قوله: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[١٢] وَجَاءَ رَبُّكَ،[١٣] ويَأْتِيَهُمُ اللهُ[١٤] في كذا، ما يَفهم من استواء الخلق ومجيئهم وإتيانهم. ليُعلمْ أن فهْم ذلك منه[١٥] [كـ]ما يفهم[١٦] من الخلق بعيد محال. ***وبالله العصمة.***

---

[١] سورة العنكبوت، ٦٤/٢٩.
[٢] جميع النسخ: من. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٥ظ.
[٣] ن - لا.
[٤] ن ث: مرضات.
[٥] ر ث: السبيل.
[٦] ن ث: بقوله.
[٧] ن - فيكون سبيلا.
[٨] ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾ (سورة الأنعام، ١٥٣/٦).
[٩] ن - يحتمل قوله إن الله لمع المحسنين.
[١٠] ن - لهم.
[١١] سورة البقرة، ١٩٤/٢.
[١٢] سورة الأعراف، ٥٤/٧.
[١٣] ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٢٢/٨٩).
[١٤] ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظُلَلٍ من الغَمام والملائكةِ وقُضي الأمرُ وإلى الله ترجع الأمور﴾ (سورة البقرة: ٢١٠/٢).
[١٥] جميع النسخ - منه. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٥ظ.
[١٦] ر م - ما يفهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الروم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿الٓمٓ﴾[١] ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾[٢] ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[٣] ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٤] ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٥]**

قوله[2] عز وجل: **الٓمٓ غُلِبت الروم في أدنى الأرض**، وفي بعض القراءات: **غَلَبت الروم**، بفتح الغين على المستقبل.[3] يذكر أهل التأويل أنه إنما يذكر هذا لأن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة، يقولون: إن الروم أهل الكتاب وقد غَلبتهم المجوسُ، وأنتم تَزعمون أنكم ستَغلبون بالكتاب الذي أنزل على نبيكم، فسنغلبكم[4] كما غَلبت فارسُ الرومَ. فأنزل الله تعالى هذه الآيات:[5] **الٓمٓ غُلِبت الروم في أدنى الأرض**، الآية. لكن يَذْكر في آخره: **ويومئذ يَفرح المؤمنون بِنَصر الله يَنصر من يشاء**، ولا[6] يحتمل [أن] يفرح المؤمنون[7] بغلبة الروم على فارس

---

[1] ر – سورة الروم؛ ن: ذكر أن سورة الروم كلها مكية وهي ستون آية؛ ث + وهي ستون آيات مكية؛ م + كلها مكية وهي ستون آية.

[2] ن: وقوله.

[3] وهي قراءة شاذة نسبت إلى علي وأبي سعيد الخدري وابن عباس وابن عمر ومعاوية بن قرة والحسن. انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٤٤٦؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٧/١٥٧. ""غَلَبت الروم" على المستقبل" أي على ما يتحقق غلبةُ الروم على المجوس في المستقبل.

[4] ن ث م: فستغلبكم.

[5] جميع النسخ: الآية.

[6] ر ث م: فلا.

[7] جميع النسخ: فرح المؤمنين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٢ظ.

ويسمى ذلك نَصْرَ الله وهم كفار وغلبتهم عليهم معصية.[1] اللهم إلا أن يكون فرحهم بما يُظهر الإيمانَ بكتب الله وتصديقها والعمل بها. وهم كانوا أهل كتب الله،[2] ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان بُعث مصدِّقًا بكتب الله وبرسله[3] أجمعَ، ففرحوا بذلك. فإن كان كذلك فجائز الفرح بذلك وتسميته[4] نصرَ الله، وأما على الوجه الذي يقولون هم فلا.

وعندنا أن في ذلك آية عظيمةً في إثبات رسالة نبينا[5] محمد -صلوات الله عليه- ونبوته وصدقه ما لم يجد الكفار فيه مطعنا ولا النسبة[6] إلى الكذب والافتراء، على ما قالوا وطعنوا في سائر الآيات والأنباء حيث قالوا: إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[7] و مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[8] وقولهم: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[9] ونحو ذلك من المطاعن التي طعنوا في القرآن والأنباء المتقدمة.[10] ومثلَها[11] لم يجدوا فيما أَخبر من غلبة الروم على فارسَ؛ لأنه أخبر عن غلبة ستكون وستَحْدُث، لا عن غلبة قد كانت. ومثل هذا لا يدركه البشر ولا يُستفاد منهم؛[12] إذ لا يبلغه علم البشر ولا يدرك بالقياس بالسابق من الأمور. فإذ كان على ما أخبر دل أنه بالله عَلِمَ ذلك وبوحي منه إليه عرف ذلك.

وهو[13] جائز أن يستدلوا بما كان مِن قبلُ من غلبة فارس على الروم أن يقولوا: تغلب فارس على الروم، بما شاهدوه مرة. أو بوجوه أُخَرَ يستدلون بذلك من نحو أن يقولوا:

---

[1] وعبارة *الشرح* هكذا: «ولا يحتمل [أن] يفرح المؤمنون بغلبة الروم على فارس ويسمى ذلك نصر الله وهم كفار وغلبتهم عليهم معصية، فلا يوصف ذلك بالنصر والظفر. وإنما هو نوع جَوْلَة ودَوْلَة. وأما النصر والظفر إنما ينطلق على غلبة المؤمنين إياهم. والله أعلم» (ورقة ٥٨٢ظ). الجَوْلة والجَوَلان: الحركة والطواف القصير الغير المستقر. والدَّوْلة: الانتقال من حال إلى حال؛ النوبة (*لسان العرب* «جول»، «دول»).

[2] ر م - الله.

[3] ث: ورسله.

[4] ر م: وتسمية.

[5] ن - نبينا.

[6] أي ما لا يمكنهم نسبته إلى ... انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨٢ظ.

[7] أنظر مثلا: سورة الأنعام، ٢٥/٦؛ وسورة الأنفال، ٣١/٨.

[8] سورة سبأ، ٤٣/٣٤.

[9] سورة النحل، ١٠٣/١٦.

[10] جميع النسخ: على ما قالوا وطعنوا في سائر الآيات والأنباء وقولهم إنما يعلمه بشر ونحو ذلك من المطاعن التي طعنوا في القرآن والأنباء المتقدمة حيث قالوا إن هذا إلا أساطير الأولين وما هذا إلا إفك مفترى. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٦و.

[11] جميع النسخ: فمثلها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٢ظ.

[12] أي لا يُستفاد علم مثل هذا من البشر.

[13] جميع النسخ: وهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٦و.

إنهم أهل كتاب وعبادة يكونون مشغولين[١] / بالنظر فيها والعمل ببعض ما فيها لا يتفرغون [٥٨١ظ] للقتال والحرب. أو أن يقولوا: إنهم نصارى -أعني أهل الروم- وليس في سنتهم ومذهبهم القتال والحرب، فيستدلون بمثل هذه الوجوه على أن لا غلبة تكون لهم ولا ظفر. وأما أهل الإسلام فليس[٢] لهم[٣] من تلك الوجوه ولا بغيرها وجه الاستدلال بغلبة أولئك؛ فما قال[٤] ذلك إلا وحيًا من الله إليه وإعلاما منه إياه. فكان في ذلك أعظمُ آيةِ صدقِ رسولِه وأكبرُها، فيكون فرح المؤمنين وذكر نصر الله بإظهار تلك الآية في تصديق رسوله،[٥] إذ نصر رسوله حيث أظهر صدق رسالته.[٦]

وقوله **غُلبت** وغَلبت: **غُلبت**[٧] على الماضي لما كان من غلبة فارس على الروم، وغَلبت بالفتح على المستقبل، أي تغلب الروم على فارس. وهو كقوله: فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا،[٨] على الأمر في المستقبل، و[ربُّنا] بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا،[٩] على الخبر،[١٠] فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.[١١]

وقوله: **في أدنى الأرض**؛ قيل: أقرب إلى أرض فارس. وقال بعضهم: **أدنى الأرض**، أي أدنى أرض الشام. وقيل: الأرض التي تلي فارس. *والله أعلم*.

وفي قوله:[١٢] **وهم من بعد غلبهم سيغلبون**، وقوله:[١٣] **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله**، وجوه على المعتزلة. أحدها، يقال لهم: وعد أن يغلب الروم على فارسَ، وقد أراد أن يخرج ما وعد حقا صدقا أم لا؟ فإن قالوا: لا، فقد أعظموا القول وأفحشوه، حيث زعموا أنه أراد أن لا يفيَ بما وعد أنه يكون.

---

[١] جميع النسخ: مشاغيل.
[٢] جميع النسخ: ليس. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٦و.
[٣] جميع النسخ + شيء.
[٤] جميع النسخ: فما قالوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٢ظ.
[٥] ن: رسول الله.
[٦] جميع النسخ: صدقه ورسالته. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٦ظ.
[٧] ر: وغلبت.
[٨] سورة سبأ، ١٩/٣٤.
[٩] قرأ يعقوب من الأئمة العشرة بذلك. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٤٥٦.
[١٠] انظر تفسير الآية من سورة سبأ، ١٩/٣٤.
[١١] ر ث م - والله أعلم.
[١٢] ر م: وفي قولهم.
[١٣] جميع النسخ: وفي قوله.

وإن[1] قالوا: نعم، قيل: دل أنه أراد ما فعلوا وإن كان الفعل منهم فعل معصية وخلاف، إذ محاربة كل فريق أصحابهم معصية، إذ لم يؤمروا بذلك وإنما أمروا بالإسلام. فدل أن الله مريد لما يعلم أنه يكون منهم وإن كان ما يكون منهم معصيةً.

والثاني ما أخبر بفرح المؤمنين بغلبة هؤلاء على أولئك -على أي جهة كان فرحهم- لإثبات[2] آية عظيمة على رسالة نبيّهم ونبوّته على ما ذكرنا، أو لأنهم كانوا أهل كتب الله ودراستِهم[3] إياها[4] أحبوا غلبتهم عليهم وفرحوا بذلك. ولا يحتمل أن يفرحوا بذلك ولم يأمرهم بذلك ولا أراد منهم.[5] دل ذلك[6] أنهم إنما فرحوا بذلك[7] لما أراد ذلك.

والثالث في قوله: **بنصر الله ينصر من يشاء**، دلالةُ أن لله[8] في فعل العباد صنعا وتدبيرا حيث ذكر فعل بعضهم على بعض ثم سمى نصر الله، دل أن له في ذلك تدبيرا.

وقوله: **فِي بِضْعِ سِنِينَ**، قيل: البضع سبع، وقيل: ما دون العشر فهو بضع، وقيل: من ثلاثة إلى تسعة.[9]

وكذلك ذكر في الخبر أن أبا بكر رضي الله عنه لما خاطر المشركين وبايعهم في ذلك بخَطَرٍ[10] في سِنين ذَكَرها، فمضت تلك المدة ولم تغلب الروم على فارس. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: «أما علمت أن ما دون العشر بضع كله؟ فزد في الأَجَل وزِدْ في الخطر». ففعل ذلك،[11] فلم تمض تلك السِنون حتى ظهرت الروم على فارس.[12] وفي بعض الحديث

---

[1] جميع النسخ: فإن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٦ظ.
[2] ن: ألإثبات.
[3] جميع النسخ: ودراستها. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ - إياها. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م + ذلك.
[6] ر ث م - ذلك.
[7] ر ث م: ذلك.
[8] ر: الله.
[9] ر ث م - وقيل من ثلاثة إلى تسعة.
[10] ر ن: يخطر. تخاطروا على الأمر: تراهنوا. وخاطرهم عليه: راهنهم. والخطر: الرهن بعينه. والخطر: ما يخاطرون عليه (*لسان العرب* «خطر»).
[11] ر ث م: تلك.
[12] للروايات في هذا المعنى انظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٤٤٧-٤٥٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٥٧٤-٥٨٤.

قال[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم تكونوا أَحِقَّاءَ[٢] أن تؤجّلوا أجلاً دون العشر؛ فإن البِضْع ما بين الثلاث إلى العشر، فزايِدوهم في الخطر[٣] وماذُّوهم في الأجل». ففعلوا حتى ظهرت الروم على فارس... فذكر الحديث.[٤]

ثم المسألة في المخاطرة التي كانت بين أبي بكر وبين أولئك الكفرة تخرج على وجوه.[٥] أحدها أن مكة كانت يومئذ دار حرب، دليله قوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ،[٦] الآية، -وذلك كان قبل الهجرة- وما كان[٧] أمرٌ بالهجرة أيضًا إلى المدينة،[٨] ونحوه كثير. وذلك كان كله قبل غلبة الروم على فارس. فإذا كانت مكة يومئذ دار حرب جازت المخاطرة والجهالة[٩] في العقود[١٠] في دار الحرب فيما بينهم وبين أهل الحرب، وإن كان مثلها في دار الإسلام غير جائزة.[١١] وهذا يدل لأبي حنيفة رحمه الله في إجازته عقد الربا في دار الحرب فيما بينهم وبين أهل الإسلام، وإن كان مثله في دار الإسلام غير جائز.

والثاني جاز ذلك[١٢] يومئذ وإن كانت فيه جهالة سِنِي الأجل.[١٣] والجهالة في العقود[١٤] إنما تُبطل العقود لخوف وقوع التنازع بينهم في الأَخِرة،[١٥] والتنازع في أمثالهم لا يتوّهم وقوعه، إذ كانوا أهل شرف وكرم وأهل جود، لا يتنازعون[١٦] في أمثالها. وإنما[١٧] يكون

---

[١] جميع النسخ + قال. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧و.
[٢] ر م – أحقاء.
[٣] جميع النسخ – في الخطر. والزيادة من المرجع السابق.
[٤] *تفسير الطبري*، ١٨/٤٥٤-٤٥٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٥٨٠-٥٨١.
[٥] ر م – تخرج على وجوه.
[٦] سورة الأنفال، ٨/٣٠.
[٧] جميع النسخ – كان. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧و.
[٨] وعبارة السمرقندي هكذا: «وذلك كان قبل الهجرة إلى المدينة وقبل الأمر بالهجرة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٨٢ظ).
[٩] ر م – والجهالة.
[١٠] ر ث م: العقول.
[١١] جميع النسخ: غير جائز. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧و.
[١٢] أي المخاطرة التي كانت بين أبي بكر رضي الله عنه وبين المشركين.
[١٣] جميع النسخ: أسنان الإبل.
[١٤] ث: في العقول.
[١٥] الأخرة هي الموعد المؤخر.
[١٦] ث م: لا ينازعون.
[١٧] جميع النسخ: أن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٢ظ.

التنازع بينهم في الدين، فأما في الأموال فقلّ ما يقع لما ذكرنا. فإذا كان التنازع في مثلها مرتفعًا من بينهم جاز ذلك.[1] و[في زماننا لا يجوز ذلك في مثل هذا، لتفاوت الناس بتفاوت الأزمان على ما][2] روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «لا يزال الناس يتناقصون في الْخَلْق والخُلُق والآجال».[3]

ومنهم من يقول: كان ذلك جائزا[4] في الجاهلية، فأما اليوم فقد جاء النهي عن القمار فنسخه. وإنما[5] عُرف النهي عن القمار لما جاء[6] النهي[7] عن الميسر، والميسر هو القِمار، ويكون[8] النهي عن الشيء نهيا عما هو في معناه. ***والله أعلم.***

وقوله: **لله الأمر مِن قبلُ ومن بعد،** قال بعضهم: **لله الأمر من قبل،** أي من قبل[9] غلبة فارسَ الرومَ، **ومن بعد** غلبة فارس الروم. ويقال: **لله الأمر من قبل،** حين ظهرت فارس[10] على الروم، **ومن بعد** ما ظهرت الروم على فارس.[11] وجائز أن يكون قوله: **لله الأمر،** في خلقه، أي التدبير فيه وله الأمر فيهم، أي ليس لأحد في الخلق أمر ولا تدبير، إنما[12] ذلك له. كقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[13] له / التدبير فيهم والأمر. [٥٨٢و]

---

[1] جميع النسخ: فإذا كان التنازع في مثلها مرتفعا من بينهم جاز ذلك أن يكون التنازع بينهم في الدين فأما في الأموال فقلّ ما يقع لما ذكرنا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٨٢ظ.

[2] الزيادة من المرجع السابق.

[3] جميع النسخ – وروي عن النبي عليه السلام أنه قال لا يزال الناس يتناقصون في الخلق والخلق والآجال. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧و. لم أجد هذه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن روي عن مجاهد أنه قال: قال ابن عمر: "هل تدري كم لبث نوح في قومه؟" قلت: "نعم، ألف سنة إلا خمسين عاما." قال: "فإن من كان قبله كانوا أطول أعمارا، ثم لم يزل الناس ينقصون في الخلق والخلق والأجل إلى يومهم هذا" (*كتاب الفتن* لنعيم بن حماد، ٤٢٨؛ و*كنز العمال* للهندي، ٤٧٦/١٢).

[4] ر ث م: جائزا ذلك.

[5] ث م: واما.

[6] جميع النسخ + من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٣و.

[7] ر م – عن القمار لما جاء من النهي.

[8] ر ث م: فيكون.

[9] ر م – أي من قبل.

[10] جميع النسخ: الفارس. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧ظ.

[11] ر ث م: الفارس.

[12] جميع النسخ: وإنما. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] سورة الأعراف، ٥٤/٧.

وفي قراءة من قرأ **غَلبت الروم** بالنصب يكون قوله: **وهم من بعد غلبهم سيغلبون**، حين يَظهَر[١] عليهم المسلمون في آخر الزمان حين تُفتَح[٢] قُسْطَنْطِينِيَّةَ. وفي حرف ابن مسعود وحفصة: في بضع[٣] سنين قريبا.[٤]

وقوله: **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء**، فَرِح المؤمنون[٥] بنصر الله حيث نصر رسوله بإظهار الآية له في إثبات الرسالة والنبوة وصدّقه،[٦] وذلك النصر له. وما يقول بعض أهل التأويل: نصر الروم على فارس، بعيد. لأن ما كان الفعل فعل معصية لا يقال: نَصْرُ الله، وإنما يقال ذلك فيما كان الفعل فعل طاعة. والوجه فيه ما ذكرنا أنه نصر رسوله بما ذكرنا.

وقوله: **وهو العزيز الرحيم**، ذكر **العزيز** على إثر ما سبق لأنه عزيز بذاته، فهلاك من هلك من عبيده لا يوجب وهنًا ونقصًا[٧] في ملكه وسلطانه، ليس كهلاك بعض عبيد ملوك الأرض وأتباعه[م] وحَشَمه[م]؛ لأن ملوك الأرض أعزاء بذلك فإذا هلك ذلك ذهب عزهم. فأما الله سبحانه وتعالى إذ هو عزيز بذاته لا بشيء فهلاك من هلك من عبيده لا يوجب نقصًا ولا ذُلًّا فيه.

**﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦]**

وقوله: **وعد الله لا يخلف الله وعده**، إنما يكون خلف الوعد في الشاهد لإحدى[٨] خصال ثلاث: إما لندامة استقبلته فيما وعد فتمنعه[٩] تلك الندامة عن إنجاز ما وعد وحفظ الوفاء له. وإما لحاجة[١٠] وقعت له فيما وعد فتمنعه تلك الحاجة عن[١١] وفاء ما وعد وإنجاز ما أطمع.

---

[١] ر ث م: تظاهر.
[٢] جميع النسخ: يفتح؛ والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧ظ.
[٣] جميع النسخ: بعض؛ والتصحيح من مصدر الرواية.
[٤] حدثنا سعيد قال: حدثنا أبو عوانة، عن مغيرة، عن إبراهيم: في قراءة عبد الله: "بضع سنين قريبا". سنن سعيد بن منصور، تحقيق آل حميد، ٣٩٤/٥ (وهي في تفسير الآية ٤٢ من سورة يوسف).
[٥] جميع النسخ: المؤمنين. والتصحيح من *الشرح*، ٥٨٣و.
[٦] ر: وصدق.
[٧] ر م: ولا نقصا.
[٨] ر ث م: لأحد.
[٩] جميع النسخ: فيمنعه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر: الحاجة.
[١١] ن - عن.

وإما لعجز يكون له[1] لا يقدر على إنجاز ما وعد فيحمله عجزه عن وفاء ما وعد وإنجازه. فإذ[2] كان الله سبحانه يتعالى عن الوجوه التي ذكرنا كان ما وعد لا يحتمل[3] الخلف منه. ***ولا قوة إلا بالله***.

وقوله: **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، يحتمل قوله: **لا يعلمون**، لما لم ينظروا ولم يتفكّروا في الأسباب التي هن أسباب العلم بعد ما أعطاهم أسباب العلم. لكنهم إذا تركوا النظر في الأسباب والتفكر فيها لم يعلموا فلم يُعْذَروا بذلك لتركهم النظر والتفكر فيها. ويحتمل قوله: **لا يعلمون** أي لا ينتفعون بما علموا، فنفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بما علموا كما نفى عنهم السمع والبصر[4] لما لم ينتفعوا[5] بهذه الحواسّ وإن كانت لهم هذه الحواسّ.

**﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[٧]**

وقوله: **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**، يحتمل[6] قوله: **يعلمون [ظاهرا**، أي][7] ظاهر الأشياء في المنافع ولا يعلمون باطن المنافع بِم وكيف. نحو ما يُعلم أن الماء به حياة الأشياء، ويعلمون أن بالطعام قِوام الأبدان ولكن لا يعلمون قدر منفعته وكيفيته وما في سرّيّة ذلك من المنافع. وكذلك السمع والبصر واللسان لا تعلم[8] حقيقة ذلك وكيفيته وإن كان يعلم أنه بها يُسمع ويُبصر ويُتكلم ويُفهم. وجائز أن يكون قوله: **يعلمون ظاهرا**، [أي] منافع الحياة الدنيا، وعن منافع الآخرة هم غافلون، وإنما أُنشئت[9] منافع الدنيا لا لتكون لها ولكن ليعلموا بها منافع الآخرة.

وابن عباس والكلبي وهؤلاء يقولون: **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا**، قالوا: يعلمون معائشهم وتجاراتهم وحِرَفهم وجميع الأسباب والمكاسب والحيل التي بها تقوم أمور دنياهم.[10] **وهم عن الآخرة هم غافلون**، أي لا يؤمنون بها. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: به. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٧ظ.
[2] م: فإذا.
[3] جميع النسخ: لم يحتمل. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٠٨و.
[4] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ (سورة البقرة ١٨/٢).
[5] ث + بما علموا كما نفى عنهم السمع والبصر لما لم ينتفعوا.
[6] م – يحتمل.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٣و.
[8] جميع النسخ: لا يعلم.
[9] ر ن م: أنشأت.
[10] انظر: *تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٠٨٨/٩؛ و*تفسير الطبري*، ٤٦١/١٨-٤٦٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٨٥/١١.

**﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾[٨]**

وقوله: **أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق،** قد ذكرنا في غير موضع أنّ كل استفهام من الله وسؤال يخرج على الإيجاب والإلزام. ثم الإيجاب يخرج على وجوه. أحدها أنه[١] قد تفكروا واعتبروا ونظروا وعرفوا أنه ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق، لكنهم عاندوا وكابروا ولم يَنْقادوا للحق ولم يقرّوا به.[٢] والثاني يخرج على الأمر؛ أي تفكروا وانظروا[٣] واعتبِروا لتعلموا أنه ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق. والثالث على الخبر أنهم لم يتفكروا ولم ينظروا ولم يعتبروا ولو تفكروا واعتبروا لَعلِموا أنه ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق، لكنهم لم يتفكروا ولم ينظروا[٤] بعد ما أُعطوا أسبابَ العلم به. فلم يُعْذَرُوا بترك التفكر والنظر والاعتبار.

وعلى هذه الوجوه الثلاثة يخرج قوله: أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا،[٥] -والله أعلم- أي قد ساروا في الأرض[٦] ونظروا وعلموا ما حل بالمكذبين بالتكذيب وما صار عاقبة أمرهم. أو سيروا في الأرض على الأمر لتعرفوا ما أصاب أولئك بالتكذيب. أو لم يسيروا في الأرض على ما ذكرنا[٧] ليعلموا[٨] عاقبة أمور[٩] أولئك.

ثم قوله: **إلا بالحق،** قيل فيه بوجوه. أحدها أَنْ ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق الذي لله[١٠] عليهم من الشكر له فيما أنعم عليهم والتعظيم له والتبجيل.

---

[١] جميع النسخ: أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٨و.
[٢] ر م - به.
[٣] ر: وانظر؛ م: ونظروا.
[٤] ن - ولم يعتبروا ولو تفكروا واعتبروا لعلموا أنه ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق لكنهم لم يتفكروا ولم ينظروا.
[٥] الآية التالية.
[٦] ر ث م - فينظروا والله أعلم أي قد ساروا في الأرض.
[٧] أي على الخبر. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨٣ظ.
[٨] جميع النسخ: لئلا يعلموا.
[٩] ر م - أمور.
[١٠] جميع النسخ - لله. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٨ظ.

والثاني **إلا بالحق،**[1] أي بما[2] يُحمد فعله في العاقبة[3] ما لولا تلك العاقبة لكان لا يحمد. إذ في الحكمة التفريق بين الولي والعدو وقد أشركهم جميعا في هذه الدنيا / -بين الولي والعدو- ولو لم يجعل دارًا أخرى يفرق فيها بينهما لكان لا يحمد فيما أشركهم فيها. والثالث: **إلا بالحق،** أي بالبعث لأنه لو لم يكن البعث لكان خلقه السماواتِ والأرضَ وما بينهما لعِبًا باطلاً لا حقًا، كقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ، صير خلقه إياهم -إذا لم يكن رجوع إليه- عبثًا باطلاً. *والله أعلم.*[4]

[٥٨٢ظ]

وقوله: **وإن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم لكافرون،** سُمّي البعث لقاءَ الرب[5] والمصير إليه[6] والرجوع إليه[7] والبروز له[8] والخروج[9] وإن كانوا في الأوقات كلها بارزين له خارجين صائرين إليه راجعين؛ لأن خلقه إياهم إنما صار حكمة لذلك البعث، والمقصودَ بخلقهم ذلك البعث، لذلك سمي البعث بما ذكرنا.

**﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٩] ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[١٠]**

وقوله: **أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم،** هو يخرج على الوجوه التي ذكرنا في قوله: أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ.[10]

---

[1] ر ث م + الذي لله عليهم من الشكر له فيما أنعم عليهم؛ ن - الذي لله عليهم من الشكر له فيما أنعم عليهم والتعظيم له والتبجيل والثاني إلا بالحق. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٨ظ.

[2] جميع النسخ: ما. والتصحيح من المرجع السابق.

[3] ر: بفعله عاقبة؛ ن ث م: بفعله عاقبته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٣ظ.

[4] جميع النسخ - وأنكم إلينا لا ترجعون صير خلقه إياهم إذا لم يكن رجوع إليه عبثا باطلا والله أعلم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٨ظ. سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.

[5] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٣١/٦، ١٥٤.

[6] ن - إليه. انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٨٥/٢؛ والمائدة، ١٨/٥.

[7] انظر مثلا: سورة البقرة، ١٥٦/٢، ٢٨١.

[8] ر ث م: إليه. انظر مثلا: سورة إبراهيم، ٢١/١٤.

[9] انظر مثلا: سورة ق، ٤٢/٥٠.

[10] الآية السابقة.

وقوله: **كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعَمروها أكثر مما عمروها**، يُذكِّر أهل مكة ويُخوِّفهم[1] في تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوءِ معاملتهم إياه بما ذكر من القرون الماضية، أنه[2] مع شدة قوتهم[3] وبطشهم وكثرة أتباعهم وحواشيهم[4] وأموالهم وطول أعمارهم وبُنْيَانهم لم[5] يتهيأ لهم الانتصار[6] والامتناع عن عذاب الله إذا حل بهم بتكذيبهم الرسل. فأنتم يا أهل مكة دونهم في القوة والبطش والحواشي والأتباع فكيف يتهيأ لكم الانتصار والامتناع عن[7] عذاب الله إذا كذّبتم الرسول؟ ***والله أعلم***.

وقوله: **فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. ثم كان عاقبةَ الذين أساءوا السُّوأَى**، جائز أن يكون على التقديم والتأخير: **ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى**، مقدَّمًا[8] على قوله: **فما كان الله ليظلمهم**. يقول: ما حل بهم من العذاب وعذّبوا في هذه الدنيا بتكذيبهم لم يَظلِمهم الله [به] ولكن ظلموا أنفسهم بما أساءوا. ويحتمل أن يكون قوله: **فما كان الله ليظلمهم**، في تعذيبهم في الدنيا، **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**. ثم يكون قوله: **ثم كان عاقبة الذين أساءوا**، في الدنيا، **السوأى**، في الآخرة في النار. فيكون في الدنيا ما عُذّبوا[9] عذابَ عنادٍ ومكابرةٍ وما يُعذَّبون في الآخرة تعذيبَ كفر وتكذيب، وهو ما قال: **ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله**.

وقال بعضهم: **وأثاروا الأرض**، أي حرثوا[10] الأرض وعمروها أكثر مما عمرها[11] قومُك يا محمد، أي بَقَوْا فيها أكثر مما بقي فيها الذين أُرسلتَ إليهم. وقال بعضهم:[12]

---

[1] جميع النسخ: ويوبخهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٩و.
[2] ر ث م: أنهم.
[3] جميع النسخ: مع شدتهم وقوتهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر ث م: ومواشيهم.
[5] ر م: ولم.
[6] جميع النسخ: الانتصاب. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: من.
[8] ر م: متقدما.
[9] جميع النسخ + في الدنيا. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: كربوا. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[11] ر: مما عمروها؛ م: مما عمر.
[12] ن – بعضهم.

عاشوا يعمرون الأرض أكثر مما عمرها أهل مكة. وقال بعضهم: **عمروها**، عملوها[1] أكثر مما عمل هؤلاء. وبعضه قريب من بعض.[2] وقال أبو عَوْسَجَة: **وأثاروا الأرض**، أي حرثوها. وقال القُتَبِي: **أثاروا الأرض**، أي قَلَبُوها للزراعة. ويقال للبقرة: المثيرة، وقال الله تعالى: [إِنَّهَا بَقَرَةٌ] لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ.[3] وأساءوا[4] **السُوأَى**، أي جهنم.[5] وكذلك قال الكسائي: **السُوأَى**، هي النار،[6] كقوله: وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ،[7] أي كان عاقبتهم النار بما كذبوا بآيات الله واستهزءوا بها.

وقوله: **ثم كان عاقبة الذين أساءوا السُوأَى**، يحتمل قوله: **أساءوا** إلى الرسل بالتكذيب وأنواع الأذى، ويحتمل: **أساءوا** إلى أنفسهم حيث أهلكوها وأوقعوها في النار. والسُوأَى اسم من أسماء النار كالعسرى[8] والهاوية[9] ونحوها. واليسرى[10] والحسنى[11] من أسماء الجنة.

وقوله: **أن كذبوا بآيات الله**، يذكّر أهل مكة ويخوّفهم أنّ ما حل بأولئك القرون الماضية من الإهلاك والاستئصال إنما كان بتكذيب الآيات والاستهزاء بها في هذه الدنيا؛ فأنتم يا أهل مكة إذا كذّبتم الآيات والحجج واستهزأتم بها يصيبكم ما أصاب أولئك بالتكذيب. والآيات تحتمل[12] حُجج التوحيد وحُجج الرسل في إثبات الرسالة أو إثبات[13] البعث.

وقوله: **وكانوا بها يستهزءون**، يحتمل بالآيات التي ذكرنا أو بما[14] أوعدهم الرسل من العذاب والإهلاك فاستهزءوا بذلك.

---

[1] جميع النسخ: عملوا بها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٩و.

[2] ن – من بعض.

[3] سورة البقرة، ٧١/٢.

[4] جميع النسخ: وقوله أساءوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٠.

[6] نسب الطبري هذا القول إلى قتادة، ونسب الثعالبي والأندلسي إلى ابن عباس. *تفسير الطبري*، ٤٦٧/١٨؛ *والمحرر الوجيز* لابن عطية الأندلسي، ٣٣١/٤؛ *وتفسير الثعالبي*، ٣٠٧/٤.

[7] ﴿تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾ (سورة الرعد، ٣٥/١٣).

[8] انظر: سورة الليل، ١٠/٩٢.

[9] انظر: سورة القارعة، ٩/١٠١-١١.

[10] انظر: سورة الأعلى، ٨/٨٧؛ وسورة الليل، ٧/٩٢.

[11] ر ث م + اسم. انظر مثلا: سورة يونس، ٢٦/١٠.

[12] جميع النسخ: يحتمل.

[13] جميع النسخ: آيات. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٠٩ظ.

[14] جميع النسخ: ما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٣ظ.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١١]

وقوله: **الله يبدأ الخلق ثم يعيده**، هذا في الظاهر دعوى، لكنه قد بيّن فيما تقدم من الآيات ما يُلزمهم الإعادةَ والإحياءَ من بعد الموت، حيث قال: أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ،[١] الآية، وقال:[٢] أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ،[٣] وغيرها من الآيات ما ألزمهم[٤] أنه لو لم يكن إعادة وبعث كان خلقهم عبثًا باطلاً خارجًا عن الحكمة. والقدرةُ في ابتداء الإنشاء إن لم تكن أكثر لا تكون دون الإعادة. فمن ملك وقدر على الابتداء كان على الإعادة أقدر؛ إذ إعادة الشيء عندكم أهون وأيسر من ابتداء إنشائه[٥] على ما ذكر في قوله: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ.[٦]

وقوله: **ثم إليه ترجعون**، سمّى[٧] الإعادة والإحياء بعد الموت الرجوع إليه، لما ذكرنا أن المقصود في خلقهم في هذه الدنيا الإعادة / والإحياء، لذلك سمّى الإعادة الرجوع[٨] إليه [٥٨٣و] والمصير[٩] إليه[١٠] والبروز له،[١١] وإن كانوا في جميع الأحوال صائرين إليه[١٢] راجعين بارزين له خارجين.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾[١٢]

وقول: **ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون**، قال بعضهم: الإبلاس هو الإياس، يُبلِسون أي يأيسون في الآخرة عما كانوا يَطمعون بعبادتهم تلك الأصنام والأوثان في هذه الدنيا،

---

[١] الآية السابقة برقم ٨.
[٢] جميع النسخ: وفي قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٣ظ.
[٣] الآية السابقة برقم ٩.
[٤] ر - ما ألزمهم؛ ث م + من الآيات.
[٥] جميع النسخ: إنشاء.
[٦] ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المَثَل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (سورة الروم، ٢٧/٣٠).
[٧] جميع النسخ: ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ث: والرجوع.
[٩] ر ث م: المصير.
[١٠] ر م - إليه.
[١١] انظر لهذه التسمية: آخر تفسير الآية ٨ من هذه السورة.
[١٢] م + إليه.

حيث قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[1] وقالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[2] ونحوه. يقول: يأيسون في الآخرة عما طَمِعوا بعبادتهم في الدنيا حين شهدوا عليهم وكفروا بهم وجعلوا يلعنون عليهم ويتبرءون منهم. وقال بعضهم: يأيسون من كل خير. وقال بعضهم: الإبلاس هو الفضيحة، أي يفتضحون بما عملوا. وقال بعضهم: المُبلِس كل منقطع رجاؤه[3] ساكت كالمتحير[4] في أمره. وقال بعضهم: المبلس، هو[5] كل آيس حزين.[6]

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾[١٣]

وقوله: **ولم يكن لهم من شركائهم شفعاءُ**، هو ما ذكرنا أن الأصنام التي عبدوها وسمّوها آلهة لا تشفع لهم. **وكانوا بشركائهم كافرين**، يحتمل هذا وجوها.[7] أي الأصنام بهم كافرون.[8] أو هم يكفرون بالأصنام[9] إذا لم يشفعوا لهم وصاروا شهداء عليهم. أو كل يكفر بصاحبه كقوله: [ثُمَّ] يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.[10] ***والله أعلم***.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾[١٤]

وقوله: **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون**، سمّى الله تعالى ذلك اليوم يومَ الجمع في آية[11] بقوله: يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ،[12] وسمى [في هذه الآية][13] يومَ الافتراق؛ فهو يوم الجمع في أول ما يبعثون ويُحشرون، ثم يفرق بينهم تفريقا لا اجتماع بينهم أبدًا، كقوله:

---

[1] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[2] سورة يونس، ١٨/١٠.
[3] ر: وجاؤه.
[4] م: كالمتحيره.
[5] ر م – هو.
[6] الإبلاس: الحزن المعترض من شدة البأس. يقال: أبْلَس. ومنه اشتق إبليس فيما قيل. قال عز وجل: ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾. ولما كان المبلس كثيرا ما يلزم السكوت وينسى ما يعنيه قيل: أبلس فلان، إذا سكت وانقطعت حجته (*المفردات* للراغب «بلس»).
[7] جميع النسخ: وجهين.
[8] ن: كافرين.
[9] ر ث م: الأصنام.
[10] سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩.
[11] جميع النسخ – في آية. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٠و.
[12] ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن﴾ (سورة التغابن، ٩/٦٤).
[13] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٤و.

فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ،[١] فهو يوم الجمع في حال ووقت[٢] ويوم الافتراق في حال ووقت آخر. وبعض أهل التأويل يقولون:[٣] **يومئذ يتفرقون**، العابد والمعبود والتابع والمتبوع بعد ما كانوا مجتمعين في الدنيا، وهو ما ذكر في آية أخرى: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ،[٤] الآية، فهذا تفرقهم على قول[٥] بعضهم. والوجه فيه ما ذكرنا بدءًا. ***والله أعلم.***

**﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[١٥]**

وقوله: **فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، آمنوا بكل ما أُمروا أن يؤمنوا به وعملوا بكل ما أمروا أن يعملوا.[٦] **فهم في روضة يُحبَرون**، والروضة كأنها اسم من أسماء الجنان. وقوله: **يُحبَرون**، قال بعضهم: يُكرَمون، وقال بعضهم: **يُحبَرون**، يُسَرّون. والحَبْرة السرور، ومنه يقال: كلّ حَبْرة[٧] يَتْبَعُها عَبْرة.[٨] والزجاج يقول: **يُحبَرون**، يتنعمون، والحبرة النعمة الحسنة.[٩] ***والله أعلم بذلك.***

**﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[١٦]**

وقوله: **وأما الذين كفروا**، أي جحدوا توحيد الله وأنكروا[١٠] **وكذّبوا بآياتنا**. يحتمل **كذّبوا بآياتنا**، آيات التوحيد أو آيات[١١] الرسالة أو آياتِ[١٢] البعث. **فأولئك في العذاب محضرون**،

---

[١] سورة الشورى، ٤٢/٧.

[٢] ث: في وقت وحال.

[٣] ر ن م + قوله.

[٤] ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥).

[٥] ر م: على قولهم.

[٦] ن + به.

[٧] «الحَبْرة بالفتح: النعمة وسعة العيش» (*النهاية* لابن الأثير، «حبر»).

[٨] روي نحوه حديثا عن أنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي: «يا علي ما من حَبْرة إلا ستتبعها عَبْرة، يا علي كل هم منقطع إلا هم النار، يا علي كل نعيم يزول إلا نعيم الجنة» (*الاعتبار وأعقاب السرور* لابن أبي الدنيا، ٢٨؛ وكشف *الخفاء* للعجلوني، ٢/١٤٧). وروى ابن المبارك عن يحيى بن كثير مرسلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفس محمد بيده ما امتلأت دارٌ حَبْرة إلا امتلأت عَبْرةً، وما كانت فَرْحة إلا تبعتها تَرْحة» (*كتاب الزهد* لابن المبارك، ٨٩، وكشف *الخفاء* للعجلوني، ٢/١٩٤).

[٩] ن – الحسنة. *معاني القرآن* للزجاج، ٤/١٨٠.

[١٠] جميع النسخ: وأنكروه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٠و.

[١١] ر م: وآيات.

[١٢] ر م: وآيات.

يحتمل قوله: **محضرون**،[1] أي يُحضر الأتباع والمتبوع جميعًا في النار ويجمع بينهم، كقوله: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا،[2] الآية، وقوله: فَبِئْسَ الْقَرِينُ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ.[3]

**﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[١٧] ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[١٨]**

وقوله: **فسبحان الله حين تمسون وَحِينَ تُصْبِحُونَ**، قوله: **فسبحان الله**، فَهِمت الأمة من قوله: **فسبحان الله**، الصلاة، أي صلّوا لِلّهِ.[4] ولو كانت أفهامهم على[5] أفهام أهل زماننا هذا لكانوا لا يفهمون سوى التسبيح المذكور. ثم يحتمل تسميتهم التسبيحَ صلاةً وفَهْمُهم منه ذلك وجهين.[6] أحدهما لِما في الصلاة تسبيحٌ فسمّوها بذلك لما فيها ذلك. والثاني[7] لِما أن التسبيح تنزيهٌ والصلاة من أولها إلى آخرها تنزيه الرب؛ لأن فيها إظهار الحاجات إليه والعجز والضعفِ، وفيها تعظيم الرب وإجلاله ووصفه بالجلال والرفعة. ففهموا[8] من التسبيح الصلاةَ لما ذكرنا، لِما فيها تنزيه الرب[9] من أولها إلى آخرها.

ثم منهم من قال: إن الصلواتِ[10] الخمسَ ذكرت في هاتين الآيتين[11] بقوله: **فسبحان الله حين تمسون**، يعني[12] صلاة[13] المغرب والعشاءِ الآخرة، **وحين تصبحون**، صلاةُ الفجر،

---

[1] ر ث م - يحتمل قوله محضرون.

[2] ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فَاهْدُوهُم إلى صراط الجحيم﴾ سورة الصافات، ٢٢/٣٧-٢٣.

[3] ﴿حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بُعْدَ المشرقَين فبئس القرين. ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ (سورة الزخرف، ٣٨/٤٣-٣٩).

[4] ر: الله.

[5] ر م - أفهامهم على.

[6] جميع النسخ: لوجهين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٤و.

[7] جميع النسخ: أو. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ر م: وفهموا.

[9] جميع النسخ: لما هي من تنزيه الرب. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٠ظ.

[10] ر: الصلوة.

[11] جميع النسخ: في هذه الآية.

[12] جميع النسخ - يعني. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] م: صلوات.

**وعشيا**، صلاة العصر، **وحين تظهرون**،[1] صلاة[2] الظهر. ومنهم من يقول: لا بل ذكرت فيها أربع صلوات: **حين تمسون**، المغربُ، **وحين تصبحون**، الفجر، **وعشيا**، العصر **وحين تظهرون**، الظهر. وأما العشاء الآخرة ففي قوله تعالى: وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ.[3] ***والله أعلم.***

وقوله: **وله الحمد في السماوات والأرض**، يحتمل قوله: **وله الحمد**، على التقديم، يقول: سبحان الله وله الحمد، فيكون الحمد كناية عن الصلاة كالتسبيح[4] لما فيها من التحميد، أو يقول: له يَحمَد أهل السماوات والأرض. ***والله أعلم.***

وقوله: **حين تُمسُون وحين تُصبحون ... [وعَشِيًّا] وحين تُظهرون**، أي إذا دخلوا في المساء والعشاء والصبح والظهر.

**﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾**[١٩]

وقوله: **يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**، يخبر عن قدرته في إنشاء الأشياء مبتدِئًا لا من أصل؛ لأنه قال: **يخرج الحي من الميت**، والميت ليس فيه الحياة، وكذلك: **الميتَ من الحي**، وليس في الحي موت، لكنه[5] يُخرِج هذا من هذا على ابتداء[6] الحياة فيه وابتداء الموت فيه من غير أن كان فيه ما ذكر.

ثم اختلف فيه أهل التأويل، قال بعضهم: / يخرج الناس والدواب والطير من النُّطَف، [٥٨٣ظ] **ويخرج الميت**، يعني النطف، **من الحي**، من الناس والدواب والطير. وقال بعضهم: **يخرج الحي من الميت**، أي المسلمَ من الكافر، **والميت من الحي**، أي الكافر من المسلم. ولكن يجيء على هذا أن يقال:[7] يُخرج من المسلم ما لا يكون[8] كافرا ومن الكافر ما لم يصر[9] مسلما؛

---

[1] ن ث + هي.
[2] ن - صلاة.
[3] ﴿يا أيها الذين آمنوا لِيَسْتَأْذِنْكُم الذين ملكت أيمانُكم والذين لم يَبْلُغوا الحُلُم منكم ثلاثَ مرّاتٍ من قبلِ صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم﴾ (سورة النور، ٢٤/٥٨).
[4] جميع النسخ + أو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٤و.
[5] جميع النسخ: ولكنه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٠ظ.
[6] ن + خلق.
[7] جميع النسخ: أن يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٤و.
[8] ث: ما يكون.
[9] ن ث: ما يصير.

لأن ما يَخرج لا يوصف بالإسلام ولا بالكفر ولا ينسب إلى واحد منهما وقت الخروج حتى يبلغ، فيكون منه فعل الكفر أو فعل الإسلام. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[1]

وفي الآيات التي تقدم ذكرها من نحو قوله: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ،[2] الآية، وقوله: أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ،[3] الآية، وأمثال ذلك مما يذكّر ويخبر أولئك الكفرة عن قدرته وسلطانه وألزمهم ذلك. وفي الآية[4] نقض قول المعتزلة، لأنهم لا يجعلون لله[5] القدرة على فعل بعوضة،[6] فلا يكون لهم الاحتجاج على أولئك الكفرة في القدرة على الإعادة والإنشاء بعد ما صاروا رَمادًا، أو كلام نحو هذا.

وقوله: **وكذلك تُخرجون**، أي كذلك تُبعثون وتُحيَون كما أُخرج الحي من الميت والميت من الحي من غير أن كانت الحياة في الميت والموت في الحي. ***والله أعلم***.

**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾[٢٠]**

وقوله: **ومن آياته**، يحتمل آيات وحدانيته وربوبيته وحججه،[7] أو آيات[8] بعثه وإحيائه، أو آيات[9] رسالة الرسل ونحوها.[10]

وقوله: **أن خلقكم من تراب**، يخرج على وجوه. أحدها نسب خلقنا إلى التراب؛ لأنا إنما خلقنا من أصلٍ خلق ذلك الأصل من التراب -وهو آدم- وإن لم تكن أنفسنا مخلوقة[11] من تراب حقيقة. كما نُسب خلقنا إلى النطفة وإن لم تخلق أنفسنا منها،[12] لكنه أضاف ذلك ونسب[ه] إلى النطفة لما هي أصل ما خُلِقنا منها.

---

[1] انظر: تفسير الآية ٢٧ من سورة آل عمران.

[2] سورة الروم، ٨/٣٠.

[3] سورة الروم، ٩/٣٠.

[4] ن ث - وفي الآية.

[5] ر م - لله.

[6] ن ث: بعض.

[7] م - وحججه.

[8] ر م: وآيات.

[9] ر م: وآيات.

[10] جميع النسخ: ونحوه.

[11] ن - مخلوقة.

[12] جميع النسخ: وإن لم يخلق أنفسنا كما هي من النطفة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١١و.

والثاني نُسبنا إلى التراب لما جُعل أغذيتنا وما به قوام أنفسنا وأبداننا في الخارج من التراب، فإنما هو إخبار بما به قوام أنفسنا وأبداننا وإن لم نخلق من التراب من الأصل. فيخبر -والله أعلم- أنكم لا تتصورون[1] خلق الجسم إذ[2] لم تشاهدوا تلك الطينة التي منها تكون الأجسام، وتتوهمون و[ت]تصورون إذا شاهدتم وعاينتم، فكيف أنكرتم القدرة على خلق الأجسام[3] بعد مشاهدة طينتها ومعاينتكم إياها، ورأيتم القدرة له على خلقها قبل أن تشاهدوا طينتها.[4]

والثالث نُسب خلقنا إلى التراب -وهو آدم على ما ذكرنا- إلا أن قوله: **خلقكم**، أي قدّركم من ذلك الأصل، والتخليق هو التقدير في اللغة وذلك جائز في اللغة، فإنما[5] قدَّرَنا على تقدير ذلك الأصل.[6] وجائز[7] نسبتنا وإضافتنا إلى التراب إن صح ما ذُكر في بعض الأخبار[8] أن ملكا يأتي بكف من تراب فيَذُرّه في تلك النطفة في رحم المرأة فيخلق منه حينئذ الولد.[9] فإن صح هذا فيكون خلق جميع الناس وأصلهم من تراب.

وقوله: **ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**، أي ثم إذا أنتم ذرية[10] مِن بعدُ بشَرٌ تنبسطون، كقوله: وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ،[11] أي يبسط. أو **تنتشرون**، أي تتفرقون في حوائجكم وفي طلب[12] أغذيتكم وما به قوام أنفسكم. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: لا تصورون. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٨٤ظ.

[2] ر ث م: ان.

[3] ر ث م - وتتوهمون وتصورون إذا شاهدتم وعاينتم فكيف أنكرتم القدرة على خلق الأجسام.

[4] وعبارة السمرقندي هكذا: «إنكم لا تتصورون ولا تتوهمون خلق الجسم إذ لم تشاهدوا تلك الطينة التي تكون منها الأجسام، وتتوهمون وتصورون إذا شاهدتم وعاينتم. [و]ما أنكرتم القدرة على خلق هذه الأنفس من أصل وإن لم تشاهدوا ذلك الأصل وإن لم يدخل ذلك في أوهامكم وإن لم يدخل في قلوبكم، فكيف أنكرتم القدرة على خلق الأجسام بالإعادة وقد عاينتم الأصل وشاهدتم. والله أعلم» (شرح التأويلات، ورقة ٥٨٤ظ).

[5] ر ث م: وإنما.

[6] ر ث م + وذلك. [7] ر م: جائز.

[8] جميع النسخ + ذكر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١١ظ.

[9] روي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا وقد ذُرّ عليه من تراب حفرته» (*حلية الأولياء* لأبي نعيم، ٢/٢٨٠؛ و *وتفسير القرطبي*، ١٤/٨٠). وروي عن ابن مسعود أن الملك الموكّل بالأرحام يأخذ النطفة من الرحم فيضعها على كفه ثم يقول: يا رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: مخلقة، قال: يا رب ما الرزق ما الأثر ما الأجل؟ فيقال: انظر في أم الكتاب. فينظر في اللوح فيجد فيه رزقه وأثره وأجله وعمله ثم يأخذ التراب الذي يدفن في بقعته فيعجن به نطفته (*نوادر الأصول* للحكيم الترمذي، ١/١١٨؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٢٢/٦١؛ و*عمدة القاري* للعيني، ٨/٣٢٥-٣٢٦).

[10] ر ن م: ذريته.

[11] ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٢٨).

[12] ن: في طلب.

**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[٢١]

وقوله: **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل[١] **خلق لكم من أنفسكم أزواجا**،[٢] أي من أجناسكم وأشكالكم، **لتسكنوا إليها**. يقول: إنما جَعَل ما تسكنون إليه وتتآلفون من جنسكم وشكلكم ما تعرفون، [و]لم يجعل في غير جنسكم وشكلكم،[٣] كقوله: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ،[٤] أي من جنسكم وشكلكم من تعرفون صدقه وثقته وأمانته ما لو كان من غير جنسكم وشكلكم لا تعرفونه.[٥] فعلى ذلك جائز قوله: **خلق لكم من أنفسكم أزواجا [لتسكنوا إليها]**، أي من جنسكم ما تسكنون إليها وتستأنسون بها[٦] ما لو كان[٧] من غير جنسكم[٨] لا يكون ذلك، إذ إنما[٩] يستأنس كلُّ ذي شكلٍ بشكله وجنسه. والثاني ما ذكرنا أنه أراد آدم وحوّاء، أي خلق زوجته حوّاء من نفسه فجعلها له سكنًا يسكن إليها ويستأنس بها. ***والله أعلم***.[١٠]

وقوله: **وجعل بينكم**، أي بينكم وبين الأزواج، **مودةً ورحمة**. يحتمل قوله: **مودة ورحمة**،[١١] وجهين. أحدهما يودّها لما جعلها[١٢] له موضعًا لقضاء شهوته وحاجته، وكذلك هي تَوَدّه لذلك. **ورحمةً**، أي يرحم بعضهم بعضا ويَتحنّن عليه[١٣] إذا نزل بواحد منهما ما يمنع قضاء الشهوة والحاجة. والثاني يودّ بعضهم بعضا ويرحم بالطبع والخلقة، إذ كل ذي طبع يودّ شكله وجنسه إذا كان في حال السعة والرخاء والسرور، ويرحمه إذا نزل به البلاء والشدة.

---

[١] ن – يحتمل؛ ن ث + قوله. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١١ظ.

[٢] ر م – هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله خلق لكم من أنفسكم أزواجا.

[٣] ر م + ما تعرفون.

[٤] سورة التوبة، ١٢٨/٩.

[٥] ن: جنسهم وشكلهم لا يعرفونه.

[٦] جميع النسخ: بهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ر ث م: كانوا.

[٨] جميع النسخ: جنسهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ر م – إنما.

[١٠] ن – والله أعلم.

[١١] جميع النسخ – ورحمة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٤ظ.

[١٢] ر م: جعل.

[١٣] جميع النسخ: إليه.

هذا معروف عند الناس أن يتراحم بعضهم على بعض في حال نزول البلاء والشدة، ويتوادُّوا[١] في حال السعة والسرور. وقال الحسن: **وجعل بينكم مودة**، أي الجماع، **ورحمة**، أي الولد.[٢]

فكيف ما كان فهو يخبر عن لطفه ومنّته حيث جعل بين الزوج والزوجة المودّةَ والرحمةَ على عدمِ القرابة والرَّحِم[٣] وبُعد ما بينهما، فصارا لما ذكرنا في المودّة والرحمة كالقريبَين وذوي[٤] الرَّحِمَين وأقربِ القريب. وذلك على المعتزلة؛ لأنه أخبر أنه جعل بينهم مودّةً ورحمة وذلك فعل الزوجين في الظاهر، ثم أضاف ذلك[٥] إلى نفسه وأخبر[٦] أنه جعَل، دلّ أن له صنعًا في ذلك، / فيبطل [٥٨٤و] قولهم أن ليس لله صنع في فعل العباد. و[على زعمهم] يبطل اللطف الذي ذكر أنه جعل بينهم.[٧]

وقوله: **إن في ذلك لآيات**، لما ذكرنا من آيات وحدانيته وربوبيته أو آيات[٨] البعث والنشور أو آيات الرسالة والنبوة. **لقوم يتفكرون**، لقوم ينتفعون وهم المؤمنون، أو لقوم يتفكرون ويتدبرون ويعتبرون فيعرفون. فأما من لا يتفكّر ولا يتدبّر فلا ينتفع بها فهي ليست بآيات له.[٩] والله أعلم.

**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾** [٢٢]

وقوله: **ومن آياته**، أي[١٠] آيات وحدانيته وربوبيته وألوهيته أو آيات[١١] بعثه. وقوله: **خَلْق السماوات والأرض**، في خلق السماوات[١٢] ورفعها[١٣] في الهواء وإقرارها فيه آية؛

---

[١] جميع النسخ: ويوادهم.
[٢] *النكت والعيون* للماوردي، ٣٠٥/٤؛ وتفسير *القرطبي*، ٤١٢/١٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٩٥/١١.
[٣] ن: أو الرحم.
[٤] ن ث: وذي.
[٥] ن - ذلك.
[٦] ر م: فأخبر.
[٧] ن + ما جعل على زعمهم.
[٨] ر م: وآيات.
[٩] جميع النسخ: فلا ينتفع به فهو ليس بآيات له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٤ظ.
[١٠] ن ث - أي.
[١١] ر م: وآيات.
[١٢] ن + والأرض.
[١٣] ن: ورفع السماء.

لأنه غير موهوم مثله من فعل الخلق ومن[1] قدرتهم. وكذلك خلق الأرض وبسطها وإقرارها على الماء أو على الريح خارج من فعل الخلق ومن قدرتهم، غير موهوم ذلك في أوهامهم وعقولهم من غير الله[2] الواحد العالم القادر بذاته.[3] فإذا كان ما ذكر غيرَ موهوم في أوهامهم وعقولهم من غير الله فهم إنما أنكروا البعث لما لم يعاينوا ذلك ولا شاهدوه[4] في أوهامهم، فكيف أنكروا البعث - وإن كان غير موهوم ذلك في أوهامهم-[5] بعد أن كان ذلك موهومًا من الله مشاهَدًا معاينًا، لمثل هذا -والله أعلم- يذكر هذا.

وقوله: **واختلاف ألسنتكم وألوانكم**، كأنه يقول: وفي خلق اختلاف ألسنتكم آياته أيضا؛ لأن الألسن بحيث خلقةُ الألسن غير مختلفة ولكن إنما تختلف[6] بحيث النطق والتكلُّم بها، حتى لا يقع في التكلم بها والنطق والصوت تشابهُ بحالٍ وخروجُ[7] عما يقدرون من الكلام، وإن كانت بحيث خلقتها واحدة غيرَ مختلفة.

فهذا على المعتزلة لقولهم: إن أقوال العباد غير مخلوقة لا صنع لله فيها. فلو لم يكن له فيما يتكلمون[8] وينطقون على اختلاف ذلك صنع فلا آيةَ تكون له في ذلك، فدل أنه إنما صار آية له لما له صنع في ذلك. وكذلك فيما تختلف[9] الألوان بفعل يكون من الخلق وتتغير[10] عند الغضب والسرور والفرح. ثم أخبر أن ذلك [من] آياته، دل أنه خالق لأفعالهم وأقوالهم حتى كان آية له.[11] *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: وفي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٢و.

[2] ر م - الله.

[3] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ (سورة لقمان، ٣١/٢٥).

[4] ر م: شاهدوا.

[5] ر - فكيف أنكروا البعث وإن كان غير موهوم ذلك في أوهامهم.

[6] ث: يختلف.

[7] جميع النسخ: وخروجه.

[8] ر م: فيما تكلمون.

[9] جميع النسخ: يختلف.

[10] جميع النسخ: ويتغير.

[11] وعبارة السمرقندي هكذا: «فإذا كان اختلاف الألوان عند أفعال العباد من الغضب والسرور فعلا لهم عندهم، فلو لم يكن خالق ذلك هو الله تعالى لم يكن آية، فدل ذلك على خلق أفعال العباد من الله تعالى فبطل مذهبهم فيه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨٥و).

وأهل التأويل يقولون: **واختلاف**[١] **ألسنتكم**، عربي وعجمي ونَبَطي وتركي ونحوه، **وألوانكم**، أبيض وأحمر وأسود ونحوه، وأصله ما ذكرنا.

**إن في ذلك لآياتٍ للعالِمِين**، جائز أن تكون[٢] آيات لمن انتفع به من العالِمِين، أو آية لمن تفكّر وتدبّر من العالِمِين؛ لأنه إذا تفكّر وتدبّر عرف وجه الآية في ذلك.

**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾**[٢٣]

وقوله: **ومن آياته منامكم بالليل والنهار**، لأن النوم يأخذهم من غير أن يَعرفوا أنه من أين مَأْتَاهُ ومأخذه، ثم يَأخذ منهم جميعَ منافع الأحياء من السمع والنطق والفهم والرؤية وجميعَ ما يُنتفَع[٣] به قبل ذلك، ثم يَردّ ذلك إليهم من غير أن عرفوا بذلك فيعودون إلى ما كانوا من المنافع والاكتساب. ليُعلَم أن من قدر على مثل هذا يقدر على أخذ الروح ونفسه وردّه إليه، فهو أخو الموت، قال الله تعالى: يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ،[٤] سمى النوم الوفاة، وهو مثله لما ذكرنا أن جميع[٥] منافع الأحياء يرتفع ويزول بالنوم ثم يرد إليه من غير أن يَشْعُر بذلك، فمن قدر على هذا يقدر على الإحياء بعد الموت.

وقوله: **وابتغاؤكم من فضله**، جهة الآية فيما يبتغون[٦] من فضله هو خلقه تلك المكاسب والتجاراتِ والحِرَفَ التي يبتغون بها الرزق، أخبر أنه خلق ذلك منهم. ففيه دلالة خلق أفعال العباد، فهو على المعتزلة لإنكارهم خلق أفعالهم. أو أن تكون[٧] جهة الآية فيه ما عرفهم تلك المكاسب والتجارات والحِرَف وعلّمهم إياها[٨] وأحوجهم إليها لِيَتِصلوا إلى منافعهم. *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: اختلاف.
[٢] جميع النسخ: أن يكون.
[٣] ر ن م: تنتفع.
[٤] ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جَرَحْتُم بالنهار ثم يَبعثكم فيه لِيُقْضَى أجلٌ مسمًّى﴾ (سورة الأنعام، ٦٠/٦).
[٥] م - جميع.
[٦] جميع النسخ: ينتفعون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٣و.
[٧] جميع النسخ: أو أن يكون.
[٨] ث - إياها.

وقوله: **إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**، يحتمل قوله: **لقوم يسمعون**، أي ينتفعون بسمعهم أو لقوم يُجيبون. والسمع يجوز أن يعبّر به عن الإجابة كقوله [عليه الصلاة والسلام]: «سمع الله لمن حمده»،[1] أي أجاب الله لمن دعاه. أو أن يكون قوله: **لقوم يسمعون**، أي يعقلون، ويجوز العبارة [به] عنه،[2] كقوله: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ[3] يَعْقِلُونَ.[4] وجائز أن يكون[5] قوله:[6] **لقوم يسمعون** المواعظ فيقبلونها فينتفعون بها.

**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**[٢٤]

وقوله: **ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا**، قيل فيه بوجهين. أحدهما يريكم البرق للخوف والطمع؛ تخافون سلطانه وقدرته أن يصيبكم[7] ذلك البرق فيَذْهب بأبصاركم، **وطمعا**، ترجون رحمته بصرفه[8] عنكم. والثاني، **يريكم البرق خوفا وطمعا**، أي يريكم البرق تخافون وتطمعون؛ تخافون[9] [أي] يخاف[10] المسافر قطع مسيره[11] ومنعه عنه، وتطمعون أي يطمع المقيم رحمته ما يكثر به أنزاله[12] ومعاشه. وجائز:[13] تخافون الصواعق وتطمعون المطر، وهو ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله: **وينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها**، هو ظاهر قد ذكرناه.[14]

**إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**، يحتمل ما ذكرنا: **لقوم يعقلون**، ينتفعون بعقولهم، أو **لقوم يعقلون**، لو تدبروا وتفكّروا. *والله أعلم*.

---

[1] صحيح *البخاري*، الأذان ١٢٤؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٧١.
[2] أي السمع يجوز أن يعبّر به عن العقل.
[3] جميع النسخ + يسمعون أي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٣و.
[4] سورة الرعد، ٤/١٣؛ وسورة النحل، ١٢/١٦؛ والآية التالية.
[5] جميع النسخ – وجائز أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: ويقال. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن: تصيبكم.
[8] ر م: يصرفكم؛ ث: يصرفه.
[9] جميع النسخ – تخافون. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: يخافه. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: مسيرة. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] النُّزْل: العطاء، البركة، الرزق. والجمع: أنزال (*المعجم الوسيط* «نزل»).
[13] ر ن م: والثاني؛ ث: والثالث. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٣و.
[14] انظر تفسير الآية ٦٥ من سورة النحل.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[٢٥]

وقوله: **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**، هو ما ذكرنا[١] أنهما[٢] قاما على شيء غير موهوم ذلك في أوهام الخلق، إذ ليس في أوهامهم[٣] قيام شيء من أفعالهم على مثله، وهو الهواء والماء أو الريح.[٤] فكيف حملهم خروج شيء من أوهامهم على إنكاره / وتكذيبه،[٥] [٥٨٤ظ] وهو البعث والإحياء بعد الموت، فمن قدر على أحدهما قدر على الآخر.

وقوله: **ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تَخرجون**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو على التقديم، أي ثم إذا دعاكم دعوة إذا أنتم تخرجون من الأرض. والدعوة هي النفخة الآخرة. وقال بعضهم: هو ما ذُكر [من أن] الدعوة تكون من الأرض من صخرة بيت المقدس، من هنالك يسمعون الدعوة.[٦]

ثم اختلف في الدعوة والصيحة والنفخة والصور ونحو ما ذكر، فمنهم من يقول على حقيقة الدعوة والصيحة والنفخة والصور على ما ذكر. وقال بعضهم: لا ولكن ذلك إخبار عن سرعة نفاذ الأمر وعبارة عن خفّة ذلك عليه[٧] وهَوْنه، كقوله: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ،[٨] وقوله: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ،[٩] وقوله "كن"[١٠] ليس أن كان منه "كاف" أو "نون" لكنه ذُكر بأخفّ حروف يُفهم منه المعنى، فعلى ذلك ذكر الصيحة والنفخة والدعوة والصور. *والله أعلم.*

---

[١] م – إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون يحتمل ما ذكرنا لقوم يعقلون ينتفعون بعقولهم أو لقوم يعقلون لو تدبروا وتفكروا والله أعلم وقوله ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره هو ما ذكرنا. صح هـ.

[٢] جميع النسخ: أنه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٣ظ.

[٣] جميع النسخ – إذ ليس في أوهامهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] ر م: والريح.

[٥] ن: وتكذيب.

[٦] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٤٩؛ و*تفسير الطبري*، ٢١/٤٧٤–٤٧٦؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ١٠/٣٣١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٣/٦٥٩–٦٦٠.

[٧] ر ث م – عليه.

[٨] سورة النحل، ١٦/٧٧.

[٩] سورة النحل، ١٦/٤٠.

[١٠] جميع النسخ – وقوله كن. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٣ظ.

وفي قوله: **ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تَخرجون**، دلالة وإخبار [على][1] أنه قادر على الإنشاء والإحياء بلا سبب؛ لأنه أخبر أنه إذا[2] دعاكم دعوة[3] تَخرجون، والدعوة ليست هي بسبب للإحياء والإنشاء، بل أخبر أنه يخرجهم إخراجًا، ثبت أنه ما ذكرنا.

وقد ذكرنا في اختلاف الألسن: لو لم يكن ما يُسمَع منهم وما يَنطقون يُخلق في الحقيقة فإذن آياته عبث؛ لأن الحروف هي التي تقطعها[4] الألسن، والكلام هو ما يَرْصُفه المتكلِّم وينظِّمه. فلو لم يكن ذلك خلقا من خلق الله لكان لا أحد[5] شهد خلقه ولا جسمه ولا سمعه وبما احتج به،[6] فيكون بمعنى من يقول: لله آيات في الكلام احتج بها على عباده[7] الذين لم يُطلِعهم عليه ولا سبيل لهم إلى التطلّع عليها، وذلك بعيد من العقول. فثبت أن الله قد خلق كل نطق على ما عليه، يعرفه المتفكِّر فيه[8] بما يرى من عجز المتفوّه[9] به على التفوّه به، على التقطيع الذي يقدّره في نفسه وعلى الحد الذي يجب أن يكون عليه دون أن يقع في ذلك تفاوت واختلاف، فيَعلم أن ذلك كان الآيةَ [لا] على ما كان عليه، بل بالله جل وعلا. ***ولا قوة إلا بالله***.

وما ذكر من اختلاف اللون،[10] فإنا قد نجده يتغيّر بالعباد، نحو ما يظهر[11] عند شدة السرور بالشيء غير[12] الذي يظهر عند شدة الغضب، متولدًا عن فعلهم. ومن قول المعتزلة أو عامتهم أن المتولد هو فعل الخلق. فعلى ذلك القول يكون اللّون فعلا لهم بتخليق الله. وأما النوم[13] فموضع الاعتبار فيه ما في اللون، وإلا فالاعتبار إنما هو بابتغائهم من فضله،

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤٨٥و.

[2] ر ن ث - إذا.

[3] جميع النسخ + ثم.

[4] جميع النسخ: يقطعها. والتصحيح من نسخة چورلولي علي باشا، ورقة ٤٧٣و.

[5] ر م - هي التي تقطعها الألسن والكلام هو ما يرصفه المتكلم وينظمه فلو لم يكن ذلك خلقا من خلق الله لكان لا أحد.

[6] ر ث م - به.

[7] ر: عناده؛ ن: عبادة.

[8] ر م - فيه.

[9] ر: المتفوة.

[10] ر م - اللون. يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ (سورة الروم، ٢٢/٣٠).

[11] م: تظهر.

[12] ر: غيري.

[13] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ (سورة الروم، ٢٣/٣٠).

أي ذلك بما ركّب فيهم من الحاجة وأنشأ لهم من الفاقة إلى ما ذكر من الأغذية. فإن[1] ابتغاءها فعل[2] للخلق، وقد احتج الله سبحانه وتعالى على العباد فأخبر أنه من آياته، ومحال أن تكون[3] حجته ما يخلقه غيره دون الذي يخلقه، بل يدل خلق كلٍّ على مُنشئِه من طريق الخلقة والتدبير. فثبت أن الابتغاء مخلوق بخلقة[4] الله وإن كان فعلا للخلق. *والله الموفق.*

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[٢٦]

وقوله: **وله من في السماوات والأرض**، حرف "مَن" إنما يتكلم به ويعبر عمن له الملك والتدبير والتمييز، وحرف "ما" عن ملك الأشياء نفسها. فإذا كان مَن له الملك في الشيء والتدبيرُ والأمر له فالأملاك أحق أن تكون له. يخبر -والله أعلم- عن غِناه وسلطانه وقدرته أن[5] من له ما ذكر في السماوات والأرض لا يحتمل[6] أن يمتحنهم ويأمرهم بأنواع العبادة والطاعة لحاجة[7] نفسه أو لمصلحة نفسه،[8] إذ هو غني عن ذلك، ولكنه إنما يمتحنهم[9] ويأمرهم بأنواع العبادة وأنواع المحن لمنافع أنفسهم وحاجاتهم ومصالحهم. فإذا كان له ما ذَكَر من الملك لا يُحتمل أن يُعجزه شيء أيضًا.

وقوله: **كلٌّ له قانتون**، قال بعضهم: القنوت القيام، والقانت القائم. فإن كان هذا فتأويله: **كلٌّ له قانتون**، أي قائمون[10] بتدبيره وأمره في الوجود والعدم والإبداء والإعادة وفي كل حال؛ إن أوجد وُجد، وإن أعدم صار معدومًا وإن أماته مات[11] وإن أحياه حَيِيَ ونحوُه، في كل حال يقوم بتدبيره وأمره. وقال بعضهم: **كل له قانتون**، أي مطيعون. فإن كان على هذا[12] فهو على طاعة الخلقة له والشهادة لله بالوحدانية والربوبية والتدبير له والعلم في ذلك،

---

[1] جميع النسخ: بأن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٤و.
[2] جميع النسخ: فعلا.
[3] جميع النسخ: أن يكون.
[4] ر ث م: يخلقه.
[5] جميع النسخ: أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر ث م: لا يمتحن.
[7] ر: لخارجة.
[8] م - أو لمصلحة نفسه.
[9] جميع النسخ: إنما يمتحن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٥و.
[10] جميع النسخ: قائم. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٥٨٥ظ.
[11] ر م - وإن أماته مات.
[12] ث + ونحوه، مشطوب؛ م + ونحوه في كل حال يقوم بتدبيره وأمره وقال بعضهم كل له قانتون أي مطيعون فإن كان على هذا.

لأن الله جعل في خلقة كل أحد وكل شيء وفي صورته ما يَشهد له بالوحدانية والربوبية، ويدلّ على تدبيره وعلمه وحكمته، فكل له قانت ومطيع بالخلقة والصنعة. وقال بعضهم: **كل له قانتون**، أي خاضعون. فهو يرجع إلى حال دون حال، وهو حال الخوف والضرورة يخضع له كل كافر ومشرك في تلك الحال. وهو ما أخبر عنهم من الخضوع له إذا ركبوا [في][1] الفلك حيث قال: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[2] وقوله:[3] لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ،[4] ونحو ذلك من الأحوال التي كانوا يخضعون له ويطيعون. *والله أعلم*.

**﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[٢٧]

وقوله: **وهو الذي يبدأُ الخلق ثم يعيده**، يخبر أن من ملك وقدر على إبداء الخلق[5] وإعادته لا يحتمل أن يخلقهم وينشئهم لحاجة نفسه / أو لمصلحته[6] لأنه غني بذاته، أو يمتحنَهم لمنفعة نفسه أو يأمرَهم[7] لذلك، ولكن إنما يُبدِئُ ويعيدُ لحاجة أنفسهم. أو يخبر أن من قدر على إبداء الشيء يملك إعادته. [٥٨٥و]

وقوله:[8] **وهو أهون عليه**، اختلف فيه. قال بعضهم:[9] **هو أهون عليه**، أي عليه[10] هيّن إبداؤه وإعادته، كقوله: وَذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ،[11] وقوله: هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ.[12] وتجوز[13] العبارة بِأَفْعَلَ عن فَعيل،[14] نحوَ ما يقال: الله أكبر، أي كبير، وأعظم بمعنى عظيم، ونحوه كثير.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٥ظ.
[2] سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩.
[3] جميع النسخ: وقولهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٤ظ.
[4] سورة يونس، ٢٢/١٠.
[5] ر ث م – يخبر أن من ملك وقدر على إبداء الخلق.
[6] ر م: لمصلحة.
[7] ر ن م: أو يأمره.
[8] جميع النسخ – وقوله. والزيادة من المرجع السابق.
[9] ر ث م – بعضهم.
[10] ر م – أي عليه.
[11] ﴿زعم الذين كفروا أن لن يُبْعَثوا قل بلى وربي لَتُبْعَثُنّ ثم لَتنبؤنّ بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ (سورة التغابن، ٧/٦٤).
[12] ﴿قال كذلكَ قال ربكَ هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ (سورة مريم، ٩/١٩).
[13] جميع النسخ: ويجوز.
[14] ر ن: فعل.

فعلى ذلك قوله: **وهو أهون عليه**، أي عليه هيّن؛ إذ ليس شيء أصعبَ على الله من شيء، أو شيء أهونَ عليه من شيء، بل الأشياء كلها بمحلٍّ واحدٍ داخلٍ تحت قوله: كُنْ.[١] وإنما يقال أهون وأيسر لمن كان فعله بسبب فيَهُون عليه إذا كثرت الأسباب ويَصْعُب عليه ذلك إذا قلّت وضعفت. فأما الله سبحانه وتعالى هو الفاعل للأشياء وصانعها والقادر عليها بسبب وبلا سبب. فلا جائز أن يقال: شيء أهون عليه من شيء، وإنما يجوز ذلك [في]من كان فعله لا يكون إلا بسبب.

وقال بعضهم قوله: **وهو أهون عليه**، في عقولكم وتدبيركم وتقديركم، أي إعادة الشيء في عقولكم وتدبيركم أهون من إبدائه؛ لأن الخلق لا يملكون تصوير ما لم يَسبِق له المثال والتصوير[٢] ابتداء. وقد يملكون تصوير الأشياء وتمثيلها إذا سبق لهم مثال رأوه وشاهدوه. فثبت أن إعادة الشيء في عقولكم وتدبيركم أهون من ابتدائه. فإذا عاينتم وأقررتم أنه قادر على إبدائه[٣] فهو على إعادته أملك وأقدر. ***ولا قوة إلا بالله***.

وقال بعضهم قوله: **وهو أهون عليه**، يعني على ذلك الشيء، أي إعادته[٤] ذلك الشيء أهون على ذلك الشيء من إبدائه؛ لأنه في الابتداء ينقله ويحولّه من حال النطفة إلى حال العلقة ثم من حال العلقة إلى حال المضغة ثم من حال المضغة إلى حال التصوير والتَّسَمَة إلى ما ينتهي إليه حتى يصير خلقًا وصورةً.[٥] فيخبر أن إعادته ليسـ[ـت] على هذا التقدير والتحويل من حال إلى حال ولكن كما ذكر: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ،[٦] وقوله: وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ،[٧] وقوله: إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً[٨] ونَفْخَةً،[٩] ودَعْوَةً[١٠] وما ذكر. فالإعادة لذلك الشيء أهون على ذلك الشيء من الابتداء.

---

[١] ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ (سورة النحل، ١٦/٤٠).

[٢] ر م: والتصور.

[٣] ث - فإذا عاينتم وأقررتم أنه قادر على إبدائه.

[٤] ث: إعادة.

[٥] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١٢-١٤).

[٦] سورة النحل، ١٦/٧٧.

[٧] سورة القمر، ٥٤/٥٠.

[٨] ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ (سورة يس، ٣٦/٥٣).

[٩] ﴿فإذا نُفخ في الصور نفخةٌ واحدة﴾ (سورة الحاقة، ٦٩/١٣).

[١٠] ﴿ثم إذا دعاكم دعوةً من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ (سورة الروم، ٣٠/٢٥).

وقوله: **وله المثل الأعلى في السماوات والأرض**، أي له الصفات العالية. ثم هو يخرج على وجوه. أحدها أن[1] كل موصوف بالعلوّ والرفعة مِن دونه فهو الموصوف به في الحقيقة، على ما ذكرنا أن كل مَن حُمد دونَه فذلك الحمد له في الحقيقة راجع إليه ذلك، كقوله: وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[2] الآية.

والثاني له الصفة العالية مما يخالف صفاتِ الخلق وشِبْهَهم،[3] كقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[4] لا تشبه[5] صفاته صفات المخلوقين ولا اشتبهت صفات الخلق صفاتِه. وهو ما قاله بعض أهل التأويل: الذي لا مثل له ولا شِبْهَ، لا إله إلا هو واحد لا شريك له.

والثالث وله الصفات العالية مما لا يُضادّ بعضها[6] بعضا، عالم لا جهل فيه، قادر لا عجز فيه، عزيز لا ذُلّ فيه، وأمثال ذلك مما لا يدخل في ذلك نقصان أو عيب بوجه من الوجوه. وليس كالخلق فإنهم[7] يوصفون بالعلم بجهة وبشيء، وبالجهل بجهة أخرى وبشيء آخر،[8] وبالقدرة بجهة أخرى وبشيء آخر، وبالعجز بجهة أخرى وبشيء آخر، وبالعز بجهة أخرى وبشيء آخر، وبالذل بجهة أخرى وبشيء آخر. فالله سبحانه وتعالى موصوف بصفات لا يضادّ بعضها بعضًا ولا يدخل في ذلك نقصان بجهة من الجهات وفي حال من الأحوال، لأنه بذاته موصوف بذلك لا بغير[9] ولا بسبب. وأما غيره[10] فإنما يوصفون بذلك بأسباب وبأغيار[11] تكون لهم. لذلك كان ما ذكر. ***ولا قوة إلا بالله***.

وقوله: **وهو العزيز الحكيم**، العزيز[12] الذي لا يلحقه الذلّ والضرر بمخالفة خلقه إياه وعصيانِهم له، ليس كملوك الأرض، إذا خالفهم[13] أتباعهم وحواشيهم ورعيتهم،

---

[1] جميع النسخ: بأن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٥ظ.
[2] ﴿وله الحمد في السماوات والأرض وعَشِيًّا وحين تُظهرون﴾ (سورة الروم، ٣٠/١٨). جميع النسخ – في السماوات والأرض. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٥و.
[3] ن – في الحقيقة راجع إليه ذلك كقوله وله الحمد الآية والثاني له الصفة العالية مما يخالف صفات الخلق وشبههم.
[4] سورة الشورى، ٤٢/١١.
[5] جميع النسخ: لا يشبه.
[6] ر م – بعضها.
[7] جميع النسخ: ليس كالخق أنهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٥ظ.
[8] ر ث م – وبشيء آخر.
[9] ر م: لا بغيره؛ ن: لا يعز.
[10] ن: عزه.
[11] جميع النسخ: وباعتبار. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٥ظ.
[12] جميع النسخ – العزيز. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: خالفوا. والتصحيح من المرجع السابق.

يَذِلّون ويلحقهم الضرر بإعراضهم عنهم، لأن عزّهم كان بهم فبإعراضهم عنهم[١] ومخالفتهم إياهم يَذِلّون. فأما الله سبحانه عزيز بذاته لا يلحقه الضرر والذل بمخالفة الخلق إياه. أو أن يكون قوله: **العزيز**،[٢] المنتقم ممن[٣] يخالف أمره ويعصيه أو يشرك غيره في أُلوهيّته وربوبيّته. **والحكيم**، هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير. يخبر -والله أعلم- أني وإن خلقتُهم وأنشأتُهم على علم مني أنهم[٤] يخالفوني ويعصوني، وأعنتهم بكل أنواع المعونة على علم مني[٥] بذلك منهم. فإنّ فِعله ليس بخارج عن الحكمة، كما يكون في الشاهد أن من أعان عدوّه بأنواع المعونة وهو يعلم أن معونته إياه تزيد له قوةً في معاداته وعصيانه ومخالفته فهو[٦] موصوف بالسفه غير موصوف بالحكمة، لأنه يسعى[٧] في إهلاك نفسه ويُعِينه على ذلك بمعونته إياه،[٨] ومن سعى في إهلاك نفسه فهو غير حكيم. فأما الله سبحانه حيث خلقهم وأنشأهم وأعانهم[٩] بكل أنواع المعونة على علم منه بما يكون من الخلاف له والعصيان والمعاداة[١٠] غير خارج / فعله عن الحكمة؛ لما ذكرنا أنه لا يلحقه الضرر ولا النقصان بما علم أنه يكون منهم [٥٨٥ظ] من الخلاف له والعصيان والعداوة. *ولا قوة إلا بالله*.

**﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢٨]**

وقوله: **ضرب لكم مثلا من أنفسكم**، قال بعضهم: ضرب لكم مثلاً من مثل خلقكم؛ يقول -والله أعلم-: يبيّن لكم مثلاً من أنفسكم ما لو تفكّرتم وتأمّلتم لظهر لكم سفهكم بعبادتكم الأصنامَ دون الله أو تسويتِكم[١١] الأصنامَ بالله. ثم يخرج ضرب المثل بما ذكر على وجوه.

---

[١] ن - عنهم.
[٢] ن + أي.
[٣] جميع النسخ: عمن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٥ظ.
[٤] م - أنهم.
[٥] ث - أنهم يخالفوني ويعصوني وأعنتهم بكل أنواع المعونة على علم مني.
[٦] جميع النسخ: هو. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٥ظ.
[٧] جميع النسخ: يسبق. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ن - إياه.
[٩] ر م: أعانهم.
[١٠] ن: والمعادات.
[١١] جميع النسخ: أو تسميتكم. والتصحيح من المرجع السابق.

أحدها قوله:[1] **هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء**، أي لم تُسَوُّوا أنتم أنفسَكم بالذي ملكت أيمانكم فيما رُزِقتم حتى تكونوا[2] أنتم وهم سواءً في ذلك. فكيف[3] زعمتم أن الله قد سوّى نفسه وما ملك من خلقه في ملكه وألوهيته؟ والثاني يقول: هل ترضون أن يكون ما ملكت إيمانكم[4] شركاءكم فيما تملكون من الأموال؟ فإذ لم ترضوا به فكيف زعمتم أن الله يرضى أن يُشرك مماليكه في ملكه وسلطانه؟ أو يقول: فإن لم ترضوا لأنفسكم إشراك ما ملكت أيمانكم في ملككم و لم تُسوّوا مماليككم بأنفسكم في ذلك فكيف رضيتم ذلك لله وسوّيتم نفسه ومماليكه وعدلتم به مَن دونَه؟ *والله أعلم*.

وقوله:[5] **تخافونهم كخيفتكم أنفسكم**، أي [هل] تخافون مماليككم كما تخافون أحرارا[6] أمثالكم؟ [أي لا تخافون]. وقال بعضهم: [هل] تخافون لآئِمَتَهم كما يخاف الرجل لائمة أبيه وأخيه وأقاربه؟ وبعضهم يقولون: [هل][7] تخافون عبيدكم أن يرثوكم بعد الموت كما تخافون أن يرثكم الأحرار من أوليائكم؟ وهو قول مقاتل.[8] لكن الميراث ليس من الآية في شيء، والأول أشبه.

وفي قوله: **ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت إيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء**، دلالةُ أن العبيد لا يكون لهم[9] حقيقةُ الملك في الأشياء كالأحرار؛ لأنه أخبر أنهم ليسوا[10] بسواء في الشرك فيما رُزق السادات ومُلّكوا على العلم أنهم يشتركون جميعا في المنافع، دل أنهم يملكون منافع الأشياء ويشتركون الأحرار فيها ولا يملكون حقائق[11] الأملاك.

---

[1] ر ث م: قولكم.

[2] ر ث م: يكونوا.

[3] ن: فأنتم.

[4] ن – أيمانكم.

[5] ث: قوله.

[6] ث: أحرار.

[7] الزيادات من *الشرح*، ورقة ٥٨٦و.

[8] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/١٠.

[9] جميع النسخ: أن العبد لا يكون له. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٦و.

[10] جميع النسخ + هم. والتصحيح من المرجع السابق.

[11] جميع النسخ: حقيقة. والتصحيح من المرجع السابق.

وكذلك يدل على ذلك[1] قوله: ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ،[2] الآية، لما نفى عنه[3] القدرة على شيء. **والله أعلم**. ويكون[4] تأويل[5] قوله: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ،[6] أي يغنهم الله من فضله[7] بالمنافع، لا بحقيقة ملك الأشياء.[8] **والله أعلم**.

وقوله: **كذلك نفصل الآيات**، أي نُبيّنها، **لقوم يعقلون**، أي لقوم ينتفعون بعقولهم. والثاني قوله: **نفصل الآيات**، أي نفرّق واحدة بعد واحدة على ما ذَكَر من أول السورة إلى هذا الموضع من قوله: وَمِنْ آيَاتِهِ كذا، وَمِنْ آيَاتِهِ كذا.[9] والتفصيل يخرج على وجهين. أحدهما التبيين، والثاني التفريق في الذكر؛ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ،[10] بيّنت وفرقت[11] واحدة بعد واحدة.

فإن قال لنا قائل: ما[12] في هذه الآيات التي ذكرت مما يدل[13] على إيجاب البعث؟ قيل: في هذه الآيات[14] التي ذكرت دفع الشبه التي لها أنكروا البعث؛ لأنهم رأوا البعث ممتنعًا بالشُّبه[15] التي اعترضت لهم. ففي هذه الآيات دفع تلك الشبه[16] التي لها رأوا البعث ممتنعًا حيث أراهم بدء خلقهم وقيام السماء والأرض بالذي ذَكَر.

---

[1] ر ث م – على ذلك.
[2] ﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومَنْ رزقناه منا رزقا حسنا فهو يُنفق منه سرا وجهرا هل يستون﴾ (سورة النحل، ١٦/٧٥).
[3] ر م: عند.
[4] ر ث م: يكون.
[5] ن: في تأويل.
[6] سورة النور، ٢٤/٣٢.
[7] ن – من فضله.
[8] انظر: تفسير الآية ٣٢ من سورة النور.
[9] ن – ومن آياته كذا. انظر تفسير الآيات ٢٠ إلى ٢٥ من هذه السورة.
[10] سورة فصلت، ٤١/٣، ٤٤.
[11] جميع النسخ: وفصلت فرقت. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٦ظ.
[12] ر ث م – ما.
[13] جميع النسخ: ما يدل.
[14] ر ث م – الآيات.
[15] جميع النسخ: بالشبهة.
[16] ر ث م: الشبهة.

ثم إيجاب البعث يكون بالأخبار الصادقة، وهي أخبار الرسل الذين ظهر صدقهم، أو بما ذكرنا أن خلق الخلق -بلا عاقبة تجعل[1] لهم- للفناء خاصّةً خارجٌ عن الحكمة لوجوه. أحدها ما ذكرنا[2] أن بناء البناء في الشاهد للنقض والإفناء خاصّةً بلا منفعة تُتأمل في العاقبة سفهٌ خارجٌ عن الحكمة. فعلى ذلك خلق الخلق للفناء خاصّة بلا عاقبة يكون خارجًا عن الحكمة.

والثاني أنه لو لم يَجعل البعث ودارًا أخرى ليفرّق بين العدوّ والوليّ فيها؛ إذ[3] قد سوّى بينهما في هذه الدار، وفي الحكمة أن يفرّق ولا يسوّى بينهما، فلو لم يكن دار أخرى فيها يفرِّق بينهما[4] لكان ذلك خارجًا عن الحكمة.

والثالث في الحكمة أن يُجزَى المحسن لإحسانه والمسيءُ في إساءته، وقد يكونان في هذه الدنيا ويخرجان منها لا يصيب المحسن جزاءُ إحسانه ولا المسيءَ جزاء إساءته، فلا بدّ من دار أخرى لِيُجزَى فيها كلٌّ بعمله. وفيما ذكرنا إيجاب البعث. *والله أعلم*.

**﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[٢٩]**

وقوله: **بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم**، يحتمل قوله: **الذين ظلموا**، أي ظلموا أنفسهم حيث لم يستعملوها فيما أمروا بالاستعمال فيه، بل صرفوها إلى غير ما أُمروا بالاستعمال فيه. أو ظلموا حجج الله وآياتِه وبراهينَه حيث لم يتبعوها ولم يضعوها موضعها حيث وُضعت. وقوله: **[اتبع الذين ظلموا] أهواءهم**، في عبادتهم الأصنام وصرفها عن الله إلى من لا يستحق العبادة والشكر، وذلك لهواهم،[5] لأنه ليس معهم حجة ولا برهان، كقوله: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا،[6] أي حجةً وبرهانًا.

وقوله: **فمن يهدي من أضلّ الله**، أي لا أحد[7] سوى الله يهدي من أضلّه الله، أي من يؤثر الضلال واختاره أضلّه الله لا يهديه[8] سواه. **وما لهم من ناصرين**، ينصرهم في دفع عذاب الله عن أنفسهم؛ أو **ما لهم من ناصرين**، أي من مانعين يمنعهم عن عذاب الله. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: يجعل.
[2] ن - ما ذكرنا.
[3] ر م - إذ.
[4] ر م - بينهما.
[5] ن: لهوائهم.
[6] سورة الحج، ٧١/٢٢.
[7] ر م: أي أحد.
[8] ر ث م: لا يهدي.

**﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٣٠]

وقوله: **فأقم / وجهك للدين حنيفًا**، قال بعضهم: هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه [٥٨٦و] وسلم لأنه ذكر الآيات فيما تقدم، حيث قال: ومِنْ آياتِهِ كذا وكذا،[١] ثم ذكر[٢] الذين اتبعوا أهواءهم[٣] بغير علم،[٤] ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أقم وجهك أنت للدين حنيفًا.

{قال الشيخ رحمه الله:} وعندنا أن الخطاب به وبمثله لكل أحد، كقوله: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ،[٥] و قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ،[٦] كأنه يخاطب كل من انتهى إليه هذا أن قل: "هو الله أحد"، و"يا أيها الكافرون"، فعلى ذلك قوله: **فأقم وجهك للدين حنيفا**، هو لكل أحد. ثم الإقامة يحتمل وجهين. أحدهما أقم، أي داوِمْ جَهدك وقصدك. والثاني أقم، أي[٧] أتمم وأقم ما ذكرنا. **للدين حنيفا**، قال بعضهم: الحنيف هو مِن حَنَف القَدَم[٨] وميلِه، معناه: كن مائلاً إلى الدين في كل حال وكل وقت. وقال بعضهم: هو من الإخلاص والإسلام له.[٩]

وقوله: **فطرةَ الله التي فَطَر الناسَ عليها**،[١٠] هذا يحتمل وجوها. أحدها[١١] **فطرة الله**، أي معرفة الله التي جَبَلَ الناس عليها. [و]هو أن الله جعل[١٢] في كل صغير وطفل من المعرفة ما[١٣] يعرف

---

[١] يشير إلى الآيات السابقة برقم ٢٠-٢٥.

[٢] م + هم.

[٣] ن + هم.

[٤] يشير إلى الآية السابقة.

[٥] سورة الكافرون، ١/١٠٩.

[٦] سورة الإخلاص، ١/١١٢.

[٧] ر ث م - أي.

[٨] ر م: القوم.

[٩] الحَنَف في القدمين: إقبال كل واحدة منهما على الأخرى بإبهامها. الحنيف: المسلم الذي يتحنف عن الأديان، أي يميل إلى الحق. وقيل: هو المخلص. وقيل: هو من أسلم في أمر الله فلم يَلتوِ في شيء. الحنيف: المستقيم (*لسان العرب*، «حنف»).

[١٠] جميع النسخ + ثم فسر ذلك [م - ذلك] فقال فطرة الله التي فطر الناس عليها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٧و.

[١١] جميع النسخ - أحدها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٧و.

[١٢] جميع النسخ: معرفة الله التي جبل الناس عليها أن يكون الله يجعل. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٧و.

[١٣] ن: وما.

وحدانية ربّه وربوبيّته، على ما جعل لهم من المعرفة فيما فيه[1] غذاؤهم وقوامهم مِن أخْذِ ثَدْيِ أمهاتهم في حال صغرهم وطفوليّتهم،[2] ولذلك يخرج قوله: «كلّ مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه»،[3] على ما جعل في الجبال من معرفة التسبيح لربّها والتحميد،[4] لكنْ أبواه يشبّهان ذلك عليه ويَصْرِفانه. والثاني فطرهم وجبلهم ما لو تُركوا وعقولَهم لكانوا على ما جبلوا وفُطروا، إذ فطر كلا منهم وجعل في خلقةِ كلٍّ دلالةَ وحدانية الله وربوبيّته. وكذلك قوله: «كل مولود يُولَد على الفطرة»، أي على الخلقة التي تدلّ وتشهد على وحدانية الله وربوبيته ما لو تركوا وخُلِّيَ بينهم وبين عقولهم لأدركوا. والثالث فطرهم على ما يحتملون الامتحان.

وقوله: **لا تبديل لخلق الله**، قال عامة أهل التأويل: لا تبديل[5] لدين الله، سمّاه خلقًا. وعلى قول المعتزلة له تبديل؛ لأنهم يقولون بأن فعل العبد ليس بمخلوق،[6] ويحتالون في قوله: **لا تبديل لخلق الله**، أي لا تبديل لما به يقع الدعاء إليه أو كلامٌ نحو هذا. فيقال: إن الدين هو ما يدين به[7] المرء[8] وهو فعله، مأخوذ من دان يدين. ثم أخبر أنه خلقُ الله فدل أنه مخلوق.[9] وجائز أن يكون قوله: **لا تبديل لخلق الله**، أي لما فيه دلالة وحدانية الله وشهادة ربوبيته، كقوله:

---

[1] جميع النسخ: ما فيه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٧و.

[2] ر ث م: صغره وطفوليته؛ ن: صغره وطفولته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٦ظ.

[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه» (*صحيح البخاري*، الجنائز ٩٣؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٢٢).

[4] لعل الإمام يشير إلى قوله تعالى: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾ (سورة الأنبياء، ٧٩/٢١).

[5] ث + الله.

[6] ث + له.

[7] جميع النسخ – به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٦ظ.

[8] ث: المرؤ.

[9] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقوله تعالى: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾، قال عامة أهل التأويل: لا تبديل لدين الله. وإجماع أهل التأويل حجة على المعتزلة، فإنهم يقولون: إن فعل العبد ليس مخلوقا لله تعالى. والدين اسم لِما هو فعل العبد، فجعلوا [أي عامة أهل التأويل] فعل العبد خلق الله تعالى، حيث قرءوا قوله: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ أي لدين الله، وإجماعهم حجة. غير أنهم قالوا: إن مراد أهل التأويل [ليس] هو فعل العبد وإنما مرادهم أي لا تبديل لِما يقع به الدعاء إليه وما يجب أن يدان به. لكنا نقول: هذا الكلام فاسد لأن الدين هو ما يدين به المرء وهو فعله فكان ما قالوا عدولاً عن حقيقة الكلام لا يجوز إلا بدليل. والله الموفق» (ورقة ٥٨٦ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٦٨٦و).

مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ،[1] أي[2] لا تفاوت فيما فيه دلالة الوحدانية والشهادة له. **والله أعلم.**

وقوله: **ذلك الدين القيم**، أخبر أن ذلك الدين القيم بالحجج والبراهين، ليس كدين أولئك الكفرة:[3] اتباعَ الهوى. أو أن يكون، **الدين القيم**، أي المستقيم على ما وصفه الله[4] أنه الدين الحنيف.

**﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣١]**

وقوله: **منيبين إليه**، هو صلة قوله: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا،[5] كأنه يقول: فأقم وجهك للدين حنيفًا[6] منيبين إليه، فهذا يدل على أن الخطاب بقوله: فَأَقِمْ وَجْهَكَ، للكل،[7] حيث قال: **منيبين إليه**، أي أقبلوا إليه وأنيبوا له.

ثم الإنابة تقع فيما يقع به الأمر. كأنه يقول -والله أعلم-: أنيبوا إلى الله بما يأمركم به واتقوه عما نهاكم عنه. والتقوى من الإنابة كهو من البِر، كقوله تعالى: أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا،[8] أن تبروا[9] بما يأمركم به، وتتقوا[10] عما ينهاكم عنه.

وقوله: **وأقيموا الصلاة**، هو يحتمل وجوهًا. أحدها[11] **أقيموا**، أي الْزَموا وداوموا[12] فعلها إلى آخر ما تنتهون[13] إليه [من عمركم]،[14] ليس على أن يقع الأمر بها مرة واحدة. والثاني **أقيموا [الصلاة]**، أي أتموها بركوعها وسجودها والقراءة وغير ذلك. والثالث **أقيموا [الصلاة]**، أي وَفُّوا إقامتها بأسبابها التي جعلت لها.

---

[1] سورة الملك، ٣/٦٧.
[2] ر م: أو.
[3] ن - الكفرة.
[4] ن - الله.
[5] الآية السابقة.
[6] ر م - كأنه يقول فأقم وجهك للدين حنيفا.
[7] «لا للنبي صلى الله عليه وسلم خاصةً» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٨٦ظ).
[8] ﴿ولا تجعلوا اللهَ عُرْضَةً لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتُصلحوا بين الناس والله سميع عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٤).
[9] ر ث م - أن تبروا.
[10] جميع النسخ: وتتقوه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٧ظ.
[11] ر ث م - أحدها.
[12] م: أو داوموا.
[13] م: تنهون.
[14] الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٦ظ.

وفي الصلاة أحوالُ ثلاثٌ. أحدها الجواز، والثاني التمام والكمال، والثالث التزيين والتحسين [من الآداب].[1] ثم الجواز بحق الأركان، والتمام بحق الشعور،[2] والتزيين [والتحسين] بحق الحواشي [والأتباع].[3] ويجب على كل مصلٍّ[4] خصال ثلاث:[5] صدق النية، وحق الإخلاص له، وحق الخشوع.

وقوله: **ولا تكونوا من المشركين**، يحتمل: أي لا تكونوا من المشركين غير الله في الصلاة والعبادة، أي لا تصلّوا لغير الله ولا تعبدوا مَن دونه. أو لا تكونوا من المشركين[6] مَن دونه[7] في تسمية الألوهية والإلٰهية، لأنهم كانوا يسمون الأصنام التي يعبدونها آلهة. أو أن يكون صلةَ قوله: **منيبين إليه**، أي كونوا منيبين إليه موحّدين مقبلين على طاعته مخلصين، ولا تكونوا من المشركين له غيره. *وجائز أن يكون قوله: **ولا تكونوا من المشركين**، في الذي فُطرتم عليه، وهو ما جَعَل في خلقة كل واحد شهادة الوحدانية له والدلالة، يقول: لا تكونوا من المشركين في ذلك. *والله أعلم*.*

[٥٨٦ظ س ٥]
[٥٨٦ظ س ٦]
[٥٨٨و س ١]

★ قال أبو عوسجة: **القيّم**،[9] المستقيم. **منيبين إليه**، أي تائبين. **يقنطون**،[10] ييأسون.★

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٣٢]

وقوله: **من الذين فرقوا**[12] **دينهم وكانوا شيعًا**، قال بعضهم: لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ[13] ولا تكونوا من الذين فارقوا دينهم. ثم قوله: ولا تكونوا **من الذين فرقوا**[14] **دينهم** -وقرئ

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٦ظ.
[2] ر ث م: الشعوب؛ ن: الشعوب، صح هـ.
[3] الزيادتان من المرجع السابق.
[4] ن: مصلي.
[5] ر م - ثلاث.
[6] ث + غير الله في الصلاة والعبادة أي لا تصلوا لغير الله ولا تعبدوا من دونه أو لا تكونوا من المشركين.
[7] م + أو لا تكونوا من المشركين من دونه.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٨٦ظ/سطر ٥-٦.
[9] الآية السابقة.
[10] الآية ٣٦ من هذه السورة.
★ وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٣٨، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٨٨و/سطر ١.
[12] جميع النسخ: فارقوا. قرأ من الأئمة السبعة ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر: فرّقوا، مُشدَّدة، وقرأ حمزة والكسائي: فارقوا، بألف. انظر: *كتاب السبعة في القراءات* لابن مجاهد، ٢٧٤.
[13] الآية السابقة.
[14] جميع النسخ: فارقوا.

"فارقوا"-[1] فهو يحتمل وجهين. أحدهما فارقوا دينهم الذي جاءتهم الرسل به.[2] أو فارقوا دينهم الذي فُطروا عليه، وهو ما جعل فيهم من شهادة التوحيد له والربوبيّة. وقوله: **وكانوا شيعا،** يحتمل: صاروا / شيعا، أي فِرقًا وأحزابًا بعد ما كانوا على ما فُطروا، أو على ما جاءتهم [٥٨٦ظ] الرسل [به]. أو كانوا شيعًا: ما يُشَيّعُ[3] ويتبع بعضهم بعضا؛ لأن الشيعة هم الذين يرجعون إلى أصل واحد وأمر واحد. *والله أعلم*. وقوله: **فرقوا دينهم،** أي قطعوا دينهم وجعلوه قطعًا وفِرقًا وأديانًا، من نحو اليهودية والمجوسية والنصرانية وغيرها. **كل حزب بما لديهم فرحون،** يقول -والله أعلم-: كل أهل دين وملةٍ[4] بما عندهم من الدين راضون[5] به فَرِحون.[6]*

**﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[٣٣]**

وقوله: **وإذا مس الناس ضُرٌّ دعَوْا ربهم منيبين إليه،** قال قائلون: **منيبين،** مخلصين له،[8] كقوله: دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[9] وقال قائلون: مطيعين، وقال قائلون: موحّدين. وأصل الإنابة الرجوع، أي راجعين إليه عما كانوا فيه من الشرك، فالإنابة هي التوحيد. وإن كانت[10] الإنابة الإخلاص فهي[11] رجوع[12] عن الإشراك في العبادة، وإن كا[نت الرجوعَ] عن العصيان فهي[13] الطاعة، وأصلها[14] الرجوع عما كانوا فيه.

---

[1] جميع النسخ: فرقوا.
[2] جميع النسخ - به. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٨و.
[3] شيّعته نفسه على ذلك وشايَعتْه: تبعته وشجّعته. قال أبو إسحاق: معنى شيَّعتُ فلانا في اللغة: اتبعت (*لسان العرب*، «شيع»).
[4] ث: أهل ملة ودين.
[5] ر: رضوان؛ م: رضوا.
[6] ن - يقول والله أعلم كل أهل دين وملة بما عندهم من الدين راضون به فرحون.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٨٦ظ/سطر٥-٦.
[8] ر ث م - له.
[9] ﴿فإذا رَكِبوا في الفُلْك دَعَوُا الله مخلصين له الدين فلما نَجّاهم إلى البَرّ إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٦٥/٢٩).
[10] جميع النسخ: وإن كان. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٨و.
[11] جميع النسخ: فهو.
[12] ن: مرجوع.
[13] جميع النسخ: فهو.
[14] جميع النسخ: وأصله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٧و.

ففيه وجوه من الاحتجاج على أولئك[1] وتنبيه وعظة للمؤمنين. أما الاحتجاج عليهم [أحدها في إثبات الرسالة]،[2] فإنه معلوم أنهم[3] كانوا لا يركبون السفن والبحار مع المؤمنين ولكن كانوا يركبون بأنفسهم، ثم أخبر عما أخلصوا له الدعاء[4] والتضرع، دل أنه بالله عرف ذلك، فذلك يدل على رسالته. والثاني فيه دلالةُ أنهم قد عرفوا وحدانية الله وأُلوهيّته حيث فزِعوا عند الشدائد والبلايا إلى الله وأخلصوا له الدين، ثبت أنهم قد عرفوا سَفَهَ أنفسهم في عبادتهم الأصنامَ وتركِهم عبادة الله تعالى. والثالث تصديق[5] لقوله: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ،[6] لأنهم كانوا يسألون الرد إلى الدنيا ليؤمنوا به، كقوله:[7] يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا،[8] فأخبر أنهم يعودون إلى ما كانوا نهوا عنه،[9] كما عادوا إذا كُشف عنهم الضُرُّ.[10] وأما العظة والتنبيه للمؤمنين فهو أن يكونوا في الأحوال كلها على حد واحد في حال الرخاء والشدة ذاكرين له شاكرين، لأنهم في حال الشدة والبلاء[11] أكثر ذكرًا[12] له وإنابةً من حال السعة والرخاء، فينبههم ليكونوا في كل حال ذاكرين له منيبين إليه راجعين.

---

[1] أي على المشركين.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٧و.

[3] جميع النسخ: أنه معلوم لأنهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٨و.

[4] جميع النسخ: والدعاء له.

[5] جميع النسخ: تصديقا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٧و.

[6] سورة الأنعام، ٦/٢٨.

[7] ر ث م: كقولهم؛ ن: لقولهم.

[8] ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكذِّبَ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٧).

[9] جميع النسخ - نهوا عنه. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٨ظ.

[10] وعبارة السمرقندي هكذا: «والثالث تصديق لقول الله تعالى خبرًا عن حال الكفرة: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾. كان بعض الملحدين يطعنون ويقولون: كيف يعودون إلى ما كانوا عليه وأنهم رأوا العذاب معاينة ويعلمون أن مصيرهم إلى الله تعالى في الثاني. فرد صنيعهم بهذه الآية: ﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه﴾، الآية، إنكم ترون في الدنيا أن الكفار عند معاينتهم العذاب يُخلصون لله تعالى وإذا نُجّوْا من ذلك يعودون إليه. فما بالهم أن كانوا يسألون الرد إلى دار الدنيا ليؤمنوا ثم يعودوا إلى ما كانوا، كما عادوا أولئك إذا كشف الضر عنهم. والله أعلم» (ورقة ٥٨٧و).

[11] جميع النسخ: والبلايا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٧و.

[12] ر م: ذاكرا.

وفيه دلالة شدة سفه أولئك الكفرة، حيث أنابوا إليه وأخلصوا له الدين عندما يصيبهم البلاء والشدة،[1] ويعرضون عنه ويشركون في ألوهيته عند السعة. وفي طباع الخلق في الشاهد خلاف ذلك؛ فإن[2] من ضيق على آخر أمره وشدده فهو يعرض عنه ويبغضه، ومن أنعم عليه من ملوك الأرض وأحسن أطاعه وأحبه. فهم لشدة سفههم عكسوا[3] طباعهم وخالفوا طباع الناس جميعًا. *والله أعلم*.

وقوله: **ثم إذا أذاقهم منه رحمةً**، أي السعة والرخاء، **إذا فريق منهم بربّهم يشركون**. فإن قيل: ما[4] فائدة ذكر هذه الآيات وأمثالها وهم كانوا لا يؤمنون بها ولا ينظرون فيها؟ قيل: قد يحتج عليهم بما لا يقرّون به[5] ولا ينظرون فيه، أو أن ينظر[6] في ذلك فريق منهم ويعرفونه. *والله أعلم*.[7]

**﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٣٤]**

وقوله: **ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو على التقديم والتأخير، يقول: إذا أذاقهم منه رحمة لئلا يكفروا،[8] لكنهم كفروا، إلى هذا ذهب مقاتل.[9] وعندنا ما ذكرنا:[10] أذاقهم منه رحمة ليكون[11] ما قد علم أنهم يختارون ويكون منهم، وهو الكفر. إذ لا[12] جائز أن يذيقهم الرحمة لئلّا يكفروا، ويعلمَ منهم أنهم يختارون الكفر ويكون منهم ذلك، فدل أنه ما ذكرنا.

---

[1] جميع النسخ: الشدة والبلاء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٨ظ.

[2] جميع النسخ: ان. والتصحيح من المرجع السابق.

[3] جميع النسخ: عكس.

[4] ر - ما.

[5] جميع النسخ - به. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] جميع النسخ: أو أن ينظرون. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] وعبارة السمرقندي هكذا: «فإن قيل ما فائدة ذكر هذه الآيات وأمثالها وهم كانوا لا يؤمنون بها ولا ينظرون فيها؟ قيل: هذا من وجهين: لتأكيد الحجة عليهم وإزاحة العلة والعذر عنهم وإن كان لا عذر لهم، وهو كقوله تعالى ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ (سورة النساء، ٤/١٦٥). والثاني إن كان البعض منهم معاندين والبعض على الكفر للحيرة والجهل بالدليل، ومن كان هذا حاله فهو ينظر في الدليل ويقرّ به إذا وضح له ذلك. والله أعلم» (ورقة ٥٨٧و).

[8] ر ن م + وإنما أذاقهم رحمة لئلا يكفروا.

[9] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٥٢٥/٢.

[10] ذكر هذا في تفسير الآية ٦٦ من سورة العنكبوت.

[11] جميع النسخ + منهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٨ظ.

[12] جميع النسخ: ولا. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم في الآية دلالة نقض قول المعتزلة في قولهم: إن على الله الأصلحَ للعباد لهم في الدين، وقولهم: إنه[1] إذا علم من أحد منهم الإيمان في وقت من الأوقات ليس له أن يخترمه[2] ولكن عليه أن يبقيه إلى ذلك الوقت، لأنه لو اخترمه[3] قبل ذلك الوقت لكان هو المانع إيمانه.

فيقال لهم:[4] إن أولئك الكفرة لمّا أخلصوا دينهم لله في حال الشدة وخوف الهلاك لم يبقهم الله على ذلك الإخلاص والحال التي كانوا يخلصون الأمر له والدين، بل[5] وسّع عليهم وحوّلهم من تلك الحال حتى عادوا إلى ما كانوا. دل أنه[6] ليس على الله حفظ الأصلح للخلق في الدين، وقد أمر نبيّه بمقاتلة الكفرة مطلقًا ولعلهم يُسلمون في وقت لو تُركوا أو بعضٌ منهم. دل أنه[7] ليس ذلك عليه.

وقوله: **فتمتّعوا**، هو في الظاهر أمر ولكنه يخرج على الوعيد، كقوله: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ،[8] وقد ذكر في آية أخرى: وَلِيَتَمَتَّعُوا،[9] فهو ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

**﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾[٣٥]**

وقوله: **أم أنزلنا عليهم سلطانًا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون**، قال بعضهم: **أم أنزلنا**، بل أنزلنا، **عليهم سلطانًا**، حججًا، **فهو يتكلم بما كانوا به يشركون**، أي يبيّن[10] [لهم][11] ويُعْلمهم[12] أن الذي هم عليه شرك ليس / بتوحيد؛ لأنهم كانوا يقولون: إنا على التوحيد [٥٨٧و] وإنما نعبد هذه الأصنام لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[13] و هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[14] ونحوه.

---

[1] ر ث م - إنه.
[2] ر ث م: يخترعه. أي ليس لله أن يميته.
[3] ر ث م: اخترعه.
[4] ر م - لهم.
[5] ث - بل.
[6] جميع النسخ: أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٩و.
[7] جميع النسخ: أن. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ﴿إن الذين يُلحدون في آياتنا لا يَخفَوْن علينا أَفَمَنْ يُلقَى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٠).
[9] ﴿ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٦).
[10] ر: يتبين.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٧و.
[12] ر ن ث: ويعلم لهم.
[13] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[14] سورة يونس، ١٠/١٨.

فيقول: بل أنزلنا عليهم ما يبيّن لهم[1] ويُعلم أن ذلك شرك وليس بتوحيد. ويحتمل وجها آخر وهو أن قوله: **أم أنزلنا عليهم سلطانًا**، أي ما أنزلنا عليهم سلطانًا فيأمرهم بما كانوا به يشركون أو يأذن لهم بذلك، كقوله: أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ،[2] أي ليس للإنسان ما تمنى.[3] فعلى ذلك قوله: **أم أنزلنا عليهم سلطانًا**، أي لم ننزل[4] عليهم سلطانًا يأمرهم بما كانوا به يشركون، إذ[5] كانوا يدّعون بذلك أمر الله، كقولهم: وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا.[6] ففيه وجهان على أولئك الكفرة. أحدهما[7] ما ذكرنا أنهم كانوا يدّعون بذلك الأمرَ من الله، فيخبر أنهم كَذَبَة في قولهم بأن الله أمرهم بذلك،[8] بل لم يأمرهم بذلك ولا أنزل عليهم الكتاب أو السلطان في إباحة ذلك. والثاني يذكّر سفههم في عبادتهم الأصنام، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ويسمّونها آلهةً، بلا سلطان ولا حجة كانوا يطلبون على ذلك، ثم كانوا يطلبون من الرسول آيات تَقْهَرهم وتَضطرّهم على رسالته وما يوعدهم، بعد ما آتاهم من الآية ما أعلمهم وأنبأهم أنه رسول، فالعبادة أعظم وأكبر للمعبود من الرسالة. فإذ لم تطلبوا لأنفسكم الحجة والآية القاهرة في إباحة ما تعبدون من دون الله فكيف تطلبون من الرسول الآية القاهرة في إثبات الرسالة؟

وقال[9] بعضهم:[10] **أم أنزلنا عليهم سلطانًا**، كتابًا فيه عذر لهم، فهو[11] يشهد بما كانوا به يشركون.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[٣٦]

وقوله: **وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون**، إذا أريد أن يسوّى بين هذه الآية والآية التي قبلها –وهو قوله: وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ،[12] إلى آخره– ويجمع بينهما يكون قوله: **إذا هم يقنطون**، من الأصنام التي يعبدونها.

---

[1] ر م – لهم.

[2] سورة النجم، ٥٣/٢٤.

[3] ر ث م – أي ليس للإنسان ما تمنى.

[4] جميع النسخ: لم ينزل.

[5] جميع النسخ: أو. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢١٩و.

[6] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٨).

[7] ن: أحدها.

[8] ث – بذلك.

[9] ر: أو قال.

[10] ن – بعضهم.

[11] ن – عذر لهم فهو.

[12] الآية السابقة برقم ٣٣.

لأنه[1] يقول في هذه الآية: **وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون**، وفي الأولى يقول: وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ، فوجه الجمع بينهما ما ذكرنا أن يكون القنوط من الأصنام -والله أعلم- كقوله: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ.[2] أو أن يكون قوله: **إذا هم يقنطون**، عند ما امتد بهم الضرّ والشدة حينئذ ييأسون من رحمة الله، والأول في ابتداء ما أصابهم من الضرّ فَزِعوا إليه وأنابوا له. أو أن يكون إحدى الآيتين في قوم والأخرى في قوم آخرين، لأنهم كانوا فرقًا وأحزابًا في الكفر والشرك؛ منهم من كان يشرك في الأحوال كلها في حال الضِيق والسعة؛ ومنهم من كان يشرك في حال الضيق ويؤمن في حال السعة، كقوله: وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ،[3] وكقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ؛[4] ومنهم من كان يخلص الدين في حال الضرّ والشدة ويعاند ويتمرّد في حال السعة والرخاء، كقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ،[5] ونحوه. فكانوا فرقًا وأحزابًا على ما ذكرنا، فجائز أن يكون إحدى الآيتين في فريق وقوم والآية الأخرى في قوم آخرين.[6] أو ما ذكرنا من اختلاف الأحوال:[7] يقنطون عند ما امتد بهم الضرّ والشدة، ويُنيبون[8] إليه عند ما لم يمتد بهم ذلك ولم يتطاول. أو ما ذكرنا[9] من القنوط من الأصنام والإنابة إلى الله، كقوله: ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ.[10] وإلا الآيتان في الظاهر متناقضتان لكن[11] الوجه فيه ما ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: أنه.
[2] سورة الإسراء، ١٧/٦٧.
[3] سورة هود، ١١/٩-١٠.
[4] سورة الحج، ٢٢/١١.
[5] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٥.
[6] ر م: أخرى.
[7] ن + التي.
[8] ر م: ينسبون.
[9] ن: وما ذكر.
[10] سورة الإسراء، ١٧/٦٧.
[11] ر م: ولكن.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣٧]

وقوله: **أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون،** يحتمل [أن يكون] قوله: **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون،** [حجة] على الكافرين، كقوله: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.[1] ثم وجه الآيات لهم على كفار مكة من وجوه: في إثبات الرسالة، وفي البعث، وفي[2] إظهار سفههم في عبادة الأصنام وإشراكهم إياها في عبادة الله. لأن أهل مكة كانوا ينكرون الرسالة والبعث ويرون عبادة غير الله، فالاحتجاج عليهم بهذه الآية على الوجوه التي ذكرنا.

فأما الاحتجاج في إثبات الرسالة فهو من وجوه ثلاثة. أحدها أنهم كانوا ينكرون الرسالة له؛[3] لأنه بشر ولا يرون للبشر بعضهم على بعض فضلاً، كقوله:[4] مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ،[5] فيُريهم الفضل لبعضهم على بعض في الرزق موسَّعًا على بعض مضيَّقًا[6] مقتَّرًا على بعض، فإذ ثبت عندهم وظهر الفضل لبعض على بعض فيما ذكرنا يجوز الفضل[7] لبعض[8] على بعض[9] في الرسالة. والثاني ذكر[ه] مقابلاً لقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[10] يخبر أن الأمر ليس إليهم إنما ذلك إلى الله، يختار من يشاء / لما يشاء [٥٨٧ظ] من الرسالة والنبوة وغيرهما، كما يختار التوسيع على من يشاء والتضييق والتقتير على من يشاء، وإن كانوا جميعًا يتمنَّون السعة ويحبّونها ويهربون من الضيق والتقتير، ولكن الأمر في ذلك إلى الله كلِّه. والثالث وسّع على بعض وضيّق على بعض، فالجهة التي وسّع بها[11] على بعض

---

[1] سورة الأنعام، ٦/٨٣.
[2] ر م: في.
[3] ر ث م – له.
[4] ر ث م: كقولهم.
[5] ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون. فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٢٣-٢٤).
[6] ر م: مضيعا.
[7] ن: التفضيل.
[8] ر م – لبعض.
[9] م – بعض.
[10] سورة الزخرف، ٤٣/٣١.
[11] جميع النسخ – بها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٠ظ.

غير الجهة التي ضيّق بها[1] على بعض،[2] فلا بد من رسول يخبر عن ذلك ويعلّم ما على هذا وما على هذا وما جهة التفريق بينهم والتفضيل في الرزق. *والله أعلم*.[3]

وأما الاحتجاج عليهم في البعث بها[4] فهو من[5] وجوه أيضا.[6] أحدها أنه جمع في هذه الدنيا بين الولي والعدو[7] وسوّى بينهما في التوسيع والتضييق، إذ وسّع على العدو والولي جميعًا، وضيّق على الولي ووسّع على العدو، وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما لا الجمع والتسوية، وقد سوّى بينهما في هذه الدنيا وجمع، فلا بد من دار أخرى فيها يفرّق بينهما، فيلزمهم البعث. *والله الموفق*. والثاني أنه وسّع الرزق على من هو في تقديرهم وعقولهم لا يجب[8] التوسيع عليه، وهو السفيه الجاهل الذي في تقدير كل ذي عقل ولب أن يكون محرومًا مضيّقًا. وضيّق على من هو في تقدير كل أحد وعقله أن يكون موسّعًا عليه ومرزوقا،[9] وهو العاقل العارف بجميع أسباب السعة والغَناء، وفي التقدير[10] على خلاف هذا. فلا بد من مكان فيه يظهر التفضيل للعقول والمعارف والرغبة فيها والرغبة عن أضدادها، ومَن هو من[11] أهل التوسيع[12] ومَن هو من[13] أهل الحرمان، إذ قد اشتركوا في هذه.

---

[1] جميع النسخ – بها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٠ظ.

[2] ن ه + من الشكر والصبر ولا يعلم كيفيتهما.

[3] وعبارة السمرقندي هكذا: «والثالث وسع على بعض وضيق على بعض، والجهة التي [بها] وسع على بعض غير الجهة التي [بها] ضيق على بعض من الشكر والصبر. ولا تُعلم كيفيتهما، فلا بد من رسول يخبر عن ذلك ويعلّم ما على هذا وعلى هذا وما جهة التفريق بينهم والتفضيل في الرزق. وهذا يقتضي بعث الرسول الذي يخبر بذلك عن الله تعالى، إذ لا يُعقل ذلك بمجرد العقل، إذ بالعقل إن كان يعرف إحْدَيِ الشكر والصبر لكن لا يعرف كيفياتها، فيدل ذلك على إثبات الرسالة. والله الموفق» (ورقة ٥٨٧ظ؛ ونسخة مدينة، ورقة ٦٨٧ظ).

[4] أي الاحتجاج عليهم في البعث بالآية.

[5] ر ث م: فمن.

[6] ن – أيضا.

[7] ر م: بين العدو والولي.

[8] جميع النسخ: لا يوجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٨و.

[9] ر ث م: مرزوقا.

[10] ن: في التقدير.

[11] جميع النسخ – من. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٠ظ.

[12] م: التوسع.

[13] جميع النسخ – من. والتصحيح من المرجع السابق.

والثالث أن يعتبروا وينظروا بأن من قدر على توسيع الرزق وبسطه وتضييق الرزق وحرمانه بالأسباب الخارجة عن تقديرهم وتدبيرهم وبغير أسباب لَقادرٌ على إحياء الأشياء الخارجة عن تقدير قدرتهم وتدبيرهم. *والله أعلم*.

وأما وجه الاحتجاج عليهم بعبادتهم غير الله، و[هو أن] في ذلك [إظهارَ] تناقض، وذلك أنهم قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[1] وهٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[2] وكانت لا تشفع لهم في الدنيا ولا تقرّبهم الزلفى فيها في التوسيع والبسط ودفع الضيق، وفي الآخرة لا يحتمل؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بها،[3] فهو تناقض وسفه وسَرَف في القول.

وهذه الآية وغيرها من الآيات تنقض على المعتزلة، لأنهم لا يجعلون لله في مكاسب الخلق وحِرَفهم وتجاراتهم وجميع أسبابهم التي بها يَرْتزقون ويتعيّشون صنعًا، وإنما يجعلون ذلك في الخارج من الأرض وغيرها، فالناس في ذلك سواء، لا يقع منه بسط في ذلك[4] وتضييق[5] إذا لم يكن له في تلك الأسباب والمكاسب صنع. فدل أن له في ذلك صنعًا حتى يقع منه البسط والتوسيع والتضييق والتقتير. *والله أعلم*.

وقوله: **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**، يحتمل وجهين. أحدهما ما ذكرنا يكون للمؤمنين في ذلك آيات على الكفار. والثاني لقوم ينتفعون بإيمانهم، والمؤمنون[6] هم المنتفعون بها، فأما من كفر بها فلا ينتفع. وجائز أن يكون في ذلك العبرة من وجه آخر لقوم يؤمنون، وهو أن لا يعلّقوا قلوبهم في الرزق بالأسباب التي يكتسبون بها، ولكن يرون الرزق من الله أنه يرزق بأسباب وبغير أسباب. أو يذكر هذا لهم على أن من رفع الحاجة إلى آخر فلم يقضها أن يرى حرمانها[7] من الله لا من ذلك الرجل.[8]

---

[1] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[2] سورة يونس، ١٠/١٨.
[3] ر م - بها.
[4] ر م - سواء لا يقع منه بسط في ذلك.
[5] ر م: وتضيق.
[6] ر م: والمنتفعون.
[7] ن ث + وقضاها.
[8] وعبارة السمرقندي هكذا: «ويحتمل أن يذكر هذا لهم [على] أن من رفع الحاجة [إلى آخر] فلم يقضها أن يرى الحرمان من ذلك من قضاء الله تعالى لا من ذلك الرجل، وكذا من نال حاجته من غيره يرى النيل من الله تعالى لا من المعطي في الحقيقة، وإن كان في يدهما الأسباب. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨٨و).

**﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣٨]**

وقوله: **فآت ذا القربى حقه**، يحتمل قوله: **حقه**، أي حاجته، لا على حق كان له، كقوله: مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ،[١] أي من حاجةٍ، إذ معلوم أنه لم يكن لهم في بناته حق ولكن أرادوا بالحق الحاجة، فعلى ذلك الأول. وكذلك قوله: **والمسكينَ وابنَ السبيل**، أي سُدَّ المسكين حاجته ومسكنته، وكذلك ابن السبيل. ويحتمل قوله: **فآت ذا القربى حقه**، الحق الذي كان له.[٢] لكن لم يبيّن ذلك الحق في هذه الآية و إنما[٣] بيّن في آية أخرى بقوله:[٤] كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ،[٥] وما ذكر من المواريث في[٦] قوله: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ،[٧] الآية، ونحو ذلك من الحقوق. وحق المسكين وابن السبيل ما[٨] ذكر من الصدقات والزكوات.[٩] *والله أعلم*.

وقوله: **ذلك خير للذين يريدون وجه الله**، يحتمل قوله: **ذلك خير**، أي الإيتاء للأقربين والمساكين والفقراء خير من الأبعدين والأغنياء وغيرهم. أو أن يكون قوله: **ذلك خير**، أي ذلك[١٠] الإيتاء إذا أريد به وجه الله خير[١١] مما لا يراد به.

وقوله: **وابنَ السبيل**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو المنقطع عن ماله يُعان حتى يصل إلى ماله. وقيل الضيف ينزل فيُحسَن إليه إلى أن يرجع ويرتحل.

---

[١] ﴿وجاءه قومه يُهْرَعُون إليه ومِن قبلُ كانوا يعملون السيئات قال يا قومِ هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزونِ في ضيفي أليس منكم رجل رشيد. قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد﴾ (سورة هود، ١١/٧٨-٧٩).

[٢] جميع النسخ: لهم. وفي *الشرح*: «الحق الذي كان للقربى عليه» (ورقة ٥٨٨و).

[٣] جميع النسخ - إنما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢١و.

[٤] جميع النسخ: كقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٨و.

[٥] سورة البقرة، ٢/١٨٠.

[٦] ر ث م - في.

[٧] سورة النساء، ٤/١١.

[٨] ن: وما.

[٩] ر م: والزكاة.

[١٠] م - ذلك.

[١١] ر م - خير.

وجائز أن يكون قوله: **ذلك خير للذين يريدون وجه الله**، أي آتِ مَنْ ليست له عندك نعمة فيكون ذلك مكافأة لتلك النعمة، ولكن على إرادة وجه الله. ***والله أعلم***.

وقوله:[١] **وأولئك هم المفلحون**، قد ذكرنا أن الفلاح هو البقاء، وقيل / النجاة.[٢]* [٥٨٨و]

**﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾**[٣٩]

وقوله: **وما آتيتم من ربًا لِيربُوَ في أموال الناس فلا يَربُو عند الله**، قال عامة أهل التأويل: هذا في العطايا والهدايا[٤] التي يعطي بعضهم بعضًا ويُهدون، ليُصيبوا أكثر مما أعطوا وأَهْدَوا مجازاة ومكافأة لذلك. كأنه يقول: **وما آتيتم**، من عطية وهدية، **ليربو في أموال الناس**، لتزدادوا من أموال الناس ولتلتمسوا الفضل من أموالهم، [**فلا يَربُو عند الله**]. يقولون: هذا رِبًا حلالٌ لا[٥] وِزر فيه ولا أجر، فهو مباح للناس عامةً لا بأس به. وأما قوله: وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ،[٦] فهو للنبي خاصّةً. يقول: لا تعطِ[٧] لِتُعْطَى أكثرَ منه ابتغاءَ الثواب في الدنيا، ولكن أَعْطِ ابتغاءَ ثواب الآخرة. ويستدلون بإباحة ذلك [في حق عامة الناس][٨] بقوله: **فلا يربو عند الله**، يقول: لا يزداد ولا يتضاعف ذلك عند الله، ولم يقل ما قال في الربا المحرَّم المحظور، حيث قال: يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ،[٩] ذكر المَحْق هنالك، وهاهنا ذكر: **فلا يربو عند الله**، أي لا يزداد ولا يتضاعف.

لكن لو قيل: إنها في الربا المحظور، كان جائزًا محتمِلًا؛ ويكون قوله: **فلا يربو عند الله**، كقوله: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ،[١٠] إنها إذا لم تربح خسرت. ألا ترى أنه قال: وَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ،[١١]

---

[١] ر ث م – وقوله.
[٢] انظر: تفسير الآية ٦٧ من سورة القصص.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٨٨و/سطر ١.
[٤] ر م – والهدايا.
[٥] ر – لا.
[٦] سورة المدثر، ٦/٧٤.
[٧] ر م: لا تعطه.
[٨] الزيادة من الشرح، ورقة ٥٨٨و.
[٩] سورة البقرة، ٢/٢٧٦.
[١٠] سورة البقرة، ٢/١٦.
[١١] سورة التوبة، ٩/٦٩.

دل أنها إذا لم تربح خسرت، فعلى ذلك قوله: **فلا يربو عند الله**، فإذا[1] لم يَرْبُ عنده مَحَقَه وخَسِيروا. [وذلك] -والله أعلم- لولا صرف أهل التأويل التأويلَ إلى الهدايا والعطايا التي يُبتغى بها الثوابُ في الدنيا والمكافأة فيها أكثرَ مما أَعْطَوا، وإلا جاز[2] صرفه إلى الربا المعروف بين الناس في العقود. وكذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الهديّة يُبتغَى بها وجه الرسول وقضاء الحاجة، والصدقة يبتغى بها وجه الله والدار الآخرة».[3]

[٥٨٨ظ س٢٤] *قال أبو عوسجة: الربا من الرُّبُوّ، مثل ما يصنع أصحاب الربا، **ليربُوَ**، أي ليزيد ويكْثُر، يقال: ربا ماله، إذا[4] كثر. والقُتَبِي يقول: أي يزيدكم من أموال الناس، من زكاة وصدقة.[5]* [٥٨٨ظ س٢٥]

ثم بين ما الذي[7] يربو عند الله، وهو ما قال: **وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله**. ثم اختلف فيه، قال [بعضهم]: هو ما يُزَكُّون من زكاة المال يريدون به وجه الله، فهو الذي يقبله الله ويضاعِف عليه. ومنهم من قال: كل صدقة أعطاها أراد بها[8] وجه الله، لم يرد بها الثواب في الدنيا، فهي التي تتضاعف وتزداد عند الله.

**فأولئك هم المضعِفون**، وكان يجب[9] أن يقال: فأولئك هم المضعَفون، بنصب العين، لأنه هو يضاعِف لهم. لكن الزجاج يقول:[10] هو كما يقال: الموسِر هو الذي له يَسَار، والمُقْوِي هو الذي له القوة، ونحوه، فعلى ذلك المضعِف هو الذي له الضِّعف.[11] وعندنا هم المضعِفون،

---

[1] جميع النسخ: إذ. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢١ظ.

[2] أي لولا صرف أهل التأويل التأويل إلى ما ذكر لجاز...

[3] روي عن عبد الرحمن بن علقمة أنه قال: "قدم وَفْد ثَقِيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم هديّة، فقال: «أهدية أم صدقة؟ فإن كانت هدية فإنما يُبتَغى بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضاء الحاجة، وإن كانت صدقة فإنما يُبتَغى بها وجه الله عز وجل». قالوا: لا بل هدية. فقبلها منهم وقعد معهم يسائلهم ويسائلونه" (سنن *النسائي*، العُمْرَى ٥؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ١١/٣٠٥-٣٠٦).

[4] ر م: أي.

[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٢.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ٤١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٨٨ظ/سطر ٢٤-٢٥.

[7] ن: ثم بين بالذي.

[8] ر ث م – بها؛ ن: به. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٨٨ظ.

[9] ر م: مجيء؛ ن ث: يجيء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٢و.

[10] ر: يقوله.

[11] *معاني القرآن* للزجاج، ٤/١٨٨.

لأنهم هم الذين جعلوا الآحاد عشراتٍ والأضعاف المضاعفةَ بتصدّقهم ابتغاء وجه الله، فهم المضعِفون لأنفسهم[١] ذلك.[٢]

ثم يجوز أن يستدل بهذه الآية على إباحة هذه المعاملات التي تجري[٣] فيما بين الناس، لأنه أجاز الهديّة والعطيّة على قصد الفضل والزيادة، وإن كانت[٤] على شرط الزيادة لا تجوز.[٥] فعلى ذلك المعاملة تجوز على قصد الزيادة والفضل، وإن كانت[٦] على شرط الزيادة[٧] لا تجوز.[٨] لكن أبا حنيفة رحمه الله كره مثل[٩] هذه المعاملات ولم يكره الهديّة على قصد طلب الفضل لوجهين. أحدهما أن ليس العرف في الناس في الهدايا إعطاء الفضل وإن كان[١٠] قصد أولئك طلبَ الفضل لا مَحالةَ، بل يكافئون مرة الأكثر ولا يكافئون ثانيًا ويكافئون[١١] بعضًا ويَحرِمون بعضًا، فلا يُكرَه.[١٢] وأما المعاملة فلا تكون[١٣] إلا على قصد ذلك الفضل، فلا يرضون منهم إلا حفظ المقصود فيها، وأهل العطايا والهدايا قد يرضون بالثناء الحسن والشكر لهم، وأهل المعاملة لا. [وقد] روي في بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه قال]:[١٤] «من أُسدي إليه نعمةٌ[١٥] فليجازه وإلا فليَشكره وَلْيُثْنِ عليه»، أو كلام نحو هذا.[١٦]

---

[١] م: لأنهم.

[٢] «لأن مباشرة السبب وُجد منهم، فأضاف[ه] إليهم. والله أعلم» (شرح التأويلات، ورقة ٥٨٨ظ).

[٣] ن ث: يجري.

[٤] جميع النسخ: وإن كان.

[٥] ر ث م: لا يجوز.

[٦] جميع النسخ: وإن كان.

[٧] ن – فعلى ذلك المعاملة تجوز على قصد الزيادة والفضل وإن كان على شرط الزيادة.

[٨] جميع النسخ – لا يجوز. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٢و.

[٩] جميع النسخ – مثل. والزيادة من المرجع السابق.

[١٠] جميع النسخ + على. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر م – ثانيا ويكافئون.

[١٢] أي وإذا لم يكن أمرًا لازمًا فلا يكره. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨٨ظ.

[١٣] جميع النسخ: فلا يكون.

[١٤] الزيادتان من المرجع السابق.

[١٥] ر ث م – نعمة.

[١٦] روي عن جابر بن عبد الله، أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من صُنع إليه معروف فَلْيَجز به، فإن لم يجد ما يجزي به فليُثْنِ عليه، فإنه إذا أثنى فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يُعطَ فكأنما لبس ثوبَيْ زور» (*الأدب المفرد* للبخاري، ٨٤؛ وسنن *أبي داود*، الأدب ١١؛ وسنن *الترمذي*، البر والصلة ٨٧).

والثاني أن أهل المعاملة يشترطون قبل المعاملة[1] الزيادة وإن كانوا لا[2] يشترطون في عقد المعاملة،[3] ولا كذلك أهل العطايا والهدايا، بل يعرّضون[4] تعريضًا، لذلك افترقا.[5] *والله أعلم*.

**﴿اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[٤٠]

وقوله: **الله الذي خلقكم**، ولم تكونوا شيئًا[6] وأنتم تعلمون ذلك؛ **ثم رزقكم**، وأنتم تعلمون ذلك أن لا رازق[7] لكم غيره؛ **ثم يميتكم**، وأنتم تعلمون أن لا يملك أحد غيره ذلك؛ فعلى ذلك يملك إحياءكم ولا يملك أحد مما[8] تعبدون[9] من الأصنام ذلك. فكيف تعبدون دونه، وهو قوله: **هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما هؤلاء الذين تعبدون شركاؤكم فيما ذَكَر من الخلقة والرزق، فكيف تعبدون وتتخذون آلهة دونه. والثاني هل من شركائكم الذين أشركتموها في عبادة الله وألوهيته [مَن] يملك[10] ما ذكر؟ يقول: لا تملك[11] شيئًا مما ذَكَر على علم منكم أنها لا تملك ذلك، فيقول: فكيف تشركونها في ألوهيته.

ثم نزّه نفسه وبرّأه[12] عن جميع العيوب التي وصفه الملحدون، فقال: **سبحانه وتعالى عما يشركون**، لأن / حرف "سبحان" حرف تنزيه عن جميع العيوب، والتعالي هو وصف تنزيه[13] عن أن يغلبه شيء أو يقهره.[14] وهو[15] من العلوّ، متعال عن أن يغلبه شيء أو يَقْهَره. [٥٨٨ظ]

---

[1] ن يشرطون قبل المعاملة؛ ث: يشرطون قبل المعاملات.
[2] ر م - لا.
[3] أي من عادة أهل المعاملة أن تربح تجارتهم وتزداد أموالهم بالمعاملات، فهي في حكم الشرط قبل المعاملة.
[4] ر م: يتعرضون.
[5] ر م: افترق.
[6] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ (سورة الإنسان، ١/٧٦).
[7] ر ث م: أن الأرزاق.
[8] جميع النسخ: ممن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٢ظ.
[9] جميع النسخ + دونه. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: تملك.
[11] ر ث م: لا يملك.
[12] وفي *الشرح*: برأها، ورقة ٥٨٨ظ. والنفس يكون مذكرًا إذا أريد به الشخص والذات. انظر: *لسان العرب*، «نفس».
[13] جميع النسخ: وتبرئة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٢ظ.
[14] ن ث: أو يقهر.
[15] جميع النسخ: هو. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٤١]

وقوله: **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون قوله: **ظهر الفساد في البر والبحر**، هو[١] الشرك والكفر، **بما كسبت أيدي الناس**، من الأمور التي كانوا يتعاطَون من قطع الطريق والسرقة[٢] والقتل[٣] والظلم وأنواع أعمال السوء التي يتعاطونها، ذلك هو سبب شركهم وكفرهم بالله،[٤] كان ذلك[٥] يغطّي قلوبهم حتى لا تتجلّى قلوبهم للإيمان، كقوله: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ،[٦] وكقوله: فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ،[٧] الآية، ونحوه.[٨] فإن كان على[٩] هذا فهو على حقيقة تقديم الأيدي والكسب. والثاني أن يكون قوله:[١٠] **ظهر الفساد في البر والبحر**،[١١] هو القَحْط وقلّة الأمطار والأنزال والضيق؛ وقوله: **بما كسبت أيدي الناس**، هو شركهم وكفرهم،[١٢] أي ذلك القحط والضيق وقلّة الأنزال والشدائد لهم لشركهم[١٣] وكفرهم[١٤] الذي اختاروه.[١٥] ويكون ذكر كسب الأيدي على المجاز لا على الحقيقة، ولكن لما باليد يُكتَسب وباليد يُقدَم[١٦] ذُكِر اليد، كقوله: ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ،[١٧]

---

[١] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٢ظ.

[٢] جميع النسخ: والسرق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٨ظ.

[٣] ر ث م - والقتل.

[٤] جميع النسخ + وبذلك كان شركهم وكفرهم. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.

[٥] جميع النسخ: ذلك كان. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ (سورة المطففين، ٨٣/١٣-١٤).

[٧] ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين. فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون. فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ (سورة التوبة، ٩/٧٥-٧٧).

[٨] انظر مثلا: سورة النساء، ٤/١٥٥؛ وسورة المائدة ٥/١٣.

[٩] جميع النسخ - على. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٢ظ.

[١٠] ر ث م - قوله.

[١١] جميع النسخ + بما كسبت أيدي الناس. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] جميع النسخ + وتعاطيهم ما لا يحل. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] م: كشركهم.

[١٤] جميع النسخ + وأعمالهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٥] جميع النسخ: التي اختاروها. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٦] جميع النسخ: لما باليد تكتسب وباليد تقدم. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٧] ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. ثانيَ عِطفِهِ ليُضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق. ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ (سورة الحج، ٢٢/٨-١٠).

ولعله لم يُقدم شيئًا، لكنه ذَكَر اليد لما باليد يُقْدَم ويُكسَب في الجملة. **والله أعلم**. و[في التأويل الأول] يكون الفساد الذي ذَكر[1] أنه ظهر هو الشرك والكفرَ، بحقيقة كسب الأيدي من الأعمال[2] السوء التي ذكرنا، ذلك كان يمنعهم عن الإيمان وكشف الغِطاء عن قلوبهم. وفي التأويل الآخر الفساد الذي ظهر هو القحط وقلّة الأمطار والأنزال والضيق، **بما كسبت أيدي الناس**، هو الشرك والكفر،[3] لا على حقيقة كسب الأيدي ولكن لما ذكرنا.

ثم اختلف في قوله: **في البَرِ والبحر**، قال بعضهم: البَرّ هو المفازة التي لا ماء فيها، والبحر [هو][4] القرى والأمصار.[5] وقال بعضهم: أما البَرّ فأهل العَمُود، والبحر هم أهل القرى والرِّيف. وقال بعضهم: البر قتل ابن آدم أخاه،[6] والبحر [فعل] الذي كان يأخذ كل سفينة غصبًا.[7] وجائز أن يكون لا على حقيقة إرادة البر والبحر ولكن على إرادة الأحوال[8] نفسها، على ما ذكرنا من القحط والضيق وقلة الأنزال بما كسبت أيدي الناس من الشرك والكفر، **ليذيقهم بعض الذي عملوا**، وهو الشرك. هذا أشبه.

وعن الحسن، [**ظهر الفساد في البر والبحر**،] قال: أفسدهم الله في بَر الأرض وبحرها بأعمالهم الخبيثة، **لعلهم يرجعون**، قال: يرجع مَن كان بعدهم ويتعظون بهم.[9] وقتادة يقول: لعل راجعًا يرجع، لعل تائبًا يتوب، لعل مستغيثًا يستغيث.[10] وأصله لكي يُلزمهم الرجوعَ والتوبةَ[11] عما عملوا، وينبّههم عن ذلك كله. وقال بعضهم: **ظهر الفساد في البر والبحر**، أي أجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوب الناس.*

---

[1] ر ث م – اليد لما باليد يقدم ويكسب في الجملة والله أعلم ويكون الفساد الذي ذكر.

[2] جميع النسخ: أعمال. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٣و.

[3] جميع النسخ + وتعاطي ما لا يحل. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٨ظ.

[5] وعبارة السمرقندي هكذا: «والبحر هو القرى والأمصار التي هي معدِن الماء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨٨ظ).

[6] انظر: سورة المائدة، ٥/٢٧-٣٠.

[7] انظر: سورة الكهف، ١٨/٧٩. وعبارة السمرقندي هكذا: «وقال بعضهم: أراد بظهور الفساد في البر قتل أحد بني آدم أخاه، وأراد بظهور الفساد في البحر فعل من كان يأخذ كل سفينة غصبًا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨٨ظ).

[8] ن + إلى.

[9] مصنف *ابن أبي شيبة*، ١٩/٣٧٠؛ وتفسير *الطبري*، ١٨/٥١١، ٥١٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٦٠٦.

[10] ن: يغيث. صح هـ. ورد هذه الرواية في تفسير *الطبري* هكذا: «لعل راجعًا أن يرجع، لعل تائبًا أن يتوب، لعل مستعتِبًا أن يستعتب» (١٨/٥١٣).

[11] ن: التوبة.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٩، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٨٨ظ/سطر ٢٤-٢٥.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾[٤٢]

وقوله: **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل**، قد ذكرنا في غير موضع[١] أنه ليس على حقيقة الأمر بالسير في الأرض ولكن كأنه يقول: لو سرتم في الأرض ونظرتم لرأيتم آثار[٢] عاقبة من كان قبلكم من المشركين ومكذّبي[٣] الرسل وما حلّ بهم، فينبّهكم ويمنعكم عن تكذيب الرسل والشرك بالله. أو أن يكون هو على الأمر بالتفكر[٤] والنظر والاعتبار، كأنه يقول: تفكروا واعتبروا فيما سِرتم في الأرض وانظروا إلى ماذا صار عاقبة أمر[٥] مكذبي الرسل من قبل، فينزل بكم بالتكذيب ما نزل بأولئك. *والله أعلم*.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[٤٣]

وقوله: **فأقم وجهك للدين القيم**، هذا[٦] قد ذكرنا فيما تقدم في قوله: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا.[٧] وقوله: **من قبلِ أن يأتي يوم لا مردّ له من الله**، قال بعض أهل التأويل: لا يَقْدر أحد على رد ذلك اليوم من الله. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما **لا مردّ له من الله**، أي لا يُرَدّون من ذلك اليوم إلى ابتداء المحنة، كقوله:[٨] يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ،[٩] الآية، وقوله:[١٠] فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا.[١١] ثم أخبر عنهم فقال: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ،[١٢] فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **لا مرد له من الله**، أي لا يردون إلى ما يسألون الرد.

---

[١] انظر مثلا: سورة الأنعام، ١١/٦؛ وسورة النحل، ٣٦/١٦.
[٢] ر م – آثار.
[٣] ر ث م: وهكذا في الرسل؛ ن: وهكذا الرسل. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٣و.
[٤] ر ث م: بالفكر.
[٥] جميع النسخ – أمر. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٢٢٣ظ.
[٦] جميع النسخ – هذا. والزيادة من المرجع السابق.
[٧] سورة الروم، ٣٠/٣٠.
[٨] جميع النسخ: كقولهم. والتصحيح من نسخة عاطف أفندي، ورقة ١١٠و.
[٩] ر ث م – ولا نكذب. ﴿ولو ترى إذ وُقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين﴾ (سورة الأنعام، ٢٧/٦).
[١٠] جميع النسخ: وقولهم.
[١١] جميع النسخ + غير الذي كنا نعمل. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٣ظ. ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أَبْصَرْنا وسمعنا فارجعنا نعملْ صالحا إنا موقنون﴾ (سورة السجدة، ١٢/٣٢).
[١٢] سورة الأنعام، ٢٨/٦.

والثاني، **لا مرد له من الله**، أي لا إقالة[1] لهم من الله ولا عفو ولا توبةَ إذا أتاهم ذلك اليوم، كقوله: لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ،[2] الآية.

وقوله: **يومئذ يصّدعون**، أي يتفرّقون، كقوله: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ،[3] هو يوم الافتراق، و يَوْمِ الْجَمْعِ،[4] و يَوْمِ الْفَصْلِ،[5] على اختلاف الأحوال والأوقات. ***والله أعلم.***

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[٤٤]

وقوله: **من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون**، أي من كفر فعليه جزاء كفره وعليه ضرر كفره، ومن آمن وعمل صالحا فله ثواب إيمانه وله منفعة عمله.[6] [٥٨٩و] / لأنه عز وجل إنما امتحنهم بأنواع ما امتحن لمنافع أنفسهم ولحاجتهم لا لحاجة أو منفعة[7] له، وكذلك قوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا،[8] وقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[9] أي فعليها.[10] وهو ما ذكرنا أنه إنما أمرهم ونهاهم[11] وامتحنهم لمنافع أنفسهم ولحاجتهم، لا لحاجة أو منفعة[12] لنفسه، لذلك كان ما ذكر. ***والله أعلم.***

وقوله: **يمهدون**، قال بعضهم يفترشون. وقال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: **فلأنفسهم [يمهدون**، أي] يعملون ويُوطِئون، وهو من المِهاد، والمهاد في الأصل هو[13] الفراش.[14]

---

[1] ر م: لا إقامة.

[2] جميع النسخ – لم تكن آمنت من قبل. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٣ظ. ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام، ١٥٨/٦).

[3] سورة الروم، ١٤/٣٠.

[4] انظر: سورة الشورى، ٧/٤٢؛ وسورة التغابن، ٩/٦٤.

[5] انظر مثلا: سورة الصافات، ٢١/٣٧.

[6] ن: وله منفعة إيمانه وعمله.

[7] ر ث: أو لمنفعة.

[8] سورة فصلت، ٤٦/٤١؛ وسورة الجاثية، ١٥/٤٥.

[9] سورة الإسراء، ٧/١٧.

[10] جميع النسخ – وإن أسأتم فلها أي فعليها، + الآية. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٣ظ.

[11] ر م: وأنهاهم.

[12] ر م: لمنفعة.

[13] جميع النسخ – هو. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٣ظ.

[14] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٢.

**﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾**[٤٥]

وقوله: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله**، هذا يدل أن الثواب والجزاء سبيلُ وجوبه الفضلُ، لا[١] في الحكمة وجوبُه،[٢] لِما سبق من الله إليهم نِعَمٌ ما لم يتهيأ لهم القيام بشكر واحدة منها فضلا أن يقوموا[٣] للكل. فإذا كان كذلك صار الثواب والجزاء وجوبُه الفضلُ لا الاستحقاق والاستيجاب. وأما العقوبات فوجوبها الاستحقاق، إذ في الحكمة وجوبها، لذلك افترقا. وجائز أن يكون قوله: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله**،[٤] أي يجزيهم في الآخرة بالخيرات التي عملوها في الدنيا، وذلك من فضله، به نالوا ذلك.[٥] *والله أعلم.*

**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[٤٦]

وقوله: **ومن آياته أن يُرسل الرياح مبشرات**، إن في الرياح آياتٍ في أنفسها،[٦] وفيها[٧] بِشاراتٌ. أما الآيات هي آيات سلطانه وتدبيره من وجوه. أحدها[٨] أنه أنشأ هذه الرياح في الهواء وفي الأرض وعلى وجه الأرض[٩] وفي الجبال وفي السماء تصيب الخلائق وتمسّهم وتؤذيهم وتَصْرَعهم[١٠] وتضرّهم من غير أن يروها أو يقع عليها البصر ومن غير أن يدركوها أو يدركوا[١١] كيفيتها أو مائيتها،[١٢] ليعلم أن من الأجسام ما هي غير مُدْرَكَة ولا آخذُ البصرُ عليها.

---

[١] جميع النسخ – لا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٣ظ.
[٢] جميع النسخ – وجوبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر ث م: أن تقوموا.
[٤] جميع النسخ – وعملوا الصالحات من فضله. والزيادة من المرجع السابق، ورقة ٢٢٤و.
[٥] جميع النسخ + وبفضله. وعبارة السمرقندي هكذا: «وذلك من فضل الله تعالى، إذ به نالوا تلك الخيرات وبتوفيقه قدروا على أدائها وبفضله وُفّقوا عليها. والله أعلم» (ورقة ٥٨٩و).
[٦] جميع النسخ: في نفسها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٩و.
[٧] ن – وفيها.
[٨] ر ث م – أحدها.
[٩] ر م – وعلى وجه الأرض.
[١٠] ر م: وتضرعهم.
[١١] ر م: أو يدركوها.
[١٢] ر م: أو ما يتهيأ.

وتُرَى منها طيبة ليّنة وخبيثة وشديدة كاسرة عاصفةٌ، يعذِّب بها قوم وينصر بها قوم، على ما ذُكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نُصِرتُ بالصَّبَا وأُهلِك عاد بالدَّبُور».[1] ومن بِشاراتها[2] ما تُلقح الأشجار والنخيلَ، وتَشُق الأرض وتَنبت النباتُ منها، وتَجمع السحابَ وتأتي بالمطر، وتجري بها[3] السفن والفُلْك في البحار في الماء الراكد، وفي مثله لا يجري السفن[4] والفلك لو لا الريح. فذلك كله من البشارات[5] وأنواع المنافع التي جعلت فيها؛[6] يُعلَم كلُّه بالأعلام والآثار أنها نافعة أو ضارة مهلكة. ثم سماها مبشرات ليعلم أن البشارة قد تكون[7] بدون النطق والكلام من نحو الكتاب والإشارة أو الرسالة؛ إذ ليس للريح نطق ولا كلام ثم سماها مبشرة. *والله أعلم*.

وقوله: **وليذيقكم من رحمته**، هذا يدل على[8] أن هذه البِشارة والمنافع التي جعلت[9] لهم كا[نت] منه رحمةً[10] وفضلاً، لا استيجابًا ولا استحقاقًا. وسمّى ذلك كله رحمةً لأنه برحمته يكون. *والله أعلم*.

وقوله: **ولتجري الفُلْك بأمره**، قوله: **بأمره**، يحتمل بتدبيره، أي بتدبيره تجري السفن في البحار على ما ذكرنا. أو أن يريد بأمره تكوينه، كقوله: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ،[11] وكقوله: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[12]

وقوله: **ولِتَبتغوا من فضله**، هذا يدلّ على أن ما يصل إليهم من المنافع إنما يصل من فضله ورحمته، لا يصل إليهم بتلك الأسباب والمكاسب، لئلا يروا ذلك من تلك الأسباب

[1] صحيح *البخاري*، الاستسقاء ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، صلاة الاستسقاء ١٧.
[2] جميع النسخ: بشارتها. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٨٩و.
[3] جميع النسخ: بهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٤و.
[4] ر م – وفي مثله لا يجري السفن.
[5] ر م: البشارة.
[6] جميع النسخ: وأنواع المنافع جعل فيها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٩و.
[7] جميع النسخ: قد يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م – على.
[9] جميع النسخ: جعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر م: من رحمته.
[11] سورة النحل، ١٦/٤٠.
[12] سورة يس، ٣٦/٨٢.

ولكن يرون ذلك من فضل الله ورحمته. وقوله: **ولعلكم تشكرون**، أي لكي يلزمهم الشكر لله في ذلك كله. *والله أعلم*.

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٤٧]

وقوله: **ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا**، في هذه الآية تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى الكفرة، حيث قال: **[ولقد]**[١] **أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات**. وفيه أيضًا بِشارة للمؤمنين ونِذارة لأولئك الكفرة. أما النذارة لهم بقوله: **فانتقمنا من الذين أجرموا**، أخبر أن أولئك لمّا كذبوا الرسل وعاملوهم بما تعاملون أنتم يا أهل مكة رسولَ الله انتقمنا[٢] منهم جزاء معاملتهم، فعلى ذلك ينتقم منكم كما انتقم من أولئك. وأما البشارة للمؤمنين في قوله: **وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين**، أخبر أن عاقبة الأمور تكون للمؤمنين. وفيه [دلالة][٣] أن الرسل الذين كانوا من قبل كانوا من البشر، فكيف تنكرون رسالة محمّد إذ كان من البشر. وفيه [أنه][٤] قد أتى[٥] قومه بالبينات كما أتى أولئك الرسل قومهم بالبينات.

وقوله: **وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين**، هو يخرج على وجهين. أحدهما أي كان حقًّا علينا جعل العاقبة للمؤمنين، لا أن يكون عليه حقًّا نصر المؤمنين في الدنيا، ولكن جَعَل العاقبة للمؤمنين حقًّا، كقوله: وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.[٦] والثاني، **كان حقًّا علينا نصر المؤمنين**، بالحجج التي أعطيناهم،[٧] أي كان حقا علينا[٨] إعطاء الحجج لهم، والنصر والمعونة بالحجج.[٩] وقال بعضهم: نصره إياهم أنه أنجاهم مع الرسل وأهلك أولئك. *والله أعلم*.

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٩ظ.
[٢] جميع النسخ: فانتقمنا.
[٣] الزيادة من المرجع السابق.
[٤] الزيادة من المرجع السابق.
[٥] ن ث + محمد.
[٦] سورة الأعراف، ١٢٨/٧.
[٧] جميع النسخ: أعطاهم.
[٨] جميع النسخ – علينا. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٤ظ.
[٩] جميع النسخ + أي إعطاء الحجج لهم. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿اَللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[٤٨] ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾[٤٩]

وقوله: **الله الذي يُرسل الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا**، كأنه يخبر عن قدرته وسلطانه، حيث أنشأ الرياح بحيث يجمع السحاب ويفرق، ويبسطه[1] ويجعله قِطَعًا تُمْطِر[2] في مكان ولا تمطر[3] في مكان. / يقول -والله أعلم-: إن من قدر أن يسلط [٥٨٩ظ] الرياح في جمع السحاب وتفريقه يملك تسليط الرياح على تعذيبكم. أو يقول: إن المعبود المستحِق للعبادة هو الذي يرسل الرياح لما ذكر والأمطار، لا الأصنامُ التي تعبدون، إذ تعلمون أنها لا تملك شيئًا مما ذكر. أو يذكر نعَمه التي عليهم لتقوموا بشكرها.[4] أو يُطمعهم إيمان بعض منهم بعد ما كانوا آيسين عن إيمانهم، كما أطمعهم المطر والسعة بعد ما قَحَطوا وكانوا آيسين عنه، ألا ترى أنه قال: **فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن يُنَزَّل عليهم من قبله لمبلسين**.

قال أبو عَوْسَجَة: **فتثير سحابا**، أي ترفعه. وقال أبو عبيدة: تجمعه،[5] كما يستثير[6] الرجل العلم فيجمعه.

وقوله: **ويجعله كسفًا**، قال بعضهم: قِطَعًا قطعًا.[7] وقال بعضهم: يضم بعضه إلى بعض ويحمل بعضه على بعض. وقوله: **فترى الودق يخرج [من خلاله]**، أي المطر يخرج من خلال السحاب، أي من بين السحاب. ويقرأ: من خَلَلِه،[8] ومعناه: نَقْبه.[9] وقوله: **لَمُبلِسين**، آيسين، والإبلاس الإياس، ولذلك سُمّي إبليسُ إبليسَ، لأنه أُويِس من رحمة الله.[10]

---

[1] ر م: يبسطه.
[2] جميع النسخ: يمطر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٨٩ظ.
[3] جميع النسخ: يمطر. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر ث م: لتأدى بها شكرها؛ ن: ليتأدى بها شكرها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٤ظ.
[5] ن + فتثير سحابا. *تفسير الطبري*، ١٨/٥٢٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٦٠٩.
[6] ر: يستبشر.
[7] ر ن – قطعا.
[8] *تفسير الطبري*، ١٧/٣٣٦.
[9] النَّقْب: الثَّقْب في أي شيء كان (*لسان العرب*، «نقب»).
[10] جميع النسخ: عن رحمة الله.

﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥٠]

وقوله: **فانظر إلى آثار رحمة الله**، يحتمل أن يكون قوله: **إلى آثار رحمة الله**، أي [آثار][١] المطر، أراد بالرحمة المطر. سمي المطر رحمة لأنه يكون رحمته.[٢] أو أن يكون الآثار هو المطر نفسه، جعله من آثار رحمته وأعلامه. *أو أن يكون سمى[٣] المطر رحمة، لما يرجع ذلك إلى منافع أبدانهم [٥٨٩ظ س١٥] وما به قوام أنفسهم، ليعرفوا الرحمة التي[٤] هي راجعة إلى منافع دينهم وآخرتهم، وهو رسول الله، إذ سماه في غير موضع رحمة،[٥] كقوله:[٦] وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[٧]* [٥٨٩ظ س١٧]

ثم الأمر بالنظر والاعتبار بآثار رحمته يحتمل وجوها. أحدها أنه[٩] أمرهم بالنظر إلى ذلك ليعلموا[١٠] أنه رحيم كي يرغبوا فيما رغبهم ويرجوا فيما أطمعهم ودعاهم إليه؛ إذ قد ظهرت[١١] آثار رحمته، فكل رحيم يُرْغَبُ فيما رغّب وأطمع. أو أن يكون الأمر بالنظر إلى آثار رحمته، إذ ذلك راجع إلى منافع أبدانهم وأنفسهم وما به قوامهم، يستأدِي[١٢] بذلك شكره. وفي ذلك تقع[١٣] الحاجة إلى من يعرّفهم تلك النعم[١٤] ويعرّف شكرها، فيكون في ذلك الترغيبُ في قبول الرسالة وإثباتِه.[١٥]★

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٩ظ.

[٢] جميع النسخ: برحمته. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٥و.

[٣] ر م: تنفي.

[٤] ر م – التي.

[٥] انظر مثلا: سورة التوبة، ٩/٦١.

[٦] جميع النسخ: بقوله.

[٧] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٧.

* ورد ما بين النجمتين في جميع النسخ بعد قليل عقيب قول المؤلف: «فيكون في ذلك الترغيب في قبول الرسالة وإثباته». ولعل وضعه هنا أنسب. انظر: ورقة ٥٨٩ظ/سطر ١٥-١٧.

[٩] جميع النسخ – أنه. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٥و.

[١٠] ن: ليعلم.

[١١] جميع النسخ: ظهر. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ر ن م: ليتأدى؛ ث: ليستأدي. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، نسخة مدينة ١٧٩، ورقة ٦٩٠و.

[١٤] ن: النعمة.

[١٥] وعبارة السمرقندي هكذا: «إنما أمر بالنظر إلى آثار رحمته لأن ذلك راجع إلى منافع أبدانهم وما به قوامهم يستأدي بذلك شكره، وفي ذلك تقع الحاجة إلى من يعرفهم كيفية شكر ذلك ومقداره، إذ ذاك لا يعرف بمجرد العقل، وإن كان وجوب أصل الشكر يعرف به. فيكون في ذلك الرغبة في قبول الرسالة التي بها يتوصل إلى علم ذلك، بالخبر عمن يخلق تلك النعم، وهو الله تعالى. وهو الموفق» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٨٩ظ).

★ وردت هنا قطعة من تفسير نفس الآية متأخرة عن موضعها، فقدمناها إلى محلها المناسب. انظر: ورقة ٥٨٩ظ/سطر ١٥-١٧.

أو أن يأمر بالنظر إلى ذلك المطر وأنه كيف يحيي هذه الأَرَضِينَ[1] الموات ويُنبت فيها من ألوان النبات، وهذه الأشجار اليابسةُ كيف تَخْضَرُّ بعد يُبوستها بهذه الأمطار، ليعرفوا أن من ملك هذا وقدر على ذلك -وهو خارج عن وسعهم وتقديرهم- لقادر على إحياء الموتى وبَعْثهم بعد الممات وإن كان خارجًا عن تقديرهم ووسعهم.

**وهو على كل شيء قدير**، لا يُعجزه شيء.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾[٥١]

وقوله: **ولئن أرسلنا ريحًا فرأوه مصفرًّا**، يعني[2] الزرع والنبات الذي أخرج من الأرض بالمطر. وقال[3] بعضهم: رأوه يابسًا إذا أصابته الريح الباردة. **لظلّوا من بعده يكفرون،** أي لأقاموا على كفرهم إذا أصابهم ما ذكر، وهو كقوله: وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ،[4] فعلى ذلك قوله: **لظلّوا من بعده يكفرون،** أي يقنطون من رحمته. *والله أعلم*.

[٥٩٠ظ س٥] *وقوله: **ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرًّا**، أي رأوا ذلك الزرع والنبات مصفرًّا، أي يابسًا، لما أصابه من الريح والبرد، **لظلوا من بعده [يكفرون]**،[5] قيل: لأقاموا، وقيل: لصاروا، وقيل: لَمالوا، وكله يرجع إلى معنى واحد، وهو ما تقدم ذكره من القنوط. أي يقنطون وييأسون من رحمته، ويكفرون ربّ هذه النعم.* [٥٩٠ظ س٨]

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[٥٢]

وقوله: **فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمَ الدعاء إذا ولّوْا مدبرين**، جائز أن يكون قوله:[7] **لا تسمع الموتى**، يريد بالموتى أنفسهم، **ولا تسمع الصمَ الدعاء**، الصمَّ أنفسَهم أيضًا. *ويحتمل أن يكون قوله: **لا تسمع الموتى**، كناية عن الكفار، وكذا الصُّمّ والعُمْيُ،

---

[1] ن: الأرض.

[2] ر ث م + به.

[3] جميع النسخ: قال. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٥ظ.

[4] سورة الروم، ٣٠/٣٦.

[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٨٩ظ.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٠ظ/سطر ٥-٨.

[7] ر ث م – قوله.

وقد سمى الله الكفار موتى وصمًّا وعميًا في غير موضع،[١] ومعناه: لا تسمع الكفار والضُّلَّال إذا ولَّوْا مدبرين.*

*وفي حرف ابن مسعود: إنك لا تُسمع الموتى إنك لا تَبعث الموتى.* [٥٩٠ظ س٨]

ثم في قوله: **ولا تُسمع الصمَّ الدعاءَ إذا ولَّوْا مدبرين،** حكمة، وهو أن لا يقدر أن يُسمع[٤] الصمَّ الدعاء إذا ولَّوا[٥] مدبرين،[٦] ولكن يقدر أن يُفهم الأصمَّ الدعاء إذا أقبل،[٧] وأما إذا أدبر فلا يقدر أن يسمعه.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٥٣]

وكذلك الحكمة في قوله: **وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم،** أي لا تقدر أن تهدي العمي عن ضلالتهم،[٨] وهو الذي يَعْمَى عن ضلالته ويظنّ أنه على الهدى وغيرَه على الضلال. فأما من كان مقِرًّا بالضلال فإنك تقدر أن تهديه. يخبر عن شدة سفههم وتعنّتهم وعَمَاهم في ضلالتهم. *والله أعلم.*

وقوله: **إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا،** أي ما تسمع إلا من يؤمن بآياتنا.[٩] هذا يدلّ على أن قوله: فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ،[١٠] وقوله: **وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم،** هي المواعظُ لا نفسُ الهدى، حيث قال: **إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون.** وهو[١١] كقوله: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[١٢] أي إنما ينتفع بإنذارك من اتّبع الهدى،

---

[١] انظر لتسمية الكفار أمواتًا: سورة النحل، ٢١/١٦؛ وسورة فاطر، ٢٢/٣٥. وانظر لتسميتهم صمًّا وعميًا: سورة البقرة، ١٧١/٢؛ وسورة الزخرف، ٤٠/٤٣.

* ما بين النجمتين مأخوذ من *الشرح* ورقة ٥٨٩ظ، وفي عبارة جميع النسخ تقديم وتأخير مخلّ بالمعنى، وهي هكذا: «وقوله ولا تسمع الكفار والضلال إذا ولوا مدبرين أو أن يكون قوله لا تسمع الموتى كناية عن الكفار وكذلك الصم والعمي وقد سمى الله الكفار موتى وصما وعميا في غير موضع من القرآن».

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٥٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٠ظ/سطر ٨-٩.

[٤] ن: أن تسمع.

[٥] ر ث م: ولى.

[٦] جميع النسخ: مدبرا.

[٧] ر: قبل.

[٨] ث - أي لا تقدر أن تهدي العمي عن ضلالتهم.

[٩] ث - أي ما تسمع إلا من يؤمن بآياتنا.

[١٠] الآية السابقة.

[١١] جميع النسخ - وهو، + ثم يحتمل قوله إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٠و.

[١٢] سورة يس، ١١/٣٦.

أو إن الذي يقبل النِذارة من اتّبع الهدى، فأما من لم يتّبع الهدى فلا ينتفع. فعلى ذلك يحتمل قوله: **إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا**، أي ما ينتفع ولا[1] يسمع[2] المواعظ إلا من يؤمن بذلك. *والله أعلم*.

**﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[٥٤]**

وقوله: **الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما قوله: **خلقكم من ضعف**، أي من النطفة، وهو ما قال في آية أخرى: أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ،[3] أي ضعيف؛ وقوله:[4] **ثم جعل من بعد ضعف قوة**، [٥٩٠و] / أي إنسانا يقوَى على أمور وعلى أشياء؛ **ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة**، أي شيخًا فانيًا، كقوله: وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا.[5] و[الثاني][6] جائز أن يكون قوله: **خلقكم من ضعف**، أي أطفالا -لا على الخلقة التي أنتم عليها اليوم- ضعفاء لا تقدرون[7] على شيء،[8] ولا يَقوَى شيء منكم على شيء؛ ثم جعلكم[9] من بعد ذلك الضعف أقوياء تقوَون على أشياء وأمور؛ ثم جعلكم[10] من بعد تلك القوة والقدرة ضعفاء شيوخًا، لا تقدرون[11] على شيء، على ما يكون [من قبل].[12] يحتمل هذين الوجهين.

ثم فيه وجهان من الدلالة؛ أحدهما على البعث، والثاني على القدرة على إنشاء الخلق والأشياء لا من أصول. فالدلالة[13] [عليهما من وجهين. أحدهما] لأنهم كانوا ينكرون البعث[14]

---

[1] جميع النسخ: أو لا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٥ظ.
[2] ن ث: لا تسمع.
[3] سورة المرسلات، ٧٧/٢٠.
[4] جميع النسخ: ثم قوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة الحج، ٢٢/٥.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٠و.
[7] جميع النسخ: لا تقوون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٦و.
[8] ر ث م: أشياء؛ ر ث م + وأمور.
[9] جميع النسخ: ثم جعل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٠و.
[10] جميع النسخ: ثم يجعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن ث: لا يقدرون.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: أما الدلالة على البعث.
[14] ث - لأنهم كانوا ينكرون البعث.

وإنشاء الشيء لا من أصل لخروج ذلك عن قواهم وتقديرهم. فيخبر أن النطفة تصير علقة وليس فيها من العلقة ولا من آثارها شيء، وكذلك العلقة تصير مضغة وليس فيها من آثار المضغة شيء، وكذلك المضغة تصير[1] إنسانًا فيه عَظْم وجِلد وشَعْر ولحمٌ وليس شيء من ذلك فيها. فمن[2] قدر على ما ذَكَر لقادر على خلق الشيء لا من أصل، وقادر على البعث. إذ كل ما ذكر أقرّوا به وهو خارج عن قواهم وعن تقديرهم، فلزمهم الإقرار بالبعث والإنشاء[3] لا عن أصل، وأن لا يقدّروا قدرتهم وقواهم بقدرة الله وقوته، على ما شاهدوا أشياء خارجة عن قواهم[4] وعن تقديرهم، بقوة الله[5] وقدرته.

والثاني أن ما ذكر من تحويل النطفة إلى العلقة والعلقة[6] إلى المضغة والمضغة إلى الصورة والإنسان، لم يحوّلهم ولم ينقلهم ليكون كما ذكر بلا عاقبة تكون[7] لهم ولا بعثٍ. فلو لم يكن بعث لكان ما ذكر من تحويل حال إلى حال عبثًا باطلاً على ما ذكر.[8] وكذلك فيما أحدث في الأطفال من القوة والقدرة، بعد ما كانوا ضعفاء لا يقوَون ولا يقدرون على شيء؛ إنه إنما أحدث ذلك فيهم لِيُمْتَحَنوا، ويَجعلَ لهم عاقبةً[9] يثابون ويعاقبون. إذ لو لم يكن بعث ولا عاقبة[10] لكان فعل ذلك عبثًا باطلاً. وفيه القدرة على إنشاء الشيء وإحداثه لا من أصل،[11] إذ كان التركيب موجودًا على التمام ولا قوة لهم،[12] ثم حدثت[13] القوة ولا أصل لها ولا أثر من آثارها. دل أن تقدير قوى الخلق وقدرتهم بقوى الله وقدرته محال. *والله الموفق*.

---

[1] ن: تصير المضغة.
[2] ن ث: ممن.
[3] ن ث: وإنشاهم.
[4] ر ث م: قولهم.
[5] ر م - الله.
[6] ن: والنطفة.
[7] ن ث: يكون.
[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١١٥).
[9] ر ث م - عاقبة.
[10] ث: ولا عاقبته.
[11] ر ث م: شيء.
[12] جميع النسخ: بهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٠و.
[13] ر ث م: حدث.

وقوله: **يخلق ما يشاء وهو العليم القدير**، العليم[1] بأحوالهم، والقدير على إنشاء الأشياء لا من أشياء، وعلى البعث بعد الموت. *والله أعلم*.

**﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾[٥٥]**

وقوله: **ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة**، قال بعض أهل التأويل: يقسم المجرمون أنهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة، وكذلك يقولون في قوله: قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ،[2] الآية. لكنّ الأشبه[3] أن يكون قوله: **يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة**، في[4] الدنيا في المحنة لا في القبور. استقصروا مُقامهم في الدنيا تكذيبًا لما ادُّعِيَ عليهم من الزلل والمعاصي وأنواع الكفر؛ يقولون: إنا لبثنا في الدنيا وقتًا لا يكون منا في مثل ذلك الوقت وقدر تلك المدة الزلل والمعاصي. ألا ترى أنهم قد كَذَّبوا في إنكارهم طول المُقام فيها، حيث قال: **كذلك كانوا يؤفكون**، أي كذلك كانوا يكذّبون في الدنيا أن لا بعث ولا حياة بعد الموت ولا حساب، ولولا هذا التكذيب لهم على إثر قولهم: **ما لبثوا غير ساعة**، وإلا كان الظاهر أنهم قد استقصروا المقام في الدنيا لطول المقام في الآخرة وشدة العذاب في ذلك وهَوْلِه، لكنه -والله أعلم- ما ذكرنا أنهم يقسمون أنهم ما لبثوا غير ساعة في الدنيا إنكارًا وجحودًا لما ادُّعِي عليهم من الزلل والمعاصي. يقولون: إنا لم نلبث في الدنيا إلا ساعةً، كيف عمِلنا[5] فيها هذه الزلل وأنواع الشرك والكفر؟ فأخبر أنهم، **كذلك كانوا يؤفكون**، أي كذلك كانوا يكذّبون في الدنيا ويقسمون، حيث قال: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ،[6] فذلك القسم منهم أنهم ما لبثوا غير ساعة كذبٌ وإنكارٌ للمُقام، كما[7] كذّبوا وأنكروا الشرك حيث [قال]: قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ.[8]

---

[1] جميع النسخ – العليم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٦ظ.
[2] سورة المؤمنون، ٢٣/ ١١٢-١١٣.
[3] ر م: لا يشبه.
[4] ر ث م – في.
[5] ر م: علمنا.
[6] سورة النحل، ٣٨/١٦.
[7] ر: مما.
[8] سورة الأنعام، ٢٣/٦.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥٦]

وقوله: **وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو على التقديم والتأخير، كأنه يقول:[١] وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله، أي أوتوا العلم بكتاب الله والإيمان به: لقد لبثتم إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث. وقال بعضهم: وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في علم الله في الدنيا إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث. وبعضهم يقول: وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فيما كتب الله لكم من الآجال إلى انقضاء آجالكم وفنائها.

وقوله: **فهذا يوم البعث**، الذي كنتم تنكرونه وتكذبونه،[٢] **ولكنكم كنتم لا تعلمون**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على حقيقة نفي العلم عنهم به،[٣] لكنهم لا يُعْذَرون لجهلهم بذلك لما أُعْطُوا أسبابَ العلم، لو تفكّروا وتأملوا لَعلموا. والثاني على نفي الانتفاع بعلمهم، على ما نفى عنهم حواسَّ كانت لهم لما لم ينتفعوا بها،[٤] فعلى ذلك جائز نفي العلم عنهم / بذلك، [٥٩٠ظ] لما لم ينتفعوا بما علموا. *والله أعلم*.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[٥٧]

وقوله: **فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتُهم**، ليس على أن يكون لهم عذر فلا ينفعهم، ولكن لا عذر لهم ألبتة. أو أن يكون معذرتهم ما ذكر:[٥] [يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ] مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ،[٦] فذلك معذرتهم، فلا ينفعهم ذلك لأنهم كَذَبَة في ذلك.

وقوله: **ولا هم يستعتبون**، الاستعتاب هو الاسترجاع عما كانوا فيه، فهم لا يُطلَب منهم الرجوع عما كانوا عليه في ذلك الوقت، والعتاب في الشاهد أن يعاتَب ليترك ما هو عليه ويرجع عما كان منه فيما مضى، وذلك لا ينفع للكفرة في ذلك اليوم. *والله أعلم*.*

---

[١] ر م - يقول.

[٢] ن: ويكذبونه.

[٣] جميع النسخ - به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٠ظ.

[٤] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧١).

[٥] جميع النسخ: ما ذكروا. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] الآية السابقة برقم ٥٥.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٥١ ورقم ٥٢، فقدمناهما إلى محليهما؛ انظر: ورقة ٥٩٠ظ/سطر ٥-٨، وسطر ٨-٩.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾[٥٨]

وقوله: **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**، جائز أن يكون ما ذكر من ضرب المثل للكفار خاصّة، يقول: قد بيّنّا لهم ما يعظهم ويزجرهم عما هم فيه ويدعوهم إلى الإيمان والتوحيد، لكنهم اعتادوا[1] العناد والمكابرة. وقوله: **ولئن جئتهم بآية**، أي لو جئتهم بالآية التي سألوك أيضًا فلا يصدّقونك[2] ولا يقبلون[3] الهدى، ويقولون ما ذكر: **ليقولنَ الذين كفروا إن أنتم إلا مُبطِلون**.

ويشبه أن يكون ما ذكر من ضرب المثل للفريقين جميعًا، للمؤمن والكافر، ويكون التأويل -والله أعلم-: ولقد ضربنا وبيّنّا للناس لأفعالهم وأحوالهم من القبيح والحسن مثلاً وشِبْهًا ما يعرفون به قبح كل قبيح وحُسْنَ كل حسن، وما يتبيّن به[4] الحق من الباطل والعدل من الجور؛ لأن أولئك الكفرة لم يعتبروا ولم يتأملوا. ثم رجع إلى وصف أولئك الكفار،[5] فقال: **ولئن جئتهم بآية**، أي بزيادة في البيان والوضوح، **لَيقولنَ الذين كفروا إن أنتم إلّا مُبطِلون**. *والله أعلم*.

﴿كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥٩]

وقوله. **كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون**، قد ذكرنا في غير موضع أن قوله: **لا يعلمون**، يخرج على وجهين. أحدهما لم يعلموا لما لم يتأمّلوا ولم ينظروا في أسباب العلم لكي يعلموا، ولا عذر لهم في جهلهم[6] ذلك لما أُعْطُوا أسباب العلم، لكنّهم لم يستعملوها، فمنهم جاء ذلك فلم يُعْذَروا. والثاني نَفَى عنهم العلم على وجود العلم لهم وكونه لما لم ينتفعوا بما علموا. على ما ذكرنا من نفي الحواسّ عنهم مع وجودها وكونها لهم تلك الحواس، لِما لم ينتفعوا بها ولم يستعملوها فيما[7] جُعلت تلك وأنشئت لها، فعلى ذلك العلمُ. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: اعتقدوا.
[2] ر ث م: فلا يصدوك.
[3] جميع النسخ: ولا يقبلوا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٧و.
[4] ر ث م: وما بين لهم؛ ن: وما يبين لهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م: الكفرة.
[6] م + في.
[7] ن: لما.

**﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[٦٠]**

وقوله: **فاصبر إن وعد الله حق**، قال بعضهم: فاصبر على تكذيبهم إياك بالعذاب الذي وعدتُ لهم، **إن وعد الله حق**، في العذاب بأنه نازل بهم. وجائز أن يكون قوله: **فاصبر**، أي اصبر على أذاهم الذي يؤذونك، **إن وعد الله حق**، في النصر لك والمعونة.

وقوله: **ولا يَسْتَخِفَّنَّك الذين لا يوقنون**، كأنه يقول: لا يحملنّك أذاهم إياك حتى تدعوَ عليهم بالعذاب والهلاك. وقال[١] بعضهم: **لا يستخفنك**، أي لا يستفزّنّك، ويقول: لا يستجهلنّك. وأصله ما ذكرنا، أي[٢] لا يحملنّك أولئك الكفرة على الخفّة والعجلة والجهل حتى تدعو عليهم بإنزال العذاب والهلاك لهم. وهو -والله أعلم- كأنه من الاستخفاف. ***والله أعلم بالصواب***.[٣]

---

[١] ن: قال.

[٢] جميع النسخ: أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٧ظ.

[٣] ر ن ث - والله أعلم بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة لقمان[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿الٓمٓ﴾[١] ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[٢]**

قوله[2] عز وجل: **الٓمٓ**، قد ذكرنا تأويله في غير موضع فيما تقدم وما ذكر فيه.[3]

وقوله: **تلك آيات [الكتاب]**، قال بعضهم: **تلك** إشارة إلى ما بشّر به الرسل المتقدمةُ أقوامهم من بِشارات، يقول:[4] تلك البشارة هي آيات الكتاب، أي هذا القرآن. وقال بعضهم: تلك آيات الكتاب الذي في السماء.[5] ومنهم من قال: تلك الآيات[6] التي أنزلت متفرقة فجُمعت فصارت قرآنا. *والله أعلم*.

وقوله: **الكتابِ الحكيم**، سمّى الكتاب حكيمًا، كريمًا،[7] مجيدًا،[8] ونحوه. فيحتمل تسميته حكيمًا وجوهًا. أحدها لإحكامه وإتقانه، أي محكم متقنٌ لا يبدّل ولا يغيّر.[9] وهو كما وصفه[10] عز وجل: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[11] الآية.

---

[1] ر - سورة لقمان؛ ن + كلها مكية إلا آيتين منها فإنهما نزلتا بالمدينة إحداهما قوله إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الآية والأخرى قوله ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام الآية؛ ث + وهي ثلاثون وأربع آيات مكية؛ م + كلها مكية.

[2] ن: وقوله.

[3] انظر مثلا: تفسير الآية ١ من سورة البقرة، وتفسير الآية ١ من سورة آل عمران.

[4] ن: نقول.

[5] جميع النسخ: تلك آيات التي في السماء هذا الكتاب.

[6] ن ث: آيات.

[7] انظر: سورة الواقعة، ٧٧/٥٦.

[8] انظر: سورة ق، ١/٥٠؛ وسورة البروج، ٢١/٨٥.

[9] ن - لا يبدل ولا يغير، صح هـ.

[10] ر م: وضع.

[11] سورة فصلت، ٤٢/٤١.

والثاني سماه حكيمًا لأن من تمسك به وعمل بما فيه يصير حكيمًا مجيدًا كريمًا.
والثالث سمّاه حكيمًا لأنه منزل من عند حكيم،[1] كقوله: تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.[2]

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾[٣]

وقوله: **هدًى ورحمة للمحسنين**، قوله: **هدًى**، أي توفيقًا وعصمة ومعونة للمحسنين، وكذلك[3] هو رحمة لهم في دفع العذاب عنهم. وأما ما يقوله أهل التأويل:[4] **هدًى**، أي بيانًا للمحسنين، فهو بيان للكل ليس لبعض دون بعض، فلا يحتمل الهدى البيانَ في هذا الموضع، ولكن ما ذكرنا من المعونة والتوفيق والعصمة. والمحسن هاهنا جائز أن يكون المؤمنَ، كقوله: [٥٩١و] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ،[5] / الصبّار هو المؤمن، والشكور هو المؤمن. سَمّى المؤمن صبارًا مرة وشكورًا مرة ومحسنًا مرة، لأنه يعتقد بالإيمان كل ما ذكر من الصبر والشكر والإحسان وكل خير. *والله أعلم*.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[٤]

وقوله: **الذين يقيمون الصلاة**، الآية، قد ذكرنا تأويله فيما تقدم في غير موضع.[6]

﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥]

وقوله: **أولئك على هدى من ربهم**، تأويل الهدى ما ذكرنا في هذا الموضع من التوفيق والعصمة والمعونة.[7] وقوله:[8] **وأولئك هم المفلحون**، قد ذكرناه[9] أيضا.[10]

---

[1] ر – حكيم.
[2] سورة فصلت، ٤١/٤٢.
[3] ن: ولذلك.
[4] ر – هدى أي توفيقا وعصمة ومعونة للمحسنين وكذلك هو رحمة لهم في دفع العذاب عنهم وأما ما يقوله أهل التأويل، صح هـ. يريد الإمام رحمه الله بأهل التأويل المعتزلة.
[5] انظر مثلا: سورة إبراهيم، ١٤/٥؛ وسورة لقمان، ٣١/٣١.
[6] انظر: فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية في أواخر المجلدات: الصلاة؛ معنى إقامتها.
[7] انظر الآية السابقة برقم ٣.
[8] جميع النسخ – وقوله. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٨و.
[9] ر: ذكرنا.
[10] انظر مثلا: تفسير الآية ٥ من سورة البقرة.

**﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾**[٦]

وقوله: **ومن الناس من يشتري لَهْو الحديث ليضلَّ عن سبيل الله بغير علم،** اختلف في قوله: **من يشتري لهو الحديث،** قال بعضهم: ليس على حقيقة الاشتراء نفسه ولكن على الإيثار والاختيار، لأن الاشتراء هو المبادلة[١] [التي هي][٢] أخذ وإعطاء، ولكن آثروا واختاروا لهو الحديث واللعب على الحق والحكمة. وكذلك قوله: إِشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى،[٣] أي اختاروا[٤] وآثروا[٥] الضلال مع قُبحه عندهم على الهدى مع حسنه. فعلى ذلك آثروا لَهْو الحديث واختاروه على الحق وحكمة الحديث، واختاروا الفاني على الباقي، فسمّاه شراءً لذلك. وقال بعضهم: هو[٦] على حقيقة الاشتراء. لكنهم اختلفوا، فمنهم من يقول: إنه[٧] على اشتراء المغنّية والمغنّي، كانوا يشترون[هم][٨] ليتلهّوا بهم ويلعبوا. ومنهم من قال: إن فلانا[٩] كان يشتري[١٠] ويكتب عن لهو الحديث وباطله من حديث الأعاجم فيحدّث بها قريشًا، ويقول: إن محمدًا يحدّثكم بأحاديث عادٍ وثمودَ وأنا[١١] أُحدّثكم بأحاديث فارسَ والروم. فذلك اشتراؤه لهو الحديث وإضلاله الناس عن سبيل الله، فأعرضوا عن القرآن والإيمان بمحمد.[١٢]

---

[١] جميع النسخ: مبادلة.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩١و.
[٣] سورة البقرة، ١٦/٢ و١٧٥.
[٤] ث - لهو الحديث واللعب على الحق والحكمة وكذلك قوله اشتروا الضلالة بالهدى أي اختاروا.
[٥] ر م - لهو الحديث واللعب على الحق والحكمة وكذلك قوله اشتروا الضلالة بالهدى أي اختاروا وآثروا.
[٦] ن - هو.
[٧] ن: إنهم.
[٨] ن: يشتروا.
[٩] ر ث م - إن فلانا.
[١٠] ن: فيشتري.
[١١] ن: فأنا.
[١٢] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقال بعضهم: نزلت الآية في رجل كان يشتري لهو الحديث وباطله من حديث الأعاجم، فيحدث بها قريشا ويقول: إن محمدا يحدثكم بأحاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بأحاديث فارس والروم فذلك اشتراؤه لهو الحديث. ثم إضلالهم الناس عن سبيل الله هو أمرهم إياهم بالإعراض عن القرآن والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٩١و).

[وقوله:][1] **ويتخذها هزوا**، كان[2] إذا سمع شيئا من القرآن اتخذها هزوًا.[3] هكذا عادة الكفرة وأهل النفاق كانوا يستهزءون بالقرآن وبرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ثم أوعدهم الوعيد الشديد حيث قال: **أولئك لهم عذاب مهين.**

وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما يقولان في قوله: **ومن الناس من يشتري لهو الحديث**، هو شراء المغنّية أو الغِناء.[4] وقد روي مرفوعًا[5] عن[6] القاسم عن أبي أُمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه[7] قال: «لا تَبيعوا[8] المغنِيات ولا تشتروهن ولا تعلّموهن، ولا خير في التجارة فيهن، وثمنهن حرام»، وفي مثله أنزلت هذه الآية: **ومن الناس من يشتري لهو الحديث**، الآية.[9] فإن ثبت هذا فهو تفسير "**لهو الحديث**" الذي ذُكر في الآية.

**﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [٧]

وقوله: **وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبِرًا**، أي أعرض متعظمًا متجبّرًا، **كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرًا**. يحتمل قوله: **كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرًا**، على التقرير، ويحتمل على نفي الحقيقة. فإن كان على التقرير فهو على ترك الاستماع. وإن كان على حقيقة النفي فقد ذُكر في كثير من الآي ذلك، كقوله:[10] صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ،[11] وذلك يحتمل الوجهين.[12] **والله أعلم.**

ثم أوعده العذاب الشديد حيث قال: **فبشره بعذاب أليم.**

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩١و.

[2] جميع النسخ: وكان.

[3] ن – وكان إذا سمع شيئا من القرآن اتخذها هزوا.

[4] ر ث م: والغناء. *تفسير الطبري*، ١٨/٥٣٥-٥٣٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٦١٥-٦١٧، ٦٢٣.

[5] جميع النسخ + روي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩١و.

[6] جميع النسخ + أبي. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] جميع النسخ – أنه. والزيادة من المرجع السابق.

[8] ث: لا تبتعوا.

[9] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٢٦٤، ٢٦٨؛ و*سنن ابن ماجة*، التجارات ١١؛ و*سنن الترمذي*، البيوع ٥١، التفسير ٣١.

[10] ر م: قوله؛ ن ث: في قوله.

[11] سورة البقرة، ٢/١٨، ١٧١.

[12] جميع النسخ: وجهين. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٨ظ. انظر تفسير الآية ١٨ من سورة البقرة لذكر هذين الوجهين.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾[٨]**

وقوله: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، قوله: آمَنوا، بجميع ما أمروا بالإيمان به، **وعملوا الصالحات**، بما تعبّدوا من العمل بالطاعات والصالحات، **لهم جنات النعيم**، كل الجنان التي وَعد للمؤمنين نعيم يَتنعّمون فيها.

**﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٩]**

**خالدين فيها وعد الله حقًّا**، أي ما وعد للمؤمنين من الجنات النعيم هو حق كائن لا مَحالةَ، **وهو العزيز الحكيم**.

**﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[١٠]**

وقوله: **خلق السماوات بغير عمد ترونها**، قال بعضهم: خلق السماوات بِعَمَد لا ترونها، وقيل: لعل لها عمدًا لكن لا ترونها. وقال بعضهم: خلقها بلا عمد. لكن الأعجوبة فيما خلقها بعمد لا ترونها ليست بدون الأعجوبة في خلقها بلا عمد، لأن رفع مثلها بعمد لا تُرى أعظم في اللطف والقدرة مِن رفعها بلا عمد. إذ العمد لو كانت مقدار الريشة أو الشَّعْرة ترى، فرفعها مع ثقلها وعظمها وغلظها على عمد لا ترى هو ألطف من ذلك وأعظم في الأعجوبة مما[1] ذُكر.[2] فأيهما كان ففيه دلالةُ أن لا يجوزُ تقدير قوى الخلق بقوى الله تعالى وقدرتِه،[3] ولا سلطانِ الخلق بسلطانه،[4] بل هو القادر على الأشياء كلها بما شاء وكيف شاء، لا يُعجزه شيء.

وقوله: **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم**، وقال في آية أخرى: وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ،[5] والرواسي هن الثوابت، أي أثبت الأرض بالجبال، كقوله: وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا،[6] أي أثبتها. وقوله: **أن تميد بكم**، أي لا تميدَ بكم. ذكر المَيْد، وهو الميل والاضطراب،

---

[1] ث: فما.
[2] جميع النسخ: ذكرنا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٩و.
[3] ر ث م: بقدرته.
[4] ن: لسلطانه.
[5] ﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا﴾ (سورة الرعد، ٣/١٣).
[6] سورة النازعات، ٣٢/٧٩.

وليس من طبع الأرض الميل والاضطراب، وإنما طبعها التسرّب والتسفّل[1] والانحدار. فلا يُدرَى أن كيف حالها في الابتداء وما في سرّيّتها ما يحملها على الاضطراب والميد حتى أثبتها وأرساها بالجبال. والله أعلم بذلك.

وقوله: **وبثّ فيها من كل دابة**، قال بعضهم: **بث**، خلق، وقيل: **بث**، فرّق. وفيه[2] أنه جعل الأرض مكانًا ومعدِنًا لكل أنواع الدواب الممتحَن وغير الممتحن والمميّز وغير المميّز، والسماءُ لم يُجعل إلا[3] لنوع من الخلق أهلِ العبادة.

وقوله: **وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم**، أي أنبتنا فيها من كل لون يتلذّذ به الناظر إليه، **كريم**، ينال منه كل ما أراده وتمناه؛ إذ الكريم هو / ما يُطمَع منه [٥٩١ظ] نيلُ كل ما عنده وأريد منه. وقال بعضهم: الكريم، الحسن، أي أنبتنا فيها من كل لون حسنٍ ما يستحسنه الناظر ويتلذذ به، على ما ذَكَر في آية أخرى: مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ،[4] ما يُبْهَج ويُسَرُّ به كل ناظر إليه. *والله أعلم*.

﴿هَٰذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[١١]

وقوله: **هذا خلق الله**، أي ما ذكر[5] من خلق السماوات والأرض وما بثّ من الدواب وما أنبت من كل زوجٍ كريمٍ. وقوله:[6] **فأروني ماذا خلق الذين من دونه**، يذكر سفههم [و]يقول: إنكم تعلمون أن ما ذَكَر من السماوات والأرض وجميع ما فيهما[7] هو كلُّه خلقُ الله وأنه هو خالق ذلك كله، وأن الأصنام التي تعبدونها من دونه لم تخلق شيئًا من ذلك ولا تملك خلق شيء، فكيف تعبدونها من دونه وسميتموها آلهة، وصرفتم العبادة والألوهية عن الذي هو[8] خالقكم وخالق السماوات والأرض وما فيهما؟ وإنما استحق الألوهية والربوبية لخلقه ما ذكر، والأصنام[9] لم يكن منها خلق فكيف سميتموها آلهة وعبدتموها دون الله؟

---

[1] م: التسفل والتسرب.
[2] ن: ففيه.
[3] ر: لا.
[4] ﴿والأرض مَدَدْناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ (سورة ق، ٧/٥٠).
[5] جميع النسخ: يقول ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩١ظ.
[6] ر م: قوله؛ ن ث – قوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ث: فيما.
[8] ر م – هو.
[9] جميع النسخ: فالأصنام فإذ. والتصحيح من المرجع السابق.

هذا -والله أعلم- تأويل قوله: **فأروني ما ذا خلق الذين من دونه**، أي لم يخلق، يخبر عن سفههم وقلة معرفتهم وسَرَفِهم في القول والفعل.[١] *والله أعلم*.

وقوله: **بل الظالمون في ضلال مبين**، يحتمل **الظالمون** وجوها. أحدها ظلموا أنفسهم حيث وضعوها في غير موضعها الذي أمرهم الله تعالى أن يضعوها، وهو وضعهم إياها في عبادة الأصنام. أو [هم] ظالموا[٢] حدود الله التي[٣] حدّ لهم، لم يحفظوها على تلك الحدود بل جاوزوها. أو سماهم ظلمة لما ظلموا نعم الله ولم يشكروها. *والله أعلم*.

وقوله: **في ضلال مبين**، أي في[٤] حيرة بينة، أو هلاك بين.

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾**[١٢]

وقوله: **ولقد آتينا لقمان الحكمة**، قال بعضهم: الحكمة[٥] هي الإصابة في القول والفعل من غير نبوّة. وقال بعضهم: أُعطي الفهم واللبّ. وقيل: الفهم والفقه في الدين، وقيل: العلم. كأنه يقول: أعطيناه العلم والفهم[٦] بالكتب المتقدمة. والفقه هو معرفة الشيء بنظيره الدال على غيره، أو معرفة ما غاب بما شهد، أو معرفة الخفي الباطن بالظاهر، ونحوه. والفلاسفة يقولون: الحكمة هي المعرفة مع العمل، والحكيم هو الذي له المعرفة[٧] والعلم والعمل[٨] جميعًا، فحينئذ يسمى حكيمًا.

وقوله: **أن اشكر لله**، كأنه قال: ولقد آتينا لقمان الحكمة -والحكمة تحتمل[٩] الوجوه التي ذكرنا- وقلنا له أن اشكر لله فيما أعطاك من الحكمة وغير ذلك من النعم.[١٠] وهذا يدل أن لله[١١]

---

[١] ن - والفعل.
[٢] جميع النسخ: ظالمي.
[٣] جميع النسخ: الذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩١ظ.
[٤] ث - في.
[٥] ن - قال بعضهم الحكمة.
[٦] ن: أعطيناه الفهم والعلم والفقه.
[٧] ن: له الحكمة والمعرفة.
[٨] ن: مع العمل.
[٩] ر ث م: يحتمل.
[١٠] جميع النسخ: من النعمة. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر: الله.

فيما يكتسب المرء من الحكمة والعلم صنعًا، إذ لو لم يكن له صنع[1] في ذلك لم يكن[2] لقوله: **آتينا**، معنًى؛ إذ هو فعل[3] العبد وكسبه. ألا ترى أنه أمره أن يشكر له على ذلك، ولو لم يكن له صنع في ذلك لكان لا يأمره بالشكر له[4] على ما لا صنع له فيه، إذ يخرج ذلك مخرج طلب الحمد والشكر على ما لم يفعل، وقد ذم من أحب أن يُحمد بما لم يفعل في قوله: وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا،[5] فلا يحتمل أن يأمر هو بالحمد والشكر على ما لم يفعل ولا صنع له في ذلك، دل أن له فيه صنعًا. وهو ينقض على المعتزلة في قولهم: أنْ ليس لله في فعل العبد صنع. *والله أعلم*.

وقوله: **ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه**، هذا يدل[6] [على] أن ما[7] يأمر[8] عباده وينهاهم وفيما امتحنهم إنما يمتحنهم ويأمرهم وينهاهم لمنافع أنفسهم وحاجاتهم،[9] لا لمنفعة نفسه أو لحاجته،[10] حيث قال: **ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه**، حيث يُتمّ تلك النعمة ويديمها له، فهو بالشكر ينفع نفسه. ومن كفر فإنما ضرر كفره يلحقه دون الله، ألا ترى أنه قال: **ومن كفر فإن الله غني حميد**، أي غني عن شكره وحمده، حميد وإن لم يحمده أحد من خلقه، لأنه غني بذاته حميد بصنائعه وآلائه وإن لم يحمد[11] ولم يُشكر على ذلك. لا ينفعه شكر أحد ولا حمده، ولا يضرّه كفران أحد ولا ترك الشكر له والحمدِ. *وبالله الحول والقوة*.

**﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١٣]**

وقوله: **وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بُنيَ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**، يحتمل قوله: **إن الشرك لظلم عظيم**، وجوهًا. أحدها ظلموا أنفسهم حيث وضعوها[12] في غير موضعها

---

[1] ن: صنعا؛ ث – صنع. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٢٩ظ.
[2] ر م – صنع في ذلك لم يكن.
[3] ر م – فعل.
[4] ث – له.
[5] جميع النسخ – في قوله ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٠و. ﴿لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ (سورة آل عمران، ١٨٨/٣).
[6] ث + يأمر.
[7] ر: من.
[8] ر م: يؤمر.
[9] ن ث ر: وحاجتهم.
[10] ر: أو لحاجة.
[11] ر ث م + هو.
[12] ن – وضعوها.

وأوقعوها في المهالك بعدما صوّرها أحسن تصوير ومثّلها أحسنَ تمثيلٍ. وأعظم الظلم مَن عمل وسعى في هلاك نفسه. أو ظلم عظيمٌ، ظلموا نعم الله حيث صرفوا شكرها إلى غير مُنعمها. أو ظلموا ظلمًا عظيمًا حيث لم يقبلوا شهادة وحدانيّة الله وألوهيته فيما جعلها في خلقتهم وبِنيَتهم، إذ جعل في خلقة كل أحد الشهادةَ على وحدانيته وربوبيته. وذلك أعظم الظلم وأفحشه.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[١٤]

وقوله: **ووصينا الإنسان بوالديه،**[١] ولم يذكر هاهنا بماذا وصّاه. فجائز أن تكون[٢] الوصية بما ذكر في آية أخرى، حيث قال: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا،[٣] و[وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ] إِحْسَانًا.[٤] والإحسان هو اسم ما حسن من فعله، وقوله: حُسْنًا، هو اسم ما حسن مما[٥] كان يفعله، وهما واحد في الحاصل.[٦]

وقوله: **حملته أمه وهنًا على وهن،** أي ضَعفًا على ضعف، أي كلّما مضى عليها وقت ازداد فيها ضَعْف على ضعف ووَجَع على وجع. أمر بالإحسان إليهما جميعًا، ثم ذكر ما حملت الأم من المشقة والشدة ولم يذكر من الأب شيئًا، وقد كان للأب وقتَ احتمال الأم المشقةَ اللذّة / والسرور والفرحُ. فجائز أن يقال أنْ كان من الأب بإزاء تلك المشقة التي احتملت الأم [٥٩٢و] معنًى مَا يُؤمَر أن يَشكر له ويُحسن إليه، وهو ما يتحمّل من الإنفاق عليها وعليه في حال الرضاع، وهو ما ذكر: وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ،[٧] وقوله: فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ.[٨] أو ما لم يجعله مطعونًا في الناس بحيث لم يُعرَف له نسبٌ يُنسب[٩] إليه،

---

[١] ر م ث + حسنا.
[٢] جميع النسخ – أن تكون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٠و.
[٣] سورة العنكبوت، ٨/٢٩.
[٤] سورة الأحقاف، ١٥/٤٦.
[٥] م: ما.
[٦] ر ث م: في الأصل.
[٧] سورة البقرة، ٢٣٣/٢.
[٨] سورة الطلاق، ٦/٦٥.
[٩] ر ث م: تنسب.

بل جعله معروف النسب غير مطعون في الخلق، ونحوه. ثم ذكر الفصال ولم يذكر الرضاع، والمشقّة في الإرضاع لا في الفصال. لكنه ذكر تمام الرضاع وكماله إذ[1] بالفصال يتمّ ذلك ويكمل، وفي ذكر التمام له والكمال ذكر الرضاع، وليس في ذكر الرضاع نفسِه ذكرُ تمامه، لذلك كان ما ذكر. *والله أعلم*.

وقوله: **أن اشكر لي ولوالديك**،[2] أمر بالشكر له ولوالديه. وحاصل الشكر راجع إليه دون من يشكر له، إذ كل من صنع إلى آخر ما يستوجب به الشكر والثناء فبالله صنع ذلك إليه وبنعمه كان منه ذلك، فكل من حمد دونه أو شكر فراجع إليه في الحقيقة ذلك. ثم يخرج قوله: **أن اشكر لي ولوالديك**، على وجهين. أحدهما اشكر لي فيما تشكر لوالديك[3] بإحسانهما إليك، فإنهما ما أحسنا إليك إلا بفضلي ورحمتي، كقوله: فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ،[4] أي اذكروا الله فيما تذكرون[5] آباءكم لصنعهم،[6] فإنهم إنما فعلوا ذلك بفضل الله. أو أن يكون قوله: **اشكر لي**، فيما أنعمت عليك، **ولوالديك**، فيما أحسنا إليك وربّياك. *والله أعلم*.

وقوله: **إليّ المصير**، قد ذكرنا أنه خصّ ذلك المصير إليه، وإن كانوا في جميع الأوقات صائرين إليه راجعين بارزين له، لما أن[7] المقصود من إنشائهم في هذه[8] [الدار][9] ذلك،[10] وصار إنشاؤهم وخلقهم في الدنيا حكمة بذلك،[11] ما لولا ذلك[12] لكان عبثًا باطلاً على ما ذكر.[13] *والله أعلم*.

---

[1] ن + بالرضاع، مشطوب.
[2] جميع النسخ + إلي المصير. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٠ظ.
[3] جميع النسخ: والديك. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] سورة البقرة، ٢/٢٠٠.
[5] ر م: يذكرون.
[6] ر ث م: بصنعهم.
[7] جميع النسخ – أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٠ظ.
[8] جميع النسخ: هذا. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٢و.
[10] جميع النسخ: ذاك. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٠ظ. أي المصير إليه في الدار الآخرة.
[11] ر ث م: بذاك.
[12] ن: بذلك.
[13] ث: ذكرنا.

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١٥]

وقوله: **وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما**، أمر في الآية الأولى بالإحسان إليهما وبالبِرّ لهما والطاعة، ثم بيّن أن لا في كلّ أمر يُطاعان ولا في جميع ما يأمران ويسألان يُجابان، إنما يطاعان ويجابان فيما يُؤذن لهما ويُباح،[1] لا فيما لا يؤذن ولا يباح بحال، بل يؤمر بالخلاف لهما واعتقاد المعاداة فضلاً من[2] أن يطاعا ويجابا[3] إلى ما يدعوان أو يأمران. وكذلك ذكر في الخبر أن «لا طاعةَ للمخلوق في معصية الخالق».[4] وإنما أَمرَ بحسن المصاحبة لهما والمعروف فيما لم يكن في ذلك معصية الخالق، حيث قال: **وصاحبهما في الدنيا معروفًا**.

وقوله: **واتبع سبيل من أناب إليّ**، قال بعضهم: اتبع دين من أقبل إليّ ورجع إلى طاعتي، وهو النبي. أو أن يكون قوله: **واتبع سبيل من أناب إليّ**، أي اتبع سبيلي وديني، كقوله: وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ.[5] فعلى ذلك الأول [أيضًا] جائز أن يكون تأويله: اتبع سبيلي وديني ولا تتبع سبيل[6] غيري، أو اتبع[7] سبيل من أناب ورجع إليّ ولا تتبع[8] سبيل من لم ينب ولم يرجع إليّ. ثم أخبر برجوع الكل إليه: من رجع وأناب إليه ومن لم يرجع ولم ينب إليه،[9] حيث قال: **ثم إلي مرجعكم**، الآية. وهو كقوله: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ، إلى قوله: فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا،[10] أي من استنكف ومن لم يستنكف يحشرهم[11] إليه جميعًا، فعلى ذلك الأول. **والله أعلم**.

---

[1] ر ث م + لهما.
[2] جميع النسخ - من. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣١و.
[3] ن ث: أو يجابا.
[4] *مصنف عبد الرزاق*، ٣٨٣/٢؛ و*مصنف ابن أبي شيبة*، ٢٤٧/١٨؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ١٣١/١.
[5] ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (سورة الأنعام، ١٥٣/٦).
[6] ر م - سبيل.
[7] ر م - أو اتبع.
[8] م: ولا يتبع.
[9] جميع النسخ + على الوعيد. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣١و.
[10] ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا﴾ (سورة النساء، ١٧٢/٤).
[11] ر م: يحشر.

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[١٦]

وقوله: **يابنيّ إنها إن تلك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله**، لا يحتمل أن يكون هذا الكلام والقول من لقمان[١] لابنه ابتداءً من غير سؤال كان في ذلك، فلا بد من أن يكون[٢] ذلك منه عن سؤال، لكن لا نعلم ما كان ذلك[٣] السؤال وعما كان. فأما إن كان السؤال عن علمه[٤] فأخبره[٥] بما ذكر من حبة مستترة بالحُجُب[٦] التي ذَكَر مكنونة في أخفى الأمكنة عن الخلق مما[٧] لا يطلع [عليها][٨] أحد منهم ولا يبلغه علم الخلائق، **يأت بها الله**، أي يعلمها الله. فإن كان على هذا ذَكَر فيلزمهم أن يكونوا أبدًا مراقبين أعمالهم وأحوالهم في جميع حالاتهم وأوقاتهم وفي جميع[٩] أمورهم لما لا يخفى عليه شيء. أو أن يكون السؤال عن قدرة الله وسلطانه، فأخبر أن الله تعالى قادر على استخراج تلك الحبة التي استترت واحتجبت عن الخلق بالحجب التي ذكر، ما تَعْجَز[١٠] الخلائق عن استخراج مثلها من مثل تلك الحجب والأمكنة، فيخافون قدرة الله ويهابون سلطانه في الانتقام منهم في مخالفة أمره ونهيه. أو أن يكون السؤال عن الرزق فيخبر بهذا أن الشيء وإن كان في مكان لا يبلغه وسع البشر وحيلهم في استخراج ذلك منه والوصول إليه بحال، فالله سبحانه بلطفه يرزق الخلق بأشياءَ خارجةٍ عن وسعهم وحيلهم ما لا يقع لهم الطمع في ذلك، ليكونوا أبدًا في كل حال مطمئنين في الرزق لا يُؤْيِسُهم عجزهم ولا تُعْذَر حيلهم عن ذلك، وأن لا يعلّقوا قلوبهم في الرزق بالأسباب التي بها يكتسبون، ولذلك قال: وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.[١١] أو أن يكون السؤال عن جزاء ما يعمل المرء من قليل / أو كثير ومما عَظُم أو لطُف،[١٢] فيخبر أنه يجزي بقليل العمل وكثيره. [٥٩٢ظ]

---

[١] جميع النسخ + كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٢و.
[٢] جميع النسخ: فيعلم أنه كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر ث م – ذلك.
[٤] أي عن علم الله تعالى. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٥٩٢و.
[٥] ر ث م: فأخبروه.
[٦] ر ث م – بالحجب.
[٧] جميع النسخ: فيما. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] الزيادة من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: وجميع.
[١٠] جميع النسخ: ما يعجز؛ ن + ما يعجز.
[١١] سورة الطلاق، ٣/٦٥.
[١٢] ر ث م: عظم ولطف.

وكذلك يقول بعض أهل التأويل ذلك: **يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل**، من خير أو شر، **فتكن في صخرة**، في جبل، **أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله**، أي يجازي بها[1] الله، فيكون على هذا التأويل كقوله: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ [وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ].[2] فأيَّ شيء كان ففي ذلك دلالة وحدانية الله ودلالة علمه وتدبيره ودلالة قدرته وسلطانه ودلالةُ الثقة به والتوكلِ عليه في الرزق والتفويض في الأمر في كل ما خرج عن وسع الخلق. *والله أعلم*.

وقوله: **إن الله لطيف خبير**، قال عامة أهل التأويل: إن الله لطيف في استخراج تلك الحبة، خبير بمكانها. وتأويل هذا الكلام، أي يَستخرج تلك الحبة من الحجب التي ذكر والأستار التي بيّن استخراجًا لا يشعر بها أحد ولا عَلِم كيفية الاستخراج[3] منها ولا مائيتَه.[4] واللطيف هو البارّ، ثم يخرج هو[5] على وجهين. أحدهما بارٌّ فيما أرسل من الرسل[6] وما أنزل من الكتب ليدلّهم إلى ما يهتدون وإلى ما به نجاتهم، خبيرٌ بحوائجهم. والثاني تأويل اللطيف يحتمل وجهين. أحدهما البار على ما ذكرنا. والثاني [اللطيف][7] في استخراج أمورٍ لا يبلغها وسع الخلق ولا علمهم وحِيَلُهم. *والله أعلم*.

**﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾**[١٧]

وقوله: **يا بني أقم الصلاة**، يحتمل الأمر بإقامة الصلاة وجهين. أحدهما الصلاة التي عرفتها العرب، وهي المسألة والدعاء والثناء على الله تعالى والتحميد له والتمجيد، كقوله: إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ،[8] الآية، وهذه الصلاة المذكورة في هذه الآية هي الدعاء والاستغفار والرحمة له والمغفرة.[9] فعلى ذلك يشبه أن يكون الأمر بإقامة الصلاة هو الأمرَ

[1] ت: يجازيها.
[2] سورة الزلزال، ٩٩/٧-٨. الزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣١ظ.
[3] ن: الإخراج.
[4] ر ن: مائية.
[5] م – هو.
[6] جميع النسخ: الرسول. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٣٢و.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٢و.
[8] سورة الأحزاب، ٣٣/٥٦.
[9] ن + له.

بمسألة الرب حوائجه ومغفرته ورحمته، ليكون أبدًا في كل حال متضرعًا إلى الله مظهرًا[1] حاجته إليه ومثنيًا عليه واصفًا عظمته وجلاله وكبرياءه. والثاني أراد به الصلاة المعروفة المعهودة على شرائطها التي جعلت وشرعت. فإن كان هذا ففيها أيضًا ما في الأول من الدعاء والثناء على الله تعالى والوصف له بالعظمة والجلال، لأنها جعلت من أولها إلى آخرها ذلك. وإن كان أراد بالصلاة الصلاةَ المعروفة ففيه أن الصلاة التي شرعت لنا كانت للأمم المتقدمة. وعلى ذلك يخرج قول إبراهيم، حيث قال: رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ،[2] وقول عيسى، حيث قال: وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.[3] ***والله أعلم***.

وقوله: **وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر**، المعروف اسم كل برّ وخير وكل مستحسن في العقل والطبع، والمنكر اسم كل شرّ وسوء وكل[4] مستقبح في العقل والطبع. ثم يخرج قوله: **وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر**، على وجوه. أحدها المعروف الذي جاءت به[5] الرسل عن الله وشرعوا للخلق ودعوا الخلق إليه،[6] والمنكر أيضًا هو الذي أنكرته الرسل ونهت الخلق عنه. أو أن يكون المعروف هو الذي يقبله كل عقل صحيح ويستحسنه كل طبع سليم، والمنكر هو الذي ينكره كل عقل صحيح ولا يقبله ويستقبحه كل طبع سليم، يعرف[7] بالبداهة[8] قبحه وحسنه أو يعرف أنه معروف أو منكر عند التأمل والتفكر. فكله يرجع إلى واحد إلى ما ذكرنا بدءًا، لكنه يختلف فيما ذكرنا من السبب.

وقوله: **واصبر على ما أصابك**، أي اصبر على ما أصابك[9] من الأذى بالأمر بالمعروف والنهي[10] عن المنكر، لأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[11] لأهل[12] السفه[13] والفسق،

---

[1] ر ث م: مظهر.
[2] سورة إبراهيم، ١٤/٤٠.
[3] سورة مريم، ١٩/٣١.
[4] جميع النسخ − وكل. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٢ظ.
[5] ر ث م − به.
[6] ر ث − إليه.
[7] ر ث م: تعرف.
[8] ن ث: بالبديهة.
[9] ر ث م − أي اصبر على ما أصابك.
[10] ر: وينهى؛ م: وينهو.
[11] ر م − لأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.
[12] جميع النسخ: أهل. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٢ظ.
[13] جميع النسخ + منهم. والتصحيح من المرجع السابق.

فلا بد من أن يصيب الأذى مَن تولى ذلك. وهذا يدل أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من اللوازم، لا يسع تركه وإن أصابه الأذى في ذلك.

وقوله: **إن ذلك من عزم الأمور**، قال بعضهم: إن ذلك من حزم الأمور، والحزم هو الإحكام[١] للشيء وإتقانه، كأنه يقول: إن ذلك من محكم الأمور ومُتقَنها، لأن الشيء إذا حُزم وشُدِّد يؤمَن عن سقوطه وذهابه، فعلى ذلك ما ذكر. وقال بعضهم:[٢] العزم هو القطع والثبات على شيء، تقول: عزم[٣] على كذا وعلى أمر كذا، إذا قطع تدبيره ورأيه[٤] واضطرابه[٥] وجعله بحيث لا يرجع ولا يتحول عنه للدنيا أو لأمر من أمورها، ولكن ثبت على ما عزم وقطع، فهو العزم. *والله أعلم*.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١٨]

وقوله: **ولا تصعِّر خدَّك للناس ولا تمش في الأرض مرحًا**، قوله: ولا تصاعر، ولا تصعِّر، بالألف وبغير الألف كلاهما لغتان.[٦] ثم أهل التأويل أو أكثرهم يقولون: قوله: **ولا تصعر خدك للناس**، أي لا تُعْرِض بوجهك عن الناس تعظّمًا وتجبّرًا وتكبّرًا، وكذلك في قوله: **ولا تمش في الأرض مرحًا**، بَطَرًا فَرَحًا بالمعصية في الخُيَلاء والعظمة مستكبرًا جبّارًا. * قال أبو عَوْسَجَة: المرح النشاط، وهذا لا يكون إلا من الكبر لأنه يتبختر.* [٥٩٣ظ س٣٣] عامتهم يفسرونه بالإعراض للتكبّر والتجبّر، وكذلك يقول[٨] الحسن، إنه قال: هو الإعراض عن الناس من الكبر استحقارًا لهم واستخفافًا بهم.[٩] ★وقال القتبي: الأصعر مُعْرِض الوجه.[١٠]★ [٥٩٣ظ س٣٥]

---

[١] جميع النسخ: من الإحكام. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٢ظ.

[٢] ر م – بعضهم.

[٣] جميع النسخ: عزمت.

[٤] ن: رأيه وتدبيره.

[٥] ث: رأيه واضطرابه وتدبيره.

[٦] «قرأ أبو جعفر وابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب: ﴿ولا تصعر﴾ بغير ألف وتشديد العين، وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف ﴿ولا تصاعر﴾ بالألف» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٥٢).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر٣٣-٣٤.

[٨] ن: يقوله.

[٩] *معاني القرآن* للنحاس، ٥/٢٨٧.

[١٠] جميع النسخ: للوجه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٥و. تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٤.

★ وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر٣٥-٣٦.

والزجاج يقول: الصَّعَر هو داء يأخذ[1] البعير فيَلوِي عنقه.[2] فعلى تأويله يكون قوله: **لا تصعِّر [خدَك]**، أي لا تَلْوِ عنقك عن الناس. وأبو عَوْسَجة يقول قريبًا من ذلك، يقول: **لا تصعِّر**، أي لا تَتَجَبَّر، وهو أن تلوي عنقك فلا تنظر إليهم كبرًا، ويقول: الصَّعَر هو اعوجاج في العنق، [٥٩٣و] يقال: رجل أصعر، وبعير أصعر، وبه / صَعَرٌ، ويقال في الكلام: فلان صَعَر خدَّه، إذا لوى رأسه عن الناس فلم ينظر إليهم كبرًا منه، وقال كما قال الزجاج: إن الصعر داء يأخذ البعير فيلوي عنقه. وأصله الإعراض على ما ذكره أهل التأويل وأهل الأدب. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما ما ذكر أهل التأويل من حقيقة الإعراض تكبّرًا و تعظّمًا لأنفسهم استخفافًا بالناس واستحقارًا لهم، لما لم يروا الناس أمثالا[3] وأشكالا[4] لأنفسهم. وعلى ذلك يخرج قوله: **ولا تمش في الأرض مرحًا**،[5] على حقيقة المشي على التكبّر والتجبّر على ما ذكرنا. والثاني ليس على حقيقة الإعراض بالوجه عنهم ولا على حقيقة المشي بالأقدام، ولكنه كناية عن الامتناع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والترك لذلك، لا على التكبّر والتجبّر عليهم والاستخفاف بهم ولكن على الحذر والخوف منهم.[6] فإن كان الامتناع والإعراضَ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يُعْذَروا في ترك ذلك لما يحذرون ويخافون منهم.

[٥٩٣ظ س٢٢] *ومحمد بن إسحاق يقول: **ولا تُصَعِّرْ خدَّك للناس**، أي لا تُعرض بوجهك تكبرا عن فقراء الناس[7] إذا كلّموك. **ومرَحًا**، أي فَخْرا بالْخُيَلاء والعظمة. **إن الله لا يحب كل مختال فخور**، [٥٩٣ظ س٢٤] أي بَطِرٍ فَرِحٍ[8] فخورٍ في نعم الله[9] لا يأخذ[10] بالشكر.*

---

[1] م: تأخذ.
[2] *معاني القرآن* للزجاج، ٤/١٩٨.
[3] ر + وأمثالا.
[4] ر ث م - واشكالا.
[5] ن ث م - مرحا.
[6] جميع النسخ: عنهم.
[7] ر ث م + أي.
[8] ر م: مرح.
[9] ث - الله.
[10] ر ث م: لا يؤخذ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر ٢٢-٢٤.

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[١٩]

وكذلك يخرج قوله: **واقصد في مشيك واغضض من صوتك**، على الوجهين اللذين ذكرناهما. أحدهما على الأمر بقصد المشي وخفض الصوت حقيقةِ المشي وحقيقة الصوتِ. والثاني على الكناية عن كيفية المعاملة ومائيتها[١] فيما بين الناس. فإن كان على حقيقة المشي والصوت[٢] فكأنه يقول: أي اقصد في المشي في الناس ولا تمش متكبرًا مستخِفًّا بهم مستحقرًا لتؤذيَهم، **واغضض من صوتك**، أي لا ترفع صوتك فوق أصواتهم فتؤذيَهم بالصوت، ولكن لَيِّنْهم بالقول. وقال بعضهم، امش هيّنًا ليّنًا ناكس الرأس، ناظرًا حيث تمشي، غير ناظر إلى ما لا[٣] يحل ولا يسع، ولا ترفع[٤] صوتك على الناس فتؤذيهم، فيكون صوتك عندهم كصوت الحمير الذي ذكر، فينكرون كما يُنكَر صوت الحمير.[٥] وإن كان على الكناية عن الأحوال في المعاملة فيما بين الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي مُروا بالمعروف وانهَوا عن المنكر ولا تطلبوا لأنفسكم في ذلك العلوّ والرفعة ونفاذ القول وقبولَه، ولكن كونوا في ذلك عادلين قاصدين، غير طالبين العلوّ والرفعة ونفاذ القول وقبولَه.[٦] *[قال أبو عَوْسَجَة:] **واقصد في مشيك**، أي امش مشيًا رفيقًا، **واغضض من صوتك**، أي ارْفِقْ لا تَصُوت صَوتًا شديدًا، وهذا أيضا من التبختر.* [٥٩٣ظ س٣٤] [٥٩٣ظ س٣٥]

وقوله: **إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**، يحتمل وجهين. أحدهما[٨] ما ذكرنا، أي لا ترفع صوتك على الناس فتؤذيهم كما يؤذي الحمار فيكون صوتك عليهم كصوت الحمار. أو يذكر هذا لأن الحمار إنما يصيح[٩] لحاجة نفسه[١٠] وشهوته، وسائر الأشياء[١١] إذا صاحوا إنما يصيحون لحاجة أهلها. فيذكر أنكم إذا أمرتم[١٢] بالمعروف ونهيتم عن المنكر لا تفعلوا لمنفعة أنفسكم

---

[١] م: ومائيتهما.
[٢] ن – والثاني على الكناية عن كيفية المعاملة ومائيتها فيما بين الناس فإن كان على حقيقة المشي والصوت.
[٣] ن – لا.
[٤] جميع النسخ: ولا رافع. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٣و.
[٥] ن + الذي ذكر.
[٦] ن – وقبوله.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر ٣٤-٣٥.
[٨] ن – أحدهما.
[٩] ر م: يصح.
[١٠] ر م: لنفسه.
[١١] أي الناس.
[١٢] ن: أقرتم.

أو لحاجتكم ولكن قوموا لله في ذلك، أو لما ذكرنا. أو خص صوت الحمير لأنه ليس من صوت إلا وفيه لذة ومنفعة[1] غير صوت الحمير، فإنه ليس فيه[2] لذة ولا منفعة. أو ذكر لما قيل: إن أوله زفير وآخره شهيق، فشبهه بزفير[3] أهل النار وشهيقهم.[4]

[٥٩٣ظ س٢٤] *[ومحمد بن إسحاق يقول:] **وَاقْصِد في مشيك**، رويدًا، لا تَختَل[5] في مشيك ولا تنظر حيث لا يحل، **وَاغْضُضْ**، أي اخفَضْ، **من صوتك**، أي من كلامك. يأمر لقمان ابنه بالاقتصاد في المشي والنطق،[6] ثم ضرب للصوت الرفيع مثلاً، فقال: **إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير**، لشدة صوتهم.* [٥٩٣ظ س٢٦]

[٥٩٣ظ س٣٦] *[وقال القتبي:] **أنكر الأصوات**، أقبحها، عرّفه قبحَ رفع الصوت في المخاطبة.[8]*

وقوله: **إن الله لا يحب كل مختال فخور**، قال بعضهم:[10] المختال[11] المتكبر البَطِر. وقال بعضهم: المختال الخداع والغدّار. والفخور يحتمل الذي يفتخر بكثرة المال، أو لما لا يرى أحدًا شكلا لنفسه.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[٢٠]

وقوله: **ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض**، قوله: **ألم تروا**، قد ذكرنا أنه يخرج على وجهين. أحدهما على الخبر، أي[12] قد رأوا وعلموا أنه سخر لهم ما ذكر.

---

[1] جميع النسخ: ومعونة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٣ظ.
[2] ن - فيه.
[3] جميع النسخ: فشبه زفير.
[4] لعل الإمام يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق﴾ (سورة هود، ١٠٦/١١). وفي *الشرح*: «وقيل إنما خص ذلك لأن صوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق، ولهذا -والله أعلم- شبه زفير أهل النار وشهيقهم» (من حاشية نسخة ن، ورقة ٥٤٥ظ). تنبيه: لم يوجد أي إيضاح في نسخ *الشرح* التي بين أيدينا.
[5] ن هـ: لا تختال.
[6] جميع النسخ: والمنطق. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٤ظ.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر٢٤-٢٦.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٤.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر٣٦.
[10] ر ث م - بعضهم.
[11] ث: المختار.
[12] جميع النسخ: أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٣ظ.

والثاني على الأمر، أي انظروا ورَوْا[١] أنه سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض، يذكّرهم نعمه وآلاءه عليهم، يستأدي به شكرهم عليه لما سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض[٢] لينتفعوا بجميع ما يحتاجون إليه ويصلوا إلى مرادهم وحاجتهم وإلى قضاء وطرهم كيف شاءوا بما شاءوا. أو أن يذكر قدرته وسلطانه، أن من مَلَك تسخير ما ذكر لنا ومَلَّكَنا[٣] وأقدرنا على تدبير استعمال ما سخر لنا والانتفاع به لقادرٌ على البعث والإحياء بعد الموت وأنه لا يعجزه شيء. أو أن يذكر حكمته وعلمه أن مثل هذا التسخير لا يكون إلا بحكمته. ولو لم يكن هنالك بعث وعاقبة لكان خلق الخلق وتسخير ما ذكر لَعِبًا باطلاً، على ما ذكرنا في غير موضع. وقوله: **ما في السماوات**، المسخرُ ما في السماوات يحتمل المطر والسحاب والشمس والقمر ونحوها[٤] مما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض، حتى لا يقوم منافع الأرض إلا بمنافع السماء. أو الملائكة لأنهم قد أُمتحنوا ببعض ما تقع به منافع[٥] البشر. ***والله أعلم.***

وقوله: **وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**، ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله صلى الله وسلم فقلت: يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ قال: «أما ما ظهر، يا ابن عباس، فالإسلام وما سوّى من خلقك وما أسبغ عليكم من الرزق، وأما ما بطن فسَتْرُ[٦] مساوئ عملك فلم يَفْضَحْك بها».[٧] فإن ثبت الخبر فلا تقع[٨] الحاجة إلى غيره فهو تأويل الآية، وإلى هذا[٩] ذهب عامة أهل التأويل. وجائز أن تكون[١٠] النعمة الظاهرة هي[١١] ما ظهر من الحسن والطهارة، / والنعمة[١٢] الباطنة ما ستر من الأنجاس والأقذار [٥٩٣ظ]

---

[١] ث: وراوا؛ م: واراوا.

[٢] ر ث م – يذكرهم نعمه وآلاءه عليهم يستأدي به شكرهم عليه لما سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض.

[٣] ر م: ومكنا.

[٤] جميع النسخ: ونحوه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٢ظ.

[٥] جميع النسخ: ما يقع بمنافع. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] جميع النسخ: وستر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٣ظ.

[٧] *شعب الإيمان* للبيهقي، ٢٨٣/٦-٢٨٤؛ *والفردوس بمأثور الخطاب* للديلمي، ٤٠٢/٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٥٤/١١.

[٨] ر ث م: يقع.

[٩] ن – هذا.

[١٠] ر ن م: يكون.

[١١] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٣و.

[١٢] جميع النسخ: وأما النعمة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٤و.

ما لو ظهر ذلك لم يدن منه أحد[1] لخبثه ونجاسته. وبعضهم يقولون: الظاهرة باللسان والباطنة بالقلب. وقال مجاهد: الظاهرة الإسلام والرزق والباطنة ما ستر من الذنوب والعيوب، وهو قريب مما ذكر في الخبر المرفوع. ***والله أعلم***.

وقوله: **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم**، المجادلة في الله يحتمل في توحيد الله، أو في الرسالة أنه أرسل أو لم يرسل، أو في البعث أيبعث أو لا يبعث، ونحوه، أو يجادل في كتابه.[2] وقوله: **بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير**، أسباب العلم ثلاثة: العقل والسنة والكتاب؛ يتفكر[3] وينظر بالعقل فيعرف، و[يعرف أيضا] ببيان[4] السنة، والكتاب [المنير] يبيّن.[5] ولم[6] يكن مع الذين يجادلون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الله شيء من ذلك، وخاصةً أهلَ مكة كانوا لا يؤمنون بالرسل والكتب، فكأنه يقول: ومن الناس من يجادل في الله وهم يعلمون[7] أنه ليس معهم[8] معقول، ولا بيان من السنة، ولا كتاب.[9] ***والله أعلم***.

[٥٩٣ظ س٢٦] *[ومحمد بن إسحاق يقول:] وقوله: **ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات**، يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياحَ، وسخر لكم ما في الأرض، أي الجبال والأنهار والبحارَ [وما] فيها [من][10] السفن والأشجار والنَّبْت عامًا بعد عام.[11] **وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة**،[12] تسويةَ الخلق والرزقَ والإسلامَ، **وباطنة**، أي ما ستر من الذنوب من ابن آدم،[13]

---

[1] م: أحد منه.

[2] ن + ونحوه.

[3] م: يتكفر.

[4] جميع النسخ: بيان.

[5] وعبارة السمرقندي هكذا: «إنما ذكر هذا لأن أسباب العلم ثلاثة: العقل والكتاب والسنة، يتفكر وينظر بالعقل فيعرف بالكتاب بتأكيد ما يعرف بالعقل ويعلم ما لا حظ للعقل فيه، وبالسنة يعرف ويبين ما أُجمل في الكتاب ويعلم ما لا ذكر له فيه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩٣و). يبدو أن الإمام رحمه الله رتّب تفسير الآية على ترتيب النظم القرآني؛ ﴿بغير علم﴾ أي بغير عقل، ﴿ولا هدى﴾ أي بغير هداية السنة، ﴿ولا كتاب منير﴾ أي بغير القرآن.

[6] جميع النسخ: فلم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٤و.

[7] م – يعلمون.

[8] جميع النسخ: معه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة: والكتاب.

[9] ر م: والكتاب.

[10] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٥٩٣و.

[11] جميع النسخ: عاما بعام. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٤ظ.

[12] ن + وباطنة.

[13] ن هـ: من بني آدم.

فلم يعلم بها أحد ولم يعاقب فيها. فهذا كله من النعم فالحمد لله على ذلك حمدًا كثيرًا كما هو أهله.[١] وقال في قوله: **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم،** في زَعمه أن لله[٢] البناتِ أي الملائكةَ، **ولا هدى،** أي لا بيان معه من الله بما يقول، **ولا كتاب،** له فيه حجة. وأصله ما ذكرنا؛ **يجادل في الله،** من الوجوه التي ذكرنا، **بغير علم،** من جهة العقل، **ولا هدى،** أي ولا بيان من جهة السنة، **ولا كتاب،** من الله فيه حجة له. وأسباب العلم[٣] هذه، فلم يكن له شيء مما[٤] ذَكَر. *والله العصمة.** [٥٩٣ظ س٣٣]

*[قال أبو عَوْسَجَة:] **وأسبغ،** أي أوسع، والسابغ الواسع التامُّ الطويلِ العريضِ.* [٥٩٣ظ س٣٥]

**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾**[٢١]

وقوله: **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير،** وقال في أية أخرى: أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ،[٧] وقال في آية أخرى: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ.[٨] كأنه يقول لرسول الله أن قل لهم: تتبعون آباءكم وتقلدونهم وإن ظهر لكم وتبيّن أن الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير وأنهم من أصحاب السعير، وتتبعون[٩] آثارهم مقتدين[١٠] بهم وإن ظهر لكم وتبين[١١] أن الذي أدعوكم[١٢] أنا عليه وجئتكم أهدى مما عليه آباؤكم.

---

[١] ر: أصله.

[٢] ر: الله.

[٣] ن: العلوم.

[٤] م: ما.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر٢٦-٣٣.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/سطر٣٥.

[٧] ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧٠).

[٨] سورة الزخرف، ٤٣/٢٣-٢٤.

[٩] جميع النسخ: ويتبعون. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٣٦٧ظ.

[١٠] جميع النسخ: مقتدون.

[١١] ن: وبان.

[١٢] م: تدعوكم.

أو[1] تتبعون آباءكم وإن ظهر لكم وتبين[2] أن آباءكم كانوا لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون، حتى إن قالوا: نعم، نتبعهم وإن كانوا كما ذكرت. فإنه يظهر ويتبين[3] عنادهم ومكابرتهم عند اتباعهم، حيث[4] ظهر الحق لهم فلم يتبعوا بل اتبعوا أهواءهم. ويظهر كذبهم في قولهم: وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[5] أو في قولهم أن آباءهم على[6] ما هم عليه،[7] بل في آبائهم من هو على خلاف ما هم عليه، ونحوه. وإن قالوا: لا نتبعهم إذا كانوا على ما ذكرت، فعند ذلك تقرر[8] [الحق] وثبت[9] عندهم بالحجج والبراهين.[10] وفيه دلالة أن أهل الفترة يعذّبون و يؤاخذون بتركهم الدين والشرائع، لأن هؤلاء الذين أخبر أنهم من أصحاب السعير هم أهل الفترة ما بين عيسى وبين محمد صلوات الله عليهما. وأهل التأويل يقولون: **أولو كان الشيطان يدعوهم**، أي بل كان الشيطان يدعوهم **إلى عذاب السعير**.*

**﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾**[٢٢]

وقوله: **ومن يسلم وجهه إلى الله**، يحتمل قوله: **وجهه**: أي نفسه، كأنه قال: ومن يسلم نفسه لله وجعلها سالمة له، لم يجعل لأحد فيها شركا، **وهو محسن**، في عمله إلى نفسه أي لا يستعملها إلا في طاعة الله وفيما أَمَر به. فإذا فعل ذلك، **فقد استمسك بالعروة الوثقى**، أي فقد استمسك بأوثق العُرَى[12] وأثبتها على ما ذكر في آية أخرى: لَا انْفِصَامَ لَهَا،[13]

---

[1] ر ث م: إذ.
[2] ن ث: وتبين لكم.
[3] ر ن ث: ويبين.
[4] م – اتباعهم حيث.
[5] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[6] ن + ملتهم.
[7] ن – ما هم عليه. صح هـ.
[8] ر ث م: يقترن؛ ن: يقرر، صح هـ.
[9] جميع النسخ: ويثبت؛ صح ن هـ.
[10] جميع النسخ: والبرهان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٩٤ظ.
* وقع هنا مقطع كبير من تفسير الآيات ١٨، ١٩ و٢٠ ممزوجًا، فقدمنا كل واحد إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٥٩٣ظ/ سطر ٢٢-٣٦.
[12] ر م: العروى.
[13] ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾ (سورة البقرة، ٢٥٦/٢).

أي فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها / ولا انقطاع ولا زوال، لأنها ثبتت [٥٩٤و] بالحجج والبراهين لا بالهوى، فكل شيء ثبت بالحجة والبرهان فهو ثابت أبدًا لا زوال له ولا انقطاع، وكل شيء ثبت بالهوى فهو يزول وينقطع عن قريب لزوال الهوى. وجائز أن يكون قوله: **وجهه إلى الله**، أي يسلم وجه أمره لله، فالوجه عبارة وكناية عن أمره، أي يسلم أمره إلى الله ويفوضه إليه. أو يكون كناية عن نفسه، فتأويله ما ذكرنا بدءا. وأهل التأويل يقولون: **يُسلمْ وجهه [إلى الله]**، أي دينه لله، أي يخلص[1] دينه لله، كقوله: وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا،[2] أي لكل أهلِ دين ومذهبٍ. *والله أعلم*.

وقوله: **وهو محسن**، يحتمل وجوها. أحدها ما ذكرنا: هو[3] محسن إلى نفسه في عمله،[4] لا يستعملها إلا فيما أُمر بالاستعمال فيه وهو طاعة الله، لا يوقعها في المهالك. أو هو[5] محسن إلى الناس بالمعروف والبر. أو **محسن**، أي عالم، كما يقال: أحسن أي علم. وبعض أهل التأويل[6] يقول: **ومن يسلم وجهه إلى الله**، أي أخلص عمله لله، **وهو محسن**، أي مؤمن، كقوله: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ،[7] وهو قول ابن عباس.[8] ومقاتل يقول: **ومن يسلم وجهه إلى الله**، أي يخلص[9] دينه لله، **وهو محسن**، في عمله **فقد استمسك بالعروة الوثقى**.[10]

وقوله: **فقد استمسك بالعروة الوثقى**، هو ما ذكرنا أنه استمسك[11] بأوثق العرى[12] وأثبتها، لأنه إنما ثبت بالحجة والبرهان لا بالهوى والتمني. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م: تخلص.

[2] سورة البقرة، ١٤٨/٢.

[3] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٥و.

[4] ر م: في عمل.

[5] م: وهو.

[6] ث - وبعض أهل التأويل.

[7] سورة طه، ١١٢/٢٠.

[8] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٤٣٤.

[9] ر م: مخلص.

[10] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢٢/٣.

[11] ن: استمسكها.

[12] ر ث م: العروى.

وقوله: **وإلى الله عاقبة الأمور**، هذا يخرج على وجوه.[1] أحدها إلى[2] الله تدبير عاقبة الأمور وتقديرها، لا إلى الخلق. والثاني إلى[3] من له التدبير والتقدير ترجع[4] عاقبة الأمور. أو أن يَخُصّ رجوعَ عاقبة الأمور والمصيرَ[5] والرجوعَ إليه[6] والبروزَ له[7] والخروج،[8] وإن كانوا في جميع الأوقات كذلك، لما ذكرنا أن المقصود من خلق هذا العالم العالم الثاني، والمقصودَ من خلق الدنيا الآخرة،[9] إذ به يصير حكمةً وحقًّا، فخص ذلك له وأضافه إليه لذلك. أو يذكر ذلك لما لا ينازَعُ في ذلك اليوم، وقد نوزع في هذه ولذلك قال: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.[10]

**﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**[٢٣]

وقوله: **ومن كفر فلا يحزنك كفره**، هذا يحتمل وجوها. أحدها أن قوله: **فلا يحزنك كفره**،[11] حزنًا تَتلِف وتَهلِك فيه، كقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[12] فيخرج قوله: **فلا يحزنك كفره**، على التخفيف عليه والتسلّي، ليس على النهي. وكذلك قوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، على التخفيف عليه والتيسير، ليس على ترك الإشفاق والحزن عليهم، لأن رسول الله كادت نفسُه تَهلك إشفاقًا عليهم وحزنًا على كفرهم، فيخرج ذلك على التخفيف عليه والتسلي.[13] والثاني قوله: **فلا يحزنك كفره**، لا يحزنك تكذيبه إياك،

---

[1] ن: وجهين.
[2] جميع النسخ: وإلى. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٥ظ.
[3] ن: وإلى.
[4] جميع النسخ: يرجع.
[5] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٨٥/٢.
[6] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢١٠/٢.
[7] انظر مثلا: سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[8] انظر مثلا: سورة ق، ٤٢/٥٠.
[9] ن: والآخرة.
[10] ﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ (سورة المؤمن، ١٦/٤٠).
[11] ر م – هذا يحتمل وجوها أحدها أن قوله فلا يحزنك كفره.
[12] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[13] م – ليس على النهي وكذلك قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على التخفيف عليه والتيسير ليس على ترك الإشفاق والحزن عليهم لأن رسول الله كادت نفسه تهلك إشفاقا عليهم وحزنا على كفرهم فيخرج ذلك على التخفيف عليه والتسلي.

فذكر كفره لأنه بتكذيبه[١] يصير كافرًا وهو سبب كفره، كقوله: لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ،[٢] الآية. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن ويهتمّ بتكذيبهم إياه فيما يقول ويخبر[٣] عن الله، فيقول: لا يحزنك تكذيبهم إياك، فإنهم إلينا يرجعون، فنجزيهم ونكافئهم جزاءَ التكذيب. والثالث، **فلا يحزنك كفره،**[٤] فإن ضرر ذلك الكفر عليهم لا عليك، كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[٥] وقوله: فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[٦] الآية، ونحوه من الآيات. يخبر رسوله صلى الله عليه وسلم أن[٧] لا تحزن على كفر من كفر، فإن ضرر ذلك يلحقه دونك. ***والله أعلم.***[٨]

وقوله: **إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا،** هذا وعيد، أي إلينا مرجعهم فننبئهم[٩] عما غفلوا[١٠] عنه[١١] واختاروه في الدنيا، فيحفظونه ويتذكرون ما عملوا. أو أن يكون قوله: **فننبئهم بما عملوا،** أي نجزيهم ونكافئهم جزاء أعمالهم.[١٢] **إن الله عليم بذات الصدور،** أي عالم بما كان منهم وما جزاؤهم. ***والله أعلم.***

**﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[٢٤]**

وقوله: **نمتعهم قليلًا،** أي في الدنيا، لأن متاع الدنيا قليل على ما وصفه: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ،[١٣] أي يتمتعون ويَعمُرون[١٤] بذلك القليل، **ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ،**

---

[١] جميع النسخ + ما.

[٢] ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ (سورة المائدة، ٥/٤١).

[٣] ن: أو يخبر.

[٤] ر ث م + أي.

[٥] سورة الأنعام، ٦/٥٢.

[٦] سورة النور، ٢٤/٥٤. جميع النسخ – وما من حسابك عليهم من شيء وقوله فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٥ظ.

[٧] جميع النسخ: أي.

[٨] ن ث + والرابع.

[٩] ث: فينبئهم.

[١٠] ن ث: أغفلوا.

[١١] م + على كفر من كفر فإن ضرر ذلك يلحقه دونك.

[١٢] جميع النسخ + ومكافأتهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٣ظ.

[١٣] سورة النساء، ٤/٧٧.

[١٤] ر ث م: يعمرون.

يذكر[1] هذا مقابل ما ذكر لأهل الجنة، حيث قال: خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا،[2] فيخبر أن أهل النار يُضطرّون ويُدفَعون إلى النار، لا أنهم يدخلونها[3] اختيارًا، كقوله: يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا.[4] وقوله: **غليظٍ**، جائز أن يكون كناية عن امتداده وطوله. وجائز أن يكون كناية عن شدّته وألمه أو جِراحته، كقوله: تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ،[5] الآية. وقيل: يَغلُظ عليهم العذاب لونا[6] بعد لون. *والله أعلم*.

**﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[٢٥]

وقوله:[7] **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله**، أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم أنك لو سألتهم من خلق السماوات والأرض يقولون[8] لك[9] ويجيبونك: الله خلقها.[10]

ثم يخرج قوله: **قل الحمد لله**، على إثر إقرارهم له بالتوحيد[11] والتوحّد[12] له والتفرّد بالخلق على وجهين. أحدهما أمر رسوله بالحمد له لما لا يحتاج إلى إقامة الحجة على وحدانية الله وربوبيته سوى إقرارهم، إذ قد أقروا[13] له بالوحدانية فيما ذكر، فعلى ذلك يلزمهم ذلك في كل شيء دقّ أو جَلّ فيقع الأمر له بالحمد على ذلك. أو يأمر رسوله بالحمد له لما أنجاه وخلّصه وسلّمه[14] مما[15] ابتُلُوا هم[16] وفُتنوا من التكذيب وعبادة الأصنام بعد إقرارهم بالوحدانية له والألوهية،

---

[1] ن: تذكر.
[2] سورة الكهف، ١٠٨/١٨.
[3] م: يدخلون.
[4] سورة الطور، ١٣/٥٢.
[5] ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾ (سورة المؤمنون، ١٠٤/٢٣).
[6] جميع النسخ: لون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٦و.
[7] م – وقوله.
[8] ن: ليقولن.
[9] ر ث م: ذلك.
[10] جميع النسخ: خلقهم.
[11] ث: بالتخليق، مشطوب.
[12] جميع النسخ: والتوحيد. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] م: أقرو.
[14] ث: وسلموا.
[15] ر ن ث: عما.
[16] ر ن: ابتلوهم.

فحمده على إفضاله عليه ورحمته وعصمته له [من] بين أولئك الكفرة. على هذين الوجهين يخرج تأويل أمر[١] الحمد على إثر ما ذكر. *والله أعلم*.

ويكون قوله: **بل أكثرهم لا يعلمون**، مقطوعًا مفصولاً من قوله: **قل الحمد لله**، إذ لو لم يجعل مفصولاً منه / لخرج الأمر بالحمد له[٢] في الظاهر على ما لا[٣] يعلم أولئك، وذلك لا يصلح. ثم قوله: **بل أكثرهم لا يعلمون**، يخرج على وجوه. أحدها ما ذكرنا أنه نفى عنهم العلم على حقيقة العلم لهم[٤] لما لم ينتفعوا بما علموا، على ما نفى عنهم حواسَّ كانت لهم لما لم ينتفعوا بها من نحو البصر والسمع واللسان ونحوه،[٥] فعلى ذلك[٦] العلم. والثاني لا يعلمون[٧] لما تركوا النظر والتفكر في أسباب العلم ليعلموا فلم يُعْذَروا. فإن كان على[٨] هذا فهو على حقيقة نفي العلم، لكنهم لم يعذروا بتركهم النظر في أسباب العلم.[٩] أو أن يكون قوله هاهنا: **بل أكثرهم لا يعلمون**، أن عبادتهم الأصنام لا تقرّبهم إلى الله زلفى ولا تشفع لهم،[١٠] لأنهم إنما كانوا يعبدون الأصنام رجاء أن تقربهم إلى الله زلفى،[١١] ورجاء أن يكونوا لهم شفعاء عند الله، لقوله:[١٢] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[١٣] وليُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[١٤] أو أن يكونوا لم يعلموا بجزاء أعمالهم التي[١٥] عملوها في الدنيا في الآخرة. *والله أعلم*.

[٥٩٤ظ]

---

[١] ر م - أمر.
[٢] ر: لله.
[٣] ر: لم.
[٤] ر م - لهم.
[٥] مثل قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يرجعون﴾ (سورة البقرة، ١٨/٢).
[٦] ن + فعلى ذلك.
[٧] ن + على نفي حقيقة العلم لما أنهم تركوا.
[٨] ث - على. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٦ظ.
[٩] ر ن م - ليعلموا فلم يعذروا فإن كان على هذا فهو على حقيقة نفي العلم لكنهم لم يعذروا بتركهم النظر في أسباب العلم.
[١٠] ن - لهم.
[١١] جميع النسخ: رجاء أن تزلفهم إلى الله. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] جميع النسخ: بقولهم. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[١٣] ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[١٤] ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[١٥] ر ث م - التي.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٢٦]

وقوله: **لله ما في السماوات والأرض إن الله هو الغني الحميد**، كأنه يخبرهم ويذكر أن ما يأمرهم به وينهاهم عنه وما يمتحنهم من جميع أنواع المحن [هو] لا لحاجة نفسه أو لمنفعة نفسه[1] أو لدفع المضرة عن نفسه، ولكن لحاجة أنفس الممتحنين ولمنفعتهم ولدفع المضرة عنهم.[2] إذ من بلغ ملكه وغَنَاؤه[3] وسلطانه المبلغ الذي ذكر حتى كان له جميع ما في السماوات والأرض لا يحتمل أن يأمر[4] الخلق وينهى أو يمتحن لحاجة نفسه ولكن لحاجة الخلق في جر المنفعة ودفع[5] المضرة. أو يذكّرهم نعمه عليهم يستأدي[6] به شكره، حيث سخّر لهم ما ذكر من السماوات والأرض وما فيهما، وحقيقة ملك ذلك كلّه له. وقوله: **إن الله هو الغني الحميد**، الغني بذاته لا يُعجزه شيء، أو غني عمن استغنى عنه. [ال]**حميد**، قيل: أي[7] أهلٌ أن يُحمَد ويشكَر بذاته، وقيل: حميد في فِعاله وصنائعه. ويكون الحميد بمعنى الحامد، ويكون بمعنى المحمود. ***والله أعلم***.

﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢٧]

وقوله: **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله**، لا يحتمل أن يكون ذَكَر هذا الكلام ابتداء من غير أمر أو سؤال أو خطاب سبق من القوم حتى ذكر هذا. لكنا[8] لا نعلم[9] ما سبب ذلك وما قصته وأمره[10] حتى أُنزل هذا. لكن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إن اليهود أعداءَ الله سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وما هو، فنزل: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي،[11] أي من علم ربي لا علم لي به،

---

[1] ر ث م – أو لمنفعة نفسه.
[2] ث: عن أنفسهم.
[3] ر ث م: وغناه.
[4] ر ث م: يؤمر.
[5] جميع النسخ: ولدفع. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٦ظ.
[6] جميع النسخ: ليتأدى، والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ث م – أي.
[8] ن: لكنها.
[9] ر ث م: ما نعلم.
[10] ر ث م: وما أمره.
[11] ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ (سورة الإسراء، ٨٥/١٧)

وتلا قوله: وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً، أي يسيرًا[١] في علم الله. فلما قرأ عليهم هذه الآية قالوا: كيف تزعم[٢] هذا وأنت تزعم أن مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا،[٣] فكيف يجتمع هذا: علم قليل وخير[٤] كثير. قال: فنزلت[٥] **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام.**[٦] يقول: [لو] تُبْرَى الشجرة أقلامًا، **والبحر يمده من بعده سبعة أبحر**، فيكون كلها مدادًا يكتب بها علم الله، لانكسرت الأقلام ولنفد المداد ولم ينفد علم الله. فما[٧] أعطاكم من العلم قليل فيما عنده من العلم، كثير فيما عندكم، إلى هذا يذهب أكثرهم. ولكنّ غير هذا كأنه أشبه بسبب نزوله وذكره، وهو يخرج على وجهين. أحدهما ما ذكرنا في قوله: لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[٨] أنه بلغ ملكه وسلطانه ما لو صار ما ذكر من الأشجار كلها أقلامًا والبحار كلها مدادًا فكُتب بها أسماء خلقه وملكه وسلطانه لنَفِد ذلك كله ولم يَنْفَد خلقه ولم يبلغوا غاية ذلك. أو ذَكَر هذا لهذا القرآن؛ لقولٍ كان من الكفرة في قلّته في نفسه وصغر ما كتب هو فيه، أن يقولوا: كيف يسع في هذا المقدار علم الكتب السالفة المتقدمة، وهي أوقار[٩] وهو[١٠] جزء؟ فيخبر -والله أعلم- أنه جَمَع في هذا من المعاني والعلم والحكمة ما لو[١١] فسّره وبيّن ما أودع فيه وضمّنه، ما لو جعل ما[١٢] في الأرض من الشجر أقلامًا والبحارِ مدادًا فكتب ما أودع فيه وضمنه، لَنَفِد ذلك كلُّه ولم ينفد ما جمع فيه وضمنه. هذا -والله أعلم- يشبه أن يكون تأويله وسبب نزوله، والله أعلم بذلك. **إن الله عزيز حكيم.**

---

[١] جميع النسخ: يسير. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٧و.
[٢] ر ث م: يزعم.
[٣] ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا﴾ (سورة البقرة، ٢٦٩/٢).
[٤] ن: وعلم.
[٥] ر ث م: فنزل.
[٦] *تفسير الطبري*، ٥٧٢/١٨-٥٧٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٥٦/١١. قارن: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٥٥/١؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ١٧؛ و*السنن الكبرى* للنسائي، ١٦٧/١٠. ينبه للقارئ أنه ذكر في هذه المراجع الثلاثة الآية ١٠٩ من سورة الكهف مكان الآية التي نحن بصدد تفسيرها.
[٧] جميع النسخ: فيما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٧و.
[٨] الآية السابقة.
[٩] الوِقْر بالكسر: الثقل يُحمل على ظهر أو على رأس. وقيل: الوِقْر: الحِمْل الثقيل، وجمعه أوقار (*لسان العرب*، «وقر»).
[١٠] جميع النسخ: وهي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٧و.
[١١] ر: مالوا.
[١٢] ن – ما.

﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٢٨]

وقوله: **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**، قال بعضهم: ذكر هذا لأن نفرًا من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله خلقنا أطوارًا: نطفة عَلَقَة مُضْغَة عَظْمًا لحمًا، ثم تزعم أنا نُبعث خلقًا جديدًا جميعًا في ساعة واحدة، فقال الله عز وجل: **ما خلقكم ولا بعثكم** أيها الناس جميعًا على الله في القدرة **إلا كنفس واحدة**[١] **إن الله سميعٌ** لقولهم الذي قالوه: إنا لا نُبعث، **بصيرٌ**[٢] بأمر الخلق والبعث. وجائز أن يكون قال هذا لما قد أقروا ببعث نفس واحدة، لِما انتهى إليهم الأخبار مما كان في[٣] الأمم السالفة من الإحياء بعد الممات وتواترت على ذلك. من ذلك قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ،[٤] وكقولهم حيث [قال: فَ]قَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً،[٥] الآية، وكقوله: ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ،[٦] وقوله: فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ،[٧] فكأنهم أقروا[٨] ببعث هؤلاء لما تواترت عليهم الأخبار بذلك، وأنكروا بعث سائرهم، فقال: ما خلقكم ولا بعثكم جميعًا إلا كبعث نفس واحدة، إذ ثبت لواحد ففي الكل كذلك. أو أن يذكر هذا لأن الأسباب إنما تختلف[٩] في الأمور على الخلق وتعسّر لخصال ثلاث: إما لعجز أو لجهل أو لشغل. فإذا كان الله سبحانه وتعالى يتعالى عن أن يُعجزه شيء أو يخفى عليه شيء أو يَشغله شيء عن شيء، [٥٩٥و] فصار خلق / الكل عليه وبعث الكل كخلق نفس واحدة وكبعث نفس واحدة. أو أن يذكر هذا[١٠] لأن الواحد والكل والقليل والكثير ما كان وما[١١] يكون تحت قوله: كُنْ فَيَكُونُ،[١٢]

---

[١] ر ث م: إلا كبعث نفس واحدة.
[٢] ث: بصيرا.
[٣] م: من.
[٤] سورة البقرة، ٢/٢٤٣.
[٥] ﴿يسألك أهل الكتاب أن تُنزّل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبرَ من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾ (سورة النساء، ٤/١٥٣).
[٦] سورة البقرة، ٢/٥٦.
[٧] سورة البقرة، ٢/٢٥٩.
[٨] جميع النسخ: مكانهم فأقروا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٧ظ.
[٩] ن: يختلف.
[١٠] ر م – هذا.
[١١] ن ث – ما.
[١٢] ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ (سورة يس، ٣٦/٨٢).

معبَّر [عنه] بـ"كن" مترجَم به من غير أن كان منه كاف أو نون، لكنه ذكر "كن" لأنه أوجز حرف في كلام العرب[١] وأقصر كلام يترجم به ويعبَّر[٢] [عنه]. *والله أعلم*.

وقوله: **إن الله سميع بصير**، كأنه قد كان من أولئك من قول أو كلام في ذلك، حتى قال: سميع لذلك، بصير عالم بذلك،[٣] أو بصير بأحوال الخلق وبأمورهم.

**﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٢٩]**

وقوله: **ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر**، يذكّرهم قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره، وفيه دلالة البعث. أما قدرته لِما أدخل الليل في النهار والنهار في الليل، ثم حفظهما على حد واحد وعلى ميزان واحد، على غير تفاوت يقع في ذلك ولا تغيّر، فمن قدر على ذلك لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء.[٤] وكذلك ما ذكر من تسخير[٥] الشمس والقمر وما يقطعان في يوم واحد وليلة واحدة مسيرةَ خَمْسَمِائَةِ[٦] عامٍ ما[٧] لا يتصور[٨] في أوهام الخلق ولا في تقديرهم قطع ذلك المقدار من[٩] المسير في مثل تلك المدة. ودل إنشاء أحدهما وإحداثه بعد ما ذهب الآخر بِرُمَّته وكلّيته حتى لا يبقى له أثر على أنه قادر على الإحياء بعد الموت وبعد ما ذهب أثره. ففي ذلك دلائلُ من وجوه. أحدها دلالة قدرته، حيث أدخل أحدهما في الآخر وحَفِظَهما كذلك على حد واحد وتقدير واحد، على غير تغيير وتفاوت يقع في ذلك،[١٠] دل ذلك على قدرته وعلمه وتدبيره. ودل إنشاء كل واحد منهما بعد ما ذهب الآخر على القدرة على البعث.

---

[١] ن - العرب، + في كلام.
[٢] ر ث م - ويعبر؛ ر ث م + من غير أن كان منه كاف أو نون.
[٣] ر ث م: لذلك.
[٤] ن - ولا يخفى عليه شيء.
[٥] ر ث م: يستخر.
[٦] ر: خمس مائة.
[٧] ر - ما.
[٨] جميع النسخ + ذلك.
[٩] ر ث م: ومن.
[١٠] م: في تلك.

وقوله: **كل يجري إلى أجل مسمى**، إلى الوقت الذي جُعل له، لا يتقدم ولا يتأخر. **وأن الله بما تعملون خبير**، ظاهرًا وباطنًا. هذا وعيد ليكونوا أبدًا خائفين حَذِرين متيقّظين. ***والله أعلم.***

**﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾** [٣٠]

وقوله: **ذلك بأن الله هو الحق**، أي ذلك الذي ذكر من خلق الخلق وإنشاء ما ذكر وتسخيره لمن ذكر،[1] وصُنعِه في الليل والنهار والشمس والقمر وجميع ما ذكر هو من[2] صنع الإلٰه الحق المستحق[3] لتسمية الألوهية والعبادة. وأن ما تدعون من دونه من الأصنام مُبطَلون غيرُ مستحِقّين تسميةَ الألوهية والعبادة، إذ[4] هو الحق، لأنه هو الذي يسوق إليكم هذه النعم والمنافع. **وأن ما يدعون من دونه الباطل**، لا تنفعكم[5] عبادتكم إياها، **وأن الله هو العلي الكبير.**

|٥٩٥ظ س٧ * وقوله: **وأن الله هو العلي الكبير**، العلوّ يتوجه [إلى][6] وجهين. أحدهما العلوّ القهر والغلبة، كقوله: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ،[7] أي غلب وقهر، وقوله: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ،[8] فعلى ذلك يشبه أن يكون قوله: **العلي**، أي القاهر الغالب. والثاني أن يكون العلوّ الارتفاعَ، فإن كان الارتفاعَ فهو يرتفع ويتعالى عن أن يحتمل ما يحتمل الخلق من التغيّر والزوال وغير ذلك مما يحتمل الخلق. [**العلي**، أي] ارتفع وتعالى عن احتمال ما يحتمله[9] الخلق، **الكبير**،[10] أي يَكْبُر[11] من أن يلحقه شيء مما يلحق الخلق.

٥٩٥ظ س١٢| ***والله أعلم.****

[1] ر ث م: ذلك.

[2] جميع النسخ – من. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٨و.

[3] ر: المستحسن.

[4] جميع النسخ: أو. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] جميع النسخ: لا ينفعكم.

[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٤ظ.

[7] سورة القصص، ٢٨/٤.

[8] سورة القصص، ٢٨/٨٣.

[9] ر ث م: ما يحتمل.

[10] ر ث م: والكبير.

[11] ر ث م: تكبر.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٢، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٥ظ/سطر ٧-١٢.

**﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾**[٣١]

وقوله: **ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله**، وقال في آية أخرى: وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ،[١] وقال في موضع آخر: وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ؛[٢] وقوله: بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ،[٣] هي النعمة التي ذكر[٤] في هذه الآية. وقوله: **تجرى في البحر بنعمة الله**، يحتمل وجهين. أحدهما[٥] لما جعل لهم الفلك بحيث تجري على وجه الماء مع أحمال ثقيلة، ومن طبعها التسرب في الماء والانحدار فيه، فجعلها بحيث تستمسك[٦] على وجه[٧] الماء وتجري، ليصلوا إلى حوائجهم ومنافعهم في أمكنة متباعدة ممتنعة، ما لو لا السفن لم يصلوا إلى ذلك بحال. والثاني ما ذُكِر فيه من ريح طيبة[٨] التي بها تجري[٩] السفن في البحار، وماؤها راكد ساكن، فتعمل[١٠] تلك الريح الطيبة عمل جريان الماء [في حال] سكونه،[١١] وذلك نعمته. *والله أعلم*.

وقوله: **ليريكم من آياته**، يحتمل آيات وحدانيته[١٢] وآيات قدرته وسلطانه وآيات نعمته. أما آيات نعمته فما[١٣] ذكرنا،[١٤] وآيات قدرته وسلطانه ما ذكرنا أنه من قدرته وسلطانه أنْ جَعَل الفلك والسفن في البحار بحيث تستمسك وتحتبس ولا تتسرب[١٥] ولا تنحدر مع أحمال ثقيلة، ومن طبع ذلك كله التسرب والانحدار. و[أما آيات وحدانيته][١٦]

---

[١] ر م – وقال في آية أخرى ولتجري الفلك بأمره. سورة الروم، ٣٠/٤٦.
[٢] سورة يونس، ١٠/٢٢.
[٣] ث – وقوله بريح طيبة.
[٤] ر ث م: ذلك.
[٥] ن – أحدهما.
[٦] ن: يستمسك.
[٧] ث – وجه.
[٨] ن – طيبة.
[٩] ر ث م: يجري.
[١٠] جميع النسخ: فيعمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٤ظ.
[١١] جميع النسخ: وسكونه. الزيادة والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] م: وحدانية.
[١٣] جميع النسخ: نعمه ما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٨ظ.
[١٤] ر ث م: ذكر.
[١٥] ر م: ولا تسترب.
[١٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٤ظ.

ما ذكر من إجرائها بالريح الطيبة، ولو كان فعل عدد لا فعل واحد لكان يمنع عن جزيّتها، دل أنه تدبير واحد لا عدد.

وقوله: **إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور**، جائز أن يكون الصبار هو المؤمنَ، والشكورُ كذلك؛ الصبر كناية عن الإيمان، والشكر كناية عن الإيمان، كقوله: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[1] ذكر الصبر مكان قوله: آمَنُوا، لأنه ذكر في آية أخرى: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[2] والشكر كناية عن الإيمان، كقوله: إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ،[3] وقوله: تَشْكُرُوا، أي تؤمنوا. ويحتمل، **صبارٍ**، على بلاياه، **وشكور**، على نَعْمَائه. أو جعل الآيات لمن ذكر، لأنه هو المنتفع بها دون غيره.[4] أو، **صبّار**، فيما أصابهم في البحر من الشدائد والأهوال، **وشكور**، فيما دفع عنهم وأنجاهم من تلك الأهوال. ***والله أعلم.***

**﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾**[٣٢]

وقوله: **وإذا غشيهم موج كالظلل**، قال بعضهم: **كالظلل**، أي كالجبال، وقال بعضهم:[5] **كالظلل**، هو سواد من كثرة الماء ومُعْظَمِه. وقيل: يصير الموج كالظلمة[6] فوق السفينة. وجائز أن يكون الظلل التي ذكر على التمثيل لا على التحقيق كنايةً عن حيرتهم في الدين، كقوله: أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ / يَرَاهَا،[7] [٥٩٥ظ] وهو على المثال لا على التحقيق، يخبر[8] عن حيرتهم في الدين وتيههم فيه، فعلى ذلك الأول. *وقال[9] أبو عَوْسَجَة: قوله: **كالظلل**، أي ما استَظْلَلْتَ به، والظُّلَّةَ[10] السحاب.[11] [٥٩٦و س ٣٠]

[1] سورة هود، ١١/١١.
[2] انظر مثلا: سورة الشعراء، ٢٦/٢٢٧؛ وسورة العصر، ١٠٣/٣.
[3] سورة الزمر، ٣٩/٧.
[4] جميع النسخ: غيرهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٤ظ.
[5] ر م − كالجبال وقال بعضهم.
[6] ر م: كالظلة.
[7] سورة النور، ٢٤/٤٠.
[8] ن: تخبر.
[9] ن ث م: قال.
[10] ن: والظلمة.
[11] ث م: السحابة.

قال القُتَبِي:[1] **كالظلل**، جمع ظُلّة، يريد أن بعضه فوق بعض فله سواد من كثرته، والبحر ذو ظلال لأمواجه. والخَتّار الغدار، والخَتْر أقبح الغدر وأشده. وقال أبو عَوْسَجَة: الختار الكذاب الغدار، يقال: خَتَر يَخْتُر خَتْرًا فهو خاتر.* [٥٩٦و س٣٣]

ثم يذكر أهل التأويل أن الآية في أهل الكفر، كانوا يُخلصون الدعاء لله والدينَ[3] عند ما اشتد بهم الخوف على الهلاك عند معاينتهم الأهوال والشدائد في البحار، لأن أهل الإسلام يخلصون له الدعاء والدين في الأحوال كلها، فهي فيهم.

وقوله: **فلما نجاهم إلى البرّ فمنهم مقتصد**، قال بعضهم: **[فمنهم] مقتصد**، أي حَسَنُ القول بلسانه كافر بقلبه. وقال بعضهم: **فمنهم مقتصد**، أي عدل، أي بقي على الإيمان والإخلاص الذي كان منه في تلك الأهوال، لم يعد إلى الكفر. وقال بعضهم: **فمنهم مقتصد**، [المقتصد] الوسط العدل، وهو ما ذكرنا.[4] ***والله أعلم***.

وقوله: **وما يجحد بآياتنا إلا كل ختّار كفور**، قيل: الختار هو[5] الغدار. وقال بعضهم: الختار هو الذي بلغ في الغدر غايته ونهايته.★

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[٣٣]**

وقوله: **يا أيها الناس اتقوا ربكم**، يحتمل اتقوا ربكم في الحق[7] الذي له عليكم وأوفوا له ذلك، أو اتقوا مخالفة ربكم ومعصيته، أو اتقوا نقمة ربكم وعذابه. لكنه يختلف الأمر بالاتقاء[8] في المؤمن والكافر؛ يكون للكافر اتقوا الشرك وعبادة غير الله، وفي المؤمن اتقوا مخالفة الله في جميع ما يأمركم وينهاكم، أو اتقوا[9] عبادة غير الله والشرك[10] في حادث الوقت.

---

[1] ن + قوله.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٦و/سطر ٣٠-٣٣.

[3] جميع النسخ + له. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٩و.

[4] وعبارة الشرح هكذا: «وقال بعضهم: ﴿فمنهم مقتصد﴾ أي الوسط، وهو العدل الذي ذكرنا» (ورقة ٥٩٤ظ).

[5] جميع النسخ – هو. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٩و.

★ وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٠، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٩٥ظ/سطر ٧-١٢.

[7] ر م: في الجهة.

[8] ن: بالألقاب.

[9] ر ث م: واتقوا.

[10] جميع النسخ: أو الشرك، والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٩و.

وقوله: **واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا**، يذكر هذا على الإياس وقطع طمع بعضهم عن بعض بالوُصْلة التي كانت بينهم[1] في الدنيا والمنافع التي [بها] كان[2] ينفع بعضهم بعضًا في الدنيا. يخبر أن ذلك كله منقطع في الآخرة لهول ذلك اليوم واشتغال كل بنفسه، حتى لا ينفعَ أحد صاحبه، وخاصّةً ما ذكر من الولد لوالده والوالد لولده مما لا يحتمل قلبُ واحد منهما أن[3] يلحق المكروهُ بالآخر، ولا يصبر أن لا يدفع ذلك عنه بكل ما به وسعه وطاقته للشَّفَقَة والمحبة التي جُعلت فيهم. ثم أخبر أنْ لا ينفعُ أحدهما صاحبه لاشتغاله بنفسه، وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل نسب وسبب فهو منقطع، إلا نسبي وسببي».[4] ونسبه[5] دينه الذي دعانا إليه وعلَّمَناه، وسببه شفاعته يوم القيمة. فذلك كله منقطع إلا هذين، فإنه من تمسك بدينه فإنه يشفع له[6] يوم القيامة فيما قصر وفرّط، فأما من لم يقبل دينه ولم يجبه إلى ما دعاه فإنه ليس له واحد من هذين وغيره[7] من الأسباب والأنساب، [كلها] منقطع، كقوله: وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ.[8] وقال بعضهم: قوله: **واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده**، قال هذه الآية في الكفار، فأما المؤمنون فينفع الوالد[9] ولده والولد[10] والدَه في الآخرة، يدفع إلى ابنه بفضل عمله، وكذلك الولد إلى أبيه، كقوله: آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا.[11] ***والله أعلم.***

[٥٩٦و س٢٣] *وقوله:[12] **لا يجزي**، أي لا يغني،[13] تقول: جَزَى يجزِي جَزاءً فهو جازٍ، أي أَغْنى، وأجزى يُجزي مثله،

[1] ن: منهم.
[2] م – كان.
[3] ر م: أو.
[4] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٢٣/٤، ٣٣٢؛ *والمعجم الكبير* للطبراني، ٤٤/٣–٤٥؛ *والمستدرك* للحاكم، ١٦٥/٣؛ *والسنن الكبرى* للبيهقي، ١٠٢/٧؛ مصنف *عبد الرزاق*، ١٦٤/٦؛ *والطبقات الكبرى* لابن سعد، ٤٣٠/١٠؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٤٢/٦.
[5] ر: ونسبيه.
[6] ر ث م – له.
[7] ر ث م – وغيره.
[8] ﴿إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبَعوا وَرَأَوُا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب﴾ (سورة البقرة، ١٦٦/٢).
[9] ن: الولد.
[10] ر: والوالد.
[11] سورة النساء، ١١/٤.
[12] جميع النسخ + واتقوا يوما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤١و.
[13] جميع النسخ: لا تغني.

وأجزأني كذا،[١] أي كفاني، وكذلك قال القُتبي.[٢] وقال: **الغَرور**، بنصب الغين الشيطان، والغُرور بضم الغين الباطل.[٣] *والله أعلم*.*

[٥٩٦و س ٣٥]

وقوله: **إن وعد الله حق**، فيما ذكر من الإياس وقطع طمع بعض[٥] من بعض، أو ما ذَكَر من قيام الساعة وكونها، أنها تكون لا محالة، أو [هو] في الثواب والعقاب.

وقوله: **فلا تَغُرَّنَّكم الحياة الدنيا**، هذا يحتمل وجهين: على التحقيق والتمثيل. أما التحقيق، أي[٦] لا تَشغُلَنّكم الحياة الدنيا ولذّاتها ولا تُلهينّكم عن ذكر الله وعن الآخرة ولا تغترّوا بها، فإنها لعب ولهو على ما ذكر: إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ؛[٧] على ما هي عندكم، لأنها عندهم أنها إنما أنشئت وخلقت لها لا للآخرة، فالدنيا على ما هي عندهم لعب ولهو. وأما على ما هي عندنا هي[٨] حق ليست[٩] بباطل، لأنها أنشئت للآخرة وبُلْغَةٌ[١٠] إليها. وأما التمثيل، أضاف التغرير إليها[١١] لأن ما كان منها من التزيين والتحسين في الظاهر وإظهار بهجتها وسرورها ولذاتها لو كان ممن له التمييز والعقل والفهم وحقيقة التزيين والتحسين كان تغريرًا. فعلى ذلك ما كان منها على الظاهر فهو تغرير على التمثيل. أو أن يكون ما ذكر[١٢] [على النّهي]،[١٣] أي[١٤] لا تغترّوا بالحياة الدنيا وما فيها من لذاتها. *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: وأجزأني عن كذا وكذا.

[٢] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٨.

[٣] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٥.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٦و/سطر ٣٣-٣٥.

[٥] جميع النسخ: بعضهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٣٩ظ.

[٦] جميع النسخ: أن. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] جميع النسخ: على ما ذكر أنها لعب ولهو. والتصحيح من المرجع السابق. انظر: سورة محمد، ٣٦/٤٧؛ وسورة الحديد، ٢٠/٥٧.

[٨] جميع النسخ: هو. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] جميع النسخ: ليس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٥و.

[١٠] البُلْغَة: ما يُكتفى به من العيش ولا فضلَ فيه (لسان العرب، «بلغ»).

[١١] أي إلى الدنيا.

[١٢] ن: ما ذكرنا.

[١٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٥و.

[١٤] جميع النسخ: أن. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله: **ولا يَغُرّنكم بالله الغَرورُ**، قيل: الغرور الشيطان، لا يغرّنكم. يقول:[1] إن الله كريم رحيم جواد لا[2] يعذّبكم، أو يقول: إن الله غني[3] قادر لا يأمركم بأمر[4] ولا ينهاكم[5] عن شيء[6] [لحاجة في نفسه]، إذ إنما يأمر وينهى في الشاهد من كان محتاجًا، فأما الغني فلا يأمر، أو نحوه. *والله أعلم*.

**﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**[٣٤]

وقوله: **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام**، ذكر في بعض الأخبار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله»، / وعدّ هذه الخمسة التي ذكرت في هذه الآية.[7] وكذلك روى أبو هريرة [٥٩٦و] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه][8] قال: «خمس لا يعلمهن إلا الله»، [ثم تلا] قوله: **إن الله عنده علم الساعة**، إلى آخر الآية.[9] فإن ثبت هذا فهو ما ذكر، ويرجع ذلك إلى معرفة حقيقة ما ذكر. وإلا جائز أن يقال: إنه[10] يَعلم بعضَ هذه الأشياء بأعلام، من نحو المطر أنه متى يُمطر؟ أو ما في الأرحام أنه ولد وأنه[11] ذكر أو أنثى -وإن لم يَعلم مائية ما في الأرحام- نحوَ ما تَعلم[12] المنجمة ذلك[13] بالحساب وبأعلام،[14] يخرج ذلك على الصدق مما أخبروا.[15]

---

[1] جميع النسخ: ويقول.
[2] ر ث م: ولا.
[3] ن: إنه غني.
[4] ث - بأمر.
[5] م: وينهاكم.
[6] ر ث م - عن شيء.
[7] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٢٤، ٥٨؛ و*صحيح البخاري*، التوحيد ٤.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٥و.
[9] *صحيح البخاري*، الإيمان ٣٧؛ و*صحيح مسلم*، الإيمان ٥.
[10] أي المرء.
[11] ن: انه.
[12] جميع النسخ: ما يعلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٥و.
[13] م: بذلك.
[14] ن: بأعلام.
[15] جميع النسخ + ربما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٠و.

ألا ترى أن إبراهيم صلوات الله عليه قال: إِنِّي سَقِيمٌ،[١] لما نظر في النجوم، أي سأسقَم. وروي أن أبا بكر الصديقَ[٢] رضي الله عنه قال: إني أُلقي إليَ أن ذا بطنِ بنتِ[٣] خارجةَ[٤] جاريةٌ،[٥] وكان كما ذكر.[٦] فلا يحتمل أن يكون[٧] أبو بكر يعلم ذلك لِما أُلقي إليه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم[٨] الساعة فإنه لا يَطّلع عليها أحد. إلا أن يقال بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له بالتكلم والقولِ بشيء إلا من جهة الوحي من السماء. فأما الاشتغال بمثله فلا [يجوز]، لأن الاشتغال بمثله تضييعٌ لكثير مما امتُحن به،[٩] وتركٌ لبعض ما يؤمر وينهى. أو لما يخرج ذلك مخرج التطير والتفاؤل[١٠] واكتساب الرزق على غير الجهة التي جعل وأبيح لهم، فكان المنع لذلك. *والله أعلم.*

ثم قوله: **إن الله عنده علم الساعة**، يحتمل قوله: **علم الساعة**، أي وقت[١١] الساعة، كقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ،[١٢]

---

[١] ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النجوم فقال إني سقيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٨٨-٨٩).

[٢] ث – الصديق.

[٣] جميع النسخ – بنت. والزيادة من مصادر الرواية. وهي حبيبة بنت خارجة زوج أبي بكر رضي الله عنه.

[٤] ذو بطن بنت خارجة، أي صاحب بطنها، يريد الحمل الذي فيه (*مشارق الأنوار* للقاضي عياض، «ذو»).

[٥] أي أنثى، سميت أم كلثوم.

[٦] روي عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: إن أبا بكر الصديق كان نَحَلها جادَّ عشرين وَسْقًا من ماله بالغابة، فلمّا حضرته الوفاة قال: والله يا بُنيّة ما من الناس أحد أحب إليّ غنًى بَعدي منك ولا أعزّ علي فقرًا بَعدي منك، وإني كنت نحلتكِ جادَّ عشرين وَسْقًا فلو كنت جدَدْتِيه وَاحتَزْتِيه كان لك، وإنما هو اليومَ مال وارثٍ، وإنما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله. قالت عائشة: فقلت: يا أبتِ واللهِ لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماءُ فمَن الأخرى؟ فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجة، أراها جارية. وفي رواية: قالت عائشة: هل هي إلا أم عبد الله؟ قال: نعم، وذو بطن ابنة خارجة، قد أُلقي في نفسي أنها جارية. *الموطأ* لمالك، الأقضية، ٤٠؛ ومصنف *عبد الرزاق*، ٩/١٠١؛ و*الطبقات الكبرى* لابن سعد، ٣/١٧٧.

الجاذ: بمعنى المجدود. أي نخل يُجَدّ منه ما يبلغ مائة وسق. ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه قال لعائشة رضي الله عنها: إني كنت نحلتكِ جاذَّ عشرين وسقًا. الوَسْق: ستون صاعًا (*النهاية* لابن الأثير، «جدد» «وسق»).

[٧] ر ث م – أن يكون.

[٨] جميع النسخ + إلا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٠و.

[٩] ر ث م – به.

[١٠] ر ن: والتفأل.

[١١] جميع النسخ: أي لوقت.

[١٢] سورة الأعراف، ٧/١٨٧.

وقوله:[1] يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا،[2] أخبر أنه لا يجلّيها لوقتها،[3] وذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم:[4] إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا،[5] **فأما** ما سوى ذلك فليس إليك. أو أن يكون قوله: **إن الله عنده علم الساعة**، أي عنده علم بمائية الساعة، إذ ذكر الساعة وأهوالها ولم يذكر مائيتها وحدّها وقدرها، فأخبر أنه يعلم هو ذلك.

وقوله: **وينزّل الغيث**، سمى المطر غيثًا، فيشبه أن يكون سماه غيثًا لما به يكون للناس غياث فيما به قوام أنفسهم ودنياهم، وسماه في موضع رحمةً،[6] وفي موضع مباركًا،[7] فتسميته رحمة لما به نجاة أنفسهم وأبدانهم وذلك صورة الرحمة، وسماه مباركا[8] لما به ينمو ويزداد كل شيء، إذ البركة هي اسم كل[9] خير ينمو ويزداد بلا اكتساب.

وقوله: **ويعلم ما في الأرحام**، من انتقال النطفة إلى العلقة وانتقال العلقة إلى المضغة وتحوّله من حال إلى حال أخرى وقدر زيادة ما فيه في كل وقت وفي كل ساعة ونحو ذلك، وذلك[10] لا يعلمه إلا الله. وأما العلم بأن فيه ولدا وأنه ذكر أو أنثى فجائز أن يعلم ذلك غيره أيضًا.

وقوله: **وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت**، جائز أن يكون كتم ذلك وأخفاه ليكونوا في كل حال على حذر وخوف وعلى يقظة، إذ لو كان أطْلعهم على ذلك لكانوا آمنين إلى ذلك الوقت فيعملون بكل ما يريدون ويشاءون، فيكون في ذلك ارتفاع المحنة. فَلَبَّسَ[11] ذلك عليهم ليكونوا أبدًا في كل وقت وكل حال على حذر وخوف ويقظة. ***والله أعلم.***

**إن الله عليم خبير.**

---

[1] ر: في قوله.
[2] سورة النازعات، ٧٩/٤٢-٤٤.
[3] م - لوقتها.
[4] جميع النسخ + انك. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٠ظ.
[5] سورة النازعات، ٧٩/٤٥.
[6] انظر: سورة الروم، ٣٠/٥٠.
[7] انظر: سورة ق، ٥٠/٩.
[8] ن - فتسميته رحمة لما به نجاة أنفسهم وأبدانهم وذلك صورة الرحمة وسماه مباركا.
[9] جميع النسخ - كل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ - وذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ن: فليس.

وذكر بعض أهل التأويل أن رجلا من أهل البادية، يقال له الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أرضنا[١] أَجْدَبَتْ فمتى الغيث؟ وتركت امرأتي حُبلى فماذا تلد؟ وقد علمتُ أنى وُلدت[٢] ففي أي أرض أموت؟ وقد علمت ما عملت[٣] اليوم فماذا أعمل غدًا؟ ومتى الساعة؟ فأنزل الله تبارك وتعالى في مسألة المحاربي: **إن الله عنده علم الساعة**، لا يعلمها غيره، **وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام**، من ذَكَر أو أنثى، **وما تدري نفس**، بَرَة أو فاجرةٌ، **ماذا تكسب غدًا**، من خير أو شر،[٤] **وما تدري نفس بأي أرض تموت**، في سهل أو جبل أو بر أو بحر، **إن الله عليم خبير**، بهذا الذي ذكر كله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أين السائل عن الساعة؟ فقال المحاربي: هاهنا، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية.[٥]*

---

[١] ر م: أرضي.
[٢] ن هـ: أين ولدت.
[٣] ن م: ما علمت.
[٤] ر ث م: وشر.
[٥] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٢٥. وانظر: *تفسير الطبري*، ١٨/٥٨٤-٥٨٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٦٦٢-٦٦٣.
* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٣٢ ورقم ٣٣، فقدمناهما إلى محليهما؛ انظر: ورقة ٥٩٦و/ سطر ٣٠-٣٣، وسطر ٣٣-٣٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة السجدة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الٓمٓ﴾[١] ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢]

قوله[2] عز وجل: **الٓمٓ**، قد ذكرنا تأويله في صدر الكتاب.[3] وقوله: **تنزيل الكتاب**، الكتاب المطلق كتاب الله، والدين المطلق دين الله، والسبيل المطلق والطريق المطلق[4] سبيل الله وطريقه. وقوله: **لا ريب فيه**، أنه منزّل من الله؛[5] لأنه أنزل على أيدي الأُمَناء البررة، لم يغيّروه ولا بدّلوه ولا حرّفوه. أو يقول: **لا ريب فيه**، أنه ليس بمختلَق[6] ولا مخترَع ولا مفترًى / من عند [٥٩٦ظ] الرسول، بل منزّل من عند رب العالمين. أو، **لا ريب فيه**، لا شك فيه،[7] على ما يقول الناس، لكل محكم من الأمر مبيّنٌ. *والله أعلم*.

**من رب العالمين**، العالم[8] هو اسم جنس من الخلق، وجوهر منه. والعالمين جمعه. فيدخل في ذلك الأولون والآخِرون الذين يكونون إلى آخر ما يكون.[9] ففيه أنه يوصف جل وعلا

---

[1] ر – سورة السجدة؛ ن: ذكر أن سورة الم تنزيل السجدة نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها فإنها نزلت بالمدينة وهو قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون إلى قوله أعيدوا فيها الآية والله أعلم؛ ث + وهي ثلاثون آيات مكية ذكر أن سورة الم تنزيل السجدة نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها فإنها نزلت بالمدينة وهو قوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون إلى قوله أعيدوا فيها إلا ثلاث آيات والله أعلم؛ م + نزلت بمكة.

[2] ر ن: وقوله.

[3] ن: القرآن. انظر: سورة البقرة، الآية ١.

[4] ن – المطلق؛ م – والطريق المطلق.

[5] م – من الله.

[6] ر ن ث: بمخترق.

[7] جميع النسخ – فيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٥ظ.

[8] ن – العالم، صح هـ.

[9] جميع النسخ: يكونون، والتصحيح من المرجع السابق.

أنه ربُّ لكلٍّ[1] ما كان ويكون، ومالكُ ما كان وما يكون، كقوله: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ،[2] أخبر أنه مالكه وهو بعدُ[3] لم يكن، أعني ذلك اليوم.

**﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾**[٣]

وقوله: **أم يقولون افتراه**، قوله: **أم يقولون**، هو استفهام وشك في الظاهر، لكنه من الله يخرج على تحقيق إلزام وإيجاب أو تحقيق نفي، على ما لو كان ذلك من مستفهِمٍ مسترشِد[4] كيف يجاب له ويقال فيه، فإنما يقال للمستفهِم: "لا" أو "بلى". فعلى ذلك هو من الله على تحقيق إثبات وإيجاب[5] أو تحقيق نفي، إذ لا يحتمل الاستفهام والسؤالَ، كقوله: أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى،[6] كأنه قال: ليس للإنسان ما تمنى، فعلى ذلك كأنه قال هاهنا: بل يقولون افتراه.

ثم رد ما قالوا إنه افتراه، فقال: **بل هو الحق من ربك**. يحتمل قوله: **هو الحق من ربك**، ليس بمخترَع ولا مختلَق[7] ولا مفترًى من محمد، بل هو[8] منزل من عند الله على ما ذكرنا في قوله: لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.[9] أو، **هو الحق من ربك**، ليس بكلام البشر ولا في وسعهم إتيان مثله، فهو الحق منه، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ،[10] الآية.

وقوله: **لتنذر قومًا**، أي لتنذر بالكتاب الذي أنزلنا[11] قومًا، **ما أتاهم من نذير من قبلك**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما على الجحد، أي لتنذر قومًا لم يأتهم نذير، وهم أهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. والثاني لتنذر قومًا الذين قد أتاهم[12] نذير من قبلك،

---

[1] ر + شيء.
[2] سورة الفاتحة، ١/٤.
[3] ر م + ما.
[4] ر ث م: ومسترشد.
[5] ث: أو إيجاب.
[6] سورة النجم، ٥٣/٢٤.
[7] جميع النسخ: ولا مخترع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٥ظ.
[8] جميع النسخ - هو. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤١ظ.
[9] الآية السابقة.
[10] سورة فصلت، ٤١/٤٢.
[11] جميع النسخ: أنزل. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ + من. والتصحيح من المرجع السابق.

وهم آباؤهم وأجدادهم الذين كانوا من قبلهم[م]، الذين قد أتاهم نذير من قبله [وبقي في أولادهم آثاره وشرائعه].[١] *والله أعلم*.

وقوله: **لعلهم يهتدون**، هذا أيضًا يحتمل وجهين. أحدهما لتنذر قومًا لكي تلزمهم به حجة الاهتداء. والثاني لتنذر قومًا،[٢] على رجاءٍ وطمعٍ أن يهتدوا. *والله أعلم*.

**﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[٤]**

وقوله: **الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام**، هذا أيضًا قد ذكرناه فيما تقدم.[٣] وقوله: **ثم استوى على العرش**، وفي هذا أيضًا قد ذكرنا[٤] فيما تقدم تأويلات كثيرة،[٥] لكنا نذكر فيه حرفًا لم نذكره[٦] فيما تقدم من الذكر، وكأنه أصوب وأقرب إلى الحق. وهو أن ذلك حرف وكلام لم يجعل الله تعالى في العقول والأفهام سبيل الدرك له والمعرفة، أعني قوله:[٧] **ثم استوى على العرش**، لأنه ذكر ذلك الحرف في موضع آخر وأمره أن يَسأل به خبيرًا، حيث قال: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا.[٨] ولو كان ذلك الحرف مما لِعقول البشر وأفهامهم سبيلُ الوصول إلى معرفته ودركه لأدركه عقل رسول[٩] رب العالمين وفهمه من غير أن يسأل به الخبيرَ، وكان[١٠] [ذلك هو][١١] الله أو جبريلَ. فإذا أمره بالسؤال عنه دل أنه بالعقل والفهم لا يدرك[١٢] ولا يعرف، ولكن[١٣] بالسمع عن الله. ولم يذكر عن الرسول أنه فسّر ذلك، أو قال فيه، أو سأله أحد عنه. *والله أعلم*.

---

[١] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٥٩٥ظ.

[٢] ث – لكي تلزمهم به حجة الاهتداء والثاني لتنذر قوما.

[٣] انظر: تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف.

[٤] ث + أيضا.

[٥] انظر أيضًا: تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف.

[٦] جميع النسخ: لم نذكر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٢و.

[٧] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٥ظ.

[٨] سورة الفرقان، ٥٩/٢٥.

[٩] ر: رسوله.

[١٠] جميع النسخ: من كان. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٥ظ.

[١٢] ن + ولا يفهم.

[١٣] ر: ويكن.

وقوله: **ما لكم من دونه من وليّ ولا شفيع**، يقول أهل التأويل: ما لكم[1] من دونه من وليّ ينفعكم في الآخرة، ولا شفيع[2] يدفع عنكم عذابه. أو يكون[3] قوله: **ما لكم من دونه من وليّ**، أي[4] رب وإله يلي أمركم سواه، **ولا شفيع**، ولا جعل لكم الأصنام التي تعبدونها شفعاء، وأنتم تعلمون ذلك، فكيف تعبدونها دونه. أو يذكر على الوعيد لهم، أي ليس لأولئك وليّ ولا ناصر ولا شفيع، لا هو ولا غيره، وأما للمؤمنين فإنه وليّهم، كقوله: اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا،[5] وقوله:[6] ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ.[7] وقوله: **أفلا تتذكرون**، فيما ذكر من صنعه فتوحّدونه. *والله أعلم*.

**﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾**[٥]

وقوله: **يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض**، قال عامة[8] أهل التأويل: **يدبّر الأمر**، أي هو يقضي القضاء وحده من السماء والأرض. وعندنا أنه يخرج على وجهين. أحدهما **يدبّر الأمر**، أي هو يكوّن الأمر ويدبّره،[9] أو هو يجعل الخلق بحيث يقبلون الأمر والنهي ويحتملون المحنة، أو هو يُخرج الأمر كلّه على الحكمة والتدبير. والثاني **يدبّر الأمر**، أي يولّي من يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض، نحو ما ولّى مَلَك الموت قبض أرواح الخلق، ونحوَ ما ولّى بعض ملائكته أمر الأمطار والنبات وغير ذلك.[10] فإن كان [التأويل هذا][11] الأولَ فليس [في] ذكر السماء والأرض حدّ ولا تقدير: يدبّر ذلك ولا يدبّر ما سوى ذلك، لكن ذكر هذا لِما إلى ذلك ينتهي تدبير البشر وعلمهم، وأما ما سوى ذلك فلا. وإن كان الثاني فهو على التحديد. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: ما لم يكن.
[2] م - ولا شفيع.
[3] جميع النسخ: أو أن يكون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٢و.
[4] جميع النسخ: أو. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥٧).
[6] جميع النسخ - الله ولي الذي آمنوا وقوله. والزيادة من المرجع السابق.
[7] سورة محمد، ٤٧/١١.
[8] جميع النسخ - عامة. والزيادة من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: ويدبر. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ + فجائز أن يكون الأول يولي ملائكته أمر ما بين السماء والأرض.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٦و.

وقوله: **ثم يَعرج إليه في يوم كان مقداره**، قال بعض أهل التأويل: **ثم يعرج إليه**، يقول: يَصْعَد المَلَكُ إليه في يوم واحد من أيام الدنيا، كان مقدار[1] ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون أنتم، لأن ما بين السماء والأرض مسيرةَ خمسَمِائَةِ عامٍ، فَيَنزل مسيرةَ خمسَمائة عام ويصعد مسيرةَ[2] خمسمائة عام، وذلك مقدار مسيرةِ[3] ألف / سنة في يوم واحد من أيام الدنيا. وذَكَر في موضع آخر: [٥٩٧و] خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ،[4] فجائز أن يكون ذلك[5] وصف يوم القيامة، فيخرج ذلك لا على التحديد والتقدير ولكن على التعظيم لذلك اليوم والوصفِ له بما يَعظُم في قلوب الخلق،[6] وهو ما وصفه بالعظمة، كقوله: لِيَوْمٍ عَظِيمٍ.[7] أو أن يكون على[8] التحديد والتقدير إن كان حقيقة، لاختلاف أحواله وأوقاته على اختلاف الأمور. يكون "ألفَ سنةٍ" ذكرُ حال ووقتٍ لأمر، وخمسين ألفَ سنةٍ بحال أخرى لأمور أُخَرَ، على ما سمى ذلك اليوم مرة يَوْمَ الْجَمْعِ،[9] ومرة يوم التفريق،[10] ويَوْمَ الْفَصْلِ،[11] ويَوْمَ الْحِسَابِ،[12] ويَوْمَ الْبَعْثِ،[13] ونحوه. ومعلوم أن ذلك اليوم من أوّله إلى آخره ليس يوم[14] الجَمْع ولا يوم[15] الافتراق ولا يوم الحساب ولا يوم البعث ولكن بجميع[16] ذلك كله، لاختلاف الأحوال والأوقات لأمور مختلفة. فعلى ذلك يشبه أن يكون الأول كذلك.[17] *والله أعلم*.

---

[1] م: مقداره.
[2] م – مسيرة.
[3] ن – مسيرة، صح هـ.
[4] ﴿تَعْرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ (سورة المعارج، ٧٠/٤).
[5] ن – ذلك.
[6] يقول الشارح رحمه الله: «وفي الشاهد من يعظِّم الشيء فيستكبره قد يذكر على التقارب [نسخة مدينة: التفاوت] في الاستعظام بعد أن لا يخرج الاستعظام على التقدير اللازم، فيقول مرة: غضب الأمير على فلان فضربه ألف سوط، ومرة يقول: مائة، ومرة يقول: خمسمائة، على الاستعظام لا على التقدير. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩٦و، ونسخة مدينة ٦٩٨و).
[7] ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (سورة المطففين، ٨٣/٤-٦).
[8] ن ث – على.
[9] سورة الشورى، ٤٢/٧.
[10] لعله يشير إلى قوله عز وجل: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ (سورة الروم، ٣٠/١٤).
[11] انظر مثلا: سورة الصافات، ٣٧/٢١.
[12] سورة ص، ٣٨/١٦ و٢٦.
[13] سورة الروم، ٣٠/٥٦.
[14] جميع النسخ: بيوم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٢ظ.
[15] جميع النسخ: بيوم. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] م: لجميع.
[17] ر: وكذلك.

ويكون قوله: **ثم يعرج إليه**، أي يصير إليه ذلك،[1] كقوله: وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ،[2] وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ،[3]
[٥٩٨و س٥ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ،[4] ونحوه.[5] *وقوله: **يَعْرُج إليه**، أي يَصْعَد في قول القُتَبي وأبي عَوْسَجة.[6]
٥٩٨و س٦] ويُعَرِّج، أي يحبس.*[7]
[٥٩٧و س١٧ *ومنهم من يقول في قوله: **في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون**، وقوله: فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ،[9] قال: مِن منتهى أمره من أسفل الأَرَضين إلى منتهى أمره فوق[10] السماوات[11] مقدارُ ذلك خمسون ألف سنة. ويومٌ كان مقداره ألف سنة، ذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ومن[12] الأرض إلى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة. لكن قوله: مِن منتهى أمره من أسفل الأَرَضين إلى منتهى[13] أمره[14] فوق السماوات كذا، فاسد؛ لأنه لا يجوز أن يكون لأمره[15] أو لمُلكه[16] نهاية أو حدّ، والوجه فيه ما[17]
٥٩٧و س٢١] ذكرنا.*

---

[1] ث + كله.
[2] سورة المائدة، ١٨/٥؛ وسورة الشورى، ١٥/٤٢؛ وسورة التغابن، ٣/٦٤.
[3] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٤٥/٢.
[4] سورة هود، ١٢٣/١١.
[5] ث – ونحوه.
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٦.
[7] جميع النسخ: احتبس. التعريج: أن تحبس مطيتك مقيما على رُفقتك أو لحاجة (*لسان العرب*، «عرج»).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٨و/سطر ٥-٦.
[9] سورة المعارج، ٤/٧٠.
[10] ر م: في.
[11] ر: السماء.
[12] ن: لا من.
[13] ر م – منتهى.
[14] ث – فوق السماوات مقدار ذلك خمسون ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة ذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لكن قوله من منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره.
[15] ر م: لأمر.
[16] ر: الملائكة.
[17] ن + كان.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٧و/سطر ١٧-٢١.

﴿ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٦]

وقوله: **ذلك**، أي هذا الذي صنع ما ذكر من هذه الأشياء، **عالِم الغيب والشهادة**. يحتمل هذا وجوهًا. أحدها [**عالم الغيب**]، أي[١] عالم ما غاب عن الخلق، **والشهادةِ**، وعالمُ ما يَشهدون ويُعلنون. أو [**عالم الغيب**]، عالم ما يكون ويَحدث، **والشهادةِ**، ما قد كان ومضى. أو [**عالم الغيب**]،[٢] عالم ما يغيب بعض من بعض، **والشهادةِ**، ما يُشهدون ويُظهرون. أو عالم ما يغيب عن الخلق كيفيةَ المنافع[٣] من[٤] الأشياء الظاهرة ومائيتَها، نحوَ ما غاب عنهم المعنى المُضْمَر المودع في الطعام والشراب والأغذية جميعًا الذي به حياة أنفسهم وقوامهم، وكذلك السمع والبصر والفهم والعقل لا يُدْرَك المعنى الذي به يُسمَع ويبصر ويفهم ويدرك، وما به تحيا[٥] أنفسهم وتَقْوَى.[٦] *والله أعلم*.

وقوله: **العزيزُ الرحيم**. **العزيز**، في هذا الموضع المنتقِم من أعدائه، **الرحيم**، على أوليائه. أو **العزيز**، الذي لا يُعجزه شيء، **الرحيم**، الذي له رحمة يسع الخلائقَ في رحمته. أو **العزيز**، الذي به يَعِزّ من عزّ، **والرحيم**، الذي برحمته يرحم من يرحم.*

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾[٧]

وقوله: **الذي أحسن كل شيء خلقه**، بالجزم والتحريك جميعًا، كلاهما لغتان.[٨] ثم يحتمل قوله: **أحسن كل شيء خلقه**، وجهين. أحدهما[٩] **أحسن كل شيء خلقه**،[١٠] أي علم كل شيء كيف[١١] خلقه، أو[١٢] علم[١٣] كيف يخلق من غير أن يعلّمه أحد أو أعانه عليه أحد.

---

[١] ر ث م – أحدها أي.
[٢] الزيادات مستفادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٦و.
[٣] ر: لمنافع.
[٤] ر ث م: عن.
[٥] م: يحيا.
[٦] جميع النسخ + به. ر م – وتقوى. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٣و.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٥٩٧و/سطر ١٧-٢١.
[٨] «قرأ أبو جعفر وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب ﴿خَلْقَه﴾ ساكنة اللام، وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿خَلَقَه﴾ بفتح اللام» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٥٤).
[٩] ر م – وجهين أحدهما.
[١٠] ر ث م – أحسن كل شيء خلقه؛ ن – خلقه.
[١١] جميع النسخ – كيف. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٣و.
[١٢] ر ن ث: ان؛ م: أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] جميع النسخ – علم. والتصحيح من المرجع السابق.

وفي الشاهد لا يقدر أحد ولا يمكن[1] له صنع شيء إلا بمعلّم يعلّمه ذلك أو بمعين يعين على ذلك. يخبر عن جهلهم وسفههم بتقديرهم قدرة الله وقوته بقوى أنفسهم وقدرتهم في إنكارهم البعث لخروجه عن تقدير الخلق وامتناعه عن وسعهم. يقول: لا تقدّروا قدرة الله بقدرة أنفسكم وقواكم كما لم تقدّروا علمه بعلمكم، إذ يعلم هو بذاته بلا معلِّم وأنتم لا تعلمون إلا بمعلِّم،[2] فعلى ذلك هو قادر بذاته لا يعجزه شيء وأنتم لا تقدرون إلا بغيرٍ أو بسبب. ويحتمل هذا الوجه وجهًا آخر، وهو أن قوله: **أحسن كل شيء خلقه**، أي أعلم كل شيء من خلقه ما به مصالحهم وفسادهم وما يُؤتَى وما يُتقَى.

والثاني، **أحسن كل شيء خلقه**، أي أحكم كل شيء خلقه وأتقنه. ثم يخرج هذا على وجهين. أحدهما أتقن وأحكم[3] فيما به من المصالح والمَأْتَى[4] وفي كل شيء من التسوية والتفرقة وفي الجمع والتصوير. والثاني، **أحسن**، أي أتقن وأحكم، **كل شيء خلقه**، في الشهادة على وحدانية الله وألوهيته، أي جعل في كل شيء[5] أثر وحدانيته يشهد[6] على وحدانيته[7] وربوبيته.

وقال بعضهم: **أحسن كل شيء خلقه**، لم يخلق الإنسان في خلق البهائم وصورتها، ولا البهائمَ في خلق الإنسان. وقتادة يقول: كل شيء من خلقه حسن على نحو[8] ما خلق وعلم كيف يخلقه،[9] وهو قريب مما ذكرنا بدءًا.

ثم من قرأ "خلْقه" بالجزم يكون معناه -والله أعلم-: أي أحسن خَلْق كلّ شيء. ومن قرأ "خلَقه" بالتحريك، أي أحسن كل شيء فَعله[10] وخَلَقه.

ثم للمعتزلة في هذه الآية أدنى تعلّق، يقولون: أخبر أنه أحسن كل شيء خلقه، والكفر وشتمُ رب العالمين ونحوه كلُّه قبيح وسفه، دل أنه لم يخلقه وأنه ليس بخالق لذلك.

---

[1] ن: لا يمكن.
[2] ر: بعلم.
[3] ن: أحكم وأتقن.
[4] ر م: والمعاني.
[5] ر م - شيء.
[6] ن ث: ليشهد.
[7] ر - يشهد على وحدانيته.
[8] ر م - نحو.
[9] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٢٦؛ و*تفسير الطبري*، ١٨/٥٩٨.
[10] جميع النسخ: منه. والتصحيح مستفاد من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٣ظ.

يقال[١] لهم: إن[٢] إخوانكم الزنادقة يعارضونكم ويقولون: إن الخنزير والنجاسات وجميع السباع الضارة المؤذية[٣] وجميعَ الخبائث كلها قبيحة، فالله ليس بخالق لها. فبم تدفعون[٤] قولهم وسؤالهم في ذلك؟ فإن زعمتم في الأول في الكفر[٥] والشتم وجميع فعل الشرور أنه ليس بخلق له لأنه قبيح ضارّ مؤذ،[٦] يلزمكم مذهب الزنادقة فيما يقولون[٧] ويذكرون في إثبات خالق سواه، لأنه قبيح ضار / مؤذ. ويقال[٨] لهم: إن الله جل وعلا سمّى إبليس باطلاً[٩] فهو إذاً لم يخلقه؛ لأنه أخبر أنه لم يخلق [٥٩٧ظ] السماوات والأرض وما بينهما باطلاً.[١٠] ثم يقال لهم: إنا نقول: إنه خلق فعل الكفر من الكافر[١١] قبيحًا، وخلق فعل الشر[١٢] والشتم من الشرير والشاتم قبيحًا. خلق فعله[١٣] على ما هو[١٤] وعلى ما عرفه وعلم،[١٥] فلا عيب يلحق في جعل ما هو قبيح قبيحًا، كمن يعلم الكفر ليعلمه قبيحًا على ما هو، وكذلك جميع الشرور. فعلى ذلك ليس في خلق ما هو قبيح في نفسه قبيحًا عيبٌ، على ما لم يكن في تكلف معرفة القبيح -ليعرفه قبيحًا على ما هو حقيقة- عيبٌ. هذا إذا كان التأويل على ما يذهبون هم إليه. فأما إذا كان ما ذكرنا في قوله: **أحسن**، أي علم أو أعلم فليس[١٦] يدخل في ذلك شيء[١٧] مما ذكروا. ***والله أعلم***. وقوله: **وبدأ خلق الإنسان من طين**، قال عامتهم: يعني آدم.

---

[١] ن ث: فيقال.

[٢] ر م - إن.

[٣] ر ث م: والمؤذية.

[٤] ر م: تدعون.

[٥] ن: والكفر.

[٦] ن - ضار مؤذ.

[٧] ن + ويقولون.

[٨] ن: أو يقال.

[٩] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حيكم حميد﴾ (سورة فصلت ٤٢/٤١). انظر: تأويل هذه الآية من *تأويلات القرآن*.

[١٠] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾ (سورة ص، ٢٧/٣٨).

[١١] ر ث م: من الكفرة.

[١٢] ر م: الكفر.

[١٣] ر م: فعل الشر.

[١٤] ن + وكذلك جميع.

[١٥] ر م - وعلم.

[١٦] ر ث م: وليس.

[١٧] جميع النسخ: الشيء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٤و.

**﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[٨] ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[٩]**

وقوله: **ثم جعل نسله**، أي نسل آدم، **من ماء مهين**،[١] **ثم سواه ونفخ فيه من روحه**، أي آدمَ. وقال بعضهم: لا، ولكن ذلك نعت ولده وذريته، لأن الأعجوبة في خلق ولده في الأرحام في ثلاث ظلمات[٢] من النطفة إن لم تكن[٣] أكثر من خلق آدم من طين لا تكون أقل، لأن صنع الأشياء الظاهرة البادية وتسويتها في الشاهد أيسر وأدون من صنعها وتسويتها إذا كانت غائبة مستكنّة. وظاهره أن يكون قوله: وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ،[٤] من طين[٥] آدم. **ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين**، ذريته، لأن النسل هو الولد والذرية. * **نَسْلَه**، أي ولده. وقالا:[٦] السلالة الخالص من كل شيء.* وقوله: **من سلالة**، قال بعضهم: السلالة هي[٨] الصفوة من الماء، والخالص من كل شيء. وقال بعضهم: السلالة هي من السَّلّ، [يقال:][٩] سَلَّ السيفَ أي أخرجه ونزعه. فعلى ذلك قوله: **من سلالة من ماء**، أي من ماء[١٠] استخرج من الظهر وسلّ منه ونزع. والمهين، هو الضعيف، يقال:[١١] مهَن يمهَن مَهانةً فهو مَهين. وهو قول أبي عَوْسَجة والقُتَبي.[١٢]

|٥٩٨و س٦|

وقوله: **ثم سوّاه**، أي جمعه وقوّمه وركّب بعضه ببعض. **ونفخ فيه من روحه**، أي جعل فيه من روحه؛[١٣] وهو من الريح، وبالنفخ يتفرق في الجسد، لذلك ذكر.[١٤] ***والله أعلم.***

---

[١] جميع النسخ - من ماء مهين. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٤و.

[٢] يشير إلى قوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٦).

[٣] ر ث م: إن لم يكن.

[٤] الآية السابقة.

[٥] جميع النسخ - من طين. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٤و.

[٦] أي القُتَبي وأبو عَوْسَجة.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٨و/سطر٦.

[٨] ر ث م: هو.

[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٦ظ.

[١٠] جميع النسخ - من ماء. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٤و.

[١١] جميع النسخ + منه. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] «﴿من ماء مهين﴾ أي حقير» (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٥٠٦).

[١٣] ر ث م - أي جعل فيه من روحه.

[١٤] يقول الإمام رحمه الله في تفسير الآية ١٢ من سورة التحريم: «وقوله: ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ أي خلقنا فيه ما به تحيا الصوَر والأبدان. ثم تشبيهه بالنفخ أن الروح إذا خلق فيه انتشر في الجسد، كالريح إذا نفخت في شيء انتشرت فيه. أو التشبيه بالنفخ لسرعة دخوله فيما نفخ فيه كالريح. والله أعلم» (ورقة ٨٢٣و).

وقوله **ثم سوّاه**، يحتمل ما ذكرنا من تركيب الجوارح والأعضاء، أو سوّاه وجعله بحيث يحتمل المحنة والأمر والنهي. **ونفخ فيه من روحه**، أي جعل فيه الروح، وذكر النفخ لما ذكرنا على تحقيق النفخ فيه. *والله أعلم*.

وقوله: **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**، ذكر جل وعلا جميع ما يوصل [به][1] إلى العلوم الغائبة والحاضرة جميعًا، ويُدرَك ويوجَد السبيل إليها، وهو السمع والبصر والقلب الذي[2] ركّب[3] في الإنسان؛ لأنه بالسمع يوصَل إلى ما غاب عنهم من العلم يسمعون ما عند غيرهم، وكذلك بالبصر يرى ويبصر ما عند غيره، وبالقلب يفهم[4] ويُحفَظ ويُميّز بين ما يؤتى ويُتّقَى. يبين أنه قد أعطاهم ما به يدركون ويصلون إلى ما غاب عنهم، ويفهمون ويميّزون، وهو ما ذكر من الحواسّ.

ثم قال: **قليلًا ما تشكرون**. قال أهل التأويل: قوله: **قليلًا ما تشكرون**، أي لا تشكرون قطّ؛ لأنهم يقولون إنما خاطب به أهل[5] مكة. أو أن يقال: إنهم يشكرون[6] قليلًا، لكنهم يفسدون وينقضون ما يشكرون[7] بكفرانهم من بعد. وأما أهل الإسلام، وإن كان شكرهم لما ذكر من هذه الحواسّ قليلًا فإنهم قد اعتقدوا في أصل العقد الشكر له في جميع نعمه، والكافر اعتقد الكفران له. وإلا يجيء أن يكون قوله: **قليلا ما تشكرون**، للمؤمنين ولهم يقال ذلك لا للكفرة. *والله أعلم*.

**﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾**[١٠]

وقوله: **وقالوا أإذا ضلَلْنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد**، هذا القول منهم في الظاهر يخرج على الاستفهام والسؤال: أإنا نبعث ونُخلق خلقًا جديدًا؟ أو على[8] الإيجاب والتحقيق: إنا نبعث لا محالة. فلا يلحقهم بذلك لائمة ولا تعيير لو كان على ظاهر المخرج منهم،[9]

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٦ظ.

[2] ر م - الذي.

[3] جميع النسخ - ركب؛ ن ث + ذكر جعل. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٤ظ.

[4] ر: فيهم.

[5] ر ث م: لأهل.

[6] ن: تشكرون.

[7] ن: تشكرون.

[8] ر ث م: وعلى.

[9] ث: فمنهم.

لكنهم إنما قالوا ذلك استهزاءً وإنكارًا للبعث، دليله ما قال على إثره: **بل هم بلقاء ربهم كافرون،** وإلا ظاهر ذلك القول منهم على أحد الوجهين اللذين ذكرناهما: استفهامًا أو إيجابًا. وهو ما أخبر عن المنافقين، حيث قال: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، هذا القول منهم حق وصدق، لكنهم لِما[1] أضمروا خلاف ذلك لم ينفع ذلك لهم، حيث قال: وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ.[2] فعلى ذلك القول منهم في الظاهر ما ذكرنا، لكنهم إنما قالوا ذلك استهزاءً وإنكارًا للبعث وجحودًا.

[٥٩٨و س٢] *وقال القُتَبي: **ضَلَلنا في الأرض،** أي بَطَلنا وصِرنا ترابًا.[3] وقال غيره: هلكنا. وقال أبو عَوْسَجَة: **ضَللنا،** بالضاد، إذا صِرنا في القبور وبَلِينَا فيها. ويقال: ضلِلنا بالكسر من الضلال، يقال:[4] ضَلِلت[5] كذا،[6] إذا لم يَدْرِ[7] أين ذهب. ويقال صَلَلْنا[8] بالصاد،[9] وهو من صَلّ[10] اللحم، أي أنتن.[11]* [٥٩٨و س٥]

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[١١]

وقوله: **قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكّل بكم،** هذا الحرف في الظاهر ليس هو بصلة للأول؛ لأنه إنما يقال هذا[13] عن سؤال سابق في توفّي الخلق وقَبْضِ أرواحهم أنه مَن؟ فيقال عند ذلك: **يتوفاكم ملك الموت.** وجائز أن يكون على الصلة بالأول؛[14]

[1] م - لما.
[2] سورة المنافقون، ٦٣/١.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٦.
[4] جميع النسخ: ويقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٧و.
[5] ر ن ث + شيء.
[6] جميع النسخ + وكذا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٥و.
[7] جميع النسخ: لم تدر.
[8] ر م: ضللنا.
[9] ر م: بالضاد.
[10] ر م: ضل.
[11] «قرأ العامة "ضللنا" بضاد معجمة ولام مفتوحة. وقرأ يحيى بن يعمر وابن محيصن وأبو رجاء ﴿ضلِلنا﴾ بكسر اللام. وقرأ علي وابن عباس والحسن والأعمش وأبان بن سعيد "صللنا" بصاد مهملة ولام مفتوحة. ومعنى صلّ اللحم، أنتن وتغيّرت رائحته» (*الدر المصون* للسمين الحلبي، ٩/٨٣-٨٤).
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٨و/سطر ٢-٥.
[13] ر م - هذا.
[14] ن: الأول.

لأنهم أنكروا البعث وإحياءه[1] إياهم من التراب لما لا يرون لله القدرة على ذلك. فيذكر أنه مكّن وأقدر عبدًا من عبيده على قبض أرواح جميع الخلائق من المشرق إلى المغرب من غير أن يعلم[2] أحد أنه كيف يقبض وكيف يمكن له ذلك. فيخبر أن من قدر على هذا أَلَا يقدر[3] على إحياء الخلق بعد ما صاروا ترابًا ورمادًا؟ بل قادر على ما شاء[4] كيف شاء متى شاء، لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء.

ثم قوله: **يتوفاكم**، يحتمل مِن "تَوَفِّي العدد"، أي[5] يجعلهم وفاء لعددهم،[6] كقوله: فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا.[7] وجائز أن يكون التوفي من الاستيفاء ووفاء التمام، أي / يستوفي [٥٩٨ر] الروح كلّه حتى لا يبقى منه شيء في الجسد.[8]

ثم في الآية دلالة خلق أفعال العباد، لأنه أخبر أن مَلَك الموت يتوفاهم ويميتهم، وقد أخبر أنه خلق الموت والحياة،[9] فدل أن جميع ما يفعل العباد هو[10] خلق الله.*

**﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[١٢]**

وقوله: **ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم**، يقول -والله أعلم-: لو ترى يا محمد ما نزل بالمجرمين يومئذ من العذاب وفيما هم فيه من الحال الشديدة والهوان بالتكذيب الذي كان منهم وإساءتِهم إليك، لَرحمتَهم ولم تتكلف مكافأة إساءتهم وتكذيبهم لعِظم ما نزل بهم[12] من العذاب والشدائد. **ناكسوا رءوسهم عند ربهم**، ندامةً وحسرة وحزنًا على ما كان منهم.

---

[1] ر م: احياء.
[2] جميع النسخ: يعلمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٧و.
[3] جميع النسخ: لا يقدر. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٣٧٠و.
[4] جميع النسخ: على ما يشاء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٥و.
[5] ر ث م - أي؛ ن: أي لا.
[6] ر ث م: لعدها؛ ن: لعددها. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] سورة مريم، ٨٤/١٩.
[8] ر ث م: لا يبقى في الجسد منه شيء.
[9] يشير إلى قوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة لِيَبْلُوَكم أيكم أحسن عملاً﴾ (سورة الملك، ٢/٦٧).
[10] م + شيء.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٥ و٨ و١٠ ممزوجًا، فقدمنا كل واحد إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٥٩٨و/ سطر٢-٦.
[12] ر ث م - بهم.

على مثل هذا يخرج التأويل، وإلا ليس في ظاهر الآية جواب قوله: **ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم**، فجوابه ما ذكرنا أو نحوه. **والله *أعلم***.

وقوله: **ربنا أبصرنا وسمعنا**، الآية،[1] هذا يخرج على وجهين. أحدهما قوله: **أبصرنا**، بالحجج والبراهين عِيانًا، بعد ما كنّا أبصرناها في الأولى بالدلالة،[2] **وسمعنا**، أي قبلنا وأجبنا، **فارجعنا**، إلى الأولى والمحنة،[3] **نَعْمَلْ صالحًا إنا موقنون**. والثاني **ربنا أبصرنا**، صِدقَ الرسل وأيقنّا بما وعدونا وأوعدونا في الدنيا، **وسمعنا** سماعَ[4] إيقان وعيانٍ، **فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون**. **والله *أعلم***.

**﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** [١٣]

وقوله: **ولو شئنا لآتينا كل نفس هُداها**، أي لو شئنا لآتينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم الاختيار لذلك لاهتدَوا. لكن لم يعطهم[5] ذلك اللطف لمّا لم يعلم منهم كون ذلك الاختيار.[6] وعلى قول المعتزلة: إنه[7] شاء أن يعطي كل نفس ما به اهتدت وقد أعطاها لكنها لم تهتد.[8] فقولهم مخالف للآية؛ لأنهم يقولون: شاء[9] أن يهتدي كل نفس وآتى كل نفس ما به تهتدي، لكنها لم تهتد. ولكنهم يقولون: المشيئة هاهنا مشيئة الجبر والقسر. فيقال لهم: زعمتم أنه قد شاء أن يهتدوا وآتاهم ما به يهتدون فلم يهتدوا ولم تَنْفُذ مشيئتُه، فأنى يقدر ويملك أن يشاء مشيئة تَقهرهم وتُجبرهم حتى يهتدوا، وكيف يؤمَن على ذلك؟ فذلك بعيد على قولكم. فيقال لهم أيضًا: إن الإيمان والتوحيد في حال القهر والقسر لا يكون إيمانًا، لأن القهر[10] والجبر يرفع[11] الفعل عن فاعله ويحوّله عنه، فكيف يصحّ تأويلكم على هذا؟

---

[1] جميع النسخ – الآية. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٥و.
[2] ر: بالدلائل.
[3] ن ث م: أو المحنة.
[4] ث: سمع.
[5] ر م: لم نعطهم.
[6] ن ث: واختياره.
[7] ر ث م – إنه.
[8] ر: لم نهتد.
[9] ن – شاء.
[10] ث: القسر.
[11] ن: يدفع.

وقوله: **ولكنْ حق القول مني لأملأن جهنم**، أي لكن وجب القول مني بما علمتُ[١] أنه يكون منهم ويَحدُث ما يستوجبون به[٢] جهنم، وهو ما علم منهم أنهم يختارون الرد والتكذيب. وقوله: **لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**، في هذه الآية دلالةُ أنه قد عصم ملائكته عن عمل[٣] ما يستوجبون به جهنّم بعد قوله: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[٤] حيث خصّ الجن والإنس فيما[٥] يملأ[٦] به[٧] جهنّم. فإن قيل: إنه قال في آية أخرى، وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً؟[٨] قيل: هم أصحاب النار في تعذيب غيرهم، وليسوا هم[٩] بأصحابها فيما ينتهي إليهم العذاب. ولله[١٠] أن يجعل ويمتحن من شاء[١١] على تعذيب من شاء. ***والله أعلم.***

**﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[١٤]

وقوله: **فذوقوا بما نسيتم لقاءَ يومكم هذا**، هذا النسيان الذي ذكر منهم ليس هو نسيانَ غفلة وسهو، لأنه لا كلفةَ تلزم في حال السهو والغفلة. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما نسيان[١٢] تضييع وتركِ تصديق الرسل بما أوعدوهم به وتكذيبهم وردُّ الحجج والآيات لذلك. والثاني **نَسيتم**، أي جعلتم ذلك كالمَنسيّ، لم يكترثوا إليه ولا عَبَأُوا به.

وكذلك يخرج قوله: **إنا نسيناكم**، على وجهين. أحدهما أي نجعلكم المنسيّ عن رحمته وفضله؛ لا يكترث [الله] إليكم[١٣] ولا يعبأ بكم كما جعلتم أنتم آياتِه وحججَه وما دعوكم [الرسل] إليه

[١] م: عملت.
[٢] ر - به.
[٣] ر: عمد.
[٤] سورة الأنبياء، ٢١/٢٩.
[٥] ر: فما.
[٦] جميع النسخ: يملئ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٩٧و.
[٧] جميع النسخ: بهما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٥ظ.
[٨] سورة المدثر، ٧٤/٣١.
[٩] ر: وليسوهم.
[١٠] ر: والله.
[١١] م: يشاء.
[١٢] ر ث م - نسيان.
[١٣] جميع النسخ - إليكم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٦و.

كالمنسيّ[1] المتروك الذي لا يُكترث إليه. والثاني **إنا نسيناكم**، أي نجزيكم جزاء نسيانكم وترككم[2] وتضييعكم. ويجوز تسمية الجزاء باسم أصله وأوّله وإن لم يكن الثاني في الحقيقة ما ذكر، نحوَ ما سُمِّي جزاء السيئة سيئة[3] وجزاءَ الاعتداء اعتداء،[4] وإن لم يكن الثاني في الحقيقة[5] سيئة ولا اعتداء، فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

وقوله: **وذوقوا عذاب الخُلد بما كنتم تعملون**، أي ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون وتعتقدون[6] المذهب للخلود والأبد، لأن كل ذي مذهب ودين إنما يعتقد[7] المذهب ويختاره للأبد، فعلى ذلك جعل تعذيبهم في النار للأبد. وأما من يرتكب المآثم والزلّات من المؤمنين فإنما يرتكب عند شدة الحاجة وغلبة الشهوة في وقت ارتكابه لا للأبد، لذلك افترقا.

**﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾**[١٥]

وقوله: **إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكّروا بها خرُّوا سُجّدًا**، يخرج قوله: **إنما يؤمن** / أي إنما[8] يحقّق الإيمان بالله وبآياته الذين إذا ذُكّروا بها[9] خرّوا سجدًا لله حقيقة. ثم يحتمل قوله:[10] **خرّوا سُجّدًا**، حقيقة السجود عند تلاوة الآيات التي فيها ذكر السجود. والثاني يكون ذكرُ خُرورِ الوجه والسجود كناية عن الخضوع له[11] والانقياد والاستسلام والقبول لها. [٥٩٨ظ]

---

[1] ر م – لم يكترثوا إليه ولا عبأوا به وكذلك يخرج قوله إنا نسيناكم على وجهين أحدهما أي نجعلكم المنسي عن رحمته وفضله لا يكترث إليكم ولا يعبأ بكم كما جعلتم أنتم آياته وحججه وما دعوكم إليه كالمنسي.

[2] ر م + أي نجعلكم المنسي عن رحمته وفضله لا يكترث ولا يعبأ [ر: لا يعبأ] بكم كما جعلتم أنتم آياته وحججه وما دعوكم إليه كالمنسي المتروك الذي لا يكترث إليه والثاني [م – والثاني].

[3] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٤٠).

[4] مثل قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة، ١٩٤/٢).

[5] ر م – ما ذكر نحو ما سمي جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الثاني في الحقيقة.

[6] جميع النسخ: ويعتقدون.

[7] ر م: يعتقدون.

[8] ر م – إنما.

[9] ر ث م – بها.

[10] جميع النسخ – قوله. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٦و.

[11] جميع النسخ: لها. والتصحيح من المرجع السابق.

فأحدهما على حقيقة السجود عند تذكير الآيات لهم والتلاوة عليهم، والثاني على الكناية عن القبول لها والاستسلام.[١] وإلا ليس من ذي مذهب من أهل الكفر من عبدة الأوثان وغيرهم إلا وهو يدّعي الإيمان بالله وبآياته، ويزعم أن الذي هو عليه هو الإيمان به و[أنه][٢] المؤتمر بأمره. ألا ترى أنه كيف أخبر عنهم، حيث قال: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا،[٣] كانوا يدّعون في جميع ما يعملون أن الله تعالى أمرهم بذلك وأنهم مؤمنون به مؤتمرون بأمره، فأخبر أنه إنما يحقق[٤] الإيمان بالله وبالآيات الذين إذا ذكّروا بها خرّوا سجدًا، لا أولئك[٥] الذين يدّعون ذلك وليسوا هم كذلك.

وقوله: **وسبَّحوا بحمد ربهم**، التسبيح هو تنزيه الرب وتبرئة له عن جميع ما قالت الملحدة[٦] فيه ونسبوه إليه مما لا يليق به، يقول: **وسبّحوا بحمد ربهم**، أي ذكروه بمحاسنه ومحامده وبرّءوه ونزّهوه عن جميع ما وصفه أولئك ونسبوه إليه. هذا -والله أعلم- هو التسبيح بحمده.

وقوله: **وهم لا يستكبرون**، لا أحد يخطر بباله أن يستكبر على الله أو على أمره ولكن كانوا يستكبرون على رُسله لِما لا يرونهم أهلاً لذلك. أو[٧] أن يكونوا يستكبرون على ما يُدعَون إليه ولا يجيبون لذلك.

**﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[١٦]**

وقوله: **تتجافى جنوبهم عن المضاجع**، رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنها نزلت في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن اختلفت[٨] عنه[٩] الروايات. ذكر في بعضها أنها نزلت في نفر من عُمّال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعملون بالنهار

---

[١] ن + لها.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٧ظ.
[٣] سورة الأعراف، ٢٨/٧.
[٤] ر م: يتحقق.
[٥] ر ث م: لأولئك.
[٦] ر م: الملاحدة.
[٧] ر م: و.
[٨] جميع النسخ + فيه.
[٩] ر م - عنه.

فإذا جَنّ[1] عليهم[2] الليل[3] اضطجعوا بين[4] المغرب والعشاء فناموا، فلما نزل هذا اجتنبوا عن ذلك.[5] وذكر[6] عنه أنهم كانوا يصلون[7] بين المغرب والعشاء، فنزلت الآية فيهم.[8] فإن كان هذا[9] فنزول الآية لذلك يخرج مخرج المدح لهم والثناء الحسن، وإن كان الأولَ فهو على النهي والتوبيخ لذلك. ثم اختلف أهل التأويل في تأويلها. قال بعضهم: هو التيقظ والصلاة فيما بين المغرب والعشاء الآخرة. ومنهم من يقول: هو التجافي عن المضاجع لصلاة العشاء والفجر يصليهما. ومنهم من يقول: تتجافى جنوبهم بذكر الله، كلّما استيقظوا ذكروا الله:[10] إما صلاةً وإما قيامًا وإما قعودًا، لا يزالون يذكرون الله. ومنهم من يقول: **تتجافى جنوبهم عن المضاجع**، قيامُ الليل والصلاة فيه، وهذا أشبه التأويلات، لأنه قال: **عن المضاجع**، والتجافي عن المضاجع إنما يكون في الوقت[11] الذي يضطجع فيه، وفيه يقع الامتداح والثناء الحسن، لأنه وقت الغفلة والنوم فيه، وأما سائر الأوقات ليس كذلك.[12] *والله أعلم*.

[٥٩٨ظ س٣٨] *قال أبو عَوْسَجة: **تتجافى جنوبهم**، أي لا يضعونها بالأرض، يقال تجافى جنبي إذا [٥٩٩و] لم يضطجع ولم يَنَمْ؛ وجافيتُ جنبي أي لم أُلزِقه بالأرض. وقال القُتَبي: / **تتجافى**، أي ترتفع [٥٩٩و س١] عن الأرض.[13]*

---

[1] ن: جنهم.
[2] ن – عليهم.
[3] ث + اطمأنوا.
[4] ن: من.
[5] روي عن أنس أنه قال: نزلت ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ في صلاة العشاء. وروي أيضًا عنه أنه قال: كنا نجتنب الفُرُش قبل صلاة العشاء. *التاريخ الكبير* للبخاري، ٣٤٤/٢؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٨٠/٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٩٠/١١.
[6] ن: وذلك ذكر.
[7] ن + ما.
[8] مصنف *ابن أبي شيبة*، ٢٦٩/٤؛ وسنن *أبي داود*، التطوع ٢٢؛ وتفسير *الطبري*، ٦٠٩/١٨-٦١١؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٢٩/٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٩١/١١-٦٩٢.
[9] ن – هذا.
[10] م: لله.
[11] ر م: وقت.
[12] ن: لذلك.
[13] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٦.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٨ظ/سطر٣٨-٥٩٩و/سطر١.

وقوله: **يدعون ربهم خوفًا وطمعًا**. يحتمل قوله: **يدعون ربهم**،[١] أي يعبدون ربهم، ويحتمل حقيقة الدعاء. ثم قوله: **خوفًا وطمعًا**، قال بعضهم: **خوفًا** من عذاب الله، **وطمعًا** في رحمته. أو أن يكون قوله: **خوفًا**، أي يخافون التقصير في العبادة، **وطمعًا**، أي يطمعون إحسانه وإفضاله[٢] في العفو والتجاوز. وهكذا عمل المؤمن[٣] بين الخوف والطمع؛ يخاف التقصير فيه ويطمع إحسانه. ذكر عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم [أنه] قال: «قال ربكم عز وجل: "وعزّتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له[٤] أَمْنَين؛ فإذا خافني في الدنيا أَمِنتُه يوم القيامة، وإذا أَمِنَني في الدنيا أَخفتُه يوم القيامة"»، ثم قرأ[٥] قوله: **يدعون ربهم خوفًا وطمعًا**،[٦] الآية.

*وعلى قول المعتزلة: **يدعون**[٧] **ربهم**، أمنًا وإياسًا، لا على الخوف والطمع على ما ذكر؛ [٥٩٨ظ س٣٥ لأنهم لا يخلو[٨] إما أن يكونوا أصحاب الصغائر أو أصحاب[٩] الكبائر. فإن كانوا[١٠] أصحاب الصغائر[١١] فهم آمنون[١٢] على قولهم، لأنه لا يسع له أن يعذّب على الصغيرة على قولهم. وإن كانوا من[١٣] أصحاب الكبائر فهم آيسون من رحمته إذ لا يسع له[١٤] أن يغفر [لهم][١٥] على قولهم. فقولهم[١٦] مخالف لظاهر الآية.* ٥٩٨ظ س٣٨]

---

[١] جميع النسخ + خوفا وطمعا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٦ظ.
[٢] ر ث م: إحسانه وإحسانه.
[٣] ر م + من.
[٤] ر ث م – له.
[٥] ث: قراء.
[٦] *كتاب الزهد* لابن المبارك، ٥١؛ و*نوادر الأصول* للحكيم الترمذي، ٢٠٢/١، ٢١٥، ٧٣/٢؛ و*صحيح ابن حبان*، ٤٠٦/٢؛ و*شعب الإيمان* للبيهقي، ٢٢٣/٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٠١/١٠.
[٧] ن + هم.
[٨] ر: لا يخلوا.
[٩] ن: وأصحاب.
[١٠] م: وإن كانوا.
[١١] ن – الصغائر.
[١٢] جميع النسخ: آمنوا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧و.
[١٣] ر ث م – إن كانوا من.
[١٤] ر ث م – له.
[١٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٨و.
[١٦] م – فقولهم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٨ظ/سطر٣٥-٣٨.

وقوله: **ومما رزقناهم ينفقون**، يحتمل الزكاة المفروضة، ويحتمل[1] صدقة التطوّع. وجائز أن يكون قوله: **ومما رزقناهم**،[2] من القوى والأسباب[3] السليمة، **ينفقون**، أي يعملون. ***والله أعلم***.

**﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[١٧]

وقوله: **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**، ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[4] قال: «قال ربكم: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطَرَ على قلبِ بشر"».[5] هذا عمل النفس أنها لا تعلم الأمثال إلا[6] ما أحسّت وعاينت وشاهدت، فأما العقل فإنه جائز أن يعلم ويخطر ما لم ير ولم يُحِسّ ولم ير له مثالاً. ***والله أعلم***.*

**﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾**[١٨] **﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[١٩] **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾**[٢٠]

وقوله: **أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوُون**. إن أهل التأويل يقولون: نزلت الآية في شأن علي بن أبي طالب والوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط، كان بينه وبين علي رضي الله عنه كلام وتنازع حتى قال له علي: إنك فاسق وأنا مؤمن، فنزلت الآية فيهم.[8]

---

[1] جميع النسخ + ينفقون. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧و.

[2] ث + ينفقون.

[3] ر: والأسبات.

[4] جميع النسخ – أنه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧و.

[5] *صحيح البخاري*، بدء الخلق ٨؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٢.

[6] جميع النسخ – إلا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧و.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآية السابقة ومقطع من تفسير الآية التالية برقم ١٩، فقدمنا كل واحد إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٥٩٨ظ/سطر٣٥-٥٩٩و/س١.

[8] روي أن الوليد بن عقبة قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أبسط منك لسانًا وأحدّ منك سِنانًا وأرَدُّ منك للكتيبة؛ فقال له علي رضي الله عنه: اسكت، فإنك فاسق. فأنزل الله فيهما: ﴿أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون﴾. انظر: *فضائل الصحابة* لأحمد بن حنبل، ٧٥٦/٢؛ و*تفسير الطبري*، ٦٢٥/١٨؛ و*الكامل* لابن عدي، ٢٨٠/٧؛ و*كتاب الأغاني* لأبي الفرج الإصفهاني، ١٤٠/٥؛ والدر المنثور للسيوطي، ٧٠٥/١١-٧٠٦.

لكن الآية في جميع المؤمنين والفاسقين، يخبر أن ليس بينهم استواءٌ. ثم جائز أن يكون ذَكَّر هذا ونَزَل لِقولٍ[١] كان من أولئك الكفرة الفسقة للمؤمنين:[٢] "إن منزلتنا ومنزلتكم وقدرنا وقدركم[٣] في الآخرة عند الله سواء"، فنزلت الآية لذلك أنهما ليسا بسواء، فبيّن منزلة المؤمن عند الله وقدره وما ذكر من الثواب له والكرامة ومنزلةَ الفاسق وما ذكر[٤] من الخلود في النار أبدًا، كقوله:[٥] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾[٦] الآية. أو يذكر ذلك على الابتداء: إنكم تعرفون في عقولكم أن ليس المؤمن المصدقَ لآخر[٧] في الشاهد في المنزلة والقدر عنده كالخارج عن أمره وكالمكذب له، فكيف تطمعون[٨] الاستواء عند الله وأنتم الفسقة الخارجون عن أمر الله، وأولئك[٩] الصادقون له؟ والله أعلم بذلك.

ثم[١٠] الخوارج والمعتزلة يقولون: لو كان الفاسق مؤمنًا على ما تقولون لم يكن لِما ذكر معنى، فدلّ أن الفاسق لا يكون مؤمنًا حيث ذكر أنهما لا يستويان، فإن[١١] المؤمن مأواه في الجنة والخلود له فيها، والفاسق مقامه في النار خالدًا[١٢] فيها على ما ذكر، فلو كان على ما تقولون لكانا يستويان، أو كلام نحو هذا.

فيقال لهم: إنا وأنتم نتفق أن هذا الفاسق المذكور في الآية ليس بمؤمن وأنه لا يستوي المؤمنَ، لأنه ذكر الفسق مقابل الإيمان. دليله آخِر الآية، حيث قال: **ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون**، ذَكَّر التكذيب، والتكذيب هو مقابل الإيمان والتصديق،

---

[١] ر: القول.

[٢] ر: المؤمنين. وعبارة السمرقندي هكذا: «ويحتمل أنه نزل هذا القول في جدال كان من أولئك الكفرة الفسقة للمؤمنين» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩٨و).

[٣] ر ث م - وقدركم.

[٤] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] جميع النسخ + الم أحسب الناس وكقوله. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧ظ.

[٦] ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتُهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الجاثية، ٢١/٤٥).

[٧] جميع النسخ - لآخر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧ظ.

[٨] ر: تطعمون.

[٩] ر ث م + هم.

[١٠] ر - ثم.

[١١] جميع النسخ: وان. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ر م: خالدين.

وكل فسق كان مذكورًا مقابل الإيمان والتصديق[١] فهو كفر وتكذيب، فهو[٢] لا يكون مؤمنًا. ولكن هاتوا فسقًا[٣] ذُكر لا[٤] مقابلَ الإيمان والتصديق[٥] ولكن مقابلَ غيره من العصيان والمساوئ، ويكون له هذا الوعيد المطلق[٦] الذي ذَكَر في هذه الآية.[٧] ألا يرى أن السوء[٨] المذكور مقابل الإيمان كفر، كقوله: وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ.[٩] فعلى ذلك الفسقُ المذكور مقابلَ الإيمان كفر لا يقع فيه استواء بحال. وأما الفسق المذكور لا مقابل الإيمان فجائز أن يقع فيهما استواء، وهو أن يغفر له ذنبه ويكفّر عنه سيئته[١٠] ويدخله[١١] الجنة، حيث قال: إِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ،[١٢] وقال في آية أخرى: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا،[١٣] وقال في آية أخرى: أُولٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا،[١٤] الآية، هو في مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء تجاوز عنه.

وأصحاب الحديث يقولون: إن جميع الطاعات إيمان بهذه الآية، لأنه قال: **أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقًا**، ثم فسر ذلك المؤمن، فقال: **أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى**، وعدهم الجنات بالإيمان وعمل[١٥] الصالحات. فيقال لهم:[١٦] إن الوعد المطلق هو لمن آمن وعمل الصالحات.

---

[١] جميع النسخ – والتصديق. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٧ظ.

[٢] ر: هو.

[٣] م: فاسقا.

[٤] ن: الا.

[٥] جميع النسخ – والتصديق. والزيادة من المرجع السابق.

[٦] ر ث م – المطلق.

[٧] جميع النسخ: في هذا. والتصحيح من المرجع السابق

[٨] ر م: السؤال.

[٩] سورة المؤمن، ٥٨/٤٠.

[١٠] ر م: سيئة.

[١١] ر ث م: ويدخل.

[١٢] سورة النساء، ٤٨/٤ و١١٦.

[١٣] سورة النساء، ٣١/٤.

[١٤] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وَعْدَ الصدقِ الذي كانوا يوعَدون﴾ (سورة الأحقاف، ١٦/٤٦).

[١٥] ن: وعملوا.

[١٦] ر ث م – لهم.

فأما من آمن ولم يعمل من الصالحات شيئًا لا نقول[١] بأن له ذلك الوعد المطلقَ، ولكن له الوعد الذي ذكرنا.

وفي الآية دلالة أن قد يعمل المؤمن غير الصالحات وهو مؤمن؛ لأنه لو لم يكن منه غير عمل الصالح[٢] لم يكن لشرط العمل الصالح له معنى، دل أن قد[٣] يكون من المؤمن غير العمل الصالح، وذلك على المعتزلة والخوارج.

*ونزلاً، من النزول، والنُّزُل ما يُجعل للرجل يأكله وينفقه.* [٥٩٩و س١]

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢١]

وقوله:[٥] **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر**، اختلف في العذاب الأدنى، قال بعضهم: هو القتل يوم بدر، ومنهم من يقول: هو الجوع في السنين التي كانت لهم فيها، والضيق والشدةُ،[٦] ومنهم من يقول: هو المصائب التي تصيبهم، وأمثال ذلك كثيرة. لكن عندنا[٧] ذلك العذاب ليس هو عذاب الكفر،[٨] لأن عذاب الكفر[٩] يكون في الآخرة أبدًا دائمًا لا زوال له[١٠] ولا انقطاع. فأما عذاب الدنيا فهو[١١] عذاب عنادهم وما يكون منهم من الجنايات في حال كفرهم، يعذّبون في الدنيا ليذكّرهم ذلك العذابُ العذابَ[١٢] في الآخرة: العذابَ الدائم، ليمنعهم عما به يعذَّبون في الدنيا عن عذاب الآخرة.[١٣]

---

[١] ر ث م: لأنا نقول.

[٢] ر م: الصالحات.

[٣] ر م - قد.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية السابقة برقم ١٧، فأخرناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٥٩٩و/سطر١.

[٥] ر م - وقوله.

[٦] عن مسروق عن عبد الله قال: إن قريشا لما استعصَوْا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بِسِنِين كسِنِي يوسفَ، فأصابهم قَحْط وجَهْدٌ حتى أكلوا العظام... (صحيح *البخاري*، التفسير، ٤٤-٢/٤٤؛ وصحيح *مسلم*، صفات المنافقين، ٣٩-٤٠.

[٧] ر ن م - عندنا.

[٨] ر: الكفرة.

[٩] ر: الكفرة.

[١٠] ر م - له.

[١١] جميع النسخ: لهم.

[١٢] ر م - العذاب.

[١٣] ث: ليمنعهم ما يعذبون في الدنيا عما به يعذبون في الآخرة. وفي *الشرح*: «يعذبون في الدنيا بها ليذكرهم ذلك العذاب العذاب الدائم في الآخرة فيمنعهم هذا العذاب عن مباشرة ما به استحقوا العذاب في الآخرة» (ورقة ٥٩٨ظ).

وكذلك ما أعطى لهم من اللذات والنعيم في الدنيا وإن كان[1] منقطعًا، ليذكرهم ذلك النعيم وتلك اللذات: لذات الآخرة ونعمها الدائمةَ. ولذلك رغّب الله خلقه[2] إلى طلب الآخرة وأخبر أن لهم فيها من اللذات كذا في غير آي من القرآن، حيث قال: وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ،[3] الآية، ونحوه كثير.[4] والعذاب الأكبر هو عذاب الآخرة، وهو عذاب الكفر والتكذيب.

وقوله: **لعلّهم يرجعون**، لكي تَلْزَمَهم[5] حجةُ الرجوع عما هم فيه من التكذيب، لئلا يقولوا: إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ.[6] *والله أعلم*.

**﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[٢٢]**

وقوله: **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها**. قوله: **ومن أظلم**، أي لا[7] أحدَ أظلمَ ممن ذكر بآيات ربه ووقع له[8] المعرفة والعلم أنها آيات ربه ثم أعرض عنها[9] بعد ما عرفها وعلم بها، ليس أحد / أظلم من ذلك. التذكير بآياته ما ذكرنا أنهم يُذكَّرون ليقع لهم بأنها آياته. ثم آياته[10] [٥٩٩ظ] تحتمل[11] آيات وحدانيته، أو آيات[12] الرسالة، أو آيات البعث، أو آياتِ القرآن. *والله أعلم*.

وقوله: **إنا من المجرمين منتقمون**، جرمهم هاهنا جرم كفر، ينتقم منهم انتقام الكفر والتكذيب.

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٢٣]**

وقوله: **ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه**، اختلف فيه. قال بعضهم: **لا تكن في مرية من لقائه**، أي من أن تَلقاه يوم القيامة. وقال بعضهم: فلا تكن في مرية من لقاء موسى التوراةَ، فإن الله ألقى الكتاب عليه –أي التوراة– حقًّا، فلقيها عِيانًا. وقال بعضهم:

---

[1] ت: أو إن كان.
[2] ر ث م: خلقها.
[3] سورة الزخرف، ٤٣/٧١.
[4] انظر مثلا: سورة فصلت، ٤١/٣١.
[5] جميع النسخ: يلزمهم.
[6] ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٧٢).
[7] ر م – لا.
[8] م – له.
[9] ن + قوله ومن أظلم أي لا أحد أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها.
[10] ر ث م – آياته.
[11] ر ث م: يحتمل.
[12] ر م: وآيات.

فلا تكن في مرية من لقائه ليلةَ أُسْرِيَ بك.[1] قد روي مثل هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد[2] أسري به[3] وعُرج[4] إلى السماء، فقال له موسى كذا وكذا أشياء، ذُكرت في أمر الصلوات[5] وغيره.[6] فلا ندري أ يثبت ذلك[7] أم لا، وإن ثبت[8] كيف كان ذلك؟ إنه أوحي له فقال ما ذكر، أو رأى[9] ذلك في المنام –ورؤيا الأنبياء حق–، أو كيف كان الأمر؟[10] والله أعلم.

وقوله: **وجعلناه هدى لبني إسرائيل**، قال بعضهم: جعلنا موسى هدى لبني إسرائيل، يجعل "الهاء" كناية عن موسى. وقال بعضهم: **وجعلناه**، أي الكتاب الذي آتى موسى هدى لبني إسرائيل. ثم يحتمل قوله: **هدى لبني إسرائيل**، وجهين. أحدهما البيان، أي جعلناه بيانًا لهم، يبيّن ما لهم وما عليهم وما لله[11] عليهم. والثاني، **هدى لبني إسرائيل**، أي دعاءً لبني إسرائيل يدعون الخلق به إلى توحيد الله وألوهيته. الهدى المضاف إلى الخلق يخرج على هذين الوجهين: على البيان والدعاء. والهدى المضاف إلى الله يخرج على وجوه أربعة: على البيان، وعلى الدعاء اللذين[12] ذكرنا أيضًا، وعلى وجهين آخرين؛ أحدهما التوفيق والمعونة، والثاني على خلق فعل الاهتداء منهم. على هذه الوجوه الأربعة يخرج إضافة الهدى إلى الله، وإلى الخلق على الوجهين اللذين ذكرناهما.

فإن قيل: كيف خص موسى أنه جعله هدى لمن ذكر، وذلك قد يكون في غيره، وهو ما جعل في خلقة كل أحد شهادة وحدانيته وألوهيته؟ قيل: ذلك إنما يدرك بالنظر والتفكر، وأما فيما ذَكَر يدرك بالبديهة. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: به.
[2] ر م: وقد.
[3] ر ث م – به.
[4] ر ث م: وأعرج.
[5] ر م: الصلاة.
[6] صحيح *البخاري*، الأنبياء ٥؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٦٣.
[7] ن – ذلك.
[8] جميع النسخ: أو إن ثبت. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٨ظ.
[9] ر م: ذكر وارى.
[10] ر ث م: لأمر الله.
[11] ر: الله.
[12] جميع النسخ: الذي.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢٤]

وقوله: **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا،** أي قادةً في الخير. يحتمل قوله: **يهدون بأمرنا،** أي يدعون الناس بما أمرناهم[١] وهو التوحيد. أو، **يهدون،** أي يبينون لهم بالذي أمرنا ما لهم وما عليهم.

وقوله: "لِما صبروا"، قال بعضهم: أي بما صبروا على البلاء وتعذيب فرعون إياهم وأذاه إياهم. أي آمنوا ودعوا غيرهم إلى ذلك على الخوف، كقوله: فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِمْ [أَنْ يَفْتِنَهُمْ]،[٢] الآية. وقال بعضهم:[٣] لِما صبروا على الطاعات. وقد قرئ، **لَمّا صبروا،** بالتشديد،[٤] ومعناه -والله أعلم-:[٥] إنما يهدون لما كان منهم الصبر على ذلك، أي بالصبر الذي كان منهم هَدَوْا أولئك. *وقال بعضهم: **لمَا صبروا،** أي لم يركنوا إلى الدنيا ولا اشتغلوا بها ولكن صبروا على ما أمروا[٦] وكُلِّفوا. ***والله أعلم.****

وقوله: **وكانوا بآياتنا يوقنون،** أنها من الله وأنها آياته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٢٥]

وقوله: **إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون،** إن أهل الأديان جميعًا والمذاهبِ على اختلاف أديانهم ومذاهبهم اتفقوا أن الدين الذي جاء من الله واحد، وأن الدين الذي أمر الله أن يدينوا به واحد. لكن كلًّا منهم ادعى أن الذي هو عليه دين الله، وأن الأمر به من الله وقع على ما يدين هو به، وغيره على باطل على غير دين الله الذي أمر بالديانة به، ولذلك قال:[٨] وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً،[٩] الآية. فأخبر أنه يفصل بينهم ويبيّن الدين الذي أمر

---

[١] ر ث م: بما أمرهم.
[٢] سورة يونس، ٨٣/١٠.
[٣] م - بعضهم.
[٤] «قرأ حمزة والكسائي ورُوَيْس عن يعقوب ﴿لِمَا﴾ بكسر اللام وتخفيف الميم، وقرأ الباقون ﴿لَمَّا﴾ بفتح اللام وتشديد الميم» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٥٤).
[٥] ر ن م + أي.
[٦] ر: على أمروا.
* قد ورد ما بين النجمتين في جميع النسخ بعد قوله: «وقوله وكانوا بآياتنا يوقنون أنها من الله وأنها آياته»، فقمنا بالتقديم والتأخير لكونه أنسب.
[٨] جميع النسخ: قالوا.
[٩] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).

أن يدينوا به في الدنيا بيانَ الاحتجاج عليهم، وإلا قد أبان لهم وأظهر الدين الذي أمرهم أن يدينوا به بالحجج والآيات، وعرفوا[١] ذلك، لكنهم كابروا وعاندوا[٢] وكتموا ذلك ولبّسوا على الناس والأتباع، فيبيّن ما كتموا في الدنيا ولبّسوا في الآخرة، فيظهر عنادهم ومكابرتهم احتجاجًا عليهم، وإن كان الحق قد بان لهم وظهر في الدنيا. هذا -والله أعلم- يشبه أن يكون تأويلَ الآية.

**﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾[٢٦]**

وقوله: **أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم**، يقول -والله أعلم-: أولم يبيّن لأهل مكة ولم يَكْفهم من الهداية والبيان ما أهلكنا من قبلهم من القرون التي[٣] يمشون ويمرّون[٤] في مساكنهم فيرون ما حلّ بهم ومن أُهلك ومن نجا منهم. فيقع الاعتبار لهم بمن ذَكَر من وجهين. أحدهما زعموا أن آباءهم على ما هم عليه وأنهم يقلّدونهم في ذلك وأنهم أمروا بذلك، فيخبر أنهم[٥] أولاد من نجا منهم لا أولاد من أُهلكوا؛ لأنهم استُؤْصِلوا، فلا يحتمل أن يكونوا[٦] أولاد من استؤصلوا، فدل أنهم أولاد من نجا منهم، وإنما نجا منهم المصدِّق لا المكذِّب. فيخبر أن كيف لا اتبعتم آباءكم الذين نجوا منهم وهم المصدقون دون الذين أهلكوا بالتكذيب والعناد. والثاني يعتبرون فيعلمون أن إهلاكهم واستئصالهم كان للتكذيب والعناد مع الرسل والخلاف لهم، فيمنعهم ما حلّ بهم بالتكذيب والخلاف للرسل عن تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفتهم[٧] إياه.

وقوله: **إن في ذلك لآيات أفلا / يسمعون**، قال بعضهم: أفلا يبصرون ذلك حيث يمشون [٦٠٠و] في مساكن أولئك ويمرّون فيها. وقال[٨] بعضهم: أفلا يسمعون ما يُحَدَّث لهم عن أولئك وما حلّ بهم وبم نزل ذلك بهم. وقال بعضهم: **أفلا يسمعون**، أفلا يعقلون لماذا أهلكوا واستؤصلوا[٩]

---

[١] جميع النسخ: وعرفود. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٤٩و.
[٢] ر: أو عاندوا.
[٣] ر م - التي؛ ن ث: الذين. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٤٩ظ.
[٤] ر م - ويمرون.
[٥] جميع النسخ: أنكم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] م: أن تكونوا.
[٧] جميع النسخ: ومجادلتهم. والترجيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث: قال.
[٩] ر: او استأصلوا؛ م: او استؤصلوا.

فيمتنعون عن ذلك، [كناية السمع عن العقل،][1] كقوله: [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ، الآية].[2] وقال بعضهم: أفلا يسمعون[3] الوعيد الذي أوعد لهم. وقيل: أفلا يسمعون[4] التوحيد. *والله أعلم*.

**﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾**[٢٧]

وقوله: **أولم يروا أنّا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز فنخرج به زرعًا**، إلى آخر ما ذكر، هذه الآية ذكرت في الاحتجاج عليهم لإنكارهم البعث، والأولى ذكرت لإنكارهم نزول العذاب بالتكذيب والخلاف للرسل. فيخبرهم[5] أن من قدر على سوق الماء إلى الأرض الميتة اليابسة وإحيائها لَقادرٌ على إحيائكم بعد الموت؛ إذ الأعجوبة والقدرة في إحياء الأرض الميتة اليابسة إن لم تكن[6] أكثر فلا تكون دون ما أنكروا، فكيف أنكرتم القدرة على إحياء الموتى وقد عاينتم ما هو أكثر أو مثلُه. و **الأرض الجرز**، قال أبو عَوْسَجَة: هي التي لا نَبْت فيها، وأَرَضون أجراز، وأرض أجراز. وكذلك قال القُتَبِي: **الأرض الجرز**، اليابسة التي لا نبْت فيها، وجمعها[7] أجراز. ويقال: سِنون[8] أجرازٌ إذا[9] كانت سِنِي جَدْب.[10] وقال بعضهم: **الأرض الجرز**، هي[11] التي تأكل نباتَها[12] أي يحترق فيها، يقال: امرأة جرزاء إذا كانت أَكولة، أو كلام نحوه.

**تأكل منه**، من الزرع الذي ذكر أنه يخرج من الأرض اليابسة بالماء، **أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون**، قدرته في إخراج ما ذكر مما فيه غذاؤكم وغذاء ما سخر لكم من الأنعام.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٩و.

[2] ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (سورة الحج، ٤٦/٢٢). الزيادة مستفادة من تفسير الآية ٧١ من سورة القصص.

[3] ر: يستمعون.

[4] ر: يستمعون.

[5] ن ث: فيخبر.

[6] ر ن م: إن لم يكن.

[7] ن: وجمعه.

[8] م: سنوان.

[9] ث: اذ.

[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٧.

[11] ر م – هي.

[12] أي كأن الأرض تأكل النبت أكلاً. انظر: *لسان العرب*، «جرز».

أو يذكر نعمه فيقول:[١] أفلا تبصرون[٢] نعمه، فكيف تكفرونه وتعبدون غيره وتصرفون الشكر إلى غيره. وذكر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: الأرض الجرز التي لا نبات فيها.

**﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢٨] ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[٢٩]**

وقوله: **ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين**، قال بعضهم: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون ويتحدثون: إن لنا يومًا أوشَك أن نستريح فيه ونتنعم فيه -يَعْنُون يوم القيامة-، فقال كفار مكة: **متى هذا الفتح**، وهو القضاء، **إن كنتم صادقين**،[٣] بأنه كائن، فإن كان البعث ويوم[٤] القيامة حقًّا صدّقنا يومئذ وآمنّا. فأنزل الله تعالى: **قل**، يا محمد لهم، **يومَ الفتح**، أي[٥] يوم القضاء، **لا ينفع الذين كفروا إيمانهم** بالبعث، لقولهم: لو كان البعث الذي يقولون حقًّا صدّقناه[٦] يومئذ، **ولا هم ينظرون**، يقول: لا يناظر بهم بالعذاب حين يعذَّبون.[٧]

وقال بعضهم: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتذاكرون -وهم بمكة- فتح مكة لهم، فكان ناس من أهل مكة إذا سمعوا ذلك منهم هَزَءُوا بهم وسَخِروا، ويقولون لهم: متى فتحكم الذي تزعمون؟ فنزل: **ويقولون متى هذا الفتح**، يا أصحاب محمد، **إن كنتم صادقين**، أنها تفتح عليكم. لكن هذا بعيد؛ لأنه يقول على إثره: **قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولاهم ينظرون**، ولو كان فتحَ مكة[٨] لكان ينفعهم إيمانهم ولهم نَظِرة[٩] وإنظار. دل أنه يَبعد صرفه إلى فتح مكة؛ والأول أشبه أن يكون لما ذكر من ترك قبول الإيمان والإنظار، وفي الدنيا[١٠] يقبل ذلك كلّه، فظهر أن الأول أشبه: كان السؤال عن الساعة أو عن المحاكمة.

---

[١] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٠و.
[٢] ن: يبصرون.
[٣] *تفسير الطبري*، ٦٤٤/١٨؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٣١١١/٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧١٢/١١-٧١٣.
[٤] ر ث م - يوم.
[٥] جميع النسخ - أي. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٠و.
[٦] ن: صدقنا.
[٧] وفي *الشرح*: «لا يتأخر لهم العذاب حتى يعبدوا» (ورقة ٥٩٩و - ٦٠٠ظ). وفي تفسير الآية ١٦٢ من سورة البقرة: «لا يناظرهم خُزّان النار بالعذاب».
[٨] ث - مكة.
[٩] النَّظِرة الانتظار والتأخير.
[١٠] م: في الدنيا.

إلا أن يثبت ما ذكر في الخبر أنه لما فتح [الله][1] مكة أقام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ذلك اليوم، وانهزم المشركون فخرجوا من مكة، وأقام من أقام بها فأمّنه النبي صلى الله عليه وسلم. فأَدْلج خالد بن الوليد تلك الليلة دُلْجَةً في سَبْعَمِائَةِ رجلٍ ومعه أبو قتادة الأنصاري، فأَسرُوا في أسفل مكة حتى سقطوا من وراء الحرم، فوجدوا الذين كانوا يهزءون بأصحاب محمد -ويقولون: متى فتحكم[2] هذا- فوق جبل قد تحصنوا فيه. فلما رأوا[3] خالد بن الوليد قالوا: هذا[4] خالد بن الوليد وإِحْنَتُه، وقد كان بينه وبينهم في الجاهلية إحنة.[5] فقال لهم خالد بن الوليد: ما لكم؟ قالوا: قد أسلمنا. قال: إن كنتم قد أسلمتم فانزِلوا. فنظر بعضهم إلى بعض، فقال رجل منهم: أطيعوني ولا تنزلوا إليه، فوالله لئن نزلتم إليه ليُهلكنكم، إنه لخالد بن الوليد وإحْنَتُه. قالوا: والله ما علينا سبيل لقد أسلمنا. ثم نزلوا، ووضع خالد بن الوليد عليهم[6] السلاح، واعتزل أبو قتادة فقال: معاذَ الله أن أُعِينَ على شيء مما هاهنا. فبلغ ذلك النبي، فبعث[7] إليهم علي بن أبي طالب بالدية من غنائم خَيْبَرَ فوداهم الدية،[8] حتى بعث إليهم بِرَوْعَة الخيل حين راعَوهم،[9] ومِيلَغَةَ[10] الكلاب كانوا كسروها، فوداهم[11] رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء لهم، فذلك قوله: **قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون.**[12]

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٩ظ.

[2] ر: فيحكم.

[3] ث: روا.

[4] ث - هذا.

[5] ر م: إحنته.

[6] ر ث م: ووضع عليهم خالد بن الوليد.

[7] ر: افبعث.

[8] جميع النسخ: فوداهم إليه بالدية. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٠ظ.

[9] الروعة: الفَزعة، وأعطاهم بروعة الخيل، يريد أن الخيل راعت نساءهم وصبيانهم فأعطاهم شيئًا لما أصابهم من هذه الروعة. (*لسان العرب*، «روع»).

[10] ر ث م: ومساقى؛ ن: ومساقى. والتصحيح من مصادر الرواية. والمِيلَغة: الإناء الذي يَلَغُ فيه الكلب، يعني أعطاهم قيمة كلّ ما ذهب لهم حتى قيمة الميلغة (*لسان العرب*، «ولغ»).

[11] ر: فوادهم.

[12] *السيرة النبوية* لابن هشام، ٢/٤٢٨-٤٣٠؛ و*كتاب الأغاني* للإصفهاني، ٧/٢٨٥؛ و*بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٣/٣٣-٣٤؛ وشرح *السير الكبير* للسرخسي، ١/١١٨، ١٨١. وروي عن ابن عمر قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني - أحسبه قال- جَذِيمَة فدعاهم إلى الإسلام فلم يُحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فجعلوا يقولون صَبَأْنَا صبأنا، وجعل خالد بهم أسرا وقتلا. قال: ودفع إلى كل رجل منا أسيرا حتى إذا أصبح يوما أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، قال ابن عمر: فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره. قال: فقدموا على النبي صلى الله عليه و سلم فذكروا له صنيع خالد، فقال النبي صلى الله عليه و سلم ورفع يديه: «اللّهم إني أَبْرَأُ إليك مما صَنَعَ خالد» مرتين. *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/١٥٠-١٥١؛ و*صحيح البخاري*، المغازي ٥٨؛ و*سنن النسائي*، آداب القضاة ١٧.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾[٣٠]

**فأعرض عنهم**، يا محمد إلى مدة لهم، **وانتظر**، بهم العذاب، أي القتل وهلاكهم، **إنهم منتظرون** هلاككم. وقال بعضهم: فأعرض عنهم إلى ذلك اليوم، وانتظر[1] فتح مكة، إنهم منتظرون هلاكك. أو أن يكون قوله: **فأعرض عنهم**، أي لا تكافئهم[2] لأذاهم إياك، **وانتظر**، مكافأتنا[3] إياهم، **إنهم منتظرون** ذلك. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ + بهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٠ظ.

[2] ر ن ث: لا تكافهم.

[3] ر: مكافاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الأحزاب[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾**[١]

قوله[2] عز وجل: **يا أيها النبيّ اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين**، جائز أن يكون ظاهر الخطاب -وإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم-[3] للناس عامًّا. ألا يرى أنه قال على إثره: وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ / رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا،[4] خاطب به الجماعة. وقد خاطب [٦٠٠ظ] رسوله في غير آي من القرآن والمراد به غيره، فعلى ذلك جائز أن يكون هذا كذلك. ويشبه أن يكون المراد بالخطاب أيضًا هو[5] خاصة. لكن إن كان ما خاطب به مما يشترك فيه غيره دخل [الناس] في ذلك الخطاب وفي ذلك النهي، وإن كان مما يتفرد به -من نحو[6] تبليغ الرسالة إليهم وما تضمنته الرسالة[7] وإن خاف على نفسه القتل والهلاك- فإن ذلك له،[8] لا[9] [يدخل غيره في الخطاب]،[10] كقوله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ،[11] الآية.

---

[1] ر – سورة الأحزاب؛ ن: ذكرت أن سورة الأحزاب بالمدينة؛ ث + وهي سبعون وثلاث آيات مكية؛ م + نزلت بالمدينة.

[2] ن: وقوله.

[3] جميع النسخ + فهو.

[4] الآية التالية.

[5] ر ث م – هو.

[6] م – نحو.

[7] ر ث م – الرسل.

[8] جميع النسخ: فإن عليه ذلك. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٩٩ظ.

[9] جميع النسخ + محالة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥١و.

[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٩٩ظ.

[11] ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ (سورة المائدة، ٦٧/٥).

وأما أهل التأويل فمِمَا اختلفوا فيه. قال بعضهم: نزلت الآية في نفر،[1] وذلك أن نفرًا من أهل مكة -[وهم] أبو سفيان بن حَرْب وعكرمة بن أُبي جهل وأبو الأَعْوَر السُّلَمي وهؤلاء- قدِموا المدينة فدخلوا على عبد الله بن أبيّ رأس[2] المنافقين بعد قتلى أُحد، وقد أعطاهم النبي الأمان على أن يكلّموه، فقالوا للنبي وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ارفِض ذكر آلهتنا اللّات والعزّى ومناةَ،[3] وندَعك وربّك، فشقّ ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآية: **يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين**، وفيهم نزل: وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ.[4] وفي بعض الروايات: قالوا ذلك وعنده عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله ائذن لي[5] في قتلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني قد أعطيتهم الأمان».[6] فإن كان على هذا فالنهي عن نقض العهد والأمان، وإن كان على الأول فالنهي عن اتباع ما طلبوا منه من رفض آلهتهم والعبادة[7] لها. وبعضهم يقولون: إن أهل مكة -نحو شَيبة بن ربيعة وهؤلاء- قالوا له: إنا نعطيك يا محمد كذا كذا من المال ونزوّجك امرأة كذا[8] كثيرة المال فارفِضنا وآلهتنا، وإلا قتلتك المنافقون فلان وفلان،[9] عَدّوا نفرًا، فأنزل الله تعالى الآية في ذلك بالنهي عن اتباع ما طلبوا منه ودعوه إليه وأمره بالتوكّل على الله في ترك الاتباع لهم.[10] وأصله ما ذكرنا أن النهي إن[11] كان له خاصة فيما ذكر فهو وإن كان معصومًا فالعصمة لا تمنع الأمر والنهي، بل العصمة إنما تنفع[12] إذا كان ثمّة نهي وأمر،[13] إذ لولا النهي والأمر لكان لا معنى للعصمة ولا منفعة لها. **والله أعلم**.

---

[1] جميع النسخ – في نفر. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥١و.

[2] ر م: رأيس.

[3] ر ث م: ومنات.

[4] سورة الأحزاب، ٤٨/٣٣.

[5] ر ث + يا رسول الله؛ ن: يا رسول الله لي يا رسول الله.

[6] انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣١/٣-٣٣؛ و*معاني القرآن* للفراء، ٣٣٤/٢؛ و*النكت والعيون* للماوردي، ٣٦٩/٤؛ و*أسباب النزول* للواحدي، ٢٦٣-٢٦٤؛ و*تفسير القرطبي*، ٥٠/١٧.

[7] ن: العبادة.

[8] جميع النسخ: ونزوجك كذا كذا امرأة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥١و.

[9] ر: فلان.

[10] *النكت والعيون* للماوردي، ١٩٩/٥؛ و*تفسير القرطبي*، ٤٥٦/١٨؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٢٠٦/٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧١٨/١١.

[11] جميع النسخ: وإن.

[12] ر ن م: ينفع.

[13] ن: أمر ونهي.

وقوله: **اتق الله**، في ترك تبليغ الرسالة إليهم، **ولا تطع الكافرين والمنافقين**، في اتباع ما دعوك إليه وطلبوا منك أو في غيره. **إن الله كان عليمًا حكيمًا**، عليمًا[١] بما كان ويكون منهم، أي على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد عليك بَعْثك لا على جهل؛ حكيمًا في ذلك، أي بَعْثه إياك إليهم على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد لا يخرجه عن الحكمة، ليس كملوك الأرض، إذا أرسل بعضهم إلى بعض رسالات وهدايا على علم من المرسِل أن المبعوث إليه يردّ الرسالة والهدية يكون سفهًا، لأنهم إنما[٢] يَبعثون ويرسلون لحاجة أنفسهم، أعني أنفسَ المرسِلين، فإذا أرسلوا على علم منهم بالرد والتكذيب كان ذلك[٣] سفها[٤] خارجا عن الحكمة. فأما الله سبحانه إنما يرسل الرسل ويبعثهم لمنفعة أنفسهم وحاجتهم، فعلمه بالرد والتكذيب[٥] لا يخرجه عن الحكمة.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[٢]

وقوله: **واتبع ما يوحى إليك من ربك**، هذا يحتمل الخصوص له[٦] على ما ذكرنا. ويحتمل العموم على ما ذَكَر[٧] في آية أخرى: اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ،[٨] يدل على ذلك قوله: **إن الله كان بما تعملون خبيرًا**، خاطب به الكل -والله أعلم- وهو ما ذكرنا أنه على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾[٣]

وقوله: **وتوكل على الله**، أي اعتمد على الله في تبليغ الرسالة ولا تَخَفْ أذاهم. **وكفى بالله وكيلًا**، أي حافظًا يحفظك ويمنعهم عنك، كقوله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[٩]

---

[١] ن - عليما.
[٢] ر م - إنما.
[٣] ر م - ذلك.
[٤] ث + لأنهم إنما يبعثون ويرسلون لحاجة أنفسهم.
[٥] ن: بالتكذيب.
[٦] ن ث + به.
[٧] ر ث م: على ما ذكرنا.
[٨] سورة الأعراف، ٣/٧.
[٩] سورة المائدة، ٦٧/٥.

﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [٤]

وقوله: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**، يقول بعض أهل التأويل:[١] إنها نزلت في رجل يقال له[٢] أبو مَعْمَر، وكان من أحفظ الناس وأوعاهم، فقالوا: إن له قلبين، قلب يسمع وقلب يحفظ ويعِي، فنزل: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.** ويقول بعضهم كذلك: إنها نزلت في أبي مَعْمَر وكان يسمّى ذا قلبين لحفظه الحديث، حتى إذا كان يومُ بدر وهُزم المشركون وفيهم أبو معمر، تلقّاه[٣] أبو سفيان بن حرب وهو معلِّق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر[٤] ما فعل الناس؟ قال: انهزموا. فقال له: ما بال نعلك في يدك والأخرى في رجلك؟ فقال: ما شَعَرت إلا أنهما جميعًا في رجلي. فعرفوا بذلك أنه[٥] لو كان له قلبان ما نسي نعله في يده.[٦] ونحوَه قد قيل، ولكن لا ندري ما سبب نزول هذا. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية، فقال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلّي يومًا فخَطَر خَطْرة -أي وقع في قلبه-[٧] فقال المنافقون الذين يصلّون معه: ألا يرى[٨] أن له قلبين، قلبًا معكم وقلبًا معهم، فأنزلت هذه الآية.[٩] وهذا يشبه أن يكون سبب نزول الآية. أو أن يكون نزولها[١٠] في المنافقين، وذلك أنهم كانوا يصلّون مع النبي والمؤمنين، ويُرُونَ الموافقة لهم من أنفسهم ويقولون: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ،[١١]

---

[١] ر م + كذلك.

[٢] ر م – له.

[٣] ر م: يلقاه؛ ن: فلقاه.

[٤] م: يا با معمر.

[٥] جميع النسخ: فعرفوا يومئذ أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٢و.

[٦] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٣٤؛ و*معاني القرآن* للفراء، ٢/٣٣٤؛ و*المستدرك* للحاكم، ٣/٣٣٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٧٢٠.

[٧] «صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فسها فيها فخطرت منه كلمة فسمعها المنافقون فأكثروا فقالوا: إن له قلبين، ألم تسمعوا إلى قوله وكلامه في الصلاة؟ إن له قلبًا معكم وقلبًا مع أصحابه» (*الدر المنثور* للسيوطي، ١١/٧٢٠؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ٢١/١٤٤).

[٨] ر ث م: ألا ترى.

[٩] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢٦٨؛ و*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٣٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٩/٧؛ و*شرح مشكل الآثار* للطحاوي، ٨/٤٤٥.

[١٠] ر م: نزول؛ ن ث: نزوله.

[١١] سورة المنافقون، ٦٣/١.

ثم يرجعون إلى أولئك الكفرة[1] فيقولون: إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ،[2] ونحوه، فنزل[3] هذا: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**، أي دينين في جوفه: الإيمان والنفاق. / أو، **قلبين في جوفه**، [٦٠١و] قلبًا لهذا وقلبًا للآخر. أو نزلت في المشركين الذين يقرون بالوحدانية لله وأنه هو الخالق، كقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ،[4] ويعبدون الأصنام مع هذا. فيقول[5] -والله أعلم-: لم يجعل لرجل قلبين في جوفه، قلبًا للشرك وقلبًا للإيمان والتوحيد -أي قلبًا لقبول الشرك وقلبًا لقبول الإيمان- ولكن جعل قلبًا واحدًا لأحد هذين.[6]

وبعضهم يقول: هو على التمثيل، أي كما لم يجعل لرجل واحد قلبين فكذلك[7] المظاهِر[8] من امرأته لا تكون[9] امرأته[10] أمّه في الحرمة، ولا يكون دَعِيّ الرجل ابنه. [وبعضهم] يقول: نزل في النبي وزيد بن حارثة. كان النبي تبناه وكانوا[11] يسمّونه زيد بن محمد، فجاء النهي[12] عن ذلك، فقال: **وما جعل أدعياءكم أبناءكم**، إلى هذا يذهب[13] عامة أهل التأويل.[14] وبعضهم يقول: تأويل قوله: **وما جعل أدعياءكم أبناءكم**، أي لم يجعل لرجل نَسَبين ينسب إليهما.

---

[1] ر م - الكفرة.

[2] سورة البقرة، ٢/١٤.

[3] جميع النسخ: فذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٠و.

[4] سورة لقمان، ٣١/٢٥؛ وسورة الزمر، ٣٩/٣٨.

[5] ر ث م: فنقول.

[6] جميع النسخ: قلبا للشرك وقلبا للإيمان والتوحيد ولكن جعل قلبا واحدا [ن - قلبا واحدا] لأحد هذين أي قلبا لقبول الشرك وقلبا لقبول الإيمان. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٢و.

[7] جميع النسخ + لا يكون.

[8] ر: الظاهر.

[9] جميع النسخ: لا يكون.

[10] م - امرأته.

[11] ر ث م: كانوا.

[12] ر: النبي.

[13] ر ث م: مذهب.

[14] وعبارة *الشرح* هكذا: «وقال بعضهم: هذا على التمثيل، أي كما لا يجعل لرجل واحد قلبان فكذلك لا تكون المرأة المظاهَر منها أمًّا للمظاهِر في الحرمة، ولا يكون دعي الرجل ابنه، وذلك قوله: ﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾. إلى هذا ذهب عامة أهل التأويل أن الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة، كان النبي صلى الله عليه وسلم تبناه وكانوا يسمونه زيد بن محمد، فجاء النهي عن ذلك» (ورقة ٦٠٠و).

[٦٠٣ظ س٢ * قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: **أَدْعياءَكم**، من تبنّيتموه واتخذتموه[1] ولدًا[2] ما جعلهم[3] بمنزلة الصُّلب، وكانوا يورِّثون من أَدَّعوه.[4] **ذلكم قولكم بأفواهكم**، أي[5] قولكم على التشبيه والمجاز ٦٠٣ظ س٤] ليس على التحقيق، **والله يقول الحق**.[6]*

وأصله عندنا أن قوله: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**، ما ذكرنا. ولم يجعل أزواجكم اللائي تستمتعون[8] بهن بالتشبيه بالأمهات كالأمهات، أي لم يُحلَّ لكم ذلك ولم يُبح ولم يَشرعْ. **وما جعل أدعياءكم أبناءكم**، أي لم يجعل سبب ذلك ولم يشرع، وإن كان قد يكون في النسب الفاسد، نحو الجارية بين اثنين إذا ولدت فادّعياه جميعًا،[9] ونحو النكاح الفاسد والمُلْك الفاسد لم يَجعل كذا أي لم يُحلّ ولم يَشرع، [و] كقوله: مَا جَعَلَ اللّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ،[10] أي لم يشرع ولم يحلّ[11] ذلك، وإن كان يكون لو فعلوا. فعلى ذلك قوله: **وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم [وما جعل أدعياءكم أبناءكم]**،[12] أي لم يَشرع ذلك السبب ولم يُحِلّ[13] في الإسلام ما كان في الجاهلية، لا أنه لا يكون ذلك فيما لم يُشرع في الفاسد من السبب، على ما ذكرنا أن النسب ثبت في النكاح الفاسد وإن لم يُشرَع. والحسن يقول في قوله: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**، قال: كان الرجل يقول: إن نفسًا تأمرني بكذا ونفسًا تأمرني بكذا، فنزل ذلك.[14]

---

[1] ن - واتخذتموه.
[2] ن: ولذا.
[3] ر م: جعلتم.
[4] جميع النسخ: من ادعوا. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨.
[5] جميع النسخ: ان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٨.
[6] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٣ظ/سطر٢-٤.
[8] ر: تستمعون؛ ن: يستمتعون.
[9] «أرأيت أمة بين رجلين ولدت ولدًا فادّعياه جميعًا، أ يثبت نسبه منهما؟ قال: نعم» (*كتاب الأصل* للإمام محمد بن الحسن الشيباني، ٤/٣٠٠).
[10] ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وَصيلة ولا حَامٍ ولكنّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (سورة المائدة، ١٠٣/٥).
[11] ن: لم يحل.
[12] الزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٢ظ.
[13] جميع النسخ + ذلك.
[14] *تفسير عبد الرزاق*، ٣١/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٨/١٩؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٣١١٢/٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧١٩/١١.

والحكمة فيما لم يَجعل لواحد قلبين وجعل له سمعين وبصرين لأن الإدراك بالسمع والبصر إنما يكون بالمشاهدة فيخرج ذلك مخرج معاونة بعضهم بعضًا، وما يدرك بالقلب[١] إنما يدرَك بالاجتهاد،[٢] وقد يختلف القلبان فيما يجتهدان في شيء، فيُنَاقِض أحدهما صاحبَه، إذ يجوز أن يرى أحدهما خلاف ما يراه الآخر. وأما السمعان والبصران لا يكون[٣] كذلك، لذلك اختلفا.[٤]

وقوله: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**، جائز أن يكون سبب ذلك ما ذُكر من ادّعاء مسيلمةَ الكذّابِ الرسالةَ لنفسه وتواطئ[٥] أصحابه على ذلك. يقول -والله أعلم-: ما جعل الله أن يرسل رجلين رسولاً إلى خلقه مُختلِفَيِ الدينَيْن متضادَّيِ الشرائع، يدعو كل واحد[٦] إلى دينٍ غير دين[٧] الآخر وإلى شريعةٍ يضادُّ بعضها بعضًا: محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسيلمة الكذاب.

وقوله: **وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما على النهي الذي ذكرنا، أي لا تشبهوا أزواجكم بظهور الأمهات ولا تحرّموهن على أنفسكم كحرمة الأمهات، ولذلك قال: وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا.[٨] والثاني أن لم يجعل الله لكم[٩] أزواجكم حرامًا أبدًا كالأمهات وإن جعلتم أنتم، ولكن جعلهن لكم بحيث تَصِلون إليهن بالاستمتاع -على ما[١٠] [كنتم قبلُ] تصلون إليهن وتستمتعون بهن- بعد هذا القول. يذكر هذا على المنة والنعمة، يستأدِي[١١] به شكره لما أبقى لهم الاستمتاع بهن[١٢] بعد هذا ولم يجعلهن لهم كالأمهات على ما ذكر. *والله أعلم*.

---

[١] ن: القلب.
[٢] ن: الاجتهاد.
[٣] ر: لا يموت؛ ن ث - يكون.
[٤] ر م - لذلك اختلفا.
[٥] ن ث: وتواطؤ.
[٦] ن ث - واحد.
[٧] ر ث م - دين.
[٨] سورة المجادلة، ٢/٥٨.
[٩] ن ث - لكم.
[١٠] ث - ما.
[١١] ر ث م: لتأدى؛ ن: ليستأدي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٢ظ.
[١٢] ن ث: فيهن.

[٦٠٣ظ س٧] *و[قال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي:] **اللائي تظاهرون**، واللاتي بالتاء،[1] واحد. ***والله أعلم***.*
وقوله: **وما جعل أدعياءكم أبناءكم**، أي ما جعل أدعياءكم أبناءكم[3] في الحقوق إلى الآباء. وهو ما ذكر في بعض القصة أنه إذا[4] ادّعى الرجل[5] منهم [رجلاً][6] ورثه[7] مع أولاده، فهو شيء كانوا يفعلونه في الجاهلية،[8] [و]دُعي إليه ونُسب. يقول -والله أعلم-: ما جعل ما كنتم تَدْعون الأبناء في الجاهلية للعون والنصرة أبناءكم في الإسلام فيما جعلوا. والثاني **ما جعل أدعياءكم أبناءكم**، في حق النسبة، كما ذُكر أنهم كانوا يقولون لزيد بن حارثة: زيد بن محمد. **ذلكم قولكم بأفواهكم**، إنما هو قول تقولونه بألسنتكم فيما بينكم، **والله يقول الحق**، إنهم ليسوا بأبنائكم.

أو إن قوله: **والله يقول الحق**، تأويله:

**﴿اُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٥]**

**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**، أعدل عند الله. أي انْسُبُوهم إليهم إن علمتموهم. **فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم**، قال بعض أهل التاويل: فانسبوهم إلى اسم[9] من أسماء مواليكم أو إخوانكم أو بني عمّكم،[10] مثل عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن وأشباه هذه[11] الأسماء وأسماء مواليكم.[12] أو أن نقول[13] قوله: **فإخوانكم في الدين**، أي سَمُّوهم إخوانًا،

[1] ر م: مآضما؛ ث: بالياء.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٣ظ/سطر٧.
[3] م: وأبناءكم.
[4] ر: اذائكم.
[5] ن ث + الرجل.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٠ظ.
[7] جميع النسخ + منهم.
[8] «قال مجاهد: كان الرجل في الجاهلية يكون ذليلاً فيأتي ذا القوة والشرف فيقول: "أنا ابنك"، فيقول: نعم، فإذا قبله واتخذه ابنًا أصبح أعز أهله» (*النكت والعيون* للماوردي، ٣٧١/٤).
[9] جميع النسخ: ابيهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٣و.
[10] جميع النسخ: أو ابن عمكم. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ث م: ذلك.
[12] «أي قولوا فلان بن عبد الله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٠٠ظ).
[13] جميع النسخ: يقول.

وذلك أعظم في القلوب وآخذ من التسمية بالآباء والنسبة إليهم. وذلك أن الحاجة إلى معرفة الآباء والنسبة[1] إليهم إنما تكون عند الكتابة[2] والشهادة وعند الغَيبة، فأما عند الحضرة فلا. وقوله: / **ومواليكم**، قال بعضهم: نزل هذا في شأن زيد بن حارثة، وهو كان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يسمّونه "زيد بن محمد" فنُهوا[3] عن ذلك، فيقول: **فإن لم تعلموا آباءهم**، فانسبوهم[4] إلى مواليهم.[5] وجائز أن يكون قوله: **ومواليكم**، من الوِلاية، كقوله:[6] وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[7] وقال: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.[8] [٦٠١ظ]

*و[قال أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي:] قوله: **أقسط**، أعدل.[9]* [٦٠٣ظ س ٤]

وقوله: **وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به**، يقول -والله أعلم-: ليس عليكم جناح[11] بالنسبة إلى غير الآباء إذا كنتم مخطئين غير عارفين للآباء، وإنما الجناح[12] والحرج عليكم إذا كنتم عامدين لذلك عارفين لهم آباء. كأنه أباح التبنّي والتآخي[13] فيما بينهم ولم يبح النسبة إلى غير الآباء وإيجاب الحقوق فيما بينهم. وكذلك روي في بعض الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤاخي بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه[14] الباقي منهما دون عَصَبَتِه[15] وأهله، فكان الزبير أخا عبد الله بن مسعود، فمكثوا بذلك ما شاء الله أن يمكثوا حتى نزلت الآية: [وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ].[16] وقال بعضهم: **ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به**،

---

[1] ن: والنسب.
[2] ر: إنما يكون عند الكناية؛ م: إنما يكون عند الكتابة.
[3] ن: ونهوا.
[4] ن: فانسبوا.
[5] أي قولوا: "فلان مولى فلان".
[6] ر ث م: وكقوله.
[7] سورة التوبة، ٩/٧١.
[8] سورة الحجرات، ٤٩/١٠.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية برقم ١٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٣ظ/سطر٤-٥.
[11] ث - جناح.
[12] ر ث م: إنما الجناح.
[13] جميع النسخ: والتواخي.
[14] ر: ورثة.
[15] ر: عصبة.
[16] الآية التالية. *بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٣/٣٨؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ٦/٣١٩. وانظر: *تفسير الطبري*، ١٩/١٧-١٨؛ و*تفسير ابن كثير*، ١١/١٢٠.

يقول: إذا دعوت الرجل لغير أبيه وأنت ترى أنه كذلك. **ولكن ما تعمدت قلوبكم**، يقول: لا تدعوه لغير أبيه متعمدًا، فأما[1] الخطأ[2] فإن[3] الله يقول: لا يؤاخذكم به ولكن ما أردت[4] به العمد. وهو مثل الأول.

وذكر أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول: اللّهمّ اغفر لي خطاياي،[5] فقال له عمر: "استغفر الله للعمد،[6] فأما الخطأ فقد تجوّز لك عنه". وكان يقول: "ما أخاف عليكم الخطأ ولكن أخاف عليكم العمد، وما أخاف عليكم العَيْلة[7] ولكن أخاف عليكم التكاثر، وما أخاف عليكم أن تَزْدَرُوا أعمالكم ولكن أخاف عليكم أن تستكثروها".[8] وكذلك روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ذلك.[9]* وذكر أن ثلاثًا لا يهلك[10] عليها ابن آدم: الخطأ والنسيان والاستكراه.[11] وقال بعضهم: الخطأ هاهنا هو ما جرى على اللسان من غير قصد، والعمد ما يجري على قصد، وهو ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله:[13] **وكان الله غفورًا رحيمًا**، [أي غفورًا][14] لما فعلوا.

---

[1] ر: فأنزل؛ ث: فإن.

[2] ن ث + ما قال.

[3] ر - فأما الخطأ فإن.

[4] ث: أردف.

[5] جميع النسخ: خطاي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٠ظ.

[6] ر ث م: العمد؛ ن - وهو مثل الأول وذكر أن عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اغفر لي خطاياي فقال له عمر استغفر الله للعمد.

[7] جميع النسخ: العايلة. والتصحيح من مصادر الرواية.

[8] ن: أن يستكثروها. *تفسير عبد الرزاق*، ٣١/٣؛ *وأحكام القرآن* للجصاص، ٢٢٣/٥. وروي أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما أخشى عليكم الفقر ولكن أخشى عليكم التكاثر، وما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠٨/٢).

[9] «قال عبد الله: إني لا أخاف عليكم في الخطأ ولكني أخاف عليكم في العمد، إني لا أخاف عليكم أن تَستقلّوا أعمالكم ولكني أخاف عليكم أن تستكثروها» (*مصنف ابن أبي شيبة*، ١٦٤/١٩).

* ورد في جميع النسخ قوله: "وكذلك روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ذلك" بعد قوله: "وذكر أن ثلاثا لا يملك عليها ابن آدم الخطأ والنسيان والاستكراه".

[10] جميع النسخ: لا يملك. والتصحيح من مصدر الرواية.

[11] «قال قتادة: ثلاث لا يهلك عليهن ابن آدم: الخطأ، والنسيان، وما أُكره عليه» (*تفسير عبد الرزاق*، ٣١/٣). وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه». *سنن ابن ماجة*، الطلاق ١٦؛ وانظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٤٣٣/١-٤٣٤.

[13] جميع النسخ - وقوله. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٣ظ.

[14] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠١و.

**﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[٦]**

وقوله: **النبيَ أولى بالمؤمنين من أنفسهم**، قال بعضهم: **النبي أولى** بهم من بعضهم ببعض، كقوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[١] أي لا يقتلْ[٢] بعضكم بعضًا؛ إذ لا أحد يقتل نفسه [مع قيام عقله]،[٣] وكقوله[٤] فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ،[٥] أي يسلِّم بعضكم على بعض ليس أنه يسلّم الرجل على نفسه، ولكن ما ذكرنا.[٦] فعلى ذلك قوله: **النبيَ أولى بالمؤمنين من أنفسهم**، أي بعضهم من بعض. ثم يحتمل هو أولى بهم من أنفسهم في الطاعة[٧] له والاحترام[٨] له والتعظيم، أي هو أولى أن يُعظَّم ويُحترم[٩] ويُطاع من غيره. أو أن يكون أولى بهم في الرحمة والشَّفَقَة لهم، أي أرحمُ بهم وأشفقُ[١٠] من أنفسهم؛ وهو على[١١] ما وصفه من الرحمة والرأفة[١٢] حيث قال: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ،[١٣] وليس أحد من الناس يَعِزّ عليه ما يفعله [الآخر] من المآثم [كما يعز على النبي]. أو أن يكون[١٤] أولى بهم، أي أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم محبّة الاختيار والإيثار، ليست[١٥] محبة الميل -ميل القلب- لأن ميل القلب يكون بالطبع. وذكر في الخبر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال:[١٦]

---

[١] سورة النساء، ٢٩/٤.

[٢] جميع النسخ: لا تقتل. والتصحيح من *الشرح*، نسخة مدينة ١٧٩، ورقة ٧٠٤و.

[٣] الزيادة من المرجع السابق.

[٤] ز م – وكقوله.

[٥] ﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلِّموا على أنفسكم تحيةً من عند الله مباركةً طيبةً﴾ (سورة النور، ٦١/٢٤).

[٦] م: ذكر.

[٧] جميع النسخ: من الطاعة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠١و.

[٨] ث: والاحتمام، صح هـ.

[٩] ث: ويحترم.

[١٠] ث – وأشفق.

[١١] ث – على.

[١٢] ن: من الرحمة والرحمة.

[١٣] سورة التوبة، ١٢٨/٩.

[١٤] جميع النسخ: أو أن يجوز. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٤و.

[١٥] ن: ليس.

[١٦] ن – قال.

«ليس [أحدكم] بمؤمن حتى أكون[1] أحبّ إليه من نفسه وولده وأهله»، أو كلام نحو هذا.[2] أو أن يكون أولى بهم في الآخرة بالشفاعة لهم، يشفع لهم فينجون[3] من النار به لا بأعمالهم. *والله أعلم*. وذكر في بعض الحروف: "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم"، وهو حرف أُبيّ وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم.[4] وقوله:[5] وهو أب لهم، في الرحمة والشفقة، أو فيما يلزم من الطاعة له[6] والتعظيم والاحترام ونحوه.

وقوله: **وأزواجُه أمهاتهم**، قال أهل التأويل: **وأزواجه أمهاتهم**، في الحرمة، أي لا يحل لهم أن يتزوّجوهن أبدًا كالأمهات. ولكن يجب[7] أن يكون ذلك بعد وفاته، فأما في حياته إذا طلّقهن فيجيء[8] أن يَحِلِلْن لغيره، لأنه قال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا،[9] الآية، ولو لم يحللن لغيره لم يكن لما ذكر لهن من التمتيع والتسريح معنى. وهذه[10] الحرمة يجب[11] أن تكون[12] بعد الموت، وهو ما قال:[13] وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا،[14] إنما شَرطَ هذا بعده ليكنّ أزواجه في الآخرة. أو أن يكون قوله: **وأزواجه أمهاتهم**،[15]

[1] جميع النسخ + أنا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٤و.
[2] «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (صحيح *البخاري*، الإيمان ٨؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٦٩، ٧٠). «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٣٣/٤).
[3] ر: فيجوز.
[4] *تفسير عبد الرزاق*، ٣٢/٣؛ وتفسير *الطبري*، ١٦/١٩؛ و*المستدرك* للحاكم، ٤٨٨/٢؛ وتفسير *ابن كثير*، ١١٩/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧٢٩/١١. وهي قراءة شاذة.
[5] ر ث م: قوله.
[6] ث م – له.
[7] ن ث: يجيء.
[8] ر م: فيجب.
[9] ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالَيْن أُمتِّعْكُنّ وأُسرِّحْكُنّ سَراحًا جميلاً﴾ (سورة الأحزاب، ٢٨/٣٣).
[10] ن ث: بهذه.
[11] ن ث: يجيء.
[12] جميع النسخ: أن يكون.
[13] ث: وهو قوله.
[14] ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا﴾ (سورة الأحزاب، ٥٣/٣٣).
[15] ث: أمهاتكم.

أي حرمةُ أزواجه[1] ومنزلتهن كمنزلة أمهاتهم،[2] يستوجبن ذلك لحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزلته قِبَلَهم. وأما الباطنية فإنهم يقولون: "في قوله: **وأزواجه أمهاتهم،**[3] دلالة[4] أنه[5] ليس يريد به أزواج النبي، ألا ترى أنه يحلّ للناس نكاح أولادهن، ولو كن أمّهاتٍ لم تحلّ[6] لأنهم يصيرون إخوة وأخوات، فإذا[7] حلّ ذلك دلّ أنه ما ذكرنا." هذا قولهم، لكن الجواب لذلك ما ذكرنا أنه جائز أنه سمّاهن أمّهات، أي منزلتهن وحرمتهن كمنزلة الأمهات لحرمة رسول الله ومنزلته. وذلك جائز لأنه[8] ذكر الشهداء أحياءً عنده[9] وإن كانوا في الحقيقة موتى، لفضل الكرامة لهم والمنزلة[10] عند الله، فعلى ذلك / ذِكر الأمهات لأزواجه ما ذكرنا. [٦٠٢و] *والله أعلم.*

وقوله: **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله،** قال بعضهم: **في كتاب الله،**[11] في حكم الله، كقوله: كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ،[12] أي حكم الله عليكم. وقال بعضهم: **في كتاب الله،** فيما أنزل من الكتاب، وهو الذي ذلك،[13] وكذلك قوله:[14] كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ،[15] إلى آخر ما ذكر، المكتوب عليهم الذي ذكر على إثره.

---

[1] ر م + من بعده أبدا إنما شرط هذا بعده ليكن أزواجه في الآخرة.

[2] ن: أمهاتهن؛ ث: أمهاتكم.

[3] ن ث – أمهاتهم.

[4] ن: دلالالته.

[5] ن ث – أنه.

[6] ن: لم يحل؛ ث: ولم يحل.

[7] ن ث: فإذ.

[8] ن ث: أنه.

[9] لعل الإمام يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٦٩).

[10] ث: الكرامة والمنزلة لهم.

[11] ن ث – قال بعضهم في كتاب الله.

[12] ﴿والمحصناتُ من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتابَ الله عليكم وأُحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾ (سورة النساء، ٤/٢٤).

[13] وعبارة السمرقندي هكذا: «وقال بعضهم: ﴿في كتاب الله﴾ أي فيما أنزل من كتاب الله، وهو الذي ذكر على إثره» (ورقة ٦٠١و).

[14] ر ث م – قوله.

[15] ن + هذا. سورة البقرة، ٢/١٨٠.

ثم اختلف في تأويل قوله: **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين**، قال بعضهم: إن المواريث في بدء الأمر لم تكن[1] تجري إلا فيما بين المؤمنين المهاجرين من القَرابات والأرحام، فإن كان مؤمنًا لم يهاجر لم يرث ابنه ولا أباه ولا أخاه المهاجر ولا سائر قراباته إذا مات أحدهما إلا أن يكونوا[2] مؤمنين مهاجرين، فعند ذلك يتوارثون. فعلى ذلك التأويل يكون[3] تأويل قوله: **إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا**، أي أوليائكم[4] الذين لم يهاجروا من المؤمنين أن توصوا لهم شيئًا. فيقول قائل هذا التأويل: إن هذا نُسخ بالآية التي ذكرت[5] في سورة[6] الأنفال، وهو قوله: وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ،[7] الآية، ولم يذكر فيه الهجرة إذا كانوا[8] مسلمين. وأما الكافر فإنه لا يرث المسلم، وعلى ذلك روي في الخبر أنه قال: «لا يرث المسلمُ الكافر ولا الكافر المسلم»،[9] وقال: «لا يتوارث أهل ملتين».[10] وقال بعضهم: تأويل قوله: **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين**، من الأقربين منهم، أي أولو الأرحام من المؤمنين والمهاجرين الأقربُ فالأقرب منهم، **بعضهم أولى ببعض**، من الأبعدين في المواريث، أي الأقرب منهم بعضهم أولى ببعض من الأبعدين. **إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا**. على هذا التأويل يكون قوله: **إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم**، الأبعدين، **معروفًا**، وصيةً أو شيئًا[11] فذلك معروف، فصارت المواريث للقرابات الأدنى فالأدنى من المؤمنين دون الأبعدين. فتكون[12] الآية التي في الأنفال وهذه سواءً على هذا التأويل:[13] يكون الأقرب فالأقرب والأدنى[14] فالأدنى أولى بالمواريث من غيرهم.

---

[1] ن: لم يكن.
[2] ن ث م: أن يكونا.
[3] ر م: تكون.
[4] جميع النسخ – معروفا أي أوليائكم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٤ظ.
[5] جميع النسخ: ذكر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٤ظ.
[6] ن – سورة.
[7] ﴿والذين آمنوا مِن بعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾ (سورة الأنفال، ٨/٧٥).
[8] ن ث + فيه.
[9] صحيح *البخاري*، الفرائض ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، الفرائض ١.
[10] سنن *أبي داود*، الفرائض ١٠؛ وسنن *الترمذي*، الفرائض ١٦.
[11] جميع النسخ: أو شيء.
[12] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠١و.
[13] ر م + بل.
[14] ن: دون الأدنى.

وبعضهم يقول: إن الآية نزلت ناسخة لما كان منهم[١] من التوارث بالمؤاخاة، لأن النبي كان يؤاخي بين رجلين فإذا مات أحدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته،[٢] حتى نُسخ ذلك بالآية التي[٣] ذكرت.[٤] فعلى ذلك يكون قوله: **إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا**، هو أن يصنعوا إلى الذين[٥] آخى بينهم النبي معروفًا.

ثم اختلف في أولي الأرحام المذكورين[٦] في الآية، قال بعضهم: هم الذين ذكرهم في قوله: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ،[٧] إلى آخر ما ذكر. وقال بعضهم: ليسوا هم، وإنما الذي ذُكر في ذلك هم الذين يُبيّن لهم حدّ مواريثهم، فأما غيرهم فإنما هم في قوله: **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض**، فإنما يرث الأقرب فالأقربُ منهم. وكذلك يقول أبو حنيفة رحمه الله: إن أولي الأرحام إنما يرث الأقرب فالأقربُ منهم، ليس كالعصبات؛ لأن البنت[٨] لا شك أنها أقرب من ابن العم، ثم يكون النصف للبنت[٩] والبقيّة لابن العم.[١٠]

وقوله: **كان ذلك في الكتاب مسطورًا**، قال بعضهم: في اللوح المحفوظ بأن المؤمنين بعضهم[١١] أولى ببعض في المواريث من الذين كانوا يتوارثون. وقال بعضهم: قوله:[١٢] **في الكتاب**، أي في التوراة مكتوبًا أن يصنع بنو[١٣] إسرائيل إلى بني لُؤَيّ بن[١٤] يعقوب معروفًا ليعود الغني على الفقير.[١٥] *والله أعلم*.

---

[١] ن: بينهم.

[٢] ر م: عصبة.

[٣] م – التي.

[٤] جميع النسخ: ذكر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٤ظ. انظر: *بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٣٨/٣؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ٣١٩/٦. وانظر: تفسير *الطبري*، ١٧/١٩–١٨؛ و*تفسير ابن كثير*، ١٢٠/١١.

[٥] ن ث: الذي.

[٦] ث: المذكور.

[٧] سورة النساء، ١١/٤.

[٨] ر ث م: الابنة.

[٩] ر ث م: للابنة.

[١٠] ث – لابن العم.

[١١] م – بعضهم.

[١٢] ر م – قوله.

[١٣] ر ث: بنوا.

[١٤] ر: ابن.

[١٥] ن: الفقر. *النكت والعيون* للماوردي، ٣٧٦/٤.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[٧]

وقوله: **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا**، قال بعضهم: خصّ هؤلاء لأن أهل الشرع من الرسل هم هؤلاء، كقوله: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا،[١] الآية. لكنه قد ذكر في آية أخرى ما يدلّ أن غير هؤلاء كان لهم أيضًا[٢] شرع، كقوله: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ،[٣] الآية. وجائز أن يكون تخصيص هؤلاء بأخذ الميثاق لأنهم هم أولو العزم من الرسل، حيث قال: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[٤] أو يكون لا على التخصيص لمن ذكر ولكن على إرادة الكل. *والله أعلم*.

ثم اختلف في أخذ الميثاق، قال بعضهم: أخذ ميثاقهم على أن يبشّر بعضهم ببعض، يبشر نوح بإبراهيم وإبراهيم بموسى وموسى بعيسى وعيسى بمحمد عليهم الصلاة والسلام. وقال بعضهم: أخذ ميثاقهم ليصدّق بعضهم بعضًا، وأن يدعوا[٥] إلى عبادة الله وأن يَنْصَحوا لقومهم. وجائز أن يكون ما ذكر من أخذ الميثاق منهم لِما ذكر على إثره، لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ،[٦] أخذ منهم الميثاق في تبليغ الرسالة إلى قومهم ليسألهم عن صدقهم أنهم قد بلّغوا. **وأخذنا منهم ميثاقا غليظا**، لأن تبليغ الرسالة إلى الفراعنة منهم وأعداء الله[٧] صعب، شديد مَخاطره،[٨] فيه هلاك النفس وفوات الروح، وهو ما قال: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ / رَبِّكَ،[٩] الآية. [٦٠٢ظ]

---

[١] ﴿شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ (سورة الشورى، ١٣/٤٢).

[٢] ث – أيضا.

[٣] ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورًا﴾ (سورة النساء، ١٦٣/٤).

[٤] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.

[٥] ر ن م: وأن يدعو.

[٦] الآية التالية.

[٧] ر: لله.

[٨] ر ث م: مخاطرة.

[٩] ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٦٧/٥).

**﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾**[٨]

وقوله: **لِيسأَلَ الصادقين عن صدقهم**، الصدق أكثره إنما يقع[١] في الأنباء والأخبار، كقوله: وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ،[٢] وهو ما أخبرهم وأنبأهم من القرآن وغيره؛ وقال في آية أخرى: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا،[٣] صدقًا في نباِه وعدلاً في حكمه. ثم لصدقه[٤] في النبأ وعدله في الحكم سَمّي[٥] القرآن مرة صدقًا ومرة عدلاً ومرة حقًّا؛[٦] فالحق يجمع الأمرين: النبأ والحكم جميعًا، والصدق يكون في النبأ خاصة، والعدل في الحكم.[٧]

ثم يحتمل سؤاله الصادقين -وهم الرسل- عن صدقهم وجهين. أحدهما يسألهم عن تبليغ ما أمرهم بالتبليغ إلى قومهم، وعن إنباء ما ولّاهم [من][٨] الإنباء أن يُنبئوا[٩] أولئك: هل بلّغتم وهل أنبأتم[١٠] أولئك؟ والثاني يسألهم عن إجابة أولئك لهم: هل أجابوكم إلى ما دعوتم؟ لأن منهم من أجابهم وصدّقهم، ومنهم من لم يجب ولم يصدّق. فيخرج السؤال عمن أجاب على التقرير، ومن لم يجب على التنبيه والتوبيخ. وهو يسأل الفريقين جميعًا: الرسل عن التبليغ والمرسلَ إليهم عن الإجابة، كقوله: فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ.[١١] *والله أعلم*.

**وأعَدّ للكافرين منهم عذابًا أليمًا**، بتركهم الإجابة والتصديق. *والله أعلم*.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾**[٩]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها**، كأنه يقول -والله أعلم-: اشكروا ما أنعم الله عليكم[١٢] وأحسنوا

---

[١] ر م: ينفع.
[٢] سورة الزمر، ٣٩/٣٣.
[٣] سورة الأنعام، ٦/١١٥.
[٤] جميع النسخ: صدقه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠١ظ.
[٥] ر: يسمى.
[٦] انظر مثلا: سورة السجدة، ٣٢/٣.
[٧] ر ث م: والحكم في العدل.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠١ظ.
[٩] ر ث م: أن يبينوا.
[١٠] ن: وأنبأتم.
[١١] سورة الأعراف، ٧/٦.
[١٢] ن - إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها كأنه يقول والله أعلم اشكروا ما أنعم الله عليكم.

صحبة نعمه في النصر لكم والدفع عنكم. ثم في الأمر بذكر[1] ما أنعم عليهم وجوه من الحكمة والدلالة. أحدها تذكير لنا في مُقاساة أولئك السلف والصحابة[2] في الدين وعظيم ما امتُحنوا في أمر الدين حتى بلّغوا الدين إلينا لكيلا نضيعه نحن، بل يَلزمنا أن نحفظه[3] ونتمسك به ونتحمّل فيه كما تحمّل أولئك. والثاني فيه آية لهم، وذلك أنهم كانوا جميعًا -هم وأعداؤهم- فجاءتهم الريح والملائكة فأهلكتهم دون المؤمنين؛ وقال رسول الله[4] صلى الله عليه وسلم: «نُصِرتُ بالصَّبَا وأُهلِكتْ[5] عاد بالدَّبُور»،[6] وذلك آية عظيمة. والثالث يذكّرهم ما آتاهم[7] من الغوث عند إياسهم من أنفسهم وإشرافهم[8] على الهلاك وخروج أنفسهم من أيديهم، لأن العدوّ قد أحاطوا بهم، حيث قال: إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وبلغ أمرهم وحالهم ما ذَكَر، حيث قال: وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ،[9] الآية. أو أن يذكّر لما كان منهم من العهد والميثاق أن لا يولُّوا الأدبار ولا يَهربوا، كقوله: وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ،[10] الآية. يذكّرهم عظيم نعمه التي كانت عليهم في النصر لهم على عدوّهم والدفع عنهم، وحالهم ما ذكر في الآية. وذلك كان يومَ الخَنْدَقِ تحزبوا [على][11] المؤمنين في ثلاثة أمكنة يقاتلونهم من كل وجه شهرًا، فبعث الله عليهم بالليل ريحًا باردة وبعث الملائكة فغلبتهم. ***والله أعلم***.

وقوله: **وكان الله بما تعملون بصيرًا**، يذكر أنه[12] لا عنْ غفلة وسهو تركَكم هنالك حتى أحاط بكم العدوّ، ولكن أراد أن يمتحنكم محنة عظيمة. أو يقول: إنه بصير بما عملتم[13] فيجزيكم جزاءَ عملكم وصبركم على ذلك. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: ثم الأمر في تذكر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٥ظ.
[2] ر ن ث: وأصحابه؛ م: في أصحابه. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ن: يحفظه.
[4] ن: وقال النبي.
[5] جميع النسخ: وأهلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] صحيح *البخاري*، الاستسقاء ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، صلاة الاستسقاء ١٧.
[7] ر: ما اتيهم.
[8] جميع النسخ: وشرفهم.
[9] الآية التالية.
[10] الآية ١٥ من هذه السورة.
[11] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠١ظ.
[12] ن: عنه.
[13] ر م: إنه بصير عليم.

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾[١٠]

وقوله: **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم**، قال بعضهم: من فوق الوادي ومن أسفل منه. وقيل: أحاطوا بهم من النواحي جميعًا. وجائز أن يكون ذلك كناية عن الخوف، أي أحاط[وا] بهم حتى خافوا على أنفسهم الهلاك. وعلى ذلك يخرج قوله: **وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر**. عن[١] ابن عباس رضي الله عنهما [أنه][٢] قال: هذا وصف المنافقين: **زاغت الأبصار**،[٣] أي شَخَصت، **وبلغت القلوب الحناجر**، لشدة خوفهم، كقوله: أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ،[٤] وأمثال هذا؛ قد وصفهم في غير آي من القرآن بما[٥] وصف هاهنا، وهذا يشبه أن يكون. وقال بعضهم: هذا وصف حال المؤمنين شَخَصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر لَمَا اشتدّ بهم الخوف لِما أحاطوا بهم من فوقٍ ومن أسفلَ. ثم جائز أن يكون ذلك على التمثيل، أي كادت أن تكون[٦] هكذا. وجائز أن يكون على التحقيق، وهو[٧] أن تزول عن أمكنتها وبلغت ما ذكر. *والله أعلم*. *[قال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي:] **وإذ زاغت [الأبصار]**، عَدَلت ومالت. [٦٠٣ظ س٥] **وبلغت القلوب الحناجر**، أي كادت تبلُغ الحُلوقَ[٨] من الخوف.[٩] والحناجر جماعة الحَنْجَرة وهي المذبح.* [٦٠٣ظ س٦]

وقوله: **وتظنون بالله الظنونا**، قال[١١] بعضهم: ظن ناس من المنافقين ظنونًا مختلفةً، يقولون: هلك محمد وأصحابه، ونحوه من الظنون الفاسدة السوء، وكقوله: مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا،[١٢] ونحوه.

---

[١] ر ن ث: وعن.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٢و.
[٣] ث - وبلغت القلوب الحناجر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هذا وصف المنافقين زاغت الأبصار.
[٤] الآية ١٩ من هذه السورة.
[٥] جميع النسخ: ما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٢و.
[٦] جميع النسخ: أن يكون.
[٧] جميع النسخ: وهي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر م: الحلقوم.
[٩] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٣ظ/سطر٥-٦.
[١١] م: وقال.
[١٢] الآية ١٢ من هذه السورة.

وجائز أن يكون ذلك[1] الظن من المؤمنين، ظنوا بالله ظنونًا لتقصير أو لتفريط كان[2] منهم، نحوَ قوله: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ،[3] وكقوله: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ،[4] الآية.

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[١١]

ثم قال: **هنالك ابتُلِيَ المؤمنون**، بالقتال وأنواع الشدائد، **وزُلزلوا زِلزالاً شديدًا**، قيل: جُهدوا جَهْدًا شديدًا، وقيل: حُرِّكوا تحريكًا شديدًا. *و[قال أبو عَوْسَجة والقُتَبِي:] قوله: **وزلزلوا**، أي شُدِّد عليهم وهُوِّل.[5] والزَّلازِل[6] الشدائد، وأصلها من التحريك.[7]* [٦٠٣ظ س٦] [٦٠٣ظ س٧]

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾[١٢]

[٦٠٣و] وقوله: **وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض**، يحتمل / أن يكون قوله: **وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض**، هما واحد، وهم المنافقون. وجائز أن يكون المنافقون هم الذين أضمروا الخلاف له وأظهروا الوِفاق، على إبانة الحق لهم[9] وظهوره، **والذين في قلوبهم مرض**، هم الذين كانوا مُرتابين في ذلك، لم يتبين[10] لهم ذلك ولم يَنْجَلِ. قالوا:[11] **ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا**، قال عامة أهل التأويل: الذي وعد لهم هو[12] فتوح البلدان، قالوا ذلك[13] لمّا أحاط بهم -أعني بالمؤمنين- الكفارُ، قال ذلك المنافقون. *والله أعلم*.[14]

---

[1] ن - ذلك.
[2] ر: أو تفريط كان؛ ث م: أو لتفريط وكان.
[3] سورة التوبة، ٩/٢٥.
[4] ﴿إن الذين تولَّوا منكم يومَ الْتَقَى الجمْعان إنما استزلَّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٥٥).
[5] جميع النسخ: أي شددوا عليهم وهولوا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٧ظ.
[6] جميع النسخ: والزلزال. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨.
[7] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ١٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٣ظ/سطر٦-٧.
[9] ث - لهم.
[10] ر م: لم يبين.
[11] ر ن م + هذا.
[12] ر ث م - هو.
[13] ر ث م - ذلك.
[14] ر ث م - والله أعلم.

**﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[١٣]**

وقوله: **وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب**، قيل: يثرب المدينة، ويقال: **يا أهل يثرب**، يا أهل المدينة. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال للمدينة "يثرب" فليستغفر الله ثلاثا، هي طابة[١] هي طابة».[٢] ثم قال بعضهم: إن قوله: **وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا**، إنما قاله أهل النفاق لبعضهم: لا مُقام لكم فارجعوا. ثم يحتمل قوله: **لا مُقام لكم**، وجهين. أحدهما ما قالوا [في قوله]: مَا وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ، من الفتح والنصر، إِلَّا غُرُورًا.[٣] والثاني، **لا مُقام لكم فارجعوا**، لما لم يقع عندهم أنهم يَصلون إلى ما كانوا يطمعون ويَأمُلون،[٤] لأنهم كانوا يخرجون رغبةً في الأموال وطمعًا فيها، وهو ما وصفهم: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّٰهَ عَلَى حَرْفٍ،[٥] الآية. وجائز أن يكون هذا القول من المؤمنين لأهل النفاق،[٦] فإن كان من المؤمنين لأولئك[٧] فالوجه فيه أنهم أرادوا أن يَطْرُدوهم لِفَشَلهم ولجُبنهم، لئلا يَهْزِموا جنودَ المؤمنين بانهزامهم؛ لأنهم قوم همتهم الانهزام، فإذا انهزموا هم انهزم غيرهم. فالمعنى إذا كان ذلك القول[٨] من المؤمنين هم [فهو] غيرُ المعنى إذا كان [من][٩] أهل[١٠] النفاق بعضِهم لبعض. ***والله أعلم***.

*وقوله: "لا مَقام لكم"، بنصب الميم، لا يكون إلا من القيام، و **لا مُقام لكم**، برفع الميم، يكون من الإقامة، وهو قول أبي[١١] عَوْسَجَة. وأبو[١٢] عبيدة يقول: لا مَقام لكم، أي ليس لكم مقام تقومون فيه، | ٦٠٤ظ س ٢٧

---

[١] ث: طايفه.

[٢] ن ث + هي طابة. مصنف عبد الرزاق، ٩/٢٦٧-٢٦٨؛ ومسند أحمد بن حنبل، ٤/٢٨٥؛ ومسند الرُّوياني، ١/٢٤٠.

[٣] الآية السابقة.

[٤] وعبارة السمرقندي رحمه الله هكذا: «والثاني إنما قالوا ﴿لا مقام لكم فارجعوا﴾ لما تحقق عندهم أنهم لا يصلون إلى ما كانوا يطمعون ويأملون» (شرح التأويلات، ورقة ٦٠٢و).

[٥] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ٢٢/١١).

[٦] ر + فإن كان من المؤمنين لأهل النفاق.

[٧] م: لأهل النفاق.

[٨] ر ث – القول؛ م – ذلك القول.

[٩] الزيادة من الشرح، ورقة ٦٠٢و.

[١٠] ن ث: لأهل.

[١١] ر: أبو.

[١٢] ن: وأبي.

و **لا مُقام لكم**،[1] أي لا إقامة لكم.[2] وقال أبو عَوْسَجَة: المَقَامة المجلس، ومقامات جمع، والمَقام[3]
٦٠٤ظ س٣٠] موضع القدمين، والمُقام الموضع الذي يقيم فيه الرجل.*

وقوله: **ويستأذن فريق منهم النبي**، بالرجوع إلى المدينة، كقوله: إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ.[5] وقوله: **يقولون إن بيوتنا عورة**، قال بعض أهل التأويل: **بيوتنا عورة**، خالية من الناس ليس فيها أحد، فنخاف السَّرِقَة[6] عليها والأخذ والمكابرة. ويحتمل أن يكونوا أرادوا بالعورة دخول العدوّ عليها إذا كانوا هم في الجند،[7] أي يدخل علينا مكروهٌ مما يُحزننا[8] ويَهُمّنا، أو كلام نحو هذا.[9] فأكذبهم الله في قولهم وقال: **وما هي بعورة**، بل الله يحفظها على ما وعد حتى لا يدخل عليهم مكروه مما[10] يخافون ولا يصيبهم. وقوله: **إن يريدون**، أي ما يريدون، **إلا فرارًا**، من القتال.

[٦٠٤ظ س١٧ ★وقال القُتَبِي: قوله:[11] **إن بيوتنا عورة**، أي خالية. وأصل العورة ما ذهب عنه السِّتر والحفظ فكأن الرجال سِترٌ وحفظٌ للبيوت، فإذا ذهبوا أعْوَرت[12] البيوت. تقول العرب: أعْوَرَ منزلُك،[13] أي ذهب سترُه، أو سقط جدارُه. وأعْوَرَ الفارسُ، إذا بدا فيه موضعُ خللٍ للضرب بالسيف.
٦٠٤ظ س٢٠] يقول الله تعالى: **وما هي بعورة**، لأن الله تعالى حافظها، ولكن يريدون الفرار.[14]★

[٦٠٤ظ س٢٢ ❋وقال أبو عَوْسَجَة: قوله:[16] **إن بيوتنا عورة**، من ناحية العدوّ، والعورة[17] الموضع الذي يخاف منه.❋

---

[1] جميع النسخ - لكم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦١و.
[2] «﴿لا مَقام لكم﴾ مفتوحة الأول، ومجازها: لا مكان لكم تقومون فيه» (*مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١٣٤/٢).
[3] ر ث م: المقام.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر٢٧-٣٠.
[5] سورة التوبة، ٤٥/٩.
[6] جميع النسخ: السرق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٢و.
[7] جميع النسخ + العورة.
[8] جميع النسخ: ما يحزننا.
[9] ث: أو كلام نحوا.
[10] جميع النسخ: لما. وعبارة *الشرح* هكذا: «حتى لا يدخل عليهم ما يخافون ولا يصيبهم» (ورقة ٦٠٢و).
[11] ن - قوله.
[12] ث: عورت.
[13] جميع النسخ: المنزل. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٠ظ.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٨-٣٤٩.
★ وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر١٧-٢٠.
[16] جميع النسخ: قولهم.
[17] ر م: العورة.
❋ وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر٢٢-٢٣.

**﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾** [١٤]

وقوله: **ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما، أي لو دخلوا عليهم من أطراف المدينة ونواحيها ثم دُعوا إلى الشرك لَأجابوهم، **وما تلبّثوا بها إلا يسيرًا**، أي لم يمتنعوا عن إجابتهم بل لأجابوهم[١] به كما دُعوا. وقال بعضهم: إنهم لو كانوا في بيوتهم فدخلوا عليهم من نواحيها ثم سئلوا الأموال وما تحويه أيديهم، **لآتوها**، أي لأعطوها. **وما تلبّثوا بها إلا يسيرًا**، يخبر عن نفاقهم وخلافهم لهم[٢] في السرّ أنهم يعطون لأولئك ما يريدون من الأموال أو الدين ويوافقونهم ولا يوافقونكم ألبتة. **والله أعلم**.

*و[قال القُتَبِي:] قوله: **ولو دُخلت عليهم من أقطارها**، أي من جوانبها، **ثم سُئِلوا الفتنة**، أي الكفرَ، **لآتوها**، أي أعطَوْها من أراده، **وما تلبّثوا بها إلا يسيرًا**، أي بالمدينة. ومن قرأها: ''لَأَتوها''، بغير مدّ،[٣] أراد: لصاروا إليها.[٤]* [٦٠٤ظ س ٢٠ – ٦٠٤ظ س ٢٢]

★و[قال أبو عَوْسَجَة:] قوله: **من أقطارها**، أي من نواحيها، والواحد[٦] قُطْر. **ثم سُئلوا الفتنة**، أي عُرضت عليهم، وهو الكفر.★ [٦٠٤ظ س ٢٣ – ٦٠٤ظ س ٢٤]

**﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا﴾** [١٥]

وقوله: **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يُوَلُّون الأدبار**، قال[٨] بعضهم: كان أناس غابوا عن[٩] وقعة بدر وما أعطى الله أصحاب بدر من الفضيلة و الكرامة، فقالوا: لئن شهدنا قتالًا لنقاتلنّ، فَساق الله ذلك إليهم حتى كان في ناحية المدينة.[١٠] وقال بعضهم: قوله: **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار**، وذلك أنهم كانوا عاهدوا الرسول على عهدهم بمكة على العَقَبَة بِمِنًى،[١١]

---

[١] ث: أجابوهم.
[٢] جميع النسخ: له.
[٣] «قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير ﴿لَأتوها﴾ مقصورة الألف، وقرأ الباقون ﴿لآتوها﴾ ممدودة الألف» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٥٦).
[٤] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٩.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر٢٠-٢٢.
[٦] جميع النسخ: الواحد. والتصحيح من *الشرح*، روقة ٦٠٢و.
★ وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر٢٣-٢٤.
[٨] ر ن م: وقال.
[٩] ث – عن.
[١٠] تفسير *الطبري*، ١٩/٤٧؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ٦/٣٣٣.
[١١] ر ث م: بمنا؛ ن: يمينا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٢ظ.

واشترط عليهم لربه[1] ولنفسه؛ أما لربّه أن يعبدوه وأن لا يشركوا به شيئًا، واشترط لنفسه أن ينصروه ويعزّرُوه ويعينوه وأن يمنعوه مما[2] يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأولادهم. فقالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبيّ الله؟ قال: «لكم النصر في الدنيا والجنة[3] في الآخرة». قالوا: قد فعلنا.[4] فذلك قوله: **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل**، ليلة العقبة حين شرطوا النبي المَنَعة، أن لا يولوا الأدبار منهزمين، **وكان عهد الله مسئولاً**، أي يسأل من نقض العهدَ في الآخرة ومن وفّى.[5] وجائز أن يكون قوله: **وكان عهد الله مسئولاً**، مجزيًا نقضًا كان[6] أو وفاءً يُجْزَون على وفاء العهد ونقضِه.

﴿قُلْ لَنْ يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١٦]

وقوله: **قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل**، قال أهل التأويل: إن قضى عليكم الموت أو القتل فلن ينفعكم الفرار. وقال بعضهم: إن جعل انقضاء[7] آجالكم الموت أو القتلَ لن ينفعكم الفرار بل ينقضي. وأصله إن كان المكتوب عليكم الموت أو القتل لن ينفعكم الفرار منه،[8] بل يأتي لا مَحالة، كقوله: لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ،[9] الآية، أي لا محالةَ المكتوبُ عليهم القتلُ وإن كانوا في بيوتهم لبرزوا[10] فيُقتلون.

[٦٠٣ظ] **وإذًا لا تُمَتَّعون / إلا قليلاً**، قال بعضهم: إنما الدنيا قليل إلى آجالكم. وجائز أن يكون معناه ولَئِن نفعكم[11] الفرار عنه لا تُمتعون إلا قليلاً، كقوله: أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ،[12] الآية.*

---

[1] جميع النسخ: ولربه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٢ظ.
[2] جميع النسخ: ما. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٧ظ.
[3] ر م: الجنة.
[4] ر م: وفاه. *تفسير الطبري*، ٢٢/٦٢٠.
[5] ر م: وفاه. *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٣٩.
[6] ر ث م – كان.
[7] ر م: القضاء.
[8] ث: عنه.
[9] سورة آل عمران، ٣/١٥٤.
[10] ث – لبرزوا.
[11] ر: ولن تنفعكم.
[12] ﴿...ما أغنى عنهم ما كانوا يُمَتَّعون﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٢٠٥-٢٠٧).
* وقعت هنا مقاطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٤ ورقم ٥ ورقم ١٠ ورقم ١١ ممزوجًا، فقدّمنا كل واحد إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٦٠٣ظ/سطر ٢-٧.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[١٧]

وقوله: **قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءًا أو أراد بكم رحمة**، ذكر هذا على إثر قوله: قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ،[1] يقول -والله أعلم-: إنكم وإن فررتم من الموت أو القتل فإن الله إن أراد بكم سوءًا[2] وهلاكًا لا يملك أحد دفعه عنكم، أو إن أراد بكم رحمة ونجاة وخيرًا لا يملك أحد منعه عنكم. وقد تعلمون أنكم لا تجدون من دون الله وليًّا ينفعكم، ولا نصيرًا ينصركم ويمنعكم عن[3] حلول ذلك عليكم. *والله أعلم*.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١٨]

وقوله: **قد يعلم الله المعوِّقين منكم والقائلين لإخوانهم هَلُمَّ إلينا: المعوِّقين**،[4] هم المانعون منكم. **والقائلين لإخوانهم**، قال بعضهم: هم اليهود، أرسلوا إلى المنافقين وقالوا: من ذا الذي يَحمِلكم على قتل أنفسكم بأيدي أبي سفيان ومن معه من أصحابه؟ فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة ما استبقَوْا منكم أحدًا، فإنا نُشفق عليكم، فإنما أنتم إخواننا ونحن جيرانكم، هَلُمُّوا إلينا. وقال بعضهم: هم المنافقون، عوّق بعضهم بعضًا ومنع عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال العدوّ.[5] وفيه أمران. أحدهما دلالة على إثبات الرسالة؛ لأنهم كانوا يُسِرّون هذا ويُخفُون فيما بينهم، ثم أخبرهم[6] بذلك ليعلموا أنه إنما علم ذلك بالله تعالى. والثاني أن يكونوا[7] أبدًا على حذر مما يضمرون من الخلاف له، كقوله: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ،[8] الآية.

---

[1] الآية السابقة.

[2] ن ث: سوء.

[3] ن: من.

[4] ر م - منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا المعوقين.

[5] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/٥٠-٥١.

[6] ر م: اخذهم.

[7] ن: أن يكون.

[8] ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرجٌ ما تحذرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٤).

[٦٠٤ظ س٣٠] *وقال[1] [أبو عَوْسَجة]: **المعوّقين**، قال: المتعوق المحتبس، والمعوّق الذي يعوّق غيره أي يحبس.*

وقوله: **ولا يَأتون البأس إلا قليلاً**، أي لا يأتون القتال والحرب إلا مُراءاةً[3] وسمعةً.[4] هذا -والله أعلم- يشبه أن يريد بالقليل أنهم لا يأتون إتيان من يريد القتال والقيام معهم، ولكن مراءاة[5] وسُمْعَة وإظهارًا للوفاق لهم. *والله أعلم*.

**﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[١٩]**

وقوله: **أشِحَّةً عليكم**، قال عامة أهل التأويل: أي بُخَلاء على الإنفاق عليكم، أي لا ينفقون عليكم ولا على سبيل الخير. *والله أعلم*.[6] وقال بعضهم: الشُّحّ أيضًا هو الحرص، يقول: **أشحة عليكم**،[7] أي حِراصًا على قسمة الغنيمة معكم،[8] يخبر عن حرصهم في الدنيا وركونهم إليها وميلهم إليها.[9]

[٦٠٤ظ س٣١] *وقال [أبو عَوْسَجة]: قوله: **أشحَة عليكم**، أي حِراصًا على ما نالكم من الشرّ، الواحد شحيح، يقال: شَحّ يَشِحّ شَحًّا فهو شحيح، أي حَرَص يحرِص[10] حِرصًا فهو حريص. وقال غيره: [٦٠٤ظ س٣٢] **أشحَة عليكم**، أي بخلاءَ لا ينفقون[11] عليكم أو في سبيل الله.*

ثم أخبر عن جُبنهم وفَشَلهم وشدة خوفهم، وهو ما قال: **فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينُهم كالذي يُغشى عليه من الموت**، يخبر أنهم لجبنهم وفشلهم يصيرون كالمغشيّ عليه من الموت. **فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد**، يخبر عن شدة حِرصهم في قسمة الغنيمة

---

[1] ن + القتبي.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر ٣٠-٣١.

[3] م: مراءة.

[4] فعل رِياءً وسُمْعَةً أو سَمْعَةً، أي لِيَسْمَعَه الناس ويَرَوْه (*لسان العرب*، «سمع»).

[5] م: مراءة.

[6] ن - والله أعلم.

[7] ر ث م - عليكم.

[8] جميع النسخ - معكم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٨و.

[9] ر ث م: فيها.

[10] ر: يحرصون.

[11] ن: بخلا لا ينفقوا.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر ٣١-٣٢.

ورغبتهم فيها أنهم أشحّ[1] قوم وأسوؤهم مقاسمة، يقولون: أعطُونا[2] أعطونا، إنا قد شهدنا معكم، كقوله: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ،[3] ونحوه. وقوله: **أشحّةً على الخير**، قال بعضهم: هذا قولهم، أي إنا أشحّ منكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى[4] دينه وأضَنّ منكم على الخير، أي نحن أحرص عليه منكم. وقال بعضهم: **أشحّةً على الخير**، أي حِراصًا على الغنيمة والنيل منها.

* وقال القُتَبي: **سَلَقوكم بألسنة حداد**، يقول: آذَوْكم بالكلام، يقال: خطيب مِسْلَق ومِسْلَاق.[5] وفيه لغة أخرى: "صلقوكم" بالصاد،[6] وهو الضرب، [ولا يقرأ بها].[7] وأبو[8] عَوْسَجَة يقول قريبًا منه: **سلقوكم**، أي كلّموكم وضربوكم، **بألسنة حداد**، أي طوال. والسَّلْق[9] الضرب، والخاطب السَّلّاق، والمِسْلاق من هذا، وهو طُول اللسان والجرأةُ على الكلام.* |٦٠٤ظ س ٢٤ ... ٦٠٤ظ س ٢٧|

ثم أخبر عنهم وعن خلافهم له حيث قال: **أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم**، التي عملوها في الظاهر. **وكان ذلك**،[11] أي صنيعهم[12] الذي صنعوا، **على الله يسيرًا**، أي لا يضره. وقال بعضهم: حبطُ أعمالهم وتعذيبه إياهم مع كثرة أتباعهم وأعوانهم على الله يسير،[13] لا يشتدّ[14] عليه ولا يَصعُب. ***والله أعلم.***

---

[1] ر: شح.

[2] ر م: يقولون أعطوا ما؛ ن: ويقولون أعطونا.

[3] ﴿الذين يَتَرَبَّصُون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم﴾ (سورة النساء، ٤/١٤١).

[4] ن: على.

[5] جميع النسخ: وسلاق. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦١و. وفي التنزيل: ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾ أي بالَغوا فيكم بالكلام وخاصموكم في الغنيمة أشدّ مخاصمة وأبلغها، ﴿أشحّةً على الخير﴾ أي خاطبوكم أشدّ مخاطبة وهم أشحّة على المال والغنيمة. الفراء: ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾ معناه عضوكم، يقول: آذَوكم بالكلام في الأمر بألسنة سليطة ذَرِبة؛ قال: ويقال "صلقوكم" ولا يجوز في القراءة. ولسان مِسْلَق حديد ذَلِق، ولسان مِسْلَق وسَلَّاق حديد، وخطيب سَلّاق بليغ في الخطبة. وفي حديث علي رضوان الله عليه: ذاك الخطيب المِسْلَق؛ يقال: مِسْلَق ومِسْلَاق إذا كان نهاية في الخطابة (*لسان العرب*، «سلق»).

[6] *معاني القرآن* للفراء، ٢/٣٣٩.

[7] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٩.

[8] ر م: أبو.

[9] م: والسلق.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر ٢٤-٢٧.

[11] جميع النسخ + على الله يسيرًا.

[12] ر م: صنعهم.

[13] ر ث م: يسيرا؛ ن - أي لا يضره وقال بعضهم حبط أعمالهم وتعذيبه إياهم مع كثرة أتباعهم وأعوانهم على الله يسير. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٨ظ.

[14] ر: الا يشتد.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢٠]

وقوله: **يحسبون الأحزاب لم يذهبوا**، أي يحسب هؤلاء المنافقون أن الأحزاب لم يذهبوا، من الفَرَق[١] والجُبن والفَشَل الذي فيهم يوم الخندق. **وإن يأت الأحزاب**، أي يُقبل الأحزاب، **يودّوا لو أنهم بادون في الأعراب**، أي يا ليتهم[٢] كانوا بمنزلة البُدّاء[٣] وأنهم تركوا أوطانهم وديارهم، **يسألون عن أنبائكم**. كانت همتهم التخلّف والفرار من القتال وطلب أخبار المؤمنين أنهم ما فُعل بهم، نحو ما قال: وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ.[٤] هكذا كانت عادتهم، ثم ابتلاهم الله بما كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويُضمرون الخلاف لهم والعداوة بفضل فَشَل وجُبن[٥] ما لم يكن ذلك في غيرهم. ففي ذلك تحذير للمؤمنين وزجر عن مثل هذا الصنيع ومثل هذه المعاملة، لئلا يُبتلَوْا بمثل ما[٦] ابتُلي أولئك. وفيه أنه يعامل بعضهم بعضًا على الظاهر الذي ظهر دون حقيقة ما يكون، وعلى ذلك يجري الحكم على ما عَامَلَ رسول الله وأصحابه أهلَ النفاق وحَكَمَ[٧] على ما أظهروا دون ما / أضمروا في الأنكحة والصِّهْر وغير ذلك من الأحكام. *والله أعلم*. [٦٠٤و]

وقوله: **ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً**، قال بعضهم: **ما قاتلوا إلا قليلاً**، أي إلا فيما يدفعون عن أنفسهم لو قُصدوا، فأما الدفع عن المؤمنين ودينهم فلا. وجائز أن يكون المراد بالقليل، أي[٨] لا يقاتلون ألبتة حقيقة القتال، وهو ما ذكر عنهم، حيث قال: لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا،[٩] أي فسادًا في أمركم. *والله أعلم*.

---

[١] ث: الفرت.

[٢] ر م: أي بألسنتهم.

[٣] وفي التنزيل العزيز: ﴿وإن يأت الأحزاب يودّوا لو أنهم بادون في الأعراب﴾ أي إذا جاءت الجنود والأحزاب ودّوا أنهم في البادية. وقال ابن الأعرابي: إنما يكون ذلك في ربيعهم، وإلا فهم حضّار على مياههم؛ وقوم بُدّاء: بادون. فقد يكون اسما لجمع بادٍ، كراكب ورَكْب (*لسان العرب*، «بدا»).

[٤] سورة التوبة، ٩/٥٦-٥٧.

[٥] ن: جبن وفشل.

[٦] ث: بما.

[٧] ر ث م: وحكمه.

[٨] ن – أي.

[٩] سورة التوبة، ٩/٤٧.

*وقال بعضهم: **يَحْسَبون الأحزابَ لم يذهبوا**، من شدّة الفَرَق، فهم هؤلاء المعوّقون [٦٠٤ظ س٣٣ اليهود أو المنافقون، **وإن يأت الأحزاب**، والأحزاب هم الفِرق، أعداء رسول الله وأصحابه، **يودّوا لو أنهم بادون في الأعراب**، يقول: خارجون في الأعراب من الرَّهْبة، **يسألون عن أنبائكم**،[1] يقول:[2] يسألون عن خبر المؤمنين ساعة بعد ساعة جَزَعًا ورهبة. يقول الله للمؤمنين: **ولو كانوا فيكم**، أي معكم عند القتال هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم، **ما قاتلوا إلا قليلاً**، رَمْيًا بالحجارة من ضعفهم وفَرَقهم، أو ما ذكرنا دفعًا عن أنفسهم، وأمّا غيره[3] فلا.* ٦٠٤ظ س٣٧]

*و[قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجة:] **الأحزاب**، الفِرَق، واحدها حِزب، ويقال: حزّبت القوم [٦٠٥و س٣٣ أي جمعتُهم، وحزبتُهم أي فرقتهم، وتَحَزَّب القوم إذا اجتمعوا وصاروا حزبًا حزبًا، وتقول: هؤلاء حِزْبِي، أي أصحابي[5] وشيعتي، وتقول: حازبني[6] محازبة، أي صاحبني مصاحبة. وقوله: **بادون في الأعراب**، أي أن يكونوا في البادية مع الأعراب، رجلٌ بادٍ: قد نزل البادية؛ يودّوا أن يكونوا في البادية مع الأعراب.* ٦٠٥و س٣٦]

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [٢١]

وقوله: **لقد كان لكم في رسول الله أُسوَةٌ حسنة**، قال بعضهم: ذلك حيث كان يباشر القتال بنفسه فباشَروا معه، فمن باشر معه[8] القتال آساه بأسوة حسنة، ومن لم يفعل ذلك[9] فلم يؤاسه.[10] وابن عباس يقول:[11] **أسوة حسنة**، أي سنة صالحة أو نحوه.[12]

---

[1] ث م – يسألون عن أنبائكم.
[2] ر ث م – يقول.
[3] م: غيرهم.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر٣٣-٣٧.
[5] ث: أهلي.
[6] ر: غازني.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٥و/سطر٣٣-٣٦.
[8] م – فمن باشر معه.
[9] ر ث م – ذلك.
[10] ن: يوسه.
[11] ن – يقول.
[12] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٤٤٣.

مثل هذا إنما يذكر عن زلّات تكون، إما من المنافقين أو من المؤمنين، فيقول: لكم في التأسي برسول الله والاقتداء والقدوة به أسوة حسنة.[1] فهو يخرج على وجوه. أحدها،[2] **لقد كان لكم في رسول الله**، قبل أن يبعث رسولاً وقبل أن يوحى إليه فيما عرفتموه من حسن خُلُقه وكرمه وشرفه وأمانته، **أسوة حسنة**، فكيف تركتم اتباعه إذا بُعث رسولاً؟ والثاني **لقد كان لكم**، أي صار لكم، **في رسول الله**، إذا بُعث رسولاً، **أسوة حسنة**، فيما أنزل إليه[3] وأوحي إليه[4] وفيما شاهدتموه من حسن خلقه وكرمه، فالواجب عليكم أن تتأسّوْا به. والثالث، **لقد كان لكم [في رسول الله]**، بالمؤمنين، **أسوة**، أي[5] اسْتِوَاءٌ بهم[6] لو اتبعتم فيما شرع لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنّ. والأسوة[7] هي الاستواء، كقول الناس: فلان أسوة غرمائه، أي[8] يكون المال بينهم على الاستواء. هذا -والله أعلم- يشبه أن يكون تأويل الآية.

وقوله: **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**، قال بعضهم: يكون في رسول الله أسوة لمن خاف الله وآمن باليوم[9] الآخر وبجزاء الأعمال، فأما المنافق والذي لا يؤمن بالبعث فلا يكون فيه أسوة له. وجائز أن يكون قوله: **لمن كان يرجو الله**، أي لقد كان لكم أسوة حسنة ولمن كان يرجو[10] الله واليوم الآخر. أو أن[11] يكون: لكم في رسول الله أسوة حسنة وفيمن كان يرجو[12] الله واليوم الآخر. ***والله أعلم***. وقوله: **وذَكَرَ الله كثيرًا**، ذكْرُ الله، يحتمل في نعمته وإحسانه يذكر بالشكر له وحسن الثناء، أو يذكر سلطانه وملكه، أو جلاله وعظمته وكبرياءه. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ - أسوة حسنة. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٣و.
[2] جميع النسخ + أي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٥٩و.
[3] ن: عليه.
[4] م - إليه.
[5] ر ث م - أي.
[6] ر م: استوائهم.
[7] ر: أو الأسوة.
[8] م: أن.
[9] ر م: اليوم.
[10] ر م: يرجوا.
[11] ر ث م: وأن.
[12] ر م: يرجوا.

**﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[٢٢]**

وقوله: **ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله**، حيث أخبرهم أنكم ستلْقَوْن [و]كذا في قوله: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ،[١] قالوا لمّا عاينوا ما وعد لهم وأخبرهم: **هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله**، فيما أخبرنا من الوحي قبل أن يكون وقبل أن نلقاه. **وما زادهم إلا إيمانًا**، أي ما زادهم[٢] ما رأوا وعاينوا فيما وعد وأخبر[٣] إلا إيمانًا وتصديقًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في وعده وخبره. وقال قائلون: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعد لهم وأخبر أن يوم الخندق يكون[٤] من الأحزاب كذا والجنود كذا وأنكم ستلقون يومئذ كذا، فلما رأوا ذلك وعاينوه قالوا عند ذلك: **هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانًا**، وتصديقًا لرسول الله،[٥] لأن ذلك آية وحجة لرسالته فهو يزيدهم[٦] تصديقًا له. وقوله: **وتسليمًا**، أي تسليمًا لأمر الله وتفويضًا له. وقيل: **وما زادهم**،[٧] بما أصابهم يوم الخندق، **إلا إيمانًا**، وتصديقًا إلى تصديقهم الأول ويقينًا إلى يقينهم الأول، وتسليمًا لأمر الله، لأن ذلك الأمر كان قضاه عليهم أن يصيبهم فسلّموا لله[٨] أمره فصبروا عليه، وأصله ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

**﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[٢٣]**

وقوله: **من المؤمنين رجال صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه**، قوله: **من المؤمنين**، يخرج على وجهين. أحدهما، **من المؤمنين**، الذين هم عندكم مؤمنون، **رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**، ورجال لم يَصْدُقوا وهم المنافقون؛ لأن ظاهر[٩] هذا الكلام يدلّ على أن من المؤمنين الذين هم

---

[١] سورة البقرة، ٢/٢١٤.
[٢] ر م + إلا إيمانا.
[٣] ر م: وعدوا الخبر.
[٤] ر م: تكون.
[٥] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/٥٩-٦١.
[٦] ن ث: يزيد لهم.
[٧] ث + إلا إيمانا وتصديقا.
[٨] ر م: الله.
[٩] ن - ظاهر.

في الظاهر عندهم مؤمنون لم يصدقوا، فأما من كان في الحقيقة مؤمنًا فقد صدق عهده. والثاني ذكر، **من المؤمنين**، خصّ بعض المؤمنين بصدق ما عاهدوا،[1] وهم الذين خرجوا لذلك ولم يكن[2] بهم عذر فوفَّوا ذلك العهد، وتخلف بعض من المؤمنين للعذر فلم يتهيأ لهم وفاء ذلك العهد له[3] وصدقُه. وكذلك يخرج قوله: **فمنهم مَن قضى نَحْبه**، أي وفى بعهده،[4] **ومنهم من ينتظر**، بالوفاء أن يرتفع عنه[5] العذر فيفي ذلك. *والله أعلم*.

[٦٠٤ظ س١٣ * وقال بعضهم في قوله: **رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**: كان رجال فاتهم يومُ بدر، فقالوا لئن حضرنا قتالاً لنفعلنّ ولنفعلنّ، فلما كان يوم الأحزاب قاتلوا، فذلك قوله: **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه**، أي مات على ما شاهد اللهَ عليه، **ومنهم من ينتظر**، يومًا آخر يكون فيه قتال فيقاتِل على ما عاهد الله عليه، **وما بدّلوا تبديلاً**.

٦٠٤ظ س١٧] وفي حرف أُبيّ: "ومنهم من بدلّ [تبديلاً]"، فيرجع ذلك إلى المنافقين الذين ذكرنا بدءًا.[6]*

ثم قوله: **فمنهم من قضى نَحْبَه ومنهم من ينتظر**، قيل: فيه بوجهين. أحدهما منهم من وفى نذره وعهده لله على ما جعل على نفسه، ومنهم من ينتظر[8] وفاءه. وقال بعضهم: منهم[9] من قضى نحبه، أي هلك عليه،[10] ومنهم من ينتظر ذلك، أي على شرف الهلاك.

[٦٠٥و س٢٩ *وقال القُتَبي وأبو عَوْسَجة: **قضى نَحْبَه**، أي قُتل وقَضى أجله، وأصل "النحب" النذر.[11]

٦٠٥و س٣٠] كان قوم[12] نَذَروا[13] إن لَقُوا العدوّ أن يُقاتلوا حتى يُقتَلوا أو يَفتح الله، فقُتلوا.[14]*

---

[1] جميع النسخ: ما عهد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٣ظ.
[2] ر م: لم يكن.
[3] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٠و. له: أي لله تعالى.
[4] جميع النسخ: بعهد، صح ن هـ.
[5] ر م: عند.
[6] *صحيح ابن حبان*، ٩٢/١١. ونسب أيضًا إلى ابن عباس، انظر: *المحرر الوجيز* لابن عطية، ٣٧٨/٤؛ و*تفسير القرطبي*، ١١٤/١٧.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٥، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر١٣-١٧.
[8] ر ث م – قيل فيه بوجهين أحدهما منهم من وفى نذره وعهده لله على ما جعل على نفسه ومنهم من ينتظر.
[9] ر ث م – منهم.
[10] أي قُتل في سبيل الله.
[11] ن: النقد.
[12] جميع النسخ: كان قوما. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن*، ٣٤٩.
[13] ر م: نذورا.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٩.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٥و/سطر٢٩-٣٠.

وقوله: **وما بدّلوا تبديلاً**، هذا يقوّي التأويل الذي ذكرنا أخيرًا[1] في قوله: **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**؛ إن الذين خلّفهم العذر / فلم يفوا عهده والذين لا عذر بهم فخرجوا [٦٠٤ظ] فوفوا، كلهم لم يبدلوا عهد الله تبديلاً، لأنه إنما خلّفهم العذر فلم يكن في ذلك تبديل.

**﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾**[٢٤]

وقوله: **ليجزي الله الصادقين بصدقهم**، على ما وَفَوا، **ويعذّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم**، هذا يدل أن من المنافقين مَن قد يَتوب، حيث قال: **ويعذّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم**، ويعذبَ الذي[2] مات[3] على نفاقه. **إن الله كان غفورًا رحيمًا**، أي لم يزل غفورًا رحيمًا. **رحيمًا**،[4] حيث رحمهم ولم يأخذهم وقت ارتكابهم الجرم ولكن أمهلهم.
*والله أعلم.*

**﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾**[٢٥]

وقوله: **وردّ الله الذين كفروا بغيظهم**، أي ردَ كفار مكة يوم الخندق، **لم ينالوا خيرًا**، قال بعضهم: أي غنيمةً، أي ردهم بغيظهم لم يصيبوا شيئًا من الغنيمة. فإن كان المراد من الخير الغنيمة فجائز أن يُستدلّ [بالآية][5] على تملّك أهل الحرب أموالَ المسلمين إذا أحرزوها، حيث قال: **لم ينالوا خيرًا**، أي مالاً. وجائز أن يكون قوله: **لم ينالوا خيرًا**، أي سرورًا بما كانوا يأمُلون ويطمَعون هلاك المؤمنين على أيديهم لمَا أحاطوا بهم وضيّقوا عليهم الأمر حتى احتاجوا إلى الخندق فكانوا في أيديهم، يقول: إنهم لم ينالوا ذلك السرور الذي كانوا يأملونه[6] ويرجونه.
*والله أعلم.*

---

[1] ر م: أخير.
[2] ر ث م: الذين.
[3] ث: ماتوا.
[4] م - رحيما.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٣ظ.
[6] ر م: يأملون.

وقوله: **وكفى الله المؤمنين القتالَ**، حيث بعث[1] عليهم الريح وسلّط عليهم الملائكة حتى هزموهم وكُفُوا[2] القتال والحربَ معهم. **وكان الله قويًا عزيزًا**، أي[3] لم يزل قويًا عزيزًا، لأنه قويّ بذاته عزيز بذاته، لا يلحقه ذلّ وإن لحق أولياءه الذل والضعف. ليس كملوك الأرض إذا ذهب أصحابُهم أو دخل فيهم ذلّ وضعف ذل مَلِكهم، لأنه عزيز بجنده وحشمه، فأما الله سبحانه قويّ بذاته عزيز بذاته لا يلحقه ذل[4] ولا ضعف بذهاب أوليائه.*

**﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾**[٢٦]

وقوله: **وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صَيَاصِيهم**، ذُكر في القصة أن اليهود -يهود بني قُرَيْظَةَ- ظاهروا أبا سفيان وأصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، فلما انهزم المشركون تحصّن بنو[6] قُرَيْظَة / في حُصُونهم، [٦٠٥و] ورجع النبي[7] إلى المدينة، فجاءه جبريل فقال له: "يا محمد واللهِ[8] ما وضع أهل السماء أسلحتهم وقد وضعتم أنتم أسلحتكم، اخرج إلى بني قريظة"، فقال[9] له النبي: «فكيف أصنع بهم وهم في حِصنهم؟» قال: "اخرج إليهم فواللهِ لَأَدُقَّنَّهم بالخيل والرجال كما تُدَقّ[10] البَيْضَة على الصفا ولَأُخرِجنَّهم من حصونهم"،[11] فنادى رسول الله في الناس وأمرهم[12] بالخروج إلى بني قريظة، فخرجوا فحاصروهم كذا كذا ليلة حتى صالحهم على حكم سعد بن معاذ، فنزلوا على حكمه،

[1] ن - بعث، صح هـ.
[2] جميع النسخ: حتى هزموهم حتى كفوا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٠ظ.
[3] ر ث م + كان الله.
[4] م - وإن لحق أولياءه الذل والضعف ليس كملوك الأرض إذا ذهب أصحابهم أو دخل فيهم ذل وضعف ذل ملكهم لأنه عزيز بجنده وحشمه فأما الله سبحانه قوي بذاته عزيز بذاته لا يلحقه ذل، صح هـ.
* وقعت هنا قطع من تفسير الآيات السابقة برقم ١٣ ورقم ١٤ ورقم ١٨ ورقم ١٩ ورقم ٢٠ ورقم ٢٣ ممزوجًا، فقدّمنا كل واحد منها إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٦٠٤ظ/سطر١٣-٣٧.
[6] ث: بنوا.
[7] ن: رسول الله.
[8] ث - والله.
[9] ن: فيقال.
[10] جميع النسخ: كما يدق.
[11] ر ث: حصنهم.
[12] ر م: وأمر.

فحَكَم سعد أن تُقتَل مقاتِلتُهم وتُسْبِيَ[1] ذراريُهم ونساؤهم. فقيل: إن رسول الله قال يومئذ: «يا سعدُ، لقد حكمت فيهم بحكم الله».[2] فأخرجت المقاتِلة فقتلوا، وسَبَوا ذراريهم، فقسَّم أرضهم بين المهاجرين، فقال قومه والأنصار: "آثرتَ المهاجرين بالعَقار دوننا"، فقال: «إنكم ذوو[3] عقار وإن[4] القوم لا عقار لهم»، أو كلام نحو هذا.[5] فذلك قوله: **وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب**، يعني الذين ظاهروا أبا سفيان والمشركين جميعًا على رسول الله وأصحابه، **من صَيَاصِيهم**، أي من حصونهم، **وقذف في قلوبهم الرعب فريقًا تقتلون**، وهم المقاتِلة، **وتأسرون فريقًا**، وهم النساء والذراريّ.[6]

*و[قال القُتَبِي وأبو عَوْسَجة:] قوله: **من صَيَاصِيهم**، من حصونهم،[7] وأصل "الصياصي" [٦٠٥و س ٣٠] قرون البقر، لأنها تمتنع بها وتَدفع عن أنفسها، فقيل[8] للحصون "صياصي" لأنها تمنع.[9] والواحدة صِيصَة،[10] وصِيصَة[11] الديكِ عُرْفه، والصِيصَة[12] حَفّ[13] صغير يحوك به الحائك،[14] ويجمع[15] هذا كلَّه "صَيَاصِي".*[16] [٦٠٥و س ٣٣]

---

[1] جميع النسخ: أن يقتل مقاتلتهم ويسبى. والتصحيح من مصادر الرواية.

[2] صحيح *البخاري*، مناقب الأنصار ١٢؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد والسير، ٦٤.

[3] جميع النسخ: ذو.

[4] ن: فإن.

[5] انظر للروايات المختلفة في القصة: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٤٣؛ و*السيرة النبوية* لابن هشام، ٢/٢٣٣؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٢٠/٣٧٠-٣٧١، ٣٨٨-٣٩٢؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٤/١٤١-١٤٢؛ و*تفسير الطبري*، ١٩/٧٢-٧٨؛ و*الأوسط* لابن المنذر النيسابوري، ١١/٣٢٨-٣٢٩؛ و*النكت والعيون* للماوردي ٤/٣٩١-٣٩٢، و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٢/١٥-١٦.

[6] ن: والذراي.

[7] ر م: و حصونهم.

[8] ن: وقيل.

[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٤٩.

[10] ر ن ث: صيصية.

[11] جميع النسخ: وصيصية.

[12] جميع النسخ: والصيصية.

[13] ر ث م: خف. الحَفّ: خشبة عريضة في المنسج تُنَسَق بها اللحمة بين السدى. والجمع حفوف (*المعجم الوسيط*، «حف»).

[14] م - الحائك.

[15] ر ث م: وتجمع.

[16] ن ث: صياصٍ. الصِيصَة: الصِّنارة التي يُغزَل بها وينسج؛ وشوكة الحائك التي يسوّي بها السَّداة واللُّحمة؛ وقرن البقر ونحوه؛ والجمع: صياصٍ. والصِّيصَة والصِّيصِيَة: مخلب الديك الذي في ساقه؛ الحصن (*المعجم الوسيط*، «صيص»).

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٥و/سطر ٣٠-٣٣.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾[٢٧]

**وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضًا لم تطئُوها**، أي لم تملكوها. اختلف في قوله: **وأرضًا لم تطئوها**، قال بعضهم: هي أرض مكة، وقال بعضهم: هي أرض الشام وقراها، وقال بعضهم: هي أرض خيبر، أي سيورثكم الله إياها أيضًا. فأما أرض مكة فقد فتحها وتركها في أيدي أهلها، وكذلك بلاد الشام وقراها. وعن الحسن هي أرض الروم وفارس وما فتح الله عليهم.[١] وأما خيبر فقد فتحها وقسّم أرضها[٢] بين ما ذكرنا وجعلها فيئًا، فهو أشبه من غيره. ففيه أن من يَخْلُف في[٣] ملك غيره وصَفًا ملكُه له[٤] وانتقل إليه يسمى وارثًا بموت أو بغيره،[٥] حيث قال: **وأورثكم أرضهم**،[٦] الآية، وكذلك ما قال: وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ،[٧] إلى كذا، وقوله: يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ،[٨] أي يبقون فيه ونحوه؛ وكقوله: وَلِلّٰهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[٩] أي يبقى [له] ملك السماوات والأرض، أي لا ينازَع فيه، وكذلك يخرج قوله: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ،[١٠] أي نَبقى فيها، والخلائق[١١] يَفنُون.

ثم الفائدة في ذكر هذا وأمثاله، وهم[١٢] قد شاهدوها وعاينوها، يخرج على وجوه. أحدها تعريف لآخِر[١٣] هذه الأمة أن أوائلهم ما قاسُوا وما تحمّلوا من الشدائد والبلايا في أمر هذا الدين حتى بلغ هذا المبلغ، فنجتهد نحن كما اجتهد أولئك في حفظ هذا الدين وفي أمره. والثاني أَمرَهم بالتأهّب للعدو[١٤] حتى أُمروا بالخندق والتحصّن بأشياء، ثم جاءهم الغوث من الله بغير الذي أُمروا،

---

[١] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٣٦؛ و*تفسير الطبري*، ١٩/٨٢؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ٩/٣١٢٦.
[٢] جميع النسخ - أرضها. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٤و.
[٣] ر م: من.
[٤] ر ث م: الآخر؛ ن: لآخر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر: وبغيره.
[٦] م + وديارهم.
[٧] ﴿وقالوا الحمد لله الذي صَدَقَنا وَعْدَه وأورثنا الأرض نَتَبَوَّأُ من الجنة حيث نشاء﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٧٤).
[٨] ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١٠-١١).
[٩] سورة آل عمران، ٣/١٨٠؛ وسورة الحديد، ٥٧/١٠.
[١٠] سورة مريم، ١٩/٤٠.
[١١] ن: الخلائق.
[١٢] جميع النسخ: وأمثاله لنا إذ هم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦١ظ.
[١٣] ر م: للآخر.
[١٤] جميع النسخ: مع العدو.

ليكونوا أبدًا متأهبين مستعدين لذلك[1] ولا يرجون النصر والظفر من ذلك الوجه ولكن[2] بفضل الله ونصره، على ما أخبر[3] عنهم:[4] وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا،[5] الآية. والثالث أن لا يُؤْيِسهم خروج أنفسهم من أيديهم وإحاطة العدوّ بهم وكونُهم في أيديهم من رَوْح الله ورحمته وغوثه إياهم؛ لأن الخوف قد بلغ بهم[6] المبلغ الذي ذكر، حيث قال: وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، إلى قوله: وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا.[7] وفيه دلالة إثبات الرسالة لرسول الله، لأنه وعد لهم النصر فكان على ما وعد، ليعرفوا صدقه في كل ما يخبر ويعد. **وكان الله على كل شيء**، أراد من فتح أو نصر أو غيره، **قديرًا**.*

وقال بعضهم في[9] قوله: **وأرضًا لم تَطَئُوها**، هو ما يَظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾**[٢٨]

وقوله: **يا أيها النبيّ قل لأزواجك إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها**، قال بعض أهل التأويل: إنهن جلسن فجعلن يخترن[10] الأزواج في حياة رسول الله، فنزلت الآية توبيخًا لهنّ وتعييرًا على ذلك. لكن هذا بعيد محال، لا يحتمل أن تكون[11] أزواجه يخترن الأزواج وهن / تحته في حياته، فذلك سوء الظنّ بهنّ. وقال بعضهم: إنهنّ طلبن منه النفقة[12] فنزل ما ذكر. [٦٠٥ظ]

---

[1] ن: بذلك.
[2] ر ث م: وذلك.
[3] ر م: على ما أخبره.
[4] جميع النسخ: أخبر منهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٤و.
[5] ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبت ثم ولّيتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذّب الذين كفروا﴾ (سورة التوبة، ٩/٢٥-٢٦).
[6] م - بهم.
[7] ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتُلي المؤمنون وزُلزلوا زلزالا شديدا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/١٠-١١).
* وقعت هنا قطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٢٠ ورقم ٢٣ ورقم ٢٦ ممزوجًا، فقدّمنا كل واحد منها إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٦٠٥و/سطر٢٩-٣٦.
[9] ن + قولهم، مشطوب.
[10] ر م: تخيرن.
[11] ر م: يكون.
[12] ر ث م: النفقة منه.

وقيل: إنهنّ قد تحدثن[1] بشيء من الدنيا ورَكَنَّ إليها فنزل ما ذكر عتابًا لهن وتعييرًا، ونحوَ ذلك قد قالوا. وجائز أن يكون الله يمتحن رسوله وأزواجه بالتخيير واختيار الفراق منه ابتداء امتحان من غير أن يكون منهنّ شيء مما ذكروا ولا سبب. وعلى ذلك روي في الخبر عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بِي، فقال: «يا عائشة، إني ذاكرٌ لكِ أمرًا فلا عليك أن لا[2] تستعجلي حتى تَسْتأمِري أبويكِ». قالت:[3] وقد علم أن أبويّ[4] لم يكونا ليأمراني بفراقه. قالت: ثم قال: «إن الله يقول: **يا أيها النبيّ قل لأزواجك إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها** -إلى قوله- أَجْرًا عَظِيمًا»،[5] فقلتُ: أفي[6] هذا أستأمرُ أبَوَيَّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. وفَعَل سائر أزواجه مثل ما فعلتُ.[7] وفي بعض الأخبار أنها قالت: بل أختارُ الله ورسوله والدار الآخرة.[8] فدلّ قولها لَمّا أُمر رسول الله بتخيير أزواجه أن ذلك من الله ابتداء امتحانٍ من غير أن كان منهن ما ذكروا من الركون إلى الدنيا أو التحدّث[9] بما ذكروا.[10]

وفيه وجوه من الدلالة. أحدها إباحة طلب الدنيا وزينتها من وجه يحلّ[11] ويَجْمُل، حيث قال: **فتعالَيْنَ أُمتعكنّ وأسرحكنّ سراحًا جميلاً**، لأنه لو لم يكن يحلّ ذلك لهنّ وكنّ منهيّات عن ذلك لكان رسول الله لا يفارقهنّ حتى[12] يخترن المنهيّ من الأمر وقد كان يملك حبسهن في ملكه حتى لا يخترن ما ذكر[13] من المنهيّ، دل ذلك -والله أعلم- أن ذلك كان على وجه يحل ويجمل. و[الثاني] فيه أن رسول الله لم يكن عنده ما ذكر من الدنيا والزينة وما يستمتع بها،

---

[1] ر م: تحدث.
[2] ن - لا.
[3] ر م + وقد علم الله.
[4] جميع النسخ: أبواي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٢ظ.
[5] الآية التالية.
[6] ر: اني؛ م: ان.
[7] صحيح *البخاري*، التفسير ٣٣/٥؛ وصحيح *مسلم*، الطلاق ٢٢.
[8] صحيح *مسلم*، الطلاق ٢٩.
[9] جميع النسخ: والتحدث. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٢ظ.
[10] ر م: بما ذكر.
[11] م: ويحل.
[12] ر م + لا.
[13] جميع النسخ: ما ذكره. والتصحيح من المرجع السابق.

إذ لو كان عنده ذلك لم يحتمل أن يخيّرهن بالفراق منه لما ذكر وعنده[1] ذلك، ولا هنّ يخترن الفراق منه وعنده ذاك،[2] دلّ أنه لم يكن عنده ما ذكر. ويَبطل قول من يقول: إنه كان عنده الدنيا، ويفضّل الغِنى[3] على الفقر بذلك. و[الثالث] فيه دلالة أن أزواجه كنّ يَحْلِلْن لغيره في حياته إذا فارقهنّ،[4] لأنهنّ إذا لم يحللن لغيره لم يكن لقوله:[5] **فتعالين أمتعكن وأسرّحكنّ سراحًا جميلًا**، معنًى، لأنهنّ إذا لم يحللن لغيره وعندهن ما ذكر من الدنيا يحملهنّ ذلك على الفجور. فدلّ أنهنّ كنّ يحللن لغيره في حياته إذا فارقهنّ، وإنما لم يحللن لغيره إذا مات، فيكون له حكم الحياة كأنه حيّ في حق أزواجه. ويخرج قوله: خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ،[6] في الآخرة، لا تحل لغيره إذا مات،[7] فتكون[8] زوجته في الجنة.

ثم اختلفت[9] الصحابة رضي الله عنهم فيمن خيّر امرأته فاختارت. قال بعضهم: إذا خيّرها [فاختارت زوجها] فهي[10] تطليقة رجعية، وإذا اختارت [نفسها] فهي بائنة، وهو قول علي رضي الله عنه. وقال بعضهم: إذا اختارت نفسها فهي[11] ثلاث، وإذا اختارت زوجها فلا شيء. وقال بعضهم: إذا اختارت زوجها فلا شيء،[12] وإن اختارت نفسها فهي تطليقة بائنة.[13]

---

[1] ث: عنده.

[2] ر م: ذلك.

[3] جميع النسخ: الغناء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٣و.

[4] جميع النسخ: فارقن منه. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] ر ث: كقوله.

[6] انظر: الآية ٥٠ من هذه السورة.

[7] ر ث م – إذا مات.

[8] ن: فيكون.

[9] ر م: اختلف.

[10] جميع النسخ: فهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٤ظ.

[11] ن + تطليقة رجعية، مشطوب.

[12] جميع النسخ: إذا اختارت زوجها فهي تطليقة رجعية. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] انظر: مصنف *عبد الرزاق*، ٩/٧-١٠؛ وسنن *سعيد بن منصور*، تحقيق الأعظمي، ٣٧٨/١. «وقد اختلف السلف فيمن خيّر امرأته، فقال علي رضي الله عنه: إن اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة، وذلك في رواية زادان عنه. وروى أبو جعفر عن علي أنها إذا اختارت زوجها فلا شيء وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة. وقال عمر وعبد الله رضي الله عنهما في الخيار و"أمركِ بيدكِ": إن اختارت نفسها فواحدة رجعية وإن اختارت زوجها فلا شيء. وقال زيد بن ثابت في الخيار إن اختارت زوجها فلا شيء وإن اختارت نفسها فثلاث، وقال في "أمرك بيدك" إن اختارت نفسها فواحدة رجعية» (*أحكام القرآن* للجصاص، ٢٢٧/٥؛ وشرح *التأويلات*، ٦٠٤ظ).

وعندنا أن التخيير نفسه لا يكون طلاقًا، فإن اختارت زوجها[1] فلا شيء،[2] وإن اختارت[3] نفسها فهي بائن.[4] أما قوله: "إذا اختارت زوجها لا شيء" لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها[5] قالت: خيّرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعدّ ذلك طلاقًا.[6] وأما قوله "إذا اختارت نفسها فيكون بائنًا" لأنه خيّرها بين أن تختار نفسها لنفسها وبين أن تختار نفسها لزوجها، فإن اختارت نفسها [لنفسها] فهي بائن، لأنا لو جعلناه رجعيًّا لم يكن اختيارها نفسها لنفسها ولكن لزوجها، إذ لزوجها[7] أن يراجعها شاءت أو أبت، وكان التخيير بين النفسين على ما ذكرنا. وأما قول من يقول[8] بأن نفس التخيير طلاق، فهو باطل لما ذكرنا من تخيير رسول الله أزواجه فلم يكن ذلك طلاقًا. وأما من قال بالثلاث إذا اختارت نفسها فهو كذلك عندنا إذا ذَكَر في التخيير الثلاثَ.[9] وأما قول[10] من قال بالرجعيّ فهو إذا صرّح بالتطليق فهو كذلك.[11] ***والله أعلم***.

وقوله: **إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها**، الإرادة هاهنا إرادة الاختيار والإيثار لحياة[12] الدنيا وزينتها، لا ميل القلب والرضاء به، وكذلك قوله: وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ،[13] هو إرادة الاختيار والإيثار، وهو ما يراد ويختار فعلاً لا ميل القلب والرضاء به؛ لأن كلّ ممكن فيه الشهوةُ مجعولٌ فيه هذه الحاجةُ، يميل قلبه ويركن إلى ما يتمتع بحياة الدنيا ولذّاتها ويرضاه ويحب، فدل أنه أراد إرادة الفعل والاختيار لا إرادة القلب ورضاه.

---

[1] ر م: نفسها.

[2] ر ث م: لا شيء.

[3] ر ث م: وإذا اختارت.

[4] *المبسوط* لشمس الأئمة السرخسي، ٦/٢٤٨-٢٤٩؛ و*بدائع الصنائع* للكاساني، ٤/٢٥٨-٢٦٣.

[5] ر م – أنها.

[6] صحيح *البخاري*، الطلاق ٥؛ وصحيح *مسلم*، الطلاق ٢٧.

[7] ن + إذ لزوجها.

[8] ن – من يقول.

[9] «فإن ذكر الثلاث في التخيير بأن قال لها: اختاري ثلاثا، فقالت: اخترت، يقع الثلاث؛ لأن التنصيص على الثلاث دليل إرادة اختيار الطلاق، لأنه هو الذي يتعدد، فقولها "اخترتُ" ينصرف إليه فيقع الثلاث» (*بدائع الصنائع* للكاساني، ٤/٢٦٢).

[10] ر – قول.

[11] «وإن قال لها: اختاري الطلاق، فقالت: اخترتُ الطلاق، فهي واحدة رجعية؛ لأنه لما صرح بالطلاق فقد خيّرها بين نفسها بتطليقة رجعية وبين رد التطليقة» (*بدائع الصنائع* للكاساني، ٤/٢٦٢).

[12] ر م: حياة.

[13] الآية التالية.

ثم فيه ما ذكرنا من حِلّهن لغير رسول الله إذا اخترن الفراق منه، لما ذكر أنه يُمَتِّعن،[١] ومعلوم أنهن لا يكتسبن بأنفسهن حتى يَتَمتَّعْن بذلك، ولم يكن عندهنّ ما يتمتّعن، فدلّ أنه إنما يُمَتّعن[٢] بأموال أزواجهنّ، فدل ذلك[٣] على حِلّهن لغيره في حياته إذا فارقن. **والله أعلم**.

**﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[٢٩]

وقوله: **وإن كنتنّ تردن الله ورسوله والدار الآخرة**، معلوم أنهنّ إذا / اخترن الحياة الدنيا [٦٠٦و] وزينتها لا يحتمل أن لا يُرِدْنَ[٤] الله، لكن إضافة ذلك إلى الله لِاختيارهن المُقامَ عند رسوله، فيدل ذلك أن كل ما أضيف إلى الله ورسوله كان المراد به رسوله، نحو ما قال: فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ،[٥] وقوله: قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ،[٦] وأمثال ذلك.

ثم الزهد في الدنيا يكون على وجهين.[٧] أحدهما ترك المكاسب التي بها[٨] تتوسع[٩] الدنيا وتكون[١٠] بها السعة في الدنيا، وأن يؤثرها[١١] لغيره[١٢] على نفسه، واختيارُ حالِ الضِّيق من غير تحريم ما أُحِلَ وطُيِّب له. والثاني بذل ما عنده لغيره وإيثاره له[١٣] على نفسه، وجعْله أولى به منه، لا في تحريم المحلّلات والطيّبات.

وقوله: **فإن الله أعدّ للمحسنات منكنّ أجرًا عظيمًا**، يحتمل قوله: **أعدّ للمحسنات منكنّ أجرًا عظيمًا**، أي إذا اخترن المُقام عند رسول الله يصرن محسنات بذلك، فأعدّ لهنّ ما ذكر،

---

[١] م: يمتعهن.
[٢] ر م: يمتعهن؛ ث: يتمتعن.
[٣] ر م – ذلك.
[٤] ر: لا تردن.
[٥] ﴿واعلموا أنما غَنِمْتم مِن شيء فأن لله خُمُسَه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤١).
[٦] ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾ (سورة الأنفال، ٨/١).
[٧] جميع النسخ: يكون بوجهين. والترجيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٣ظ.
[٨] ر م – بها.
[٩] جميع النسخ: يتوسع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٥و.
[١٠] جميع النسخ: ويكون.
[١١] جميع النسخ: ويؤثرها. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر م: لغيرها.
[١٣] ر – له.

فيكون ذلك الاختيار منهنّ الإحسانَ فاستوْجبن ما ذكر.[1] ويحتمل، **وإن كنتنّ تردن الله ورسوله**، ودُمتنّ على ذلك واكتسبتنّ[2] الأعمال الصالحاتِ والإحسانَ حتى خُتمتنّ على ذلك فأُعدّ لَكُنّ ذلك،[3] لا بنفس اختيار مُقامكنّ معه. *والله أعلم*.

**﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[٣٠]**

وقوله: **يا نساء النبيّ من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين**، قال بعضهم: الفاحشة المبيّنة هي النشوز البيّن. وقال بعضهم: لا، بل الفاحشة المبيّنة هي الزنا الظاهر، ويقال: مبيَّنَةٍ بشهادةِ أربعةٍ عَدولٍ.[4] و"مبيّنة" بالكسر[5] أي بينة[6] ظاهرة. **يُضاعَفْ لها العذاب ضِعفين**، [قيل:][7] الجَلد والرجم في الدنيا.[8] *وقال بعضهم: **يضاعف لها العذاب ضعفين**، في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فَمِثْلَيْ حدود النساء،[9] وأما في الآخرة فضِعْفَيْ ما يعذَّب به سائر النساء.* ولكن كيف يعرف[11] ضِعف الرجم في الدنيا ولا[12] يعرف حد رجم واحد إذا كان ذلك في عذاب الدنيا؟ وإن كان ذلك في عذاب الآخرة فكيف ذَكَر "فاحشة مبينة"،[13] وذلك عند الله ظاهر بين؟ * والأشبه أن يكون ما ذكر من ضِعف العذاب في الآخرة، على ما يقوله[14] بعض أهل التأويل.

---

[1] م: ما ذكروا.

[2] ر م: واكتسبن.

[3] ر ث م - ذلك.

[4] وعبارة *الشرح* هكذا: «ويقال: الزنا المبيّن بشهادة أربعة عدول» (ورقة ٦٠٥و).

[5] «قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب وعاصم برواية حفص وحمزة والكسائي وخلف ﴿بفاحشة مبيِّنة﴾ بكسر الياء، وقرأ ابن كثير وعاصم برواية أبي بكر ﴿بفاحشة مبيَّنة﴾ بفتح الياء» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ١٧٨).

[6] ر م: مبينة.

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٥و.

[8] أي يضاعف لها الحدود في الدنيا.

[9] أي فتعذَّب هي مثلي حدود النساء.

* وقع ما بين النجمتين في جميع النسخ عقيب قوله: "وذلك عند الله ظاهر بين".

[11] م - يعرف.

[12] جميع النسخ: من لا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٤و.

[13] ن ث: بينة.

[14] جميع النسخ: على ما يقول. والتصحيح من المرجع السابق.

ألا ترى أنه ذكر لهن الأجر كِفلين،[1] ومعلوم أن ذلك في الآخرة،[2] فعلى ذلك العذاب. وأما قوله: **مبيّنة**، عند الخلق، وإن كانت عند الله مبيَّنة ظاهرة، وذلك جائز في اللغة.*

وجائز[4] أن يكون هذا صلة قوله: إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا،[5] إذا اخترن الدنيا وزينتها[6] فمتى أتين بفاحشة مبينة[7] ضوعف لهنّ من العذاب ما ذَكَر.[8] وإذا اخترن المُقام عند رسول الله والدار الآخرة آتاهنّ الأجر مرتين. أو أن يكون إذا اخترن المقام عند رسول الله والدار الآخرةَ ثم أتين بفاحشة ضوعف لهنّ ما ذكر[9] من العذاب، لئلّا يَحْسَبْن أنهن إذا اخترن الله ورسوله والدار الآخرة لا يعاقَبن بما ارتكبن من معصية، بل إخبار لهن أنكن وإن اخترتن الدار الآخرة[10] ثم ارتكبتن[11] ما ذَكَر عوقبتُنّ[12] ضعف ما عوقب به غيركن،[13] وإذا أطعتن الله ورسوله ضوعف لكُنّ الأجر مرتين. ***والله أعلم.***

وقوله: **وكان ذلك على الله يسيرًا**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما أي عذابهنّ، **على الله يسيرًا**، هيّنًا، لا يَثْقُل عليه ولا يشتدّ لمكان رسول الله، بل عليه[14] يسير هيّنٌ. والثاني أن إتيانكن الفاحشة ومعصيتكن على الله يسير،[15] أي لا يلحقه ضرر ولا تبعة، ليس كمعصية خواص الْمَلِك له في الدنيا يلحقه الضرر والذلّ إذا عصوه وأعرضوا عنه، فأما الله سبحانه وتعالى عزيز بذاته غنيّ، لا يضرّه عصيان عبيده، بل ضروا أنفسهم.

---

[1] يشير إلى قوله تعالى: ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ في الآية التالية.

[2] ن – على ما يقوله بعض أهل التأويل ألا ترى أنه ذكر لهن الأجر كفلين ومعلوم أن ذلك في الآخرة.

* وقع ما بين النجمتين في جميع النسخ عَقِبَ قوله: "ضوعف لكن الأجر مرتين والله أعلم".

[4] ر م: فجائز.

[5] الآية السابقة برقم ٢٨.

[6] ر ث م – وزينتها.

[7] جميع النسخ – مبينة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٤و.

[8] م: ما ذكروها.

[9] م – ما ذكر.

[10] ر ث م – لا يعاقبن بما ارتكبن من معصية بل إخبار لهن أنكن وإن اخترتن الدار الآخرة.

[11] ر م: ارتكبن.

[12] ر م: عوقبن.

[13] جميع النسخ: غيره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٥و.

[14] ر ث م: على الله.

[15] ر ث: يسيرا.

**﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾**[٣١]

وقوله: **ومن يقنت منكنّ لله ورسوله**، أي من يطع منكنّ لله ورسوله، **وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين**، في الآية دلالة فضيلة أزواج رسول الله لمكان رسول الله وعظيم قدره، حيث خاطبهنّ من بين غيرهنّ من النساء، كما خاطب مريم[١] بقوله:[٢] يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ.[٣]

ثم يحتج الشافعي بقوله: **نؤتها أجرها مرتين**، لتأويله في قوله: اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ،[٤] يقول: "قوله: اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ، أي تطليقتان في دفعة واحدة بمرة واحدة من غير إحداث التطليق والفصل[٥] فيما بينهما"، ويستدل[٦] على ذلك بقوله: **نؤتها أجرها مرتين**، أي أجرين من غير إحداث فعل فيما بينهما، ولكن بفعل واحد، و[هو كـ]قوله:[٧] يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ،[٨] أي أجرين.[٩] لكن عندنا يجوز "الإيتاء" بمعنى "الإيجاب"، أي يوجب[١٠] لها الأجر مرتين، نحو قوله: فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ،[١١] أي أوجب لهم ثواب الدنيا وثواب الآخرة، فعلى ذلك هذا،[١٢] ونحوه كثير. *والله أعلم*.

---

[١] ن: بهم.
[٢] ر م: يقول.
[٣] سورة آل عمران، ٣/٤٣.
[٤] ر ث م + بقوله. سورة البقرة، ٢/٢٢٩.
[٥] جميع النسخ: والفعل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٥ظ.
[٦] ن ث: يستدل.
[٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٥ظ.
[٨] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢٨).
[٩] «قال أبو حنيفة رحمه الله: طلاق الثلاث واقع لكنه حرام مبتدَع، وقال الشافعي رحمه الله: لا يحرم على الرجل أن يطلق امرأته ثلاثًا. واستدل مَن منع من وقوع الطلاق الثلاث بأن الله تعالى فرق طلاق الثلاث بقوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ فلم يجز أن يجمع ما أمر بتفريقه. فالجواب من وجهين. أحدهما أن المقصود به عدد الطلاق وأنه ثلاث، وأنه يملك الرجعة بعد اثنين ولا يملكها بعد الثالثة حتى تنكح زوجًا غيره، ولم يرد به تفريق الطلاق أو جمعه. والثاني أن قوله: ﴿الطلاق مرتان﴾ يقتضي في وقت واحد لا في وقتين، كما قال تعالى: ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ يعني أجرين في وقت واحد، لا في وقتين. وهم يحرمون وقوع الطلقتين في وقت كما يحرمون وقوع الثلاث» (*الحاوي الكبير* للماوردي، ١٠/١١٨، ١٢١).
[١٠] ن: توجب؛ م: ويوجب.
[١١] سورة آل عمران، ٣/١٤٨.
[١٢] ر م: ما ذكر؛ ث − هذا.

**﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[٣٢]**

وقوله: **يا نساء النبي لستنّ كأحد من النساء**، قال بعض أهل الأدب: "أحد" أجمع في الكلام من "واحد"، لأنه يرجع إلى واحد وإلى جماعة، وقوله: "واحد" إنما يرجع إلى الفرد خاصة وإنما يخاطب به الواحد.[١] وقوله: **إن اتقيتنّ**، يحتمل:[٢] إن اتقيتنّ اختيار الدنيا وزينتها، واتقيتنّ أيضًا نقض اختيار رسول الله والدارِ الآخرة. وجائز أن يكون على الابتداء: إن اتقيتنّ مخالفة الله ومخالفة رسوله. / وقوله: **لستن كأحد من النساء إن اتقيتن**، فإنكنّ معشرَ أزواج النبيّ تنظرن[٣] [٦٠٦ظ] إلى الوحي وتَصْحَبْنَ رسول الله بالليل والنهار وتَرَيْنَ أفعاله وصنيعه، فإنكن أحق الناس بالتقوى وترك الميل إلى الدنيا والركون إليها ممن لا ينظر إليه ولا يصحبه إلا في الأوقات مرة. أو أن يكون[٤] قوله: **لستن كأحد من النساء**، في الفضيلة على غيرها من النساء، لأنكن[٥] أزواج رسول الله في الآخرة وترتفعن[٦] إلى درجات رسول الله وتكن[٧] معه، فإنكن لستن كغيركن من النساء في الفضيلة والدرجة، **إن اتقيتن**، ما ذكرنا من مخالفة رسول الله واختيار الحياة الدنيا وزينتها والميل إليها والركون فيها. ***والله أعلم***.

وقوله: **فلا تخضعن بالقول**، قيل فلا تلِنّ[٨] بالقول،[٩] **فيطمعَ الذي في قلبه مرض**، قال بعضهم: أي فُجورٌ وزِنًا، **وقلن قولا معروفًا**، أي خَشِنًا شديدًا. وقال بعضهم: **فيطمع الذي في قلبه مرض**، أي نفاق، وهذا أولى لأن أصحاب رسول الله لا يحتمل أن يكون أحد منهم يطمع في أزواج[١٠] رسول الله نكاحًا بحال أو رغبةً فيهن، بعد عِلمنا منهم أنهم إذا علموا من رسول الله رغبة في أزواجهم طَلَّقُوهن ليتزوجهن رسول الله، فلا يحتمل بعد ما عُرف منهم هذا

---

[١] أي لفظ "الأحد" يصلح للواحد والجماعة، وأما لفظ "الواحد" لا يصلح ولا يخاطب به إلا للواحد.
[٢] ر ن م + قوله.
[٣] م: ينتظرن.
[٤] ر م: وأن يكون.
[٥] ر م: لأنهن يكن.
[٦] ر م: ويرتفعن.
[٧] ر م: ويكن.
[٨] جميع النسخ: فلا تلين.
[٩] جميع النسخ: في القول. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٥و.
[١٠] ن – يطمع أزواج.

أن يطمع أحد منهم[1] ويرغب في أزواجه نكاحًا، فضلاً عن أن يرغب[2] فجورًا. ولكن إن كان ذلك فهو من أهل النفاق، وجائز[3] أن يرغبوا فيهنّ نكاحًا لأنهنّ أعظم الناس نسبًا وحسبًا وأكرمهم جمالاً وحُسنًا، فجائز وقوع الرغبة فيهنّ من أهل النفاق لما ذكرنا، وأما من أهل الإيمان فلا يحتمل ذلك لما ذكرنا. ويدلّ على ذلك قوله: وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً،[4] دلّ هذا أنهنّ بحيث يُرغَب فيهنّ ويُطمَع.

وقال بعضهم: **فلا تخضعن بالقول**، يقول: فلا تَرْمِيَنَّ بقول يقارب الفاحشة، **فيَطمعَ الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفًا**، يعني قولاً حَسنًا يعرف لا يقارب الفاحشة، لكن هذا بعيد. وأصله،[5] **فلا تخضعن بالقول**، أي لا تقلن قولاً يعرف به الرغبة في الرجال والميل إلى الدنيا والركون فيها، **وقلن قولاً معروفًا**، ما يكون فيه تغيير المنكر والأمر بالمعروف. *والله أعلم*.

[٦٠٦ظ س ٢٦] * قال القتبي: **فلا تخضعن بالقول**، أي لا تَلِنّ به. وقوله: **وقلن قولاً معروفًا**، أي صحيحًا.[6] *

**﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣٣]**

وقوله: **وقرن في بيوتكنّ**، قد قُرئ بكسر القاف وفتحها، فمن قرأ بالكسر فهو من الوقار، ومن قرأ بالفتح: **وقَرن**، جعله من القرار والسكون فيها.[8] وقوله: **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**، قال بعضهم: تبرج الجاهلية الأولى[9] قبل أن يُبعث رسول الله كان[10] يخرج نساؤهم متبرجات بزينة مُظْهِرات، فأمر الله أزواج رسوله بالستر والحجاب عليهنّ وإدناء الجلباب عليهن،

---

[1] ن: منهم أحد.
[2] ر ث م: فضلا أن يرغب.
[3] ن: جائز.
[4] الآية ٢٨ من هذه السورة.
[5] ن ث: لكن أصله.
[6] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٠.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٦ظ/سطر٢٦.
[8] «قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم ﴿وقَرن﴾ بفتح القاف، وقرأ الباقون ﴿وقِرن﴾ بكسر القاف» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٥٨).
[9] ر – قال بعضهم تبرج الجاهلية الأولى.
[10] ن ث: كأنه.

وهو ما قال: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ.[١] وقال[٢] بعضهم: **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**، قال: الجاهلية التي وُلد فيها إبراهيم، أُعطُوا أموالاً كثيرة وكن يتبرجن في ذلك الزمان تبرجًا شديدًا، فأمر[٣] أزواجه بالعفّة والترك لذلك. فلسنا ندري ما أراد بالجاهلية الأولى[٤] ومن أراد بذلك: الذين كانوا بقرب خروج رسول الله وبعثه أو الذين كانوا من قبل في الأمم السالفة؟ والتبرّج كأنه هو الخروج بالزينة على إظهار لها.[٥]*

و[قال القتبي:] قوله: "وقِرن في بيوتكن"، بالكسر من الوقار، يقال:[٧] وَقَرَ في منزله يَقِرُ وُقُورَة.[٨] **وقَرن**، بفتح القاف من القرار، وكأنه من قَرَّ يَقَرُّ،[٩] أراد: اِقْرَرْنَ في بيوتكن، فحذَف الراء الأولى وحوّل فتحها إلى القاف، كما يقال: ظَلْن في موضع كذا، من ظَلِلْنَ.[١٠] قال الله تعالى: فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ.[١١] ولم نسمع قَرَّ يَقِرُّ إلا في موضع قُرّة العين، فأما في الاستقرار فإنما هو قَرَّ يَقَرُّ.[١٢]

وقوله: **وأَقِمْنَ الصلاة وآتين الزكاة**، يحتمل أن يكون الأمر لهنّ بإيتاء الزكاة من حُلِيّهنّ، لأنهن كنّ[١٣] لا يملكن شيئًا سوى ذلك ما يجب في مثله الزكاة. ألا يرى أنه وعد لهنّ التمتيع[١٤] والسراح الجميل إذا أردن الحياة الدنيا وزينتها،[١٥] فلو كان عندهنّ شيء من فضول الأموال لَكُنّ[١٦] ينفقن ويتمتعن وإن لم يكن عند رسول الله ما يمتعهن[١٧] ولا يطلبن ذلك من عنده.

---

[١] الآية ٥٩ من هذه السورة.

[٢] ر: قال.

[٣] ر ث م: وأمر.

[٤] ر م - الأولى.

[٥] ر ث م + أعني إظهار الزينة؛ ن: على إظهار الزينة.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدّمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٠٦ظ/سطر٢٦.

[٧] ر ث م: ويقال.

[٨] جميع النسخ: وقورا.

[٩] ر م: قرأ يقرأ.

[١٠] جميع النسخ: أظللن.

[١١] ﴿لو نشاء لجعلناه حُطامًا فظلتم تَفَكَّهُون﴾ (سورة الواقعة، ٦٥/٥٦).

[١٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٠-٣٥١.

[١٣] ر م - كن.

[١٤] م: التمتع.

[١٥] يشير إلى الآية السابقة برقم ٢٨.

[١٦] ر م: كن.

[١٧] ر م: ما يمتعن.

فدلّ ذلك أنهنّ لا يملكن شيئًا من ذلك. فيجوز أن يستدلّ بظاهر هذه الآية في إيجاب الزكاة في الحُلِيّ، وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه.[1] وقوله: **وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله**، أمرهن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لله ورسوله لئلّا يَغْتَرِرْن[2] بما اخترن المُقام مع رسول الله وإيثارهن إياه على أن ذلك كافٍ[3] لهن في الآخرة ولا شيءَ عليهن سوى ذلك من العبادات، بل إخبار أنكنّ وإن اخترتنّ المُقام معه وآثرتن إياه على الدنيا وزينتها لا يغنيكنّ ذلك عما ذكر. *والله أعلم*.

وقوله: **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهلَ البيت ويطهرَكم تطهيرًا**، قال بعضهم: إن هذه الآية مقطوعة عن الأولى، لأن الأُولى في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه في أهل بيته، وهو قول الروافض، / ويستدلّون بقطعها عن الأولى[4] بوجوه. أحدها ما روي [٢٠٧و] عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: "عنى بذلك عليًا وفاطمة والحسن والحسين"؛ وقالت: "لما نزلت هذه الآية أخذ النبي ثوبًا فجعله على هؤلاء، ثم تلا هذه[5] الآية: **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**"، فقالت أم سلمة من جانب البيت: "ألست[6] يا رسول الله من أهل البيت؟" قال: «بلى إن شاء الله».[7] وعن الحسن بن علي أنه خطب الناس بالكوفة، وهو يقول: "يا أهل الكوفة، اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وضِيفانكم،[8] ونحن أهل البيت الذي قال الله تعالى: **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**."[9] ويقولون أيضًا: إن الآية الأولى ذكرها بالتأنيث، حيث قال: **وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله**، وهذه ذكرها بالتذكير، دلّ أنها مقطوعة عن[10] الأولى.[11] ويقولون أيضا: إنه وعد أن يُذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا وعدًا مطلقًا غير مقيّد. وذلك الرجس الذي ذكر مما يحتمل أزواجه،

---

[1] *الاستذكار* لابن عبد البر، ٩/٧١.

[2] ر م: يغترن.

[3] ث: كان.

[4] ن: من الأول.

[5] جميع النسخ – هذه. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٦و.

[6] ر م – ألست؛ ث: البيت.

[7] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٢/٢١٤. وانظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٦/٢٩٢؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٣٣.

[8] جميع النسخ: وإنا ضيفانكم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٦و.

[9] تفسير *ابن أبي حاتم*، ٩/٣١٣٢؛ *والمعجم الكبير* للطبراني، ٣/٩٣؛ وتفسير *ابن كثير*، ١١/١٦١.

[10] ن – عن.

[11] ن: بالأولى.

ممكن ذلك فيهن، غير ممكن في أهل بيته ومن ذكر.[١] ويقولون أيضًا: ما روي عنه أنه قال: «تركت فيكم بعدي الثَّقَلَين، كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي ما إن[٢] تمسكتم[٣] بهما[٤] لَيَرِدَانِ بكم الحوضَ»، أو كلام نحو هذا.[٥] ففسر العترة بأهل البيت. ونحو ذلك من الوجوه.

وأما عندنا فهي غير مقطوعة عن الأولى،[٦] إما أن يكون على الاشتراك بينهن وبين من ذَكَر[٧] من أولاده، إذ اسم أهل البيت مما يجمع ذلك كله في العرف، أو تكون[٨] الآية لهنّ على الانفراد. فأما أن تخرج[٩] أزواجه عن أهل بيته –والبيت يجمعهم–[١٠] فلا يحتمل ذلك. وأما قولهم: "إنه ذكر هذه الآية بالتذكير والأُولى بالتأنيث"، فعند الاختلاط كذلك يُذكر باسم التذكير. وأما قولهم: "إنّ وعده لهم منه مَخرَجَ مطلقًا غير مقيد"، فكذلك كنّ أزواج رسول الله لم يأت منهنّ ما يجوز أن يُنسَبن إلى الرجس والقذر[١١] إلا فيما غولبن على رأيهن وتدبيرهن بالحيل،[١٢] فأخرجن فيما أُخرجن. وأما قولهم: في الثقلَين اللذين تركهما فينا بعده، الكتاب والعترةِ، وعترته سنته على ما قيل. وقوله: "أهل بيتي"، كأنه قال: تركت الثقلين: كتابَ الله وسنتي يا أهل بيتي،[١٣] وذلك جائز في اللغة. وأما ما روي عن أم سلمة فإنه في الخبر بيان على أن أزواجه دخلن فيه،[١٤] حيث قالت[١٥] له أم سلمة: "ألست[١٦] من أهل البيت؟" قال: «بلى إن شاء الله».

---

[١] ر م: ومن ذكره.
[٢] م – إن.
[٣] ر م: تمسكم.
[٤] ن ث: بها.
[٥] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٦/٣؛ وسنن *الترمذي*، المناقب، ٣١؛ والسنن *الكبرى* للنسائي، ٣١٠/٧، ٤٣٦–٤٣٧؛ والمستدرك للحاكم، ١٢٦/٣.
[٦] جميع النسخ: من الأولى. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٦و.
[٧] ر ن ث: ذكروا.
[٨] جميع النسخ: أو يكون.
[٩] ر م: يخرج.
[١٠] ن هـ: يجمعهن.
[١١] ر: أو القذر؛ م: والعذر.
[١٢] ر: بالخيل؛ م: بالجبل.
[١٣] ر م: بأهل بيتي.
[١٤] ر ث م – فيه.
[١٥] ر: قلت.
[١٦] ر ث م: البيت.

وفي هذه الآية دلالة نقض قول المعتزلة من وجوه. أحدها ما يقولون: إن الله قد أراد أن يطهّر الخلق كلّهم الكافر والمسلم، وأراد أن يُذهب الرجس عنهم جميعًا، لكن الكافر حيث أراد أن لا تُطَهّر[1] نفسُه ولا يُذهَبَ عنه الرجسُ لمْ يَطَّهَّرْ. فلو كان على ما يقولون لم تكن[2] لتخصيص هؤلاء بالتطهير[3] ودفع الرجس عنهم فائدة ولا منّةٌ. دلّ أنه[4] إنما يُطهّر من علم منه اختيار الطهارة وترك الرجس، وأما من علم منه اختيار الرجس فلا يحتمل أن يُذهب عنه[5] الرجس أو يريدَ منه غير ما يعلم[6] أنه يختار. وإن التطهير لمن يكون إنما يكون بالله لا بما يقوله[7] المعتزلة، حيث قال: **ويُطَهِّرَكم تطهيرًا**، إذ على قولهم لا يملك هو تطهير من أراد[8] تطهيره، إذ لم يبق عنده ما يُطهّرهم. فذلك كله ينقض عليهم أقوالهم ومذاهبهم.[9]

**﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾** [٣٤]

وقوله: **واذكرن ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما قوله: **اذكرن**، أي اُتْلُون[10] ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة.[11] والثاني،[12] **اذكرن**، على حقيقة الذكر، أي اذكرن ما منّ الله عليكن وجعلكن من أهل بيت يتلى فيه من[13] آيات الله والحكمة، وجعل بيوتكن موضعًا لنزول الوحي فيها وخصّكنّ بذلك ما لم يجعل في بيت أحد ذلك. يذكّرهنّ عظيم ما أنعم ومنّ عليهنّ، يستأدِي[14] به[15] شكره ليعرفن منة[16] الله ونعمه عليهنّ.

---

[1] جميع النسخ: لا يطهر.
[2] جميع النسخ: لم يكن.
[3] ر م: بالتطهر؛ ن ث: عن التطهير. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٦ظ.
[4] ر ث م – أنه.
[5] جميع النسخ: منه.
[6] ر م: تعلم.
[7] ر ث م: لا بما تقوله.
[8] م + هو.
[9] جميع النسخ: ومذهبهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ن ث: اتلن.
[11] ر ث م + وجعل بيوتكن موضعا لنزول الوحي.
[12] ن – والثاني.
[13] ر م – من.
[14] ر ث م: ليتأدى.
[15] ن – به.
[16] ر م: منته.

وقوله: **من آيات الله**، يحتمل[1] آيات القرآن، ويحتمل حججه وبراهينه. **والحكمة**، قالت الفلاسفة: "الحكيم" هو الذي يجمع العلم والعمل جميعًا. وقال بعضهم: "الحكيم" المُصيب، و"الحكمة" هي الإصابة. وقيل: هي وضع كلّ شيء[2] موضعه، وهي نقيض السّفَه. وأصل "الحكمة" في الحقيقة كأنه هي الإصابة في كل شيء، و"الحكيم" هو الذي لا يلحقه الخطأ في الحُكم ولا الغلط.[3] وقال بعضهم: الحكمة هاهنا هي السنة.

وقوله: **إن الله كان لطيفًا خبيرًا**، "اللطيف" هو البارّ، يقال: فلان لطيف، إذا كان بارًّا. والثاني "اللطيف" هو الذي يستخرج الأشياء الخفيّة الكامنة مما لا تتوهم[4] العقول استخراجها من مثلها.

**﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣٥]**

وقوله: **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات**، إلى آخر ما ذكر. ذُكر[5] أن أمّ سَلَمَة زوجَ النبي صلى الله عليه وسلم وامرأة يقال لها نُسَيْبَة[6] بنت[7] كعب أتَتَا[8] رسول الله فقالتا: يا رسول الله، ما بال ربّنا يذكر الرجال في القرآن بالخير ولا يذكر النساء في شيء؟ فنزل: **إن المسلمين والمسلمات**.[9]

---

[1] ث: تحتمل.

[2] ر ث م: وضع الشيء.

[3] م: ولا في الغلط.

[4] ر ث م: لا يتوهمها؛ ن: لا يتوهما.

[5] ر م – ذكر.

[6] جميع النسخ: أنيسة. هي نُسَيبة بنت كعب بن عمرو أمّ عُمارة، مشهورة بكنيتها واسمها معًا. انظر: *الاستيعاب* لابن عبد البر، ٩٥٨؛ و*الإصابة* لابن حجر، ٤٥/٨، ٣٣٣.

[7] ر: بن.

[8] ر م: أتيا.

[9] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٦/٣؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠١/٦، ٣٠٥؛ و*سنن الترمذي*، التفسير، ٤، ٣٣؛ و*بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٥٠/٣.

[٦٠٧ظ] ثم قوله:[1] **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات**، / يدلّ أن[2] الإسلام والإيمان[3] هما في الحقيقة واحد، أعني في حقيقة[4] المعنى واحد، وإن كانا مختلفين بجهة.[5] لأن الإسلام هو أن يَجعل كل شيء لله سالمًا خالصًا، لا يجعل لغيره فيه شركًا ولا حقًّا، والإيمان هو التصديق لله[6] بشهادة كلّ شيء له بالوحدانية والربوبية والألوهية. فمن جعل الأشياء كلّها لله خالصة سالمةً له،[7] والذي صدّق الله بشهادة كلّيّة[8] الأشياء له بالوحدانية والربوبية واحدٌ، لأن المخلِص هو الذي يرى كلّ شيء لِله خالصًا، والموحّد هو الذي يرى الوحدانية له والربوبية في كل شيء، فهُما في حقيقة المعنى واحد. *والله أعلم*.

وقوله: **والقانتين والقانتات**، "القنوت" هو القيام في اللغة. رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل عن أفضل الصلاة، فقال: «طول القنوت»،[9] وفي بعضه: «طول القيام»؛[10] فَسّر القنوت بالقيام، فثبت أن القنوت هو القيام. فيكون تأويله -والله أعلم-: **والقانتين والقانتات**، أي[11] القائمين والقائمات بجميع أوامر الله ونواهيه.[12] وكذلك يخرج تأويل أهل التأويل: "القائمين": المطيعين والمطيعات لله، لأن كل قائم[13] بأمرِ آخرَ فهو مطيع له، هذا كأنه[14] يكون في الاعتقاد. *والله أعلم*. *و[قال أبو عَوْسَجة:] "القنوت" في الأصل القيام، على ما ذكرنا.* [٦٠٩و س ٢٢]

---

[1] ر ث م: قول.

[2] ن – يدل أن؛ ث – ثم قول إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات يدل أن.

[3] ر: الإيمان.

[4] ر م: الحقيقة.

[5] م: من جهة.

[6] ر: الله.

[7] م – له.

[8] ر م: كليته.

[9] مصنف عبد *الرزاق*، ٣/٧٢-٧٣؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٣/٣٠٢، ٣١٤؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ١٦٤، ١٦٥؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ١٦٨؛ وشرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١/٤٧٦.

[10] سنن *أبي داود*، التطوع ٢٣، الوتر ١٢؛ وشرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١/٤٧٦.

[11] جميع النسخ – والقانتين والقانتات أي. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٧و.

[12] ر ث م: ومناهيه.

[13] ن + كل قائم.

[14] ر ث م + يقول.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٨، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٩و/سطر ٢٢-٢٣.

وقوله: **والصادقين والصادقات**، إلى آخره، يكون في المعاملة في تصديق ما اعتقدوا وقبلوا، فهم[١] يصدقون ويُوفُون بالأعمال فيما اعتقدوا وقبلوا.

وقوله: **والصابرين والصابرات**، الصبر هو كفّ النفس وحبسها عن التعاطي في جميع المحرّمات والمحظورات.[٢] وعلى ذلك يخرج قول أهل التأويل: الصابرين على أمر الله وطاعاته وعلى المَرَازِئ[٣] والمصائب، يكفّون [أنفسهم] عن جميع ما لا يحلّ فيه ويَرَون ذلك من تقديره.

وقوله: **والخاشعين والخاشعات**، قال بعضهم: الخاشع المصلّي، وقال بعضهم: الخاشع[٤] المتواضع. وأصل الخشوع هو الخوف اللازم في القلب، وهو قول الحسن.[٥] يخافون الله في كل حال لا يخافون غيره، ويرجون الله ولا يرجون غيره. هكذا[٦] عمل المؤمن، تكون[٧] حقيقة خوفه ورجائه منه. وأما الكافر فإنه لا يخاف ربه ولا يرجو[٨] منه، لأنه لا يعرفه ولا يخضع له. وعلى ذلك المعتزلة، إنما تَخوّفهم من أعمالهم السيئة ورجاؤهم[٩] من أعمالهم الحسنة لا من الله حقيقة. وكذلك على قولهم لا يكون لأحد رجاء في شفاعة رسول الله، إنما رجاؤه في أعماله، لقولهم[١٠] أَنْ ليس لله في أفعال العباد صنعٌ[١١] من تدبير ولا تقدير.[١٢]

وقوله: **والمتصدقين والمتصدقات**، أي المنفقين في طاعة الله.[١٣]

**والصائمين والصائمات**، قد ذكرنا[١٤] أن هذا راجع إلى حقيقة الفعل في الصيام والصدقة والصدق في القول والمعاملة والخشوع منه، وجائز أن يكون في القبول والاعتقاد على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

---

[١] جميع النسخ - فهم. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٧ظ.

[٢] ر ث م: المحظورات.

[٣] ر: المؤازئ؛ م: الموازئ. المَرْزِئة: المصيبة، والجمع: مرازئ.

[٤] ن - المصلي وقال بعضهم الخاشع.

[٥] *روح المعاني* للآلوسي، ١٧٤/٤. ونسبه البغوي إلى مجاهد، وابن كثير إلى أبي سنان. انظر: *معالم التنزيل* للبغوي ٣٥٣/٥، و*تفسير ابن كثير*، ٤٣٩/٩.

[٦] ث: وهكذا.

[٧] جميع النسخ: يكون.

[٨] ر م: ولا يرجون.

[٩] جميع النسخ: + منها أعني. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ٢٦٧ظ.

[١٠] ن: في قولهم.

[١١] جميع النسخ: شيء. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ر م: من تدبيره ولا تقديره.

[١٣] م - الله.

[١٤] ر م: قد ذكر.

وقوله: **والحافظين فروجهم والحافظات**، فيما لا يحلّ، كقوله: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ.[1]

وقوله: **والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات**، قال بعضهم: أي المصلّون لله الصلوات الخمس. وقال بعضهم: الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات باللسان على كل حال. لكن غيره كأنه أولى بذلك، أي الذاكرين حقّ الله الذي عليهم كثيرًا والذاكرات. **أعدّ الله لهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا**.

**﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾**[٣٦]

وقوله: **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**، قال جعفر بن حرب المعتزلي: دلّت هذه الآية على[2] أن الكفر مما لم يقضه الله، لأنه لو كان مما قضاه الله لكان لا يكون لهم الخيرة والتخيير،[3] فإذ قال إنه **إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة**، دل أنه مما لم يقضه الله. لكنا[4] نقول:[5] إن القضاء هاهنا ليس هو قضاء الخلق على ما فهم هو، ولكن القضاء هاهنا هو[6] الأمر أو الحكم، كقوله: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ،[7] أي أمر ربك وأوجب أن لا تعبدوا إلا إيّاه.[8] أو أن يكون الحكم، كقوله: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ،[9] أي مما حكمت. فإذا كان القضاء يحتمل الأمر والحكم على ما ذكرنا فيكون كأنه قال: **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا**، أي إذا أمَر الله ورسوله أمرا، أو إذا[10] حكَم الله ورسوله أمرًا، **أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**، وهكذا يكون فيما أمر الله ورسوله بأمر أو حكَم بحُكم أن لا يكون لأحد التخيير في ذلك.

---

[1] انظر: سورة المؤمنون، ٢٣/٥-٦.
[2] ن - على.
[3] ن: لا يكون لهم التخيير.
[4] جميع النسخ: لكن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٨و.
[5] ر م: يقول.
[6] جميع النسخ - هو. والزيادة من المرجع السابق.
[7] سورة الإسراء، ١٧/٢٣.
[8] ن ث - إلا إياه.
[9] سورة النساء، ٤/٦٥.
[10] ر م: وإذا.

ومما يدل أيضًا على أن القضاء[1] هاهنا ليس[2] هو القضاءَ الذي فَهِم المعتزلة، حيث أضاف ذلك إلى رسوله أيضًا، حيث قال: **إذا قضى الله ورسوله أمرًا**، ولا شكّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يملك القضاء الذي هو قضاء خلقٍ. دل أن المعتزلة أخطأت وغلطت في فَهْم ذلك وقصرت عقولهم عن درك ذلك، وأن التأويل على ما ذكرنا.[3]

*و[قال أبو عَوْسَجة:] "الخِيَرة" أي صُيِّرت إليهم الخيرة، وهو من قولك: أيَّ شيء تختار؟[4] [٦٠٩و س ٢١ "ما كان لهم الخيرة من أمرهم"، أي لم يُجعَل إليكم الاختيار إن شئتم فعلتم وإن شئتم لم تفعلوا.* ٦٠٩و س ٢٢]

ثم أجمع أهل التأويل على أن قوله: **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**، إنما نزل في زينبَ بنتِ جَحْشٍ، يذكرون أن النبي / صلى الله [٦٠٨و] عليه وسلم كان أعتق زيد بن حارثة وتبنّاه وكان مولى له، فخطب له زينب بنت جحش، فقالت زينب: إني لا أرضاه لنفسي، وأنا من أتمّ[6] نساء قريش، وكانت ابنةَ عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنتَ أُميمة[7] بنت عبد المطلب، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: قد رَضيتُه لكِ فزوّجي نفسكِ منه، فأبت ذلك، فنزل قوله فيها: **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يَكون لهم الخيرة من أمرهم**.[8] لكن إن كان على ما يذكرون من الخِطبة لها فلا يحتمل أن يجبرها على النكاح وقد قال النبي[9] صلى الله عليه وسلم: «ليس للوليّ مع الثيب أمر»[10] وقال:[11] «البكر تُستأمر في نفسها والثيب تُشاوَر»[12] ثم تجيء الآية في جبرها على النكاح من غير رضاها[13]

---

[1] ر ث م + أيضا.

[2] ث - ليس.

[3] جميع النسخ: وأن التأويل ما ذكرنا نحن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٨و.

[4] ر ث م: يختار.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٣٨، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٩و/سطر ٢١-٢٢.

[6] م: من أيم.

[7] ر ن م: ميمونة؛ ث: ميمة.

[8] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٤٦؛ و*تفسير الطبري*، ١٩/١١٢-١١٣.

[9] ن: رسول الله.

[10] ن: أمره. مصنف *عبد الرزاق*، ٦/١٤٥؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ١/٣٣٤؛ وسنن *أبي داود*، النكاح ٢٤؛ وسنن *النسائي*، النكاح ٣١.

[11] ر م + النبي صلى الله عليه وسلم.

[12] مصنف *عبد الرزاق*، ٦/١٤٢-١٤٣؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٢٢٩.

[13] جميع النسخ: ممن لا ترضاه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٨ظ.

إلّا أن يكون على[1] الأمر من الله تعالى ومن رسوله، فعند ذلك لا يكون لها التخيّر[2] في ذلك، لأن لله[3] أن يجبر[4] مَن شاء على النكاح ممن شاء، وله الحكم بالنكاح لمن شاء على مَن شاء، وليس لهم الخيرة[5] في ذلك. فأما الخِطبة[6] نفسُها دون الأمر والحكم من الله لا جبر[7] في ذلك، ألا ترى أنه[8] ذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب أم سلمة فقالت: "إن أوليائي غُيَب"، فقال: «ليس أحد من أوليائكِ لا يرضى بي»[9] أو كلام نحوه،[10] خطبها ولم يجبرها على ذلك. فعلى ذلك زينب، إلا أن يكون على الأمر أو الحكم على ما ذكرنا.

أو أن يكون سبب نزول الآية فيمن ذكر أهل التأويل في خِطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، ويكون الوعيد الذي ذكر فيه في غيره، فيما فيه أمر من الله أو حكم. نحو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى الفجر فرأى رجلين جالسين، فقال لهما: «ما بالكما لم تصلّيا معنا؟» فقالا: إنا قد صلّينا في رِحَالنا. فقال: «إذا صليتما ثم أتيتما المسجد فصلّيا معهم فتكون لكما سُبْحَةٌ».[11] وإنما قال: «فصلّيا معهم» لا في صلاة الفجر، ولكن في الصلوات التي يُتطوّع بَعْدَها.[12]

---

[1] م – على.

[2] ر: التخيير.

[3] ر ن م: الله.

[4] جميع النسخ: أن يأمر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٨ظ.

[5] ن: التخير؛ ث: التخيير.

[6] جميع النسخ: بالخطبة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٧و.

[7] ر: لا خير.

[8] ن – أنه.

[9] ر: في.

[10] روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أم سلمة، فقالت: "يا رسول الله إنه ليس أحد من أوليائي"، فقال: «ليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني»، وفي رواية: «إنه ليس أحد من أوليائك شاهد، ولا غائب يكره ذلك» (*الطبقات الكبرى* لابن سعد، ٨٨/١٠؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٩٥/٦؛ وسنن *النسائي*، النكاح ٢٨؛ وشرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١١/٣-١٢).

[11] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجلين في آخر المسجد لم يصليا معه صلاة الفجر: «ما منعكما أن تصليا معنا؟» قالا: يا رسول الله قد كنا صلينا في رحالنا. قال: «فلا تفعلا، إذا صليتما في رِحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصلّيا معهم، فإنها لكما نافلة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٦٠/٤؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ٥٥؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ٤٩؛ وسنن *النسائي*، الإمامة ٥٤).

[12] انظر: شرح *معاني الآثار* للطحاوي ٣٦٣/١-٣٦٤.

وقوله: **ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مُبينًا**، فإن[1] كان هذا في المؤمنين فيكون الضلال هو الخطأ، كأنه قال: فقد أخطأ خطأً بيّنًا. ويجوز هذا في اللغة، نحوَ[2] قول إخوة يوسف لأبيهم في تفضيله يوسف عليهم، حيث قالوا: إنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ،[3] أي في خطإ بيّنٍ، حيث يفضّل من لا منفعة له منه على من له منه منفعة، فعلى ذلك هذا. وإن كان في المنافقين، فهم في ضلال بيّن. فالضلال من المؤمن لا يفهم [منه] ما يفهم من الكافر والمنافق، ألا ترى أن الظلم من المؤمن لا يفهم منه ما يفهم من المنافق والكافر.[4] ألا ترى أن آدم وحواء لمّا ارتكبا وقربا تلك الشجرة قالا: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا،[5] لم يريدا ظلم كفر، وعلى ذلك قوله: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ،[6] فعلى ذلك المفهومُ من ضلال المؤمن غير المفهوم من ضلال المنافق والكافر.
*والله أعلم.*

**﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾** [٣٧]

وقوله: **وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمتَ عليه**، قال أهل التأويل: **أنعم الله عليه**، بالإسلام، **وأنعمت عليه**، بالإعتاق، حيث أعتقه. لأنه ذُكر أن زيدًا كان عربيا من أهل الكتاب أصابه النبي صلى الله عليه وسلم من سَبْي أهل الجاهلية فأعتقه وتبنّاه، فأنعم الله عليه حيث أعطاه الإسلام ووفّقه للهدى،[7] وأنعم عليه الرسول حيث أعتقه. ويحتمل إنعام الله عليه أيضًا

---

[1] جميع النسخ: وإن.
[2] ث: ثم.
[3] ﴿إذ قالوا لَيوسف وأخوه أحبُّ إلى أبينا منّا ونحن عُصبة إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ (سورة يوسف، ١٢/٨).
[4] جميع النسخ: أو الكافر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٨ظ.
[5] ﴿فدلّاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سَوْآتُهما وطَفِقا يَخْصِفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أَنْهَكُمَا عن تلكما الشجرةِ وأَقُلْ لكما إن الشيطان لكما عدوّ مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/ ٢٢-٢٣).
[6] ﴿وقلنا يا آدم اسْكُنْ أنت وزوجُك الجنةَ وكُلَا منها رغدًا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/٣٥).
[7] م: الهدى.

في الإعتاق،[1] حيث وفّق رسوله لإعتاقه،[2] أو في خلق[3] فعل الإعتاق من رسوله وإجرائه على لسانه.[4]

وعلى قول المعتزلة ليس لله على زيد ولا على[5] جميع المسلمين في الإسلام إنعام ولا إفضال لوجوه. أحدها أنهم يقولون: قد أعطى كلًّا سبب ما يُلزمهم الإسلام، وهو[6] القوّة، فهم إنما يسلمون لا بصنع من الله في ذلك. فعلى قولهم كان من الله سبب لزوم الإسلام، فأما في الإسلام نفسه فلا صنع له فيه. فإذا كان كذلك[7] فلا منة تكون منه[8] عليهم ولا إنعام.[9]

والثاني يقولون: إنه[10] ليس لله أن يفعل بالخلق إلا ما هو أصلح لهم في الدين، ولا شكّ أن الإسلام لهم أصلح،[11] فعليه أن يفعل ذلك بهم، فهو فعل ما عليه أن يفعل ولا يجوز له[12] أن يفعل غيره. ومن أدّى حقًّا عليه لا يكون في فعله منعِمًا ولا مفضِلاً إنما هو مؤدِّي حقّ عليه.

والثالث يقولون أن ليس من الله إلى الأنبياء والمؤمنين جميعًا شيء إلّا وقد كان ذلك[13] منه إلى إبليس وأتباعه وإلى جميع الفراعنة.

فإذا كان قولهم ومذهبهم ما ذكرنا لم يكن لِله على أحد من أهل الإسلام في إسلامهم إنعام ولا إفضال، والله أخبر أن له عليهم في ذلك نعمة ومنةً، وكذلك فُهم منه ذلك في قوله: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا –إلى– بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ.[14]

---

[1] ن: العتاق.

[2] جميع النسخ: للعتاق. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٩و.

[3] ن – خلق.

[4] جميع النسخ: وإجرائه إليه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٧ظ.

[5] ث: لا على.

[6] ر م: فهو.

[7] ن – فعلى قولهم كان من الله سبب لزوم الإسلام فأما في الإسلام نفسه فلا صنع له فيه فإذا كان كذلك.

[8] ر ن ث: يكون منه؛ م – تكون منه. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر م: ولا انعامهم.

[10] جميع النسخ: أن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٩و.

[11] ن + فعليهم.

[12] ر م – له.

[13] م – ذلك.

[14] ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تَمُنُّوا علي إسلا مَكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ (سورة الحجرات، ١٧/٤٩).

وقوله: **أمسك عليك زوجك واتق الله**، ذكر بعض أهل التأويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أبصر امرأة زيد فأعجبته وودّها، ففهم زيد ذلك منه، فقال: يا رسول الله إني أريد أن أُطلّق فلانة فإن فيها كبرًا تتعاظم عليّ وتؤذيني بكذا، فعند ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم: / **أمسك عليك زوجك واتق الله**، في طلاقها ولا تطلقها.[1] لكن لا نقول نحن شيئًا من ذلك [٦٠٨ظ] إلا بخبر ثبت من رسول الله يخبر أنه كان ذلك. وجائز أن يكون زيد استأذن رسول الله في طلاقها على ما يطلّق الرجل امرأته لما يَمَلّ منها بلا سبب يكون، فقال له عند ذلك: **أمسك عليك زوجك واتق الله**، ولا تطلّق زوجك بلا سبب يستوجب به الطلاق، لأنه لا يسع للرجل أن يطلّق زوجته بلا سبب يحمله على الطلاق من تضييع حدود الله وترك إقامتها أو معنى نحوه، فأما بلا[2] سبب يكون في ذلك فلا يسع. أو أن يكون قوله: **أمسك عليك زوجك،** أي تَزَوَّجْها، **واتق الله**، في ترك تزوجها، فيكون هو مأمورًا بنكاحها كما كانت هي مأمورة بتزويجها نفسها منه، فيقول: اتق الله في ترك الأمر في[3] ذلك وفي[4] ترك ما نُدبتَ إليه وأُمرت به. *والله أعلم*.

وقوله: **وتخفي في نفسك ما الله مبديه**، قال عامة أهل التاويل: تخفي في نفسك حبّها وإعجابها، **ما الله مُبديه**،[5] أي ما الله مُظهره في القرآن، أي حبها وتزوّجها. وقال قائلون: قوله:[6] **وتخفي في نفسك**، يا محمد ليت أنه طلّقها، **ما الله مبديه**، أي مظهره عليك، حتى يُنزلَ به قرآنا. لكن هذا بعيد محال لا يحتمل أن يكون النبي يقول[7] لزيد: **أمسك عليك زوجك واتق الله،** ثم يُخفي هو في نفسه ليت أنه يطلّقها حتى يتزوّجها هو. وجائز أن يكون قوله: **وتخفي في نفسك** -هذا القول نفسُه- هو الإبداءَ، حيث جعله آية تتلى[8] بعد ما أخفى رسول الله شيئًا في نفسه ما لو لا ذكر الله إياه ذلك لم يعلم الخلق أنه أخفى شيئًا. ولا ندري ما الذي أخفاه في نفسه،

---

[1] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٤٧؛ *والطبقات الكبرى* لابن سعد، ١٠/٩٩.

[2] ث – بلا.

[3] جميع النسخ: للنبي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٦٩ظ.

[4] ر ث م: في.

[5] ن – قال عامة أهل التاويل تخفي في نفسك حبها وإعجابها ما الله مبديه. صح هـ.

[6] جميع النسخ – قوله. والزيادة من المرجع السابق

[7] م + ذلك.

[8] ر ث م: يتلى.

ولا نقول: إنه[1] أخفى[2] كذا أو كذا إلا[3] بخبر يجيء عنه فيقول: "إني أخفيتُ في نفسي كذا"، فعند ذلك يسع، فأما على الوَهم فلا نقول به.

وقوله: **وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**، قال بعضهم: **وتخشى الناس**، أي تستحيي قالة[4] الناس: "إنه[5] تزوج امرأة ابنه"، وتترك نكاحها، والله أحق أن تستحيي منه في ترك أمره إياك بالنكاح. وقال بعضهم: **وتخشى الناس**، أي تتقي قالة الناس وتستحيي[6] منهم في أمر زينب وما أُعْجِبتَ به من حسنها[7] وحبّها، **والله أحق أن تخشاه** [في] ذلك. وجائز أن يكون قوله: **وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**، على الابتداء على غير إلحاق بالأول في كل أمر وكل شيء، كقوله: فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي.[8] *والله أعلم*.

وقوله: **فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها**، قال أهل التأويل: **قضى زيد منها وطرًا**، أي حاجةً، أي جِماعًا. فإن كان الوطر هو[9] الجماعَ[10] ففائدة ذكر الجماع فيه ليعلم أن حليلة ابن المتبَنَّى[11] تَحِلّ للرجل وإن وُجد عقد النكاح[12] والجماع جميعًا، وإن كان كلّ واحد منهما سبب الحظر والمنع في نكاح[13] حليلة ابن الصُلب. وجائز أن يكون قوله: **فلمّا قضى زيدٌ منها وطرًا**، أي قضى هِمّة نفسه وبلغ غاية ما همّت نفسه منها، فعند ذلك زوجناكها.

ذكر أن زينب بنت جحش كانت تفتخر على سائر أزواج النبي فتقول: "زوّجكنّ آباؤكنّ رسول الله، والله زوّجني نبيّه فوق سبع سماوات".[14] ففيه دلالة رسالته لأنه أخفى في نفسه

---

[1] ر ث م - أخفاه في نفسه ولا نقول إنه.
[2] جميع النسخ: أخفاه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٧ظ.
[3] ر: كذا وكذا لا؛ م: كذا وكذا إلا.
[4] ر م: قال.
[5] ر م: إن.
[6] ر ث م: يستحيي؛ ن: تستحي. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٠و.
[7] ر ث م: وما أعجبت هي إليك حسنها؛ ن: وما أعجبت هي حسنها إليك.
[8] سورة البقرة، ١٥٠/٢.
[9] ر م - الوطر هو.
[10] ث - فإن كان الوطر هو الجماع.
[11] جميع النسخ: التبنى. والتصحيح من المرجع السابق
[12] ر ث م: تحل للرجل وأن الوطر هو عقد النكاح.
[13] ث: النكاح.
[14] صحيح *البخاري*، التوحيد ٢٢؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٣٣.

ما كان يخشى قَالةَ الناسِ في ذلك واستحيا منهم، وفي العرف أن من أخفى شيئًا يستحيي من الناس إن ظهر عندهم أن يكتم ذلك من الناس ولا يظهره، فإذ[1] كان رسول الله أظهر ما كان يخشى قالة الناس فيه ولم يكتمه منهم دلّ أنه رسول الله،[2] إذ لو كان غير رسوله[3] لكتمه وأخفاه ولم يظهره، لِما ذكرنا من العرف في الناس من كتمان ما يستَحْيُون منهم إذا ظهر. وكذلك روي عن عمر[4] وعائشة[5] أنهما قالا: لو كان رسول الله كاتمًا شيئًا من القرآن لكتم[6] هذه الآية.

وقوله: **لِكيلا يكونَ على المؤمنين حرجُ في أزواج أدعيائهم إذا قضَوْا منهنَ وطرًا**، في الآية دلالة لزوم الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يخبر[7] ويأمر به وفي كل فعل يفعله في نفسه إلا فيما ظهرت الخصوصية له،[8] فأما فيما لم تظهر[9] فعلى الناس اتباعه فيما يخبر ويفعل، لأنه كان[10] تزوج امرأة دَعِيّه،[11] ثم قال: **لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم،** ولو كان يخبرهم بذلك خبرًا لَحلّ لهم ذلك، فعلى ذلك إذا فعل هو ذلك أخبر أن ذلك، **لكيلا يكون على المؤمنين حرج،** في مثل فعله. ***والله أعلم.***[12]

*قال أبو عَوْسَجة: "الدعيّ" الذي يدّعى بعد ما يَكبُر، و"الادّعاء"[13] أن يكون الرجل نفى ولده [٦٠٩و س١٨] ولم يقبله ثم ادعاه من بعد ذلك، هذا هو المعروف عندي. وقال في[14] موضع آخر: وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ،[15]

---

[1] ر م: فإذا.
[2] جميع النسخ: رسول. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٠و.
[3] ن ث: رسول.
[4] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٨/٣؛ *والنكت والعيون* للماوردي، ٤٠٦/٤.
[5] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٤١/٦، ٢٦٦؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٢٨٨؛ وسنن الترمذي، التفسير ٣٣.
[6] ن ث: كتم.
[7] ن + ويفعل.
[8] ر ث م – له.
[9] ن: لم يظهر.
[10] ر ث م: قال.
[11] م: دعية.
[12] جميع النسخ + وفيه وجه آخر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٠ظ.
[13] ر م: بعد ما يكبروا الادعاء.
[14] جميع النسخ: قال وفي. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٧١و.
[15] سورة يس، ٥٧/٣٦.

أي ما يتمنَّون ويشتهُون، ويقال: ظَلَلْنا اليوم فيما ادّعينا، أي وجدنا[1] كل ما اشتهينا، يقال مِن هذا:

[٦٠٩و س٢١] ادّعيتُ أدّعي ادّعاء.*

وقوله: **إذا قضَوا منهن وطرًا**، ذكر قضاء الوطر منهنّ، لأن من النساء من لا يحرمن على بعض هؤلاء بالعقد، ولكن إنما يحرمن بقضاء الوطر، ومنهن من يحرمن بالعقد[3] نفسه دون قضاء الوطر،[4] فأخبر أن أزواج الأدعياء وإن قضوا منهن الوطر فإنهنّ لا يحرمن عليهم. ***والله أعلم.***

[٦٠٩و س٢١] *وقال [أبو عَوْسَجَة]: "الوَطَر" الحاجة، و"الأوطار" جمع.[5]*

وقوله: **وكان أمر الله مفعولًا**، أي [و]ما كان بأمر الله [يكون] مفعولًا،[7] وكذلك ما قيل: الصلاة أمر الله، أي بأمر الله تكون، وإلا الصلاة هي فعل العباد فلا تكون[8] أمر الله، ولكن بأمر الله. فعلى ذلك قوله: **وكان أمر الله مفعولًا**، أي ما يكون بأمر الله [يكون] مفعولًا، وكذلك[9]

[٦٠٩و] قوله: حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ،[10] أي جاء ما يكون بأمر الله، / وهو العذاب الذي[11] أُوعِدوا، لأن[12] أمر الله لا يجيء.[13] ثم يحتمل ذلك وجهين. أحدهما على[14] التكوين، بتكوينه[15] [كان مكوَّنًا،

---

[1] م + نا.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٩و/سطر١٨-٢١.

[3] ث - بالعقد.

[4] «تحرم الأم بمجرد العقد على الابنة على التأبيد، والعقد على الأم لا يحرم الابنة قبل الدخول» (*المبسوط* لشمس الأئمة السرخسي، ٣٣٦/٣٠). وكذلك يقول الإمام في تفسير الآية: ﴿وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ (سورة النساء، ٢٣/٤).

[5] ن ث: جميع.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٠٩و/سطر٢١.

[7] ن - أي ما كان بأمر الله مفعولا. الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٦٠٨و.

[8] ن: فلا يكون.

[9] ر ث م: وكذا.

[10] ﴿ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فَتَنْتم أنفسكم وتَرَبَّصْتم وارتبتم وغَرَّتْكم الأمانيُّ حتى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغَرور﴾ (سورة الحديد، ١٤/٥٧).

[11] ن - الذي.

[12] ن: وإلا.

[13] ث - أي ما يكون بأمر الله مفعولا وكذا قوله حتى جاء أمر الله أي جاء ما يكون بأمر الله وهو العذاب الذي أوعدوا لأن أمر الله لا يجيء.

[14] جميع النسخ - على. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٠ظ.

[15] جميع النسخ: بكونه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٨و.

وما يكون فبتكوينه][1] يكون[2] مكونًا، كقوله: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[3] والثاني على الإيجاب واللزوم، أي ما يكون بأمر الله يكون واجبًا لازمًا إذا أراد به الإيجاب والإلزام.[4] *والله أعلم.*

**﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾**[٣٨]

وقوله: **ما كان على النبيّ من حرج فيما فرض الله له،** هذا يحتمل وجهين. أحدهما **فرض الله،** أي بيّن الله، كقوله: سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا،[5] أي بيّناها. ويحتمل، **فيما فرض الله له،** أي أوجب الله عليه، ويقال: "فرض عليه"، أي حرم، و"فرض له"، أي أحلّ له. وكذلك قوله: قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ،[6] يحتمل هذا وجهين: أي بيّن لكم تحلّة أيمانكم، والثاني أوجب عليكم تحلّة أيمانكم.[7] *والله أعلم.*

وقوله: **سُنَّةَ الله في الذين خلَوا من قبل،** قال بعضهم: هكذا كان سنة الله فيمن كان قبله من الرسل مثل داود وسليمان وهؤلاء: كثْرة النساء، ليس ذلك ببديع في رسول الله محمد. وفي كثرة نساء الرسل لهم آية عظيمة، لأنهم آثروا الفقر والضيق على السعة والغَناء، وكفّوا أنفسهم عن جميع لذّاتها وحملوا على[8] أنفسهم الشدائد والعبادات[9] والأمور العظام الثقيلة. وهذه الأشياء كلّها أسباب قطع قضاء الشهوة[10] في النساء والحاجة فيهن، فإذ[11] لم تُقطع تلك الأسبابُ عنهم دلّ أنهم بالله قَوُوا عليها. وقال بعضهم: **سنةَ الله في الذين خلَوا من قبل،**

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٨و.
[2] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٨و.
[3] سورة النحل، ٤٠/١٦.
[4] ر: وإلزام.
[5] سورة النور، ١/٢٤.
[6] سورة التحريم، ٢/٦٦.
[7] ث – والثاني أوجب عليكم تحلة أيمانكم.
[8] م – على.
[9] جميع النسخ: في العبادات. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ٢٧١و.
[10] ر ث م: الشهوات.
[11] ر ث م: فإذا.

أي كذلك كان سنة الله في الذين من[1] قبل محمد، يعني داود النبي حين هوِي المرأة التي فُتن بها، فجمع الله تبارك وتعالى بين داود وبين تلك[2] المرأة، فكذلك يجمع[3] بين محمد وبين امرأة زيد -إذ هَوِيها- كما فعل بداود، لكن هذا بعيد. وقيل: **سنة الله في الذين خلوا من قبل**، أنه لا حرج[4] على أحد فيما لم يحرّم عليه.[5] وجائز أن يكون، **سنةَ الله في الذين خلوا من قبل**، في حِلّ نكاح أزواج الأدعياء، كان يحلّ لهم ذلك،[6] فعلى ذلك لرسول الله. ***والله أعلم***.

وقوله: **وكان أمر الله قدرًا مقدورًا**، هو ما ذكرنا في قوله: وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا،[7] أي [وكان] ما كان بأمر الله وتقديره مقدورًا.*

**﴿اَلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾[٣٩]**

وقوله: **الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله**، يقول أهل التأويل: هو محمد خاصّة، فمعناه -والله أعلم- إن كان هو المرادَ به أنه فيما تزوّج حليلة[9] دعيّه زيدٍ مبلِّغ رسالات ربه، حيث قال: لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ.[10] وتبليغ الرسالة يكون مرة بالخبر والقول ومرة بالفعل، يَلزم الناسَ اتباعُه[11] في فعله كما يلزم في خبره وأمره، إلا فيما ظهرت له الخصوصية في فعل ما. وجائز أن يكون قوله: **الذين يبلّغون رسالات الله**، هم الأنبياءَ الذين قال [فيهم]: سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ،[12] نَعَتهم وقال:[13] **الذين يبلّغون رسالات الله**، فسنة الله في محمد كسنة أولئك الذين كانوا من قبل فيما ذكر.

---

[1] جميع النسخ: - من. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧١و.
[2] ر ث م: بين داود وتلك.
[3] ر م: تجمع.
[4] ر م: لا يخرج.
[5] ر ث م - عليه.
[6] ن - ذلك.
[7] الآية السابقة.
* وقعت هنا قطع من تفسير الآيات السابقة برقم ٣٥ ورقم ٣٦ ورقم ٣٧ ممزوجًا، فقدّمنا كل واحد منها إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٦٠٩و/سطر١٨-٢٣.
[9] م: خليلة.
[10] الآية ٣٧ من هذه السورة.
[11] جميع النسخ: في اتباعه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٨و.
[12] الآية السابقة.
[13] ن: فقال.

وقوله:[١] **ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله**، يقول -والله أعلم- يخشون الله[٢] في ترك تبليغ الرسالة، **ولا يخشون أحدًا**، سواه في التبليغ، ويكون قوله: **إلا الله**، بمعنى سواه على المبالغة في الأمر، وإلا لو قال: "ولا يخشون أحدًا" كان[٣] كافيًا، أي لا يخشون أحدًا فيما يبلغون، لكن يحتمل ما ذكرنا:[٤] أن لا يخشون أحدًا فيما يبلّغون سواه. وجائز أن يكون قوله: **ولا يخشون أحدًا إلا الله**، بما يصيبهم من الأذى والبلاء بالتبليغ، يقول: لا يرون ذلك من أولئك ولكن بتقدير من الله إياه وإلا كانوا يخافون من أولئك، ألا ترى [أن الله أخبر عنهم][٥] أنهم قالوا: إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى،[٦] وحيث قال موسى: فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ،[٧] و أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ،[٨] ونحوه. أو أن يكون[٩] في الابتداء خافوهم ثم أَمَّنهم الله فلم يخافوا، حيث قال:[١٠] قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى.[١١] *والله أعلم*. وقوله: **وكفى بالله حَسِيبًا**، قيل: شهيدًا على تبليغ الرسالة.

**﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾**[٤٠]

وقوله: **ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رِجالكم**، معناه -والله أعلم- ما كان محمد أبا أحد أُبوّةً تَحْرُم بها حلائل الأبناء، وإلا هو كان[١٢] أبا لجميع المؤمنين، حيث قال: اَلنَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ،[١٣] إذا كانت أزواجه أمهاتِنا[١٤] فهو أب لنا على ما ذكرنا.

---

[١] جميع النسخ - وقوله. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧١ظ.
[٢] م: لله.
[٣] ر م - كان.
[٤] أي المبالغة.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٨ظ.
[٦] سورة طه، ٤٥/٢٠.
[٧] سورة الشعراء، ١٤/٢٦؛ سورة القصص، ٣٣/٢٨.
[٨] سورة الشعراء، ١٢/٢٦؛ سورة القصص، ٣٤/٢٨.
[٩] ن: يكونوا.
[١٠] ن ث - قال.
[١١] سورة طه، ٤٦/٢٠.
[١٢] ر ث م: كان هو.
[١٣] الآية ٦ من هذه السورة.
[١٤] ر م: أمهاتها.

لكن التأويل فيه: **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**، أبوةً تحرم بها حلائل الأبناء ولكن أبوة[1] التعظيم له والتبجيل وأبوةَ الشفقة والرحمة، وهو ما قال: / لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ،[2] الآية. وكذلك قوله: اَلنَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، يحتمل وجهين. أي هو[3] أولى أن يعظّم ويكرّم ويُشرّف من أنفسكم،[4] كقوله:[5] وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ.[6] والثاني، أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ، أي أشفق عليهم وأرحمُ بهم من أنفسهم، وهو ما وصفه جل وعلا من رحمته ورأفته، حيث قال: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.[7] [٦٠٩ظ]

وقوله: **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**، يخرج[8] على وجهين. أحدهما في حق الانتساب إليه، أي ليس هو أبا أحدكم يُنسب إليه ويُدعى به، لأنه ذكر أنهم [كانوا] يدعونه ويسمونه "زيد بن محمد". إنه[9] يجوز التبنّي ولا يجوز النسبة إليه ولا التسمية به، كقوله: اُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّٰهِ.[10] والثاني في حقّ الحرمة، كأنه قال: ليس هو أبا أحدكم[11] في حرمة حلائل الأبناء عليه –أبناء[12] التبني– ولا في حق النسبة،[13] وإن كان هو أبا لكم في الشفقة والرحمة والرأفة على ما ذكرنا بدءًا. **ولكنْ رسولَ الله**، ما ذكرنا في التعظيم له والتبجيل في المعاملة والمصاحبة، أو في الدعوة به والتسمية.

وقوله: **ولكنْ رسولَ الله**، أخبر أنه[14] ليس بأبي أحد من رجالكم على ما ذكرنا، **ولكن رسول الله**، لئلا يعاملوا رسوله[15] معاملة آبائهم[16] ولا يصاحبوه صحبة غيره، ولكن يعاملوه

---

[1] ن – أبوة.
[2] سورة الحجرات، ٢/٤٩.
[3] جميع النسخ – أي هو. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧١ظ.
[4] ر م – أنفسكم.
[5] م: قوله.
[6] سورة الفتح، ٩/٤٨. انظر: تفسير هذه الآية من *تأويلات القرآن*.
[7] سورة التوبة، ١٢٨/٩.
[8] م: تخرج.
[9] ن – إنه.
[10] الآية ٥ من هذه السورة.
[11] ن: أحد.
[12] ر – عليه أبناء؛ م: الأبناء.
[13] ن: وفي حق النسبة.
[14] ر ث م – أنه.
[15] ث – رسوله.
[16] ن: آبائكم.

معاملة الرسل في التعظيم له والتبجيل والإكرام. لأن أبوّته وشَفَقَته دينية، وشفقة الآباء شفقة دنياويّة، ولأن الرجل قد ينبسط مع والده في أشياء لا يسع مثله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك[1] قال: **ولكن رسول الله وخاتَمَ النبيين**، أي خَتَم به الرسالة لا نبيَ بعده. وقوله: **وخاتم النبيين**، جائز أن يكون ذكره وإخباره -أنه خاتم النبيين- لما عَلم جلّ وعلا أنه يُسمَّى غيرُه بعده[2] نبيًّا على ما يقوله[3] الباطنية: إن قائم الزمان هو نبي، فأخبر بهذا أن من ادّعى ذلك لا يطالب بالحجة والدلالة ولكنه يكذَّب. وكذلك رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:[4] «لا نبي بعدي»[5] أخبر أنه ختم به[6] النبوة.

وقوله: **وكان الله بكل شيء عليمًا**، أي[7] لم يزل الله بما كان ويكون وبما به صلاحهم عليمًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[٤١]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا**، أما أهل التأويل يقولون: **اذكروا الله**، في كل حال[8] وفي كل وقت، **ذكرًا كثيرًا**، باللسان. وجائز أن يكون تأويل أمره بالذكر له كثيرًا، أي اذكروا نِعَمه لتشكروا له، واذكروا أوامره لِتُؤْتَمَر[9] ونواهيه[10] ومناهيه[11] لتُنْتَهَى ومواعيده لتُخاف وعِداتِه لتُرغَب، واذكروا عَظمته وجلاله وكبرياءه ليهاب. **ذكرًا كثيرًا**، أي دائمًا، تذكرون[12] ما ذكرنا ليكون ما ذكرنا، إذ إنما يكون ذلك بالذكر. ***والله أعلم***.

---

[1] ر ث م: ولذا.
[2] ن - بعده.
[3] ر ث م: على ما قالته.
[4] ن - أنه قال.
[5] ن ث: ألا لا نبي بعدي. *مصنف عبد الرزاق*، ٥/٤٠٦، ١١/٢٢٦؛ و*صحيح البخاري*، الأنبياء ٥٠؛ و*صحيح مسلم*، الإمارة ٤٤. وفي رواية: «ألا لا نبي بعدي» *المنتخب من مسند عبد بن حميد*، ٢/٦٣؛ و*المطالب العالية* لابن حجر العسقلاني، ٦/٢٧٢.
[6] جميع النسخ: به ختم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٢و.
[7] ن ث - أي.
[8] ن - حال.
[9] ر: لتؤمروا؛ م: لتؤتمروا.
[10] ث - ونواهيه. صح هـ.
[11] ن - ومناهيه.
[12] جميع النسخ: يذكرون.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٤٢]

وقوله: **وسبّحوه بُكرة وأصيلاً**، "البُكرة" هي ختم الليل وابتداء النهار، و"الأصيل" هو ختم النهار وابتداء الليل. فكأنه أمر بالذكر له والخير في ابتداء كل ليل وختمه وابتداء كل نهار وانقضائه ليُتجاوز عنهم ويُعفى ما يكون منهم من الزلّات في خلال ذلك، وعلى ذلك ما روي في الخبر أن من صلّى العشاء الأخيرة والفجر بالجماعة فكأنما[١] أحيا ليلته.[٢] وجائز أن يكون ذلك ليس على إرادة البُكرة والأصيل ولكن على إرادة كل وقت وكل حال، ليس من وقت ولا حال[٣] إلا ولله على عباده[٤] شكر وصبر:[٥] الشكر لِنَعْمائه والصبر على مصائبه. وقال بعضهم: الأمر بالذكر له بالبُكرة والأصيل هي الصلوات الخمس، من الظهر إلى آخر الليل أصيل، فيدخل فيه صلاة[٦] الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وفي البُكرة صلاة الفجر.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[٤٣]

وقوله: **هو الذي يصلّي عليكم وملائكته**، أما صلاة الله هي الرحمة والمغفرة، وصلاة الملائكة الاستغفار وطلب العصمة والنجاة، كقوله: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا،[٧] الآية، وما قال: وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ،[٨] وقوله: رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ،[٩] الآية،

---

[١] ث: فكما.

[٢] روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان كقيام ليلة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٥٨/١، ٦٨؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٢٦٠؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ٤٧؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ٥١).

[٣] جميع النسخ: ولا من حال. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٢ظ.

[٤] ر: عبادة.

[٥] ر م: أو صبر.

[٦] ر م: صلوات.

[٧] ﴿الذين يحملون العرش ومَن حولَه يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وَقِهِمْ عذابَ الجحيم﴾ (سورة المؤمن، ٧/٤٠).

[٨] جميع النسخ – وما قال وقهم السيئات. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٢ظ. ﴿وقهم السيئات ومن تَقِ السيئاتِ يومئذ فقد رحمتَه وذلك هو الفوز العظيم﴾ (سورة المؤمن، ٩/٤٠).

[٩] ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (سورة المؤمن، ٨/٤٠).

وقوله: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ:[١] جائز أن يكون المؤمنين خاصة، وجائز أن يكون الكل، الكافر والمؤمنَ،[٢] فإن كان هذا فيكون استغفارهم طلب الأسباب التي بها يستوجبون المغفرة، وهو الهدى، كقول هود: وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ،[٣] وقول نوح: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[٤] لا يحتمل أن يستغفروا هم[٥] وهم كفار، ولكن يطلبون منه التوبة عن الكفر ليستوجبوا[٦] المغفرة. وكذلك استغفار إبراهيم لأبيه، لا يحتمل أن يستغفر له وهو كافر، ولكن كان يطلب له من الله أن يجعله بحيث يستوجب المغفرة والرحمة، وهو الهدى. ***والله أعلم***.

وقوله: **ليُخرِجكم من الظلمات إلى النور [وكان بالمؤمنين رحيمًا]**، قال بعضهم: رَحِمَهم حيث أخرجهم من أصلاب آبائهم قرنًا فقرنًا إلى أن بلغوا ما بلغوا. وجائز إخراجه إياهم من ظلمات الكفر إلى نور الهدى بدعاء الملائكة واستغفارهم لهم. **وكان بالمؤمنين رحيمًا**، لم يزل الله بالمؤمنين رحيمًا.

**﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[٤٤]**

وقوله: **تحيتهم يوم يلقونه سلام**، جائز أن يكون تحيّة الملائكة عليهم "سلام"، كقوله: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ.[٧] أو تحيّة بعضهم على بعض "سلام" لا غير، ليس كتحيّتهم في الدنيا: "أطال الله بقاءك"،[٨] و"كيف حالك"، ونحو ما يقولون / في الدنيا ويسأل بعضهم بعضًا عن [٦١٠و] أحوالهم، يقول: ليس تحيّة أهل الجنة ذاك ولكن "سلام"، كقوله: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا.[٩] أو أن يكون قوله: **تحيتهم يوم يلقونه سلام**، أي صواب وسداد[١٠] لا غير، كقوله: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا،[١١] ليس أن يقولوا: "سلام عليكم"،

---

[١] ﴿تكاد السماوات يتفطّرن مِن فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٥).

[٢] ر م: أو المؤمن.

[٣] سورة هود، ١١/٥٢.

[٤] سورة نوح، ٧١/١٠.

[٥] ر م: أن يستغفروهم.

[٦] ر م: ليستوجبون.

[٧] سورة الرعد، ١٣/٢٤.

[٨] ر: بقاؤك؛ م: بقاك.

[٩] سورة الواقعة، ٥٦/٢٥-٢٦.

[١٠] جميع النسخ: أي صوابا وسدادا. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٣و.

[١١] سورة الفرقان، ٢٥/٦٣.

ولكن يقولون: قولًا صوابًا سدادًا، لا يقابلونهم بمثل ما خاطبوهم. فعلى[1] ذلك جائز أن يكون قوله:[2] **تحيتهم يوم يلقونه سلام**، أي صواب من الكلام وسداد. **وأعدّ لهم أجرًا كريمًا**، أي حسنًا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٤٥]

وقوله: **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا**، يحتمل قوله: **شاهدًا**، على تبليغ الرسالة، يشهد لهم بالإجابة له[3] إذا أجابوه، ويشهد عليهم إذا ردّوه وخالفوه. وقال بعضهم: **شاهدًا**، على أمّتك، بالتصديق له،[4] وقيل: **شاهدًا**، عليهم بالبلاغ.

وقوله: **ومبشرًا ونذيرًا**، أي يُبلّغ إليهم ما يكون لهم البِشارة إن أطاعوه، ويُبلّغ إليهم أيضًا ما يستوجبون به النِذارة إذا خالفوه. و"البشارة" هي إخبار عن الخيرات التي تكون في عواقب الأمور الصالحة، و"النذارة" إخبار عن أحزان تكون[5] في عواقب الأمور السيئة، أو نحوه من الكلام.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[٤٦]

وقوله: **وداعِيًا إلى الله بإذنه**، يحتمل قوله: **داعيًا إلى الله**، إلى توحيد الله، أو إلى طاعة الله، أو إلى دار السلام، كقوله: وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ،[6] أو إلى ما يدعو[7] اللهُ إليه. وقوله: **بإذنه**، قيل: بأمره. وقوله: **وسِراجًا منيرًا**، اختلف فيه. قال بعضهم: هو صلة قوله: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا،[8] وجعلناك[9] سراجًا منيرًا، فالسراج المنير هو الرسول على هذا التأويل. وقال بعضهم: السراج المنير هو[10] القرآن، يقول: أرسلناك داعيًا إلى الله وإلى السراج المنير، وهو هذا القرآن.[11]

---

[1] ر: فدل.
[2] ر م: قولهم.
[3] جميع النسخ: لهم، ث: صح هـ.
[4] ر ث م: لهم.
[5] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٩و.
[6] سورة يونس، ٢٥/١٠.
[7] ر م: يدعوا.
[8] الآية السابقة.
[9] ن: أو جعلناك.
[10] ن – هو.
[11] ر م – القرآن.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيرًا﴾[٤٧]

وقوله: **وبشّر المؤمنين بأنّ لهم من الله فضلاً كبيرًا**، فيه دلالة أن البشارة إنما تكون[١] بفضل من الله، لا أنهم يستوجبون بأعمالهم شيئًا من ذلك. ***والله أعلم***.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾[٤٨]

وقوله: **ولا تُطع الكافرين والمنافقين**، هذا قد ذكرنا في أول السورة.[٢] وقوله: **ودع أذاهم**، هذا يحتمل: أعرض عنهم ولا تكافئهم[٣] بما يؤذونك، أو أن يقول: **ودَعْ أذاهم**، أي اصبر على أذاهم.[٤] وقوله: **وتوكّل على الله**، أي اعتمد[٥] بالله، **وكفى بالله وكيلاً**، أي كفى بالله معتَمَدًا. أو أن[٦] يقال: **كفى بالله وكيلاً**، أي حافظًا أو مانعًا. ***والله أعلم***.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾[٤٩]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلّقتموهنّ من قبل أن تمسُّوهنّ**، ذُكر أن رجلاً جاء إلى ابن عباس فقال: كان بيني وبين عمّتي كلام، فقلت: يوم أتزوّج ابنتكِ فهي طالق ثلاثًا. فقال: تزوّجْها فهي لك حلال، أما تقرأ هذه الآية: **يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات**، الآية، فجعل الطلاق بعد النكاح.[٧] وعندنا أنه إذا حلف [فقال:][٨] "إن أتزوجها[٩] فهي طالق"، يكون طلاقًا بعد النكاح،[١٠] وليس في الآية منع وقوع الطلاق إذا أضافه إلى ما بعد النكاح.

---

[١] ث + إنما تكون.
[٢] انظر تأويل الآية ١ من هذه السورة.
[٣] ن ث: ولا تكافهم.
[٤] ر - وقوله ودع أذاهم هذا يحتمل أعرض عنهم ولا تكافئهم بما يؤذونك أو أن يقول ودع أذاهم أي اصبر على أذاهم.
[٥] م + على.
[٦] ن - أن.
[٧] انظر: مصنف *عبد الرزاق*، ٤٢٠/٦؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٥٣١/٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٨٠/١٢.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦٠٩و.
[٩] جميع النسخ: ان يتزوجها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٠٩و.
[١٠] *مشكل الآثار* للطحاوي ١٣٦/٢-١٣٨، *والمبسوط* لشمس الأئمة السرخسي، ١١٣/٦-١١٤.

وقوله: **ثم طلّقتموهنّ من قبل أن تمَسّوهنّ**، تحتمل[1] المماسّة الجِماع، أي من قبل أن تجامعوهن. ويحتمل من قبل أن تدخلوا بهن المكان الذي تُماسّوهن، وإلا لو دخل بها المكان الذي يُماسّها ثم طلّقها يجب كمال الصَّداق، وإذا لم يجامعها[2] ولم يدخل المكان الذي يماسها حتى[3] طلقها وجب نصف الصداق.[4] ويدل على ذلك قول الله حيث قال: وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ،[5] والإفضاء ليس هو الجماع نفسه، ولكن الدنو منها والمسّ باليد أو شبهُه.[6] *والله أعلم*.

وقوله: **فما لكم عليهنّ من عدّة تعتدّونها**، هذا يدل على أن العدة من حق الزوج عليها، حيث قال:[7] **فما لكم عليهن من عدة تعتدونها**، ولا يجوز له أن يجمع بين أختين فيما له من حق،[8] فعلى ذلك ليس له أن يجمع[9] بين الأختين في حق العدة التي له قِبلها.[10] *والله أعلم*.

وقوله: **فمتّعوهن**، قال بعضهم: هذه[11] المتعة منسوخة بالآية التي[12] ذكر في سورة البقرة، حيث قال: وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ.[13] وقال بعضهم: هي في[14] التي وهبت نفسها بغير صَداق، فإن لم يجب الصداق وجبت المتعة. وعندنا إن كان سَمّي لها صداقًا فليس لها إلا نصف الصداق، ولا يجب عليه المتعة وجوب حكم، لكن إن فعل ومتّعها فهو أفضل وأحسن؛ وإن كان لم يَفرِض لها صداقًا[15] حتى طلّقها قبل الدخول بها فهي واجبة على قدر عسره[16] ويسره. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: يحتمل.
[2] ر: يجامها.
[3] ث: ثم.
[4] *أحكام القرآن* للجصاص ١٤٧/٢.
[5] سورة النساء، ٢١/٤.
[6] م: أو شبيهه.
[7] وفي *الشرح*: «حيث أضاف إلى الأزواج فقال...» (٦٠٩و).
[8] كالجمع نكاحًا أو وطئًا بملك اليمين، فيما للزوج حق.
[9] ر م: يجمع.
[10] *بدائع الصنائع* للكاساني، ٤٣٩/٣.
[11] ر: هذا.
[12] م – التي.
[13] سورة البقرة، ٢٣٧/٢.
[14] ر ث م – في.
[15] ر: صداق.
[16] ث: عسر.

وقوله: **وسرّحوهن سراحًا جميلًا**، قال بعضهم: السراح الجميل هو أن يمتّعها إذا سرّحها، وقال بعضهم: السراح الجميل هو أن يبذل لها الصداق، وقال بعضهم: السراح الجميل هو أن يطلّقها طاهرًا من غير جماع في ذلك الطهر. وجائز أن يكون السراح الجميل هو أن[1] يقول: لا تؤذوهن بألسنتكم إذا سرحتموهن. *والله أعلم*.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٥٠]**

وقوله: **يا أيها النبيّ إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن**،[2] يحتمل هذا وجهين. أحدهما **إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن**، أي ضَمِنتَ أجورهن وقبلتَ، ويكون الإيتاء عبارة عن القبول والضّمان، وذلك جائز، نحو قوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا / الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[3] تأويله: فإن تابوا وقبلوا إقامة الصلاة وقبلوا[4] إيتاء الزكاة فخلّوا سبيلهم، [٦١٠ظ] هو على القبول والضّمان ليس على فعل الإيتاء نفسه، إذ لا يجب إلا بعد حَوَلانِ الحَوْل. وكذلك قوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ -إلى قوله- حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ،[5] ليس على نفس[6] الإعطاء ولكن حتى يقبلوا الجزية، إذ[7] الإعطاء إنما يجب إذا حال الحول. فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: **اللاتي آتيت أجورهن**، أي قبلتَ أجورهن وضَمِنتَ. والثاني، **إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي** هن لك، إذا **آتيت أجورهن**،[8] معناه: إنا أحللنا لك إبقاءهن[9] إذا آتيت أجورهن.

---

[1] ر ث م - يطلّقها طاهرا من غير جماع في ذلك الطهر وجائز أن يكون السراح الجميل هو أن.

[2] ث + وقبلت ويكون الإيتاء عبارة عن القبول والضمان.

[3] ر ث م + هو على القبول. سورة التوبة، ٩/٥.

[4] ر م - إقامة الصلاة وقبلوا.

[5] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يَدِينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (سورة التورة، ٩/٢٩).

[6] ر: نفسه.

[7] ر: إذا.

[8] ر ث م + أي قبلت.

[9] ر: ابقاؤهن.

وفيه دلالة أن المهر قد يسمى أجرًا، فيكون قوله: **فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**،[١] أي مهورهنّ، فيكون الاستمتاع بهن استمتاعًا في النكاح.

فعلى ذلك يجوز أن يكون قوله: **وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبي إن إراد النبيّ أن يستنكحها خالصةً لك من دون المؤمنين**، فيكون الخلوص له بلا أجر لا بلفظة[٢] الهبة لأنه ذكر على إثر ذكر حِلّ أزواجه بالأجر، كأنه قال: "إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن، وأحللنا لك أيضًا امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها لك[٣] بلا أجر، خالصة لك من دون المؤمنين". بغير أجر، لأن خلوص الشيء إنما يكون إذا خلص له بلا بدل ولا مُؤْنَةٍ، فأما أن يكون الخلوص بلفظة دون لفظة فلا. وبعدُ، فإنه قد ذكر في آخر الآية ما يدل على ما ذكرنا، وهو قوله: **قد عَلِمْنا ما فَرَضْنا عليهم في أزواجهم**، دلّ هذا أن خلوص تلك المرأة له كان بلا فرض منه.[٤] وبعد،[٥] فإن ذِكر هذا له خرج مخرج الامتنان عليه، فلا منة له عليه في لفظة الهبة ليست تلك في لفظة التزويج -يقول مكان قوله: "وهبت" "زوّجت"-، دلّ أن المنة له عليه[٦] فيما صارت له بلا مهر لا في لفظة الهبة. أو أن يكون قوله: **خالصةً لك من دون المؤمنين**، في الآخرة، أي لا تحل لأحد سواك إذا تزوجتها وصارت من أزواجك. فأما أن يفهم من قوله: **خالصة لك من دون المؤمنين**، بلفظة الهبة، فلا، إذ لا فرق بين أن يقول "وهبت" وبين أن يقول "زَوّجت". وبعد، فإن كثيرًا من الصحابة وأهل التأويل من نحو عبد الله بن مسعود وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم لم يفهموا من قوله: **خالصة لك**، بلفظة دون لفظة، حتى روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في قوله: **إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ**،[٧] هن الموهوبات، فما بال الشافعي في فَهم ذلك ما ذُكر؟[٨] وبعد، فإنه ليس من عقد إلا وهو يحتمل الانعقاد بلفظة الهبة من البِياعات والإجارات وغيرها، فعلى ذلك النكاح. *والله أعلم*.

[١] سورة النساء، ٤/٢٤.
[٢] ث: بلفظ.
[٣] جميع النسخ – لك. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٤ظ.
[٤] ر م – كان بلا فرض منه.
[٥] ر م: بعد.
[٦] ن – في لفظة الهبة ليست تلك في لفظة التزويج يقول مكان قوله وهبت زوجت دل أن المنة له عليه.
[٧] الآية السابقة.
[٨] *الحاوي الكبير* للماوردي، ١٥/٩.

وقوله: **وما ملكت يمينك**، أي قد أحللنا لك مما ملكت يمينك، **وأحللنا لك** أيضًا[١] **بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك**. ثم جائز أن يكون حِلّ بنات من ذكر من الأعمام والأخوال للناس بهذه الآية لأنهن لم يذكرن في المحرمات في سورة النساء،[٢] فيكون ذكر حِلّهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرًا للناس كافة، كما كان ذكر حِلّ نكاح حليلة[٣] زيد بن حارثة له حِلًّا للناس في أزواج حلائل أبناء[٤] المُتبنَّى،[٥] حيث قال: لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ،[٦] فعلى ذلك الأول. أو أن يكون معرفة حِلّ نكاح بنات الأعمام والعمات ومن ذكر بقوله: وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ،[٧] إذ ذكر المحرمات في الآية[٨] على الإبلاغ،[٩] ما كان بنسب وما كان بسبب، ثم قال: وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ، فيكون ما وراء المذكورات محلّلات بظاهر الآية، إلا ما كان في معنى المذكورات في الحرمة. ***والله أعلم***.

وقوله: **اللاتي هاجرن معك**، لم يفهم أحد من قوله: **هاجرن معك**، الهجرة معه حتى لا يتقدّمن[١٠] ولا يتأخرن، بل دخل في قوله: "**معك**"[١١] مَن هاجر منهن[١٢] من قبل ومن[١٣] بعد. ***والله أعلم***.

وقوله: **[قد علمنا] ما فرضنا عليهم في أزواجهم**، قال بعضهم: ما فرضنا على الناس في أزواجهم، وهي أربع نسوة، لا تحل الزيادة على الأربع، **وما ملكت أيمانهم**، وهي الجواري والخَدَم، يجوز الزيادة على ذلك وإن كَثُرن. وقال بعضهم: فكان[١٤] مما فرض الله أن لا يتزوج الرجل امرأةً إلا بوليّ ومهر وشهود، إلا النبيّ خاصّة، فإنه يجوز له أن تَهَب المرأة نفسها بغير مهر وبغير ولي. ***والله أعلم***.

---

[١] ث + وغيرها فعلى ذلك النكاح.
[٢] انظر: سورة النساء، ٢٣/٤.
[٣] م: خليلة.
[٤] ر م - أبناء.
[٥] ر: النبى. ن ث م: التبنى. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٤ظ.
[٦] الآية ٣٧ من هذه السورة.
[٧] سورة النساء، ٢٤/٤.
[٨] أي الآية ٢٣ من سورة النساء.
[٩] ر م: على إبلاغ؛ ث + على.
[١٠] ن + ولا يتقدمن. غير منقوطة.
[١١] جميع النسخ: معه. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٧٥و.
[١٢] ر م: معهن.
[١٣] جميع النسخ: وما بعد. والتصحيح من المرجع السابق
[١٤] ر م: كان.

وقوله: **قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم**، **فرضنا**، أي بيّنا ما يجوز وما لا يجوز، أي بين ذلك كله في الأزواج. أو، **فرضنا**، أوجبنا عليهم في أزواجهم من الأحكام والحقوق ونحوها. *والله أعلم*.

**﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾**[٥١]

وقوله: **تُرجي من تَشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء**، اختلف فيه. عن الحسن، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها النبي أو يتزوجها، وإذا ترك خِطبتها كان لغيره أن يخطبها، ثم إذا خطبها رسول الله لم يكن لأحد أن يخطبها بعد ذلك إلا أن يترك خطبتها،[1] أو كلام نحوه،[2] فيصرف تأويل الآية إلى ما ذكرنا. وكذلك يقول قتادة: إن[3] الآية في الخِطبة. وقال بعضهم: هذا في قسمة الأيام بينهن، كان يسوّي بينهن قَسْمَهن،[4] فوسّع الله عليه في ذلك وأحلّ[5] له، فقال: **ترجي من تشاء منهن**، أي من نسائه، أي تترك من تشاء منهن فلا تأتيها، **وتؤوي إليك من تشاء**، فتأتيها، **ومن ابتغيت ممن عزلت**، يقول: ممن اخترت من نسائك أن تأتيها فعلت، / [٦١١و] فقال: **ذلك أدنى**، يقول: أجدر،[6] **أنْ تَقَرَّ أعينُهنّ ولا يحزَنَّ**، على ترك القَسْم إذا علمن أن الله قد جعل لك ذلك حلالاً وأنزل فيهن الآية، **ويرضَين بما آتيتَهن كلُّهن**، إذا علمن أن الرخصة جاءت من الله تعالى له كان أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن من ترك ذلك. وقال بعضهم: إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللّاتي كنّ تحته خشينَ أن يطلّقهنّ، فقلن: "يا رسول الله، اقْسِمْ لنا من نفسك ومَالِكَ ما شئت ولا تطلقنا"، فنزل: **ترجي من تشاء منهن**،[7] أي[8] تعتزل من تشاء منهن،

---

[1] م: إلا أن يتركها.
[2] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٤٣؛ و*تفسير الطبري*، ١٩/١٤٠-١٤١.
[3] ث: أتى.
[4] ر: قسمين؛ م: قسمتن.
[5] ر م: فأحل.
[6] جميع النسخ – يقول أجدر. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٥و.
[7] *تفسير الطبري*، ١٩/١٣٩-١٤٠؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ١٠/٣١٤٥.
[8] ر م: أن.

أي[1] تعتزلهن[2] بغير طلاق، **وتؤوي إليك**، أي ترد وتضم، **من تشاء**، منهن إليك فلا جناح عليك. وقال بعضهم: الآية في ترك نكاح ما أباح له من القَرابات من يشاء منهن،[3] وفي[4] الإقدام على نكاح من يشاء[5] منهن،[6] لأنه على إثر ذلك،[7] يقول: **ترجي من تشاء منهن**، يعني من بنات العم والعمة والخال والخالة، فلا تزوجها، **وتؤوي إليك**، أي تضم إليك،[8] **من تشاء**، منهن فتُزوجها.[9] فنقول: خيّر الله رسوله في نكاح القرابة، فذلك قوله: **ومن ابتغيت** منهن فتزوجها، **ممن عزلت** منهن، **فلا جناح عليك**، أي لا حرج عليك في ذلك.

[٦١١و س٣٦] * قال أبو عَوْسَجَة: **ترجي من تشاء منهن**، أي تَحبس من تشاء منهن ولا تَقْرَبُها. وقال القُتَبِي: **ترجي**، أي[10] تؤخر، يقال: أرجَيْت الأمر وأرجَأْته، أي أخرته.[11] وكذلك قالوا في قوله: أَرْجِهْ وَأَخَاهُ،[12] قال[13] بعضهم: احْبِسْه؛ وقال بعضهم: أخره.[14] وقوله: **وتؤوي إليك**، أي تَضم.* ٦١١و س٣٨]

**ذلك أدنى**، يقول: أجدر وأحرى وأقرب، **أن تَقَرَّ أعينهن**، أي النساء اللّاتي عندك واخترتهن، **ولا يَحزَنَّ**، إذا علمن أنك[16] لا تتزوج عليهن، **ويَرْضَيْنَ بما آتيتَهن كلُّهن**، من النفقة،

---

[1] ر م: أن.
[2] ر م: تعتزلن.
[3] جميع النسخ: من تشاء منهن.
[4] ر م – وفي.
[5] جميع النسخ: ما أباح له من القرابات من تشاء منهن وفي الإقدام على نكاح من تشاء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ٢٧٥ظ.
[6] جميع النسخ: من تشاء منهن.
[7] جميع النسخ + ذكرت. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٥ظ. أي على إثر ذكر القرابات.
[8] م – أي تضم إليك.
[9] ر: فيزوجها.
[10] ر: أن.
[11] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥١.
[12] ﴿قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين﴾ (سورة الأعراف ١١١/٧)؛ ﴿قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين﴾ و(سورة الشعراء، ٣٦/٢٦).
[13] ر ث م: وقال.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٧٠، ٣١٧.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦١١و/سطر٣٦-٣٨.
[16] ر م: أنك.

وكان في نفقتهن قلّة. وجائز أن يكون قوله: **ذلك أدنى أن تَقرَ أعينهن**[1] **ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن**، ذلك حين خيّرهن رسول الله بين اختيار الدنيا وزينتها وبين اختيار رسول الله والدار الآخرة[2] فاخترن رسول الله، يقول -والله أعلم-: إذا اخترن المُقام عند رسول الله والدار الآخرة،[3] **ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن**، على[4] قلة النفقة والجماع، **ويرضين بما آتيتهن كلُّهن**، من النفقة وغيره. **والله يعلم ما في قلوبكم**، من الحبّ والرضا، **وكان الله عليمًا حليمًا**.

**﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾**[٥٢]

وقوله: **لا يحلّ لك النساء من بعد**، اختلف في قوله: **من بعد**. قال قائلون: من بعد[5] اختيارهن رسول الله والدار الآخرة، لأن الله لمّا خيّرهن بين اختيار الدنيا وزينتها وبين اختيار رسول الله والدار الآخرة فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره الله عليهن فقال: **لا يحلّ لك النساء من بعد**، أي من بعد اختيارهن المُقام معك. **ولا أن تبدلَ بهن من أزواج ولو أعجبك حُسْنهن إلا ما ملكت يمينك**. فإن كان[6] على هذا فيخرج الحظر والمنع مخرج الجزاء لهن والمكافأة[7] لما اخترنه على الدنيا وما فيها،[8] لئلّا يشرك غيرهن في قَسْمهن منه. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: اشترطْنا على[9] رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا اخترناه والدار الآخرة أن لا يتزوج علينا ولا يبدّل[10] بنا من أزواج.[11] ثم استثنى ما ملكت يمينه،

---

[1] م + أي النساء اللاتي عندك واخترتهن ولا يحزن إذا علمن أن لا تتزوج عليهن ويرضين بما آتيتهن كلهن من النفقة وكان في نفقتهن قلة وجائز أن يكون قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن.

[2] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا﴾ (سورة الأحزاب، ٢٨/٣٣-٢٩).

[3] ر ث م + فاخترن رسول الله.

[4] ر م: عن.

[5] ث - قال قائلون من بعد. صح هـ.

[6] ر م - كان.

[7] ر: والمكافات.

[8] ر م: وما قبلها.

[9] ن - على.

[10] ث: ولا تبدل.

[11] ن - من أزواج. صح هـ.

لأنه لا حظ لهن في القسم. وقال بعضهم: قوله: **لا يحِلّ لك النساء من بعد**، أي من بعد المسلمات كتابيات، لا يهوديات ولا نصرانيات، أي لا تتزوج[١] يهودية ولا نصرانية فتكونَ من أمّهات المؤمنين، **إلا ما ملكت يمينك**، أي لا بأس بأن تشتري[٢] اليهودية والنصرانية. فإن كان على هذا ففيه حظْر الكتابيات لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر خاصّة، وأما المؤمنون فإنه أباح لهم نكاح الكتابيات بقوله: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ.[٣] فيكون حِلّ الكتابيات للمؤمنين دون النبي عليه السلام بإزاء الزيادة والفضل الذي كان يحلّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: قوله: **لا يحلّ لك النساء من بعد**، أي من بعد المذكورات المحلَّلات له في الآية التي قبل هذه الآية، من بنات العمّ والعمّات وبنات الخال والخالات، يقول: لا يحل لك من[٤] النساء سوى من ذَكَر أن تتزوجهن[٥] عليهن، ولا أن تبدل بهن،[٦] **ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما ملكت يمينك**. *والله أعلم*.

وقوله: **لا يحل لك النساء من بعد**، يحتمل[٧] **لا يحل لك**، في الخُلُق أن تتزوج عليهن[٨] بعد اختيارهن لك والدار الآخرة على الدنيا وما فيها من الزينة. أو أن يكون على التحريم نفسِه في الحكم. وليس لنا أن نفسر أيّ تحريم أراد: تحريم الحظر والمنع في الخُلق،[٩] أو تحريمَ الحكم، لأن ذلك كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قد[١٠] كان عرفه أنه ما أراد بذلك، والاشتغال به فضل. و"التبديل بهنّ"، يحتمل في التطليق، يطلّقهن فيتزوج غيرهن. ويحتمل بالموت، إذا مِتن أيضًا لم يحلَّ له أن ينكح غيرهنّ. *والله أعلم*.*

وقوله: **وكان الله على كل شيء رقيبًا**، أي حفيظًا، وقيل شاهدًا.

---

[١] ر م: أن لا يتزوج.
[٢] جميع النسخ: أن تشتري. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٦و.
[٣] سورة المائدة، ٥/٥.
[٤] ن - من، صح هـ.
[٥] ر: تزوجهن.
[٦] جميع النسخ: ولا تبديلهن. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر م - لا يحل لك النساء من بعد يحتمل.
[٨] وعبارة السمرقندي هكذا: «لا يحل لك من حيث المروءة والخلق» (ورقة ٦١٠و).
[٩] ث - في الخلق.
[١٠] ر م: وقد.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدّمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦١١و/سطر٣٦-٣٨.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا﴾[٥٣]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيِ إلا أن يؤذَنَ لكم إلى طعامٍ غير ناظرين إناه،** [٦١١ظ] يحتمل / النهي عن دخول بيوت النبي وجهين. أحدهما لا تدخلوا بيوت النبي بغير إذن، كما يدخل الرجل على أمّه -وإن كنّ هنّ كالأمهات لكم- بغير إذن، فيكون النهي عن الدخول في بيته نهيًا عن الدخول بغير إذن، كقوله: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا.[1] ويحتمل، **لا تدخلوا بيوت النبي،** ضيفًا، **إلا أن يؤذن لكم إلى طعام،** إلا أن تُدْعَوا إلى طعام؛ لأن رسول الله كان إذا هيئوا له شيئًا من الطعام دعا أصحابه فيأكلونه، وكان لا يمسك ولا يدّخر فضل الطعام لوقت آخر، فإذا نزل به ضَيْف ولم يكن عنده ما يقدّم إليه استحيا[2] وشقّ عليه ذلك، فنُهوا عن الدخول عليه والنزول به ضيفًا لما ذكرنا، وأُمروا بالانتظار إلى أن يُدعَوا إلى الطعام، فعند ذلك يدخلون عليه ويَضيفونه. فإن كان الأولَ ففيه الأمر بالحجاب والنهي عن الدخول بلا استئذان، وإن كان الثانيَ ففيه النهي عن النزول به ضيفًا قبل أن يُدْعَوا لما ذكرنا، ويكون الأمر بالحجاب في قوله: **وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب.** وقال بعضهم: ذكر هذا لأن أناسا[3] من المسلمين كانوا يتحيّنون[4] طعام رسول الله وغداءه، فإذا حضر ذلك دخلوا عليه بغير[5] إذن فجلسوا في بيته ينتظرون نضج الطعام وإدراكه،[6] فنهوا عن ذلك. وكانوا إذا أكلوا[7] و فرغوا منه جلسوا في بيته ويتحدثون ويستأنسون، فنهوا عن ذلك وأُمروا بالانتشار والخروج من عنده وعندِ نسائه، ولم يكنّ يحتجبن قبل ذلك منهم، فشقّ ذلك على النبي. *والله أعلم.*

[1] سورة النور، ٢٤/٢٧.
[2] جميع النسخ: استحيى.
[3] ر: ناسا.
[4] م: يتحنون.
[5] ث: بلا.
[6] ر: وادركه.
[7] ر: كلوا.

وجائز أن يكون الأمر بالانتشار والخروج من عنده لما كان لرسول الله أمور وعبادات يحتاج إلى القيام بها، إما بينه وبين الله، أو بينه وبين غيرهم من الناس، فكانوا يَشغلونه عن ذلك، فنهوا عن ذلك لذلك. أو لما ذكر بعض أهل التأويل من الحاجة له في أزواجه والخلوة بهنّ وقت القيلولة. *والله أعلم.*

وقوله: **إن ذلكم كان يؤذي النبيّ**، الدخول عليه بغير إذن، أو الانتظار لنضج الطعام وإدراكه،[1] أو الجلوسَ بعد فراغهم من الطعام والحديث، أو ما كان.

وقوله: **فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق**، ورسول الله أيضًا كان لا يستحيي من الحق، لكنه يستحيي أن يقول لهم: اخرجوا من منزلي، ولا تدخلوا عليّ، ونحوَه لما يَقبُح[2] ذلك في الخُلق أن يقول الرجل لآخر: لا تدخل منزلي أو اخرج من منزلي لما يرجع ذلك إلى دناءة الأخلاق والبخل. فلما أنزل الله تعالى عليه[3] الآية وأمر أن يقول لهم ما ذكر، قال لهم وأخبرهم بذلك، فلم يستحي عند ذلك لِما صار ذلك من حق[4] الدين فرضًا عليه لازمًا أن يعلّمهم الآداب ويخبرهم[5] عما يلزمهم[6] من حق الدين. وكان قبل ذلك يستحيي لما كان ذلك[7] في حق المُلْك وحق النفس، فلما أنزل الله عليه[8] الآية وأمر بذلك صار من حق الدين، لذلك كان ما ذكر. *والله أعلم.* وقوله: **والله لا يستحيي من الحق**، أي لا يدع ولا يترك أن يعلّمهم الحق والأدب. وقد ذكرنا معناه في قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا،[9] الآية.

وقوله: **وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن،** جائز[10] أن يكون المعنى الذي يكون أطهر لقلوب الرجال غير المعنى الذي يكون أطهر لقلوبهن، ذلك المعنى الذي يكون أطهر[11] لقلوبهم من الفجور والهمّ لقضاء الشهوة وما تدعوه النفس إليه،

---

[1] ر م: أو إدراكه.
[2] ر: يفتح.
[3] جميع النسخ - عليه. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٧و.
[4] ن: أمر.
[5] ر م: ويخبر.
[6] ن: عما لا يلزمهم.
[7] ر م - يستحيي لما كان ذلك.
[8] ر ث م - عليه.
[9] سورة البقرة، ٢/٢٦.
[10] جميع النسخ: وجائز. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن - لقلوب الرجال غير المعنى الذي يكون أطهر لقلوبهن ذلك المعنى الذي يكون أطهر.

وأطهر لقلوبهنّ من العداوة والضغينة، لا الفجور وقضاء الشهوة. وذلك لأنهن[1] قد عرفن أنهن[2] لا يَحْلِلْن لغيره نكاحًا لما اخترنه والدار الآخرة على الدنيا وزينتها، وقد أُوعدن[3] بارتكاب الفاحشة العذابَ ضِعفَين على ما ذكر،[4] وذلك يمنعهن ويزجرهن عن ارتكاب ذلك. فإذا كان كذلك، فإذا عرفن من الداخلين عليهن والناظرين إليهن نظرة[5] شهوة وقع في قلوبهن لهم العداوة والضغينة. فيقول: السؤال من وراء الحجاب أطهر لقلوبكم من الفجور والرِّيبة، وأطهر لقلوبهن من العداوة والضغينة. والله أعلم بذلك. وجائز أن يكون ذلك واحدًا، وهو الريبة والفجور، لما مُكّن فيهن من الشهوات وركّب فيهن من فضل الدواعي إلى ذلك. *والله أعلم*.[6]

وقوله: **وما كان لكم أن تُؤذوا رسول الله ولا أن تَنكحوا أزواجه من بعده أبدًا**، قال بعض أهل التأويل: إن أزواج رسول الله[7] لما احتجبن بعد نزول آية الحجاب، ونُهوا عن الدخول عليهن والنظر إليهن، قال رجل: "أَنُنْهى أن ندخل على بنات عمّنا وبنات عمّاتنا وبنات خالنا وبنات خالاتنا؟[8] أما والله لئن مات لأتزوجَنّ فلانة"، ذكر امرأة من نسائه، فنزل: **وما كان لكم**، أي لا يحل لكم[9] **أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا**.[10] لكن هذا بعيد[11] قبيح، لا يحتمل أن [يكون] أحد[12] من الصحابة يقول ذلك، أو أحد[13] ممن صفا إيمانه[14] وحسن إسلامه أن يقول ذلك، أو[15] يخطر بباله ذلك، إلا أن يكون منافقًا. ويحتمل **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله**، / فيما تقدم ذكره، **ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا**، ابتداءَ نهيٍ.[16] [٦١٢و]

---

[1] جميع النسخ: أنهن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٧و.
[2] م – أنهن.
[3] م: أوعدنا.
[4] انظر: الآية ٣٠ من هذه السورة.
[5] جميع النسخ: نظر. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ن – والله أعلم.
[7] ر ث م: الرسول.
[8] ر م: وخالاتنا.
[9] ث – أي لا يحل لكم.
[10] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٥٣؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ١٠/٣١٥٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٢/١١٢.
[11] جميع النسخ – بعيد. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٧ظ.
[12] جميع النسخ: أحدا.
[13] ر م: أو واحد.
[14] ر ن ث: إيمانه به.
[15] ر: إسلامه أو يخطر؛ م: إسلامه أن يخطر.
[16] ن: النهي.

وجائز أن يكون: **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله**، في نكاح أزواجه، فيكون أذاهم رسول الله في نكاح أزواجه من بعده، ولو كان لا يحل أزواجه للناس -كما[1] يذكر بعض أهل التأويل- لأنهن أمهات، لم يُحتج إلى النهي عن نكاحهن بعده، إذ لا أحد يقصد قصد نكاح الأم، ولكن كان يحل لهم ذلك، وكان المعنى في ذلك[2] ما ذكرنا من التعظيم له والاحترام، حتى نهاهم عن نكاح أزواجه من بعده وجعله في حرمة أزواجه على غيره بعد وفاته كأنه حي، وكذلك جعل في حق ماله وملكه في منع الميراث لوارثه كأنه حي، لم يرث مالَه وارثُه، بل جعل باقيًا أبدًا على ملكه،[3] وكذلك أزواجه. وكذلك جعل في حق الرسالة والنبوة كأنه حي، لم تُنسَخ[4] شريعته بعد وفاته بشريعة أخرى،[5] كما نسخت شريعة الأنبياء الذين كانوا قبله إذا ماتوا بشريعة أخرى، بل جَعل[6] كأنه حيّ في إبقاء شريعته إلى يوم القيامة، فعلى ذلك جعل في أزواجه كأنه حي في حرمة أزواجه على الناس، فيكنّ أزواجه[7] في الآخرة. وعلى ذلك يخرج تأويل قوله عندنا: خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ،[8] أي هي لك خالصة،[9] لا تحلّ لأحد بعدك، فتكون زوجتَه في الجنة. *والله أعلم*.

وقوله: **إنّ ذلكم كان عند الله عظيمًا**، يحتمل أذى رسول الله ونكاح أزواجه، **عند الله عظيمًا**، أو **عظيمًا** في العقوبة عند الله.

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٥٤]

وقوله: **إن تُبدوا شيئًا أو تُخفوه**، أي تبدوا شيئًا للعباد، أو تخفوه عنهم، **فإن الله كان بكل شيءٍ عليمًا**، أي ما أبديتم وما أخفيتم، **عليمًا**، لا يخفى عليه شيء. يذكر هذا ليكونوا أبدًا على حذر وخوف. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: لما. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦١١و.

[2] أي في تسميتهن "أمهات".

[3] لعل الإمام رحمه الله يشير إلى الحديث: «إنا معشرَ الأنبياء لا نورَث ما تركنا فهو صدقة» (*صحيح البخاري*، الخمس ١، وفضائل أصحاب النبي ١٢؛ و*صحيح مسلم*، الجهاد ٤٩-٥٢، ٥٤، ٥٦).

[4] ن: لم ينسخ.

[5] ن + بل جعل كأنه حي في إبقاء شريعته إلى يوم القيامة.

[6] ر م: جعله.

[7] ر م – على الناس فيكن أزواجه.

[8] الآية السابقة برقم ٥٠.

[9] م: خالصة لك.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾[٥٥]

وقوله: **لا جناح عليهن في آبائهن**، أي لا حرج ولا مأثم على النساء في دخول مَن ذكر عليهن بلا إذن ولا حجاب، مِن **آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن**، ذكر هؤلاء ولم يذكر الأعمام ولا الأخوال. فقال بعضهم: إنما لم يذكر هؤلاء ولم يبح لهم ذلك[1] لأنهن يَحْلِلْن بالنكاح لأولاد الأعمام والأخوال، فإذا دخلوا عليهن يَرَوْهنَّ[2] متجرِدات متزيِّنات فيصفوهن لأولادهم، وقد يصف الرجل لولده حسن المرأة وقبحها، فينزل وصفهم إياهن لأولادهم منزلة رؤيتهم بأنفسهم، فيزيد لهم رغبة فيهن أو رهبةً عنهن. *والله أعلم*. وقال بعضهم: لا ولكن[3] إنما لم يَذكر الأعمام والأخوال لِما في ذِكر المذكور من بني الإخوة وبني الأخوات غِنىً عن ذكر الأعمام والأخوال، لأنهم جميعًا من جنس واحد ومن نوع واحد في معنى واحد، وقد يُكتفى بذكر طرف من الجنس إذا كان في معنى المذكور، نحوَ ما ذَكر من أجناس المحرَّمات على الإبلاغ وترك من[4] كل جنس شيئًا لم يذكره، إذ الذي لم يذكره هو في[5] معنى المذكور. ففي ذِكر مَن ذُكر غِنىً عن الذي[6] لم يذكر. فعلى ذلك في ذكر بني الإخوة وبني الأخوات غِنىً عن ذكر الأعمام والأخوال، إذ هم في معناهم. *والله أعلم*. وجائز أن يكون لم يبح الدخول للأعمام والأخوال، لأنهم إذا دخلوا عليهن فرأوهن متجردات فلعل بصرَهم يقع على فروجهن فينظر إليها بشهوة، فيَحْرُمْنَ على أولادهم، وهم إذا تزوجوهن لم يعلموا أنهن محرمات عليهم، فمنع دخول الأعمام والأخوال عليهن لذلك. *والله أعلم*.

وقوله: **ولا نسائهن**، قال بعضهم: أي نساءِ المسلمات، يقول:[7] خص نساء المسلمات وأباح لهن[8] الدخول عليهن بلا إذن وأن يَرَيْنَهن[9] متزيِّنات، ولم يبح ذلك لليهوديات والنصرانيات

---

[1] ر م: في ذلك.
[2] جميع النسخ: فرأوهن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٨و.
[3] ر م - لا ولكن.
[4] ث - من.
[5] ث - في.
[6] ن: الذكر.
[7] ن: نقول.
[8] ن - لهن.
[9] ر ث م: يزينهن.

وأمثالهن مخافةَ أن يصفن ذلك لأهل دينهن، فيكونَ ذلك سبب افتتانهم بهن والرغبة فيهن. *والله أعلم*. وقال بعضهم: **نساؤهن**، قَراباتهن، خصّ هؤلاء من بين غيرهن من الأجنبيات، وذلك يحتمل وجهين. أحدهما ما ذكرنا من خوف وصف الأجنبيات لأزواجهن والمتصلين بهن من حُسنهن وزينتهن إذا رأينهن متجردات متزينات، ولا يخاف ذلك من قراباتهن. والثاني خصّ القرابات لِما بهن ابتلاء، وليس بالأجنبيات ذلك. وقد يَخِفّ[1] الحكم ربما فيما فيه الابتلاء، ويَغلُظ فيما هو أخف منه ودونه إذا لم يكن فيه ابتلاء. وعلى ذلك جائز أن يقال: إن الأعمام والأخوال لم يُذْكَروا[2] في الآية والرخصة، لأنه ليس بهم ابتلاء، وبِمَن ذكر ابتلاءٌ. *والله أعلم*.

وقوله: **ولا ما ملكت أيمانهن**، يحتمل الإماء خاصة، كقوله: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ،[3] لم يفهموا منه سوى الإماء. فعلى ذلك جائز أن يكون المفهوم من قوله:[4] **ولا ما ملكت أيمانهن**، الإماءَ. ويحتمل الإيماء والعبيدَ جميعًا، فإن كان[5] على الإماء والعبيد جميعًا فذلك -والله أعلم- إنما أباح الدخول للعبيد على مَوْلَيَاتهم بلا إذن لأنهم إنما يدخلون عليهن عند حاجاتهن[6] إليهم في أوقات معلومة، وهنّ[7] في تلك الأوقات يكنّ مُتَأهِّبات لدخولهم عليهنّ محتجبات عنهم. وعلى ذلك يخرج[8] ما روي أن مكاتَبًا لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كان يدخل / عليها فلمّا أَدَّى فعُتق منعته عن[9] الدخول عليها،[10] [٦١٢ظ] وهو لما ذكرنا أنه كان يدخل عليها لوقت حاجتها إليه وهي كانت[11] متأهّبة لدخوله عليها،[12] وإلا لا يحتمل أن يكون يدخل عليها ويراها متجرِّدة أو متزينة بعد ما أُمرن بالاحتجاب.

---

[1] ر م: يخفف.

[2] ر م: لم يذكر؛ ن ث: لم تذكر. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٨ظ.

[3] سورة المؤمنون، ٢٣/٥-٦؛ وسورة المعارج، ٧٠/٢٩-٣٠.

[4] ر ث م: في قوله.

[5] م - كان.

[6] ث: حاجتهن.

[7] ن: وبين.

[8] ن + على.

[9] م: من.

[10] «روي أن عائشة رضي الله عنها قالت لمكاتب من أهل الجزيرة -يقال له حمران- أن ادخل علي وإن بقي عليك عشرة دراهم» (*مصنف عبد الرزاق*، ٨/٤٠٨).

[11] ن: كا.

[12] ث - وهو لما ذكرنا أنه كان يدخل عليها لوقت حاجتها إليه وهي كانت متأهبة لدخوله عليها.

فعلى ذلك العبيد لا يحل لهم النظر إلى مولياتهم ولا يكونون[1] محرمًا لهن. أو إن احتمل الآية العبيد فهم بالإذن يدخلون لا بغير إذن، فيكون الإذن مضمرًا فيه.

ثم قال: **واتقين الله**، فيما[2] ذكر من إباحة دخول من لم يُبَحْ دخوله عليهن والنظر إليهن، **إن الله كان على كلّ شيءٍ شهيدًا**، هذا تحذير وتوعيد لهن. ***والله أعلم***.

**﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٥٦]**

وقوله: **إن الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا**، ذكر في بعض الحديث أنه لما نزلت هذه الآية قيل له: يا رسول الله هذا لك، فما لنا؟ فنزل قوله: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[3] الآية،[4] قد بين ما صلاته عليهم وصلاة الملائكة، وهو ما ذكر من إخراجهم من الظلمات إلى النور، وهو دعاؤهم إلى الهدى والرشد. وذكر عن كَعْب بن عُجْرَة، قال: لما نزل: **إن الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا**، قمت إليه فقلت:[5] "السلام" قد عرفناه، فكيف "الصلاة" عليك يا رسول الله؟ قال: «قل: اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى[6] آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى[7] آل إبراهيم [إنك حميد مجيد]».[8]

ففي الآية الأمر للمؤمنين أن يُصلّوا على النبي، ثم لمّا سُئل هو عن كيفية[9] الصلاة عليه ومائيته، قال لهم أن يقولوا:[10] "اللّهم صل على محمد..." وهو سؤالُ أَنْ يتولّى الرب الصلاة عليه، وفي ظاهر الآية هم المأمورون بتولي الصلاة[11] بأنفسهم عليه. لكنه صلوات الله عليه،

---

[1] ر م: ولا يكونوا.
[2] م: مما.
[3] الآية ٤٣ من هذه السورة.
[4] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٥٤/٣.
[5] جميع النسخ + يا رسول الله. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٩و.
[6] ن ث – على.
[7] ر ن ث – على.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١١ظ. مصنف *عبد الرزاق*، ٢١٢/٢؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢٤١/٤، ٢٤٣؛ وصحيح *البخاري*، التفسير ١٠/٣٣؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٦٦.
[9] ر: كيفيته.
[10] ر م: أن تقولوا.
[11] ث + عليه.

لمّا أُمروا بالصلاة عليه -وهي الغاية من الثناء عليه-[1] لم ير في وسعهم وطاقتهم القيامَ بغاية ما أمروا به من الثناء عليه،[2] أمرهم أن يَكِلوا ذلك[3] إلى الله ويفوّضوا إليه وأن يسألوه ليتولّى ذلك هو دونهم، لِما لَمْ[4] يَرَ[5] في وسعهم القيام[6] بغاية الثناء عليه، وإلا ليس في ظاهر الآية سؤال الرب أن يصلّيَ هو عليه، ولكنْ فيها الأمر أن صلّوا أنتم عليه. *والله أعلم*. وقوله: "كما صلّيت وباركتَ على إبراهيم وآله"، تخصيص إبراهيم من بين غيره[7] من الرسل يحتمل ما ذكره بعض[8] أهل التأويل أنه ليس من أهل دين ومذهب إلا وهو يدّعي ويزعم أنه على دينه ومذهبه وأنه يتأسّى به، لذلك خصّه بالصلاة عليه من بين غيره[9] من الأنبياء. وجائز أن يكون لا لهذا ولكنه لمعنى كان فيه وفي سِرَّيته لا نعرفه نحن، فخصّه بذلك من بين[10] غيره.[11] *والله أعلم*. وقوله: "وباركْ على محمد"، البركة كأنها اسم كل خير يكون أبدًا على النماء والزيادة في كل وقت. وقد ذكرنا فيما تقدم ما قيل في صلاة الله عليهم وصلاة الملائكة وصلاة المؤمنين.[12]

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[٥٨]**

وقوله: **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**، اختلف فيه. قال بعضهم: نزلت الآية في اليهود حين قالوا: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ،[13] وهو فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ،[14] وفي النصارى حين قالوا:

---

[1] ر ث م – عليه.
[2] ن + وهي الغاية من الثناء عليه.
[3] ن + عليه.
[4] ر ث – لم.
[5] ن ث م: ترِ.
[6] ر م: القيامة.
[7] جميع النسخ: غيرهم.
[8] ر ث م – بعض.
[9] جميع النسخ: غيرهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١١ظ.
[10] ن – بين.
[11] جميع النسخ: غيرهم.
[12] انظر: الآية ٤٣ من هذه السورة.
[13] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّتْ أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان يُنفق كيف يشاء﴾ (سورة المائدة، ٦٤/٥).
[14] ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقَتْلَهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ (سورة آل عمران، ١٨١/٣).

ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ[1] وإنه ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ،[2] وفي مشركي العرب حين قالوا: الملائكة بنات الله، والأصنام آلهة، ونحو ذلك، وأذاهم رسولَ الله حين شجّوه وكسروا رَباعِيَته، وقالوا: إنه مجنون، وإنه ساحر، وأمثال ذلك. فأنزل الله: **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**، يقول: عذبهم الله في الدنيا والآخرة. فأما تعذيبه إياهم[3] في الدنيا قتلهم بالسيف يوم بدر، يعني مشركي العرب، وأهلَ الكتاب بالجزية إلى يوم القيامة، وفي الآخرة النار. وقال بعضهم قريبًا من ذلك: إن الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير والتماثيل، فلهم ما ذكر.[4]

وقوله: **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**، أي يقعون فيهم. وقال بعضهم: **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**، هم الذين قذفوا عائشة بصَفوانَ، آذوا رسول الله في زوجته عائشة حين قذفوها،[5] وهي بريئة مما قذفوا، وقوله: **المؤمنين والمؤمنات**، صفوان وعائشة.[6] وقال بعضهم: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[7] فعلى هذا التأويل[8] عذابهم في الدنيا[9] الجلْد وفي الآخرة النار. وجائز أن يكون هذا الوعيد في قاذف كل مؤمن ومؤمنة بغير ما اكتسب به. *والله أعلم*.

وقوله: **إن الذين يؤذون الله ورسوله**، إضافة الأذى إلى الله على إرادة رسوله خاصة، لأن الله لا يجوز أن يقال: إنه يتأذى بشيء أو يؤذيه شيء، لأن الأذى ضرر يلحق، والله يتعالى عن أن يلحقه ضرر أو نفع،[10] بل هو القاهر الغالب القادر الغنيّ بذاته، ويكون المراد بإضافة الأذى إليه رسولَه خاصّة،

---

[1] ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٠).

[2] ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ (سورة المائدة، ٥/٧٣).

[3] م – إياهم.

[4] «نزلت في اليهود من أهل المدينة، وكان أذاهم لله عز وجل أن زعموا أن لله ولدًا، وأنهم يخلقون كما يخلق الله عز وجل يعني التماثيل والتصاوير، وأما أذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم فإنهم زعموا أن محمدًا ساحر مجنون شاعر كذاب» (*تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٥٤).

[5] ر م: قذفوا.

[6] انظر: *بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٣/٦٠؛ و*النكت والعيون* للماوردي، ٤/٤٢٣.

[7] «نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك أن نفرًا من المنافقين كانوا يؤذونه ويكْذِبون عليه» (*تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٥٤، و*أسباب النزول* للواحدي، ٢٧٣).

[8] ر ث م – التأويل.

[9] ن + قال.

[10] ن + ضرر شيء أو نفع شيء.

على ما ذكرنا في قوله: يُخَادِعُونَ اللهَ،[1] أي يخادعون رسوله، أو يخادعون أولياءه، لأن الله تعالى لا يخادَع؛ وكقوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[2] أي[3] إن تنصروا دين الله ينصركم، أو إن تنصروا رسوله وأولياءه ينصركم، وأمثال ذلك كثير في القرآن، نسَبَ ذلك إلى نفسه على إرادة أوليائه، فعلى ذلك هذا. / ***والله أعلم، وبالله العصمة والتوفيق***. إلا أن يريد بالأذى - أعني ما ذكر من أذى الله - [٦١٣و] المعصية فهو جائز، وكذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، [أنه] قال: «من آذاني فقد آذى الله»،[4] أي من عصاني فقد عصى الله.

وفي الآية بيان وقوع المراد على الاختلاف والتفاوت من لفظ واحد، لأنه ذكر هاهنا أذى رسول الله وعقّب الوعيد الشديد من اللعن والعذاب في الدنيا والآخرة، وذكر في الآية التي قبلها، حيث قال: إِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ،[5] وما ذَكر من الأذى. ثم لا شك أن المفهوم من هذا الأذى المذكور في هذه الآية غير المفهوم من الأذى المذكور في قوله: **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**، وأن أحدهما في المؤمنين[6] والآخر في الكفار،[7] وإن كان ظاهر اللفظ في المخرج واحدًا. وكذلك المفهوم من الظلم الذي ذَكَر في قوله: وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا،[8] غير المفهوم من الظلم الذي قال آدم: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا.[9] والمفهوم من الضلال الذي قال موسى: فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ،[10] غير المفهوم من ضلال فرعون وسائر الكفرة. وكذلك الفسق، ومثل هذا كثير، لا يجب أن نفهم من أمثال هذا شيئًا واحدًا أو معنًى واحدًا، وإن كان اللفظ لفظًا واحدًا، ولكن على اختلاف الموقع.

وفي الآية دلالة عصمة رسول الله، وأن لا يكون منه ما يستحق الأذى بحال، وقد يكون من المؤمنين والمؤمنات ما يستوجبون الأذى ويستحقونه، حيث ذكر الأذى لرسول الله مطلقًا

---

[1] سورة البقرة، ٩/٢؛ وسورة النساء، ١٤٢/٤.
[2] سورة محمد، ٧/٤٧.
[3] ر - أي.
[4] مسند *أحمد بن حنبل*، ٨٧/٤، ٥٤/٥، ٥٧؛ وسنن *الترمذي*، المناقب ٥٨.
[5] الآية ٥٣ من هذه السورة.
[6] ر ث م: من المؤمنين.
[7] ر م: من الكفار.
[8] سورة الفرقان، ١٩/٢٥.
[9] سورة الأعراف، ٢٣/٧.
[10] سورة الشعراء، ٢٠/٢٦.

مرسلاً غير مقيّد بشيء، حيث قال: **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله**، وذكر أذى المؤمنين مقيّدًا بشرط الكسب، حيث قال:[1] **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**، فدلّ شرط الكسب على أنهم قد يكتسبون ما يستحقون الأذى ويكون منهم ما يستوجبون ذلك، وأما الرسول فلا يكون منه ما يستحق ذلك أو يوجب له. ***ولا قوة إلا بالله***.

و"اللعن" هو الطرد في اللغة، طردهم عن رحمته وبعْدهم عنها. و"البهتان"، قيل: هو أن يقال ما ليس فيه؛ وبُهِت،[2] قيل: تحيّر[3] وانقطع حِجاجه.

وقال بعضهم: **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**، نزل في قوم همتهم الزنا بالإماء، وكانت الحرائر يومئذ يخرجن بالليل على زيّ[4] الإماء، فيتابعوهن ويطلبون منهن ما كانوا يطلبون[5] من الإماء، فكان ذلك يؤذيهم ويَتَأَذَّيْنَ بذلك جدًّا فشكون[6] إلى رسول الله في ذلك، فنزل: **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**. ثم أُمرن عند ذلك بإدناء الجلباب وإرخائه عليهن ليُعرفن أنهن حرائر، ونُهِينَ أن يتشبّهن[7] بالإماء لئلّا يُؤذَين.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٥٩]**

وهو قوله: **يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِين عليهنَ من جلابيبهنَ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يُؤْذَين**. قال[8] بعضهم: نزل هذا بالمدينة في نساء المهاجرين، وذلك أن المهاجرين قدموا[9] المدينة، وهي مَضِيقة ومعهم نساؤهم، فنزلوا مع الأنصار في ديارهم فضاقت[10] الدور عليهم،

---

[1] م - قال.

[2] ر م: فبهت. يشير إلى قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢٥٨/٢).

[3] ن: يحير.

[4] ر م: زني.

[5] ر ث م - منهن ما كانوا يطلبون.

[6] ر ث م: فشكوه؛ ر ن ث + ذلك.

[7] جميع النسخ: أن يشبهن. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٩ظ.

[8] جميع النسخ: وقال.

[9] ر ث م + إلى.

[10] جميع النسخ: فضاق. والتصحيح من المرجع السابق.

فكانت النساء يخرجن بالليل إلى البَرَاز[١] فيقضين حوائجهن هنالك. فكان المُريب يَرْصُد النساء بالليل فيأتيها فيتعرض[٢] عليها، وإنما كانوا يطلبون الولائد والإماء، فلم تُعرَف الأَمَةُ من الحُرَّة بالليل لأن زِيّهن كان واحدًا يومئذ، فذكرت[٣] نساء المؤمنين ذلك إلى أزواجهن ما يَلْقَيْنَ بالليل من أهل الرِّيبة والفجور، فذكروا ذلك لرسول الله فنزل فيهم: **يا أيها النبيّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن**، إلى آخر ما ذكر.[٤] أُمر الحرائر بإرخاء الجلباب وإسداله عليهن ليكون عَلَمًا بين الحرائر والإماء. وروي[٥] عن عمر بن الخطاب[٦] رضي الله عنه أن جارية مرت به متقنّعةً[٧] فضربها بالدِّرَّة،[٨] وقال: "اكشفي قِناعكِ ولا تتشبّهي بالحرائر"، أَمَرَ[٩] الإماء بكشف ما ذكر والحرائر بستر ذلك.[١٠] وقد أُمر الحرائر في سورة النور بضرب الخُمُر على الجيوب بقوله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ،[١١] لئلّا تظهر[١٢] الزينة التي على الجيوب، ونُهين أن يُظهرن ويبدين زينتهن للأجنبيين إلا ما ظهر منها، وأمرن في هذه الآية بإرخاء[١٣] الجلباب وإسداله عليهن لِيُعْرَفْنَ أنهن حرائر فلا يُؤذَين بما ذكرنا.

ثم اختلف في الجلباب، قال بعضهم: هو الرداء، والجلابيب الأردية، وهو قول القُتَيْبي.[١٤] أمرن أن[١٥] يلبسن الأردية والمُلاء. وقال أبو عَوْسَجَة: الجلابيب المقانع، الواحد جِلباب، يقال: تَجَلْبَبِي، أي[١٦] تَقَنَّعِي، وهو الذي يكون فوق الخمار.

---

[١] ن: البرّان.
[٢] جميع النسخ: فيعرض.
[٣] جميع النسخ: فذكر.
[٤] *أسباب النزول* للواحدي، ٢٧٣؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ٣٧٦/٦.
[٥] م: روي.
[٦] ر ث م – بن الخطاب.
[٧] ن: مقنعة؛ م: مرت متقنعة.
[٨] الدِّرَّة: السوط يضربه، ومنه دِرَّة عمر (*المعجم الوسيط*، «درّ»).
[٩] ر ث م: وأمر.
[١٠] مصنف *عبد الرزاق*، ١٣٥/٣؛ ومصنف *ابن أبي شيبة*، ٣٤٤/٤.
[١١] ﴿وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِن أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ (سورة النور، ٣١/٢٤).
[١٢] جميع النسخ: لئلا يظهر.
[١٣] جميع النسخ: على إرخاء. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٧٩ظ.
[١٤] تفسير *غريب القرآن*، ٣٥٢.
[١٥] ث – ان؛ م: أمرنان.
[١٦] ن: ان.

وفي الآية دلالة رخصة خروج الحرائر للحوائج، لأنه لو لم يجز لهنّ الخروج لم يؤمرن بإرخاء الجلباب على أنفسهن ولكن نهاهن[1] عن الخروج، فدل أنه يجوز لهن الخروج للحاجة. *والله أعلم.*

**﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً﴾[٦٠] ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾[٦١]**

وقوله: **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض،** جائز أن يكون قوله: **لئن لم ينته المنافقون،** عما سبق ذكره من التعرض للنساء بالزنا والفجور / بهن، وأنهم هم الفاعلون [٦١٣ظ] لذلك بهن. وأما المسلمون فلا يحتمل أن يتعرضوا لشيء من ذلك في ذلك[2] الوقت، فقال: **لئن لم ينته المنافقون،** ومَن ذكر عن ذلك يفعل بهم ما ذكر. وقال بعضهم: إن أهل النفاق كانوا يُرجفون[3] أخبار العدوّ ويُذيعونها، ويقولون: قد أتاكم عَدَد وعُدّة من العدوّ، كقوله: اَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ،[4] كانوا يُجَبِّنُونهم[5] ويضعفونهم لئلا يَغْزُوا أولئك الكفرة، يُسرّون النفاق والخلاف لهم، ويظهرون الوِفاق ويسرّون فيما بينهم، ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية[6] الرسول، فنهوا عن ذلك، حيث قال: فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ،[7] فقال هاهنا: **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض،** عن صنيعهم ذلك، **لنغرينّك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً.** قال بعضهم: **لنغرينّك بهم،** أي لنسلّطنّك عليهم، وقال بعضهم: لنحملنّك عليهم، وقال بعضهم: لَنُولعنّك بهم. وكأن الإغراء هو التخلية بينه وبينهم حتى يقابلَهم[8] بالسيف ويقتلهم، وكان قبل ذلك يقابلهم باللسان، لم يأمره بالمقاتلة بالسيف[9] إلى هذا الوقت.

---

[1] جميع النسخ: ينهاهن.
[2] ر م - في ذلك.
[3] ر: يرجعون.
[4] سورة آل عمران، ١٧٣/٣.
[5] ر م: يجنبونهم.
[6] ر م: ومعصيت.
[7] ر م + فنهوا عن ذلك. سورة المجادلة، ٩/٥٨.
[8] جميع النسخ: حتى يقاتلهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٦١٢ظ.
[9] ن - ويقتلهم وكان قبل ذلك يقابلهم باللسان لم يأمره بالمقاتلة بالسيف.

وأخبر أنهم[1] ملعونون[2] أينما ثقفوا، أي مطرودون أينما وُجدوا -لأن اللعن هو الطرد- وأنهم يُقَتَّلون تقتيلاً، وأنهم لا يجاورونك إلا قليلاً فيما لا تعلم بهم.

وقوله: **والذين في قلوبهم مرض**، قال بعضهم: هم الزُّناة، **والمنافقون**، هم المنافقون، **والمرجفون**،[3] هم[4] ليسوا بمنافقين ولكنهم[5] قوم كانوا يحبون أن يُفشوا الأخبار، ويقال: الإرجاف[6] هو تشييع الخبر. وجائز أن يكون المنافق هو الذي كان مع الكفرة في السر حقيقة، والذي في قلبه مرض هو الذي في قلبه ريب واضطراب لم يكن مع الكفرة لا سرًّا ولا ظاهرًا، والذي بين الكافر والمنافق.

**﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[٦٢]**

وقوله: **سنة الله في الذين خلَوا من قبل**، قال بعضهم: سنةُ الله في الأمم السالفة الإهلاك من الكفار. وجائز أن يكون قوله: **سنة الله**، في أهل النفاق من الأمم السالفة ما ذكر في هؤلاء.

وقال مقاتل: **في الذين خلَوا من قَبْل**، [أي][7] أهل بدر، حين أُسروا وقتلوا.[8] ***والله أعلم***.

**﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[٦٣]**

وقوله:[9] **يسألك الناس عن الساعة**، جائز أن يكون السؤال عنها ما ذكر في آية أخرى، حيث قال: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا،[10] وعن قيامها، فقال: **قل إنما علمها عند الله**. ففيه دلالة إثبات رسالة رسول الله،[11] لأنه[12] حين سُئل عنها فوّض أمرها وعلمها إلى الله على ما أمر به.

---

[1] وفي *الشرح*: «وقوله: ملعونين أينما ثقفوا أخبر أنهم...» (ورقة ٦١٢ظ).

[2] م: ملعونين.

[3] ث - هم المنافقون والمرجفون.

[4] ر ث م - هم.

[5] ن: ولكن.

[6] جميع النسخ: للإرجاف. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨٠ظ.

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٢ظ.

[8] تفسير *مقاتل بن سليمان*، ٣/٥٥.

[9] ر م + سنة الله في الذين خلوا من قبل.

[10] سورة الأعراف، ١٨٧/٧؛ وسورة النازعات، ٤٢/٧٩.

[11] ر م: رسول.

[12] ن + سئل.

ولو كان غيرَ رسول الله لكان يجيبهم عَلِم أو لم يعلم، على ما يفعله طلاب الرياسة في الدنيا، إذا سُئلوا عن شيء قالوا شيئًا وإن لم يعلموا، لأن ذلك أبقى للرياسة لهم. فإذ لم يفعل صلى الله عليه وسلم كما يفعل أصحاب الرياسة بل قال: "علمها عند الله"، دل أنه رسول الله مبلِّغُ إليهم ما أُمر بالتبليغ إليهم.

وقوله: **وما يدريك لعلّ الساعة تكون قريبًا**، هذا يخرج على الوعيد والتحذير، وهو يخرج على وجهين. أحدهما كأنه يقول: اعلم أن الساعة تكون قريبًا، على الإيجاب، لأن "لعل" من الله واجب،[١] وكل ما هو آت فهو[٢] كالكائن. والثاني على الترجي، أي اعملوا[٣] على رجاء أنها[٤] قريب. *والله أعلم.*

**﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾[٦٤] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٦٥]**

وقوله: **إن الله لَعَنَ الكافرين وأعدّ لهم سعيرًا**، لعنَهم أي طردهم[٥] عن رحمته، لما علم أنهم يختارون الكفر على الإيمان ويُختَمون عليه. **وأعدّ لهم سعيرًا خالدين فيها أبدًا**. قوله:[٦] **خالدين فيها أبدًا**، ينقض على الجهميّة قولهم، وعلى أبي الهُذَيل العَلّاف. أما على الجهميّة[٧] لأنهم يزعمون أن الجنة والنار تَفْنَيان ولهما النهاية، وقالوا: لأنا لو لم نجعل لهما النهاية والغاية لخرجتا عن علم الله، لأن الشيء الغير المتناهي خارج عن علمه. لكن هذا بعيد [و]جهل منهم بربّهم،[٨] لأن علمه بالشيء الغير المتناهي أنه غير متناه،[٩] وعلْمَه بالمتناهي أنه متناه،[١٠]

---

[١] ر ث م + فهو.
[٢] ر م: وفهو.
[٣] ر ث م: اعلموا.
[٤] جميع النسخ: أنه.
[٥] ر م: تطردهم.
[٦] ن: وقوله.
[٧] م – أما على الجهمية.
[٨] ث – بربهم.
[٩] جميع النسخ: غير متناهي.
[١٠] ر م: متناهي. وفي *الشرح*: «لأنه يعلم الشيء على ما هو عليه، إن كان متناهيا يعلمه [متناهيا]، وإن كان غير متناه يعلمه غير متناه» (ورقة ٦١٢ظ).

ولا يجوز أن يخرج شيء عن علمه متناهيًا كان أو غير متناه.[١] *وبالله العصمة*. وأما على[٢] العلّاف، فلأنه يقول: إن أهل الجنة وأهل النار يصيرون بحال في وقت مّا حتى إذا أراد الله أن يزيد لأحد منهم لذة أو نعمة أو عذابًا لا يملك عليه،[٣] أو كلام نحو هذا. فنعوذ بالله من السَّرَف في القول على الله.[٤]

وقوله: **لا يجدون وليًا ولا نصيرًا**، مما[٥] طمعوا في الدنيا ورجوا من كثرة الأسباب والحواشي، أو عبادة الأصنام وغيرها، أن ينفعهم ذلك وينصرهم في الآخرة، بل ضلّ عنهم ذلك وحُرِموا،[٦] على ما أخبر: وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ.[٧] *والله أعلم*.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾[٦٦]

وقوله: **يوم تُقلّب وجوههم في النار**، وقال في آية أخرى: اَلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ،[٨] وأصله ما ذكر في قوله: أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،[٩] يُفعل بهم في الآخرة على ما كانوا عليه[١٠] في الدنيا.

وقوله: **يقولون يا لَيتنا أطعنا اللهَ وأطعنا الرسولَا**، لا يزال الكفرة قائلين لهذا القول مرددين[١١] له في الآخرة، لِما رأوا من العذاب حين حلّ بهم: **يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا**، الرسول المطلق رسول الله، / والسبيل المطلق هو سبيل الله، والدين المطلق هو[١٢] دين الله. هو المعروف[١٣] [٦١٤و] في القرآن.

---

[١] ر م: متناهي.
[٢] ر ث م - على.
[٣] جميع النسخ: لم يملك عليه. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨١و.
[٤] «وهذه الآية تدل على خلود النعيم والعذاب [بدلالة كلمة "أبدًا"]، فيبطل مذهبهما. والله الموفق» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦١٢ظ).
[٥] ث م: ما.
[٦] ر م: وجرموا.
[٧] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٦/٢٤؛ وسورة الأعراف، ٧/٥٣.
[٨] سورة الفرقان، ٢٥/٣٤.
[٩] سورة الملك، ٦٧/٢٢.
[١٠] ر ث م - عليه.
[١١] ر ث م: مترددين.
[١٢] ر م - سبيل الله والدين المطلق هو.
[١٣] ر: المعرف.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[٦٧]

وقوله:[١] **وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكُبَراءنا فأضلّونا السبيلَا**، قال بعضهم: "السادة" الملوك، و"الكبراء"[٢] العلماء. وجائز أن يكون "السادة" القادة، و"الكبراء" دونهم.

و الرَّسُولَا[٣] **والسبيلَا**، أثبتوا الألف فيه عند الوقف، وأما عند الوصل فلا. وذلك أن[٤] من عادة العرب أن لا تقف على الحركة، ولكن تَزيد لها ألفًا إذا كانت فتحةً، وإذا كانت كسرةً ياءً.[٥]

﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[٦٨]

وقوله: **ربّنا آتهم ضعفين من العذاب**، ظنوا أن يكون لهم بعض التسلّي والتفرّج إذا رأوا أولئك الذين أضلّوهم في زيادة من العذاب، على ما يكون للرجل بعض التسلي إذا رأى عدوّه في بلاء وشدّة، فلما لم يكن[٦] لهم من ذلك تسلٍّ،[٧] بل كان لهم من ذلك زيادة عذاب وشدة قالوا[٨] عند ذلك: يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ،[٩] الآية. وقوله: **والْعَنهم لعْنًا كبيرًا**، جائز أن يكون هذا: أي عذّبهم عذابًا كبيرًا طويلاً.[١٠]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾[٦٩]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا**، يقول عامة

---

[١] ن – وقوله.
[٢] ن: وبالكبراء.
[٣] من الآية السابقة.
[٤] ث – أن.
[٥] «﴿الظنونا﴾[١٠] و﴿الرسولا﴾[٦٦] و﴿السبيلا﴾[٦٧]، قرأ المدنيان وابن عامر وأبو بكر بألف في الثلاثة وصْلاً ووقْفًا؛ وقرأ البصريان وحمزة بغير ألف في الحالين؛ وقرأ الباقون وهم ابن كثير والكسائي وخلف وحفص بألف في الوقف دون الوصل» (*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٤٤٩). وانظر للتفصيل: *تفسير القرطبي*، ١٧/٩٣-٩٤.
[٦] ن: لم تكن.
[٧] ن ث م: تسلي.
[٨] جميع النسخ: فقالوا.
[٩] سورة الزخرف، ٤٣/٣٨.
[١٠] ث: طويلا كبيرا.

أهل التأويل: إن موسى كان لا يغتسل فيما يراه أحد، فقال بنو[١] إسرائل: إن موسى آدَرُ،[٢] ويروون على ذلك عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن بني إسرائل طعنوا نبيَ الله موسى بذلك، فذهب ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على حجر فسعى الحجر بثوبه، فجعل موسى يَعدُو في إثره ويقول:[٣] "[يا] حَجَرُ ثوبي" حتى مرّ به[٤] على ملأ من[٥] بني إسرائيل فعلموا أنه ليس به شيء، فذلك قوله: **فبرّأه الله مما قالوا**».[٦] وكان[٧] موسى يتأذى بما كانوا يطعنونه،[٨] فعلى ذلك رسول الله كان يتأذى إذا قالوا: زيد بن محمد، فأُمروا أن يدعوه لأبيه، بقوله:[٩] أُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ،[١٠] زيد بن حارثة. لكن هذا التأويل بعيد لأن موسى كان يدعوهم إلى ستر العورة، لا يحتمل أن يطمعوا هم منه الاغتسال معهم وأن يكشف عورته لهم، أو ينظر إلى عورته[١١] أحد -هذا وحش من القول- أو يسلِّط [عليه تعالى][١٢] حجرًا فَيَذْهب بثيابه حتى يراه الناس متجرِّدًا. *والله أعلم*. وقال بعضهم: آذوه لأنه كان خرج بهارون إلى بعض الجبال لِأمر،[١٣] فمات هارون هنالك فرجع موسى إليهم وحده، فقال بنو[١٤] إسرائل لموسى: "أنت قتلته حسدًا"، فقال موسى: "ويلكم أيَقتل الرجل أخاه؟" فآذوه، فذلك قوله: **لا تكونوا كالذين آذَوا موسى**،[١٥]

---

[١] ر ن ث: بنوا.

[٢] الأُدْرَة نفخة في الخصية. يقال: رجلٌ آدَرُ: بيّن الأدَر. وقيل: هو الذي يصيبه فَتْقٌ في إحدى الخصيتين. ومنه الحديث: إن بني إسرائيل كانوا يقولون: إن موسى آدر من أجل أنه كان لا يغتسل إلا وحده. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾ [الآية] (*لسان العرب*، «أدر»).

[٣] ر م + حجر أي يا.

[٤] م – به.

[٥] جميع النسخ – من. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨١ظ.

[٦] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٥٣؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٣١٥؛ وصحيح البخاري، الغسل ٢٠، الأنبياء، ٢٨؛ وصحيح *مسلم*، الحيض ٧٥، الفضائل، ١٥٥، ١٥٦.

[٧] ر: وكانوا.

[٨] ر م: يطعنون.

[٩] ر ث م: يقول.

[١٠] الآية ٥ من هذه السورة.

[١١] جميع النسخ: إلى عورة. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨١ظ.

[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٣و.

[١٣] ر م – لأمر.

[١٤] ن ث – بنوا.

[١٥] ر ث م + فبرأه الله مما قالوا.

فجاءت به الملائكة فوضعته بينهم فقال لهم: "لم يقتلني أحد،[1] إنما جاء أجلي فمِتّ"، فذلك قوله: **فبرأه الله مما قالوا**.[2] هذا يشبه أن يكون. ولكن كأن غيره أقرب وأشبه،[3] وهو ما كان قوم كل رسول نسبوا رسولهم إلى الجنون مرةً وإلى السحر ثانيًا وقالوا:[4] إنه كذاب،[5] مفترٍ،[6] ونحوه، على عِلم منهم أنه رسول الله، ولا شك أنهم كانوا يتأذَّون بذلك جدًا، ولذلك قال: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ.[7] لا يحتمل أن يكون هذا في الأول، لأنهم لو كانوا علموا أنه ليس به ما ذكروا[8] لم يؤذوه، فدلّ أن أذاهم[9] إياه فيما ذكرنا وفي أمثال ذلك. وكذلك ما نَهَى قوم رسولِ الله[10] من الأذى له لِما نسبوه مرةً إلى الجنون وإلى السحر[11] ثانيًا وإلى الافتراء والكذب على الله ثالثًا، لا فيما ذكر أولئك. **وكان عند الله وجيهًا**، أي مَكينًا[12] في القدر والمنزلة. ***والله أعلم***.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٧١]**

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا**، جائز أن يكون قوله: **اتقوا الله**، أي اتقوا الشرك في حادث الوقت، **وقولوا قولاً سديدًا**، أي إئتوا بالتوحيد في حادث الوقت، لأنه إنما خاطب به المؤمنين.

---

[1] ن - أحد.

[2] انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/١٩٤.

[3] جميع النسخ: وغيره كأنه أقرب وأشبه.

[4] ر م - قالوا.

[5] لعل الإمام يشير إلى قوله تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ (سورة ص، ٣٨/٤.

[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مُفتَر بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٠١).

[7] سورة الصف، ٦١/٥.

[8] ن: ما ذكروه.

[9] ن: إياهم.

[10] ث + صلى الله عليه وسلم.

[11] ن: الجنون.

[12] ث: مكنا.

**يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم**، أي بالتوحيد، لأنه بالتوحيد[1] تصلح[2] الأعمال وتزكو،[3] وبه يُغفر ما كان من الذنوب، وبه يكون الفوز العظيم. ***وبالله التوفيق.***

ويحتمل قوله: **اتقوا الله**، في الخيانة[4] فيما بينكم وبين الخلق، أي لا تخونوا الخلق، **وقولوا قولاً سديدًا**، أي صدقًا وصوابًا، أي لا تَكْذِبوا ولا تقولوا فُحشًا ونحوه. ويحتمل، **اتقوا الله**، ولا تعصوه واعملوا[5] بالمعروف، وانتهُوا عن المنكر، **وقولوا قولاً سديدًا**، ومُروا الناس بالمعروف[6] وانْهَوا عن المنكر، **يُصْلِحْ لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم**، إلى آخر ما ذكر. *والله أعلم.*

*قال أبو عَوْسَجة: السَّداد الاستقامة،[7] تقول: سدّدك الله وأرشدك. وقال أبو عُبَيدة: السديد القصد،[8] وكذلك قال القُتَبي.[9] والقصد كأنه العدل.* [٦١٤ظ س٣٠] [٦١٤ظ س٣١]

**﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾**[٧٢]

وقوله: **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال**، قد تكلف[11] أهل[12] التأويل في[13] تفسير هذه الأمانة المذكورة في الآية. قال بعضهم: هي[14] كلمة الشهادة والتوحيد، ومنهم من قال: هي جميع الفرائض التي افترض الله على عباده، ومنهم من قال: هي[15] الصلاة

---

[1] م – لأنه بالتوحيد.
[2] جميع النسخ: يصلح. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٣و.
[3] ر: تذكر؛ ث م: تذكو.
[4] م: الجناية.
[5] ر م: واعلموا.
[6] ر ث م – بالمعروف.
[7] ر م: والاستقامة.
[8] *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/١٤١.
[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٢.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٧٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦١٤ظ/سطر ٣٠-٣١.
[11] ر م: يكلف.
[12] ث + التكليف.
[13] ر ث م – في.
[14] ر – هي.
[15] ن – هي.

والصيام والحج وأمثاله وجميع ما أمروا به ونُهوا عنه. لكن التكلف والاشتغال بالتكلم في مائية[١] هذه الأمانة المذكورة المعروضة على من ذكر فضلٌ، لا يجب أن يُتكلَّف تفسيرها أنها كذا، لأنها مبهمة لا تعلم[٢] إلا بالخبر الوارد عن الله تعالى أنها كذا، و[يجب] أن يُجعل ذلك من المكتوم [الذي][٣] لا يشتغل[٤] بتفسيره.[٥] والله أعلم بذلك.

ثم اختلف فيما ذكر مِن عَرْض هذه الأمانة على السماوات والأرض والجبال وما ذكر من إبائها عن احتمالها والإشفاق منها.[٦] فقال بعضهم: قوله: **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض،**[٧] ومن ذكر، أي خلقنا خِلقةَ ما ذكر من السماوات والأرض والجبال خلقةً لا تحتمل[٨] حَمْل ما ذكر / من الأمانة. **فأبين أن يحملنها،** إباء خلقة، أي لم تخلق[٩] [٦١٤ظ] خلقتها بحيث تحتمل[١٠] ذلك، **وحَمَلها الإنسان،** أي خلقنا خلقة الإنسان خلقةً تحتمل ذلك، إلى هذا يذهب بعضهم. وقال بعضهم قوله: **عرضنا،** على[١١] حقيقة العرض، إلا أنه على التخيير بين[١٢] أن تقبل وتتحمل[١٣] وتفيَ بذلك فيكونَ لها الثواب أو لا تَفِيَ فيكونَ لها العقاب في الآخرة، وبين أن لا تتحمل[١٤] ولا تقبل[١٥] فتكون[١٦] كسائر الموات تفنى بفناء الدنيا، لا ثواب لها في الآخرة ولا عقاب، وإلا لم يُحتمل[١٧] أن يَعرض عليهن ما ذَكَر عرض لزوم وإيجاب

---

[١] ر: مائيته.
[٢] ر ث م: لا يعلم.
[٣] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٦١٣و.
[٤] ن: لا تشتغل.
[٥] جميع النسخ: بالتفسير. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨٢و.
[٦] ر ث م – منها.
[٧] ث + والجبال.
[٨] ن: لا يحتمل.
[٩] جميع النسخ: لم يخلق.
[١٠] ن: يحتمل.
[١١] ر ث م – على.
[١٢] ن: من.
[١٣] جميع النسخ: أن يقبل ويتحمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٣و.
[١٤] ر ن م: يتحمل.
[١٥] م: تقل.
[١٦] ر ن م: فيكون.
[١٧] ر: لم يحتمله.

ثم هن[1] يأبَيْن ذلك ويشفقن منها، وقد وصفهن الله بالطاعة له والخضوع في غير آي من القرآن، حيث قال: فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ،[2] وقال: لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ،[3] الآية، وقال في آية أخرى:[4] يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ،[5] وكذا،[6] ونحوه. فدل[7] إن كان على حقيقة العرض فهو على التخيير الذي ذكرنا. **وحملها الإنسان**، فكان له الثواب إن قام بها، وعليه العقاب إن لم يَفِ بها.[8]

وقال بعضهم قوله: **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال**، أي عرضنا[9] على أهل السماوات وأهل الأرض وأهل الجبال فلم يحملوها، إلا الإنسان منهم فإنه حملها. **إنه كان ظلومًا جهولاً**، قال الحسن: ظلومًا لنفسه، جهولاً لأمر ربه.[10]

وقال بعضهم: **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**، أي أبَين أن يعصين الله وأشفقن منه، أي لم يعصوا قطّ، **وحملها الإنسان**، أي عصى الإنسان[11] ربه، فيجعل الحمل كناية عن العصيان والوزر. يقول: لأنه ما ذكر في القرآن الحمل إلا في الوزر والخطايا، كقوله: وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ، وقوله: وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ،[12] وقوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[13] وقوله: وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ،[14] ونحوه كثير.

---

[1] ر ث م: بين.
[2] سورة فصلت، ٤١/١١.
[3] ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله﴾ (سورة الحشر، ٥٩/٢١).
[4] جميع النسخ – أخرى. والزيادة من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨٢ظ.
[5] ﴿وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٧٩).
[6] أي والجبال.
[7] جميع النسخ: ولكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٣و.
[8] جميع النسخ: إن لم يقم. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨٢ظ.
[9] ر م: عرض.
[10] *النكت والعيون* للماوردي، ٤/٤٣٠.
[11] ث – أي عصى الإنسان.
[12] ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/١٢-١٣).
[13] ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ (سورة النحل، ١٦/٢٥).
[14] سورة الانشراح، ٩٤/٢-٣.

وقوله: **إنه كان ظلومًا جهولاً**، إلى أيّ تأويل من هذه التأويلات التي ذكرنا صُرف هذا إليه استقام. *والله أعلم*.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأمانة العبادة، قال الله تعالى للسماوات والأرض والجبال: تأخذن العبادة بما فيها؟ قلن: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنتُنّ جُزِيتُنّ وإن أسأتن عُوقبتن.[1] **فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**، أي خِفن؛ وعرضت على الإنسان فقبلها، وهو قول الله لبني آدم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ،[2] أمّا خيانتهم الله ورسوله فمعصيتهما، وأمّا خيانتهم[3] الأمانة فتركهم ما افترض الله عليهم من العبادة. وقتادة يقول: أَمَا واللهِ ما بهن معصية[4] ولكن قيل لهن: أتحملنها[5] وتؤدّين حقها؟ قلن: لا نطيق ذلك، فقيل للإنسان -وهو آدم-: أتحملها وتؤدي حقها؟ قال: نعم. **إنه كان ظلومًا جهولاً**، عن حقّها.[6] وفي حرف أُبيّ وابن مسعود وحفصة،[7] فأبين، أي فلم يطقنها. وقال أبو معاذ: الإباء في كلام العرب على وجهين. أحدهما هذا وهو العجز، والآخر قوله: إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى،[8] أي عصى وترك الأمر. والحسن يقول: عُرضت الأمانة على السماوات وما ذكر، فقيل لهن: أتأخذن الأمانة بما فيها؟ قلن: يا رب وما فيها؟ قيل لهن: إن أحسنتن جُزِيتن وإن أسأتن عوقبتن. قلن: لا، **وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا**، لنفسه، **جهولاً**، بربه،[9] وهو مثل الأول.

وقال بعضهم: **كان ظلومًا**، لنفسه في ركوبه المعصية، **جهولاً**، بعاقبة ما تحمّل. والوجه فيه ما ذكرنا بدءًا أنه لا تُفسّر[10] الأمانة أنها ما هي، وكيف كان ذلك العرض على من ذكر من السماوات والأرض والجبال وإباؤهن وإشفاقهن، والله أعلم ما أراد بذلك.

---

[1] *بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٣/٦٢؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ٦/٣٨٠.

[2] سورة الأنفال، ٨/٢٧.

[3] ر ث م: خيانة.

[4] م: معصيته.

[5] جميع النسخ: أتحملينها. والتصحيح من نسخة أحمد الثالث، ورقة ٢٨٣و.

[6] *تفسير الطبري*، ١٩/٢٠١.

[7] ن + رضي الله عنهم.

[8] سورة البقرة، ٢/٣٤؛ وسورة الحجر، ١٥/٣١؛ وسورة طه، ٢٠/١١٦.

[9] *النكت والعيون* للماوردي، ٤/٤٣٠.

[10] جميع النسخ: لا يفسر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٣ظ.

**﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾**[٧٣]

وقوله: **ليُعذّب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على** من ذكر، أي ليعذّب من علم أنه لا يقوم بوفائها ويضيّعها، أعني الأمانة[١] التي احتملها، وإنما ضيّعها[٢] مَن ذكر من المنافقين والمشركين، ويثيب من لم يضيّعها وقام بوفائها، وهم المؤمنون.* ***والله أعلم***.[٤]

[وقوله تعالى: **وكان الله غفورًا رحيمًا**، أي للمؤمنين في الآخرة لا محالة، وعاقبتهم الجنة وإن ماتوا من غير توبة، وللكفرة مع التوبة. ***والله الموفق***].[٥]

---

[١] ث – الأمانة.

[٢] ن – ضيعها.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٧٠، فقدّمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦١٤ظ/سطر ٣٠-٣١.

[٤] م + بالصواب وإليه المرجع والمآب؛ ث: والله سبحانه أعلم.

[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٣ظ.

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة سبأ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

**﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [١]**

قوله[2] عز وجل: **الحمد لله**، قال أهل التأويل: حمد نفسه بأن صنع إلى خلقه. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما على التعليم لخلقه الحمد له والثناء عليه لآلائه وإحسانه إلى خلقه ما لو لا تعليمه إياهم الحمد له والثناءَ عليه لم يعرفوا ذلك. والثاني حَمِد نفسه لما لم يَرَ[3] في وسع الخلق القيام[4] بغاية الحمد له والثناءِ عليه على آلائه وأَيادِيه فتولّى ذلك بنفسه، وهو ما ذكرنا[5] في قوله: صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا،[6] فقالوا: قد[7] عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال:[8] «أن[9] تقولوا: اللّٰهم صل على محمد وعلى آل محمد...» إلى آخره.[10] فهذا تفويض الصلاة إلى الله والدعاء له أن يصلّي هو عليه دونهم. فهو -والله أعلم- كأنه لم ير فيهم وسع القيام بحقيقة الصلاة عليه ولا بغاية الثناء، فأمرهم / أن يفوّضوا ذلك إليه ليكون هو القاضيَ لذلك عنهم، [٦١٥و]

---

[1] ر – سورة سبأ؛ ن: ذكر أن سورة سبأ نزلت بمكة؛ ث + وهي خمسون وأربع آيات مكية؛ م + مكية.

[2] ن: وقوله.

[3] ر م + نفسه لما لم ير. لما لم ير: أي لما علم الله تعالى في الأزل...

[4] ر ث م: والقيام.

[5] ر ث م: ما ذكر.

[6] ﴿إن الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا﴾ (سورة الأحزاب، ٥٦/٣٣).

[7] ر – قد.

[8] ر: فقالوا.

[9] ن: وأن.

[10] مصنف عبد الرزاق، ٢١٢/٢؛ ومسند أحمد بن حنبل، ٢٤١/٤، ٢٤٣؛ وصحيح البخاري، التفسير ١٠/٣٣؛ وصحيح مسلم، الصلاة ٦٦. انظر: تأويل هذه الآية من تأويلات القرآن.

فعلى ذلك الحمدُ له.[1] وأصل الحمد له هو الثناء عليه بجميع محامده وإحسانه بأسمائه[2] الحسنى والشكرُ له على جميع نَعْمائه وآلائه.[3]

وقوله: **الذي له ما في السماوات وما في الأرض**، كأنه قال -والله أعلم-: الحمد لله الذي له[4] ملك السماوات والأرض وهو المستحق لذلك، لا الأصنام التي[5] عبدتموها وسميتموها آلهة.

وقوله: **وله الحمد في الآخرة**، قال[6] بعضهم: **له الحمد في الآخرة**، أي يحمده[7] أهل الجنة إذا دخلوا الجنة، كقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا،[8] وقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ،[9] وقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ،[10] ونحوه؛ يحمده أولياؤه في[11] الآخرة ويحمده أولياؤه في[12] الأولى، كقوله: لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ.[13] وجائز أن يكون قوله: **له الحمد في الآخرة**، أي له الحمد في إنشاء الآخرة، لأن إنشاء الدنيا وما فيها إنما كان حكمة بإنشاء الآخرة، ولو لم يكن إنشاء الآخرة لكان خلق ذلك كله عبثًا باطلاً. فأنشأ الآخرة حتى صار إنشاء الدنيا وما فيها من الخلائق حكمة، فأخبر أن له الحمدَ على إنشاء ما صار له إنشاء الدنيا حكمة. ***والله أعلم***.

وقوله: **وهو الحكيم الخبير**، قد تقدّم معنى الحكيم والخبير في غير موضع،[14] وهو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير، وهو الواضع كل شيء موضعه. والفلاسفة يقولون: "الحكيم"

---

[1] ر ث م: لله.

[2] ر ث م: بأسماء.

[3] ر: الآية.

[4] ث – له.

[5] ن: الذي.

[6] ر ث م: وقال.

[7] ر ث م: يحمد.

[8] ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِلّ تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ (سورة الأعراف، ٤٣/٧).

[9] ﴿وقالوا الحمد لله الذي صَدَقَنا وعدَه وأَوْرَثَنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ (سورة الزمر، ٧٤/٣٩).

[10] ﴿جنات عدن يدخلونها يُحَلَّوْن فيها من أساوِرَ من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الْحَزَنَ إن ربنا لغفور شكور﴾ (سورة فاطر، ٣٣/٣٥-٣٤).

[11] ر م: وفي.

[12] ر م: وفي.

[13] سورة القصص، ٧٠/٢٨.

[14] انظر مثلا تفسير الآية ١٨ من سورة الأنعام.

هو الذي يجمع العلم والعمل جميعًا، وهو ما ذكرنا.[1] أو، **الحكيم**، لِما أحكم كل شيء وأتقنه حتى شهد كل شيء على وحدانيته ودل على إلٰهيته.

**﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾**[٢]

وقوله: **يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها**. يخبر أن الأرض مع كثافتها وغِلَظِها لا يَحْجُب عنه[2] ما يدخل فيها وما يخرج منها، وكذلك السماء مع صلابتها وشدّتها لا يحجب عنه شيء كما يحجب عن الخلائق. أو يخبر أن كثرة ما يدخل في الأرض ويخرج منها وازدحامَه، وكثرةَ ما ينزل من السماء من الأمطار وما يعرج إليه من الدعوات والملائكة لا يَشغله؛ أي علمه بشيء لا يشغله[3] عن العلم بالآخر كما يشغل الخلائق، لأنه عالم بذاته لا بسبب، والخلق عالمون بأسباب، فعِلمهم بشيء[4] بسبب يشغلهم عن الأسباب الأخر. فأما الله سبحانه يتعالى عن أن يَشغله شيء أو يَحجُب عنه شيء. **وهو الرحيم الغفور**.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾**[٣]

وقوله: **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم**، قال بعضهم: إنهم أقسموا باللّات والعُزّى أن لا بَعْثَ ولا حياة بعد الموت، فأمرا الله نبيّه أن يقسم بالله الواحد [أن يأتيهم][5] بعث وقيامة بقوله: **قل بلى وربي لتأتينّكم**. وجائز أن يكون على غير هذا، وهو ما قال في آية أخرى، حيث قال: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا،[6] هم أقسموا بالله أنه لا يَبْعث من يموت، فأمر رسوله في هذه الآية أن يقسم بالله الذي أقسموا هم أنه يبعث، وهو قوله: **قل بلى وربي لتأتينّكم**، وكان قَسَمه بما أقسم عندهم أصدق من قسمهم، لأنهم لم يأخذوا عليه كذبًا قطّ ولا اتهموه في شيء.

[1] انظر تفسير الآية ٣٤ من سورة الأحزاب.
[2] ر م: لا تحجب عند.
[3] ر م - أي علمه بشيء لا يشغله.
[4] ر ث م - بشيء.
[5] جميع النسخ + بلى. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٤و.
[6] سورة النحل، ٣٨/١٦.

يدلّ على ذلك ما أخبر الله عنهم، حيث قال: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ،[1] أخبر أنهم لا يكذبونك في مقالتك ولكنّ همتهم جحود الآيات والإنكار لها، فيكون قسمه مقابل قسم أولئك في إنكارهم البعثَ ليعلموا كَذِبَ أنفسهم في قسمهم بقسم رسول الله بما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله: **عالِمِ الغيب**، بالخفض، وقد قرئ: "عالمُ الغيب" بالرفع، و"علّامِ الغيب"،[2] فمن خَفَضَه جعله صفة ونعتًا[3] لما تقدم من قوله: **قل بلى وربي ... عالِمِ الغيب**، ومن رفعه يجعله على الابتداء ويجعل الكلام تامًّا[4] بقوله:[5] **وربي لتأتينّكم**، ثم استأنف فقال: **عالمُ الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة**. ثم قوله: **لا يعزُب عنه**، قد قرئ برفع الزاي وبخفضها "لا يعزِب"، كلاهما[6] لغتان.[7] والعازب في كلام العرب الغائب. وقال بعضهم: **لا يعزب**، أي لا يبعد، وهما واحد.

وقوله: **لا يعزب عنه مثقالُ ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبر**، وقال في الأولى: يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا،[8] جائز أن يكون هذه الآية في جواهر الأشياء وأجناسها المختلفة،[9] لأنه أخبر عن علمه بما يلج في الأرض وما يخرج منها وما يصعد فيها وما ينزل، وذلك علم جواهر الأشياء، وقوله: **لا يعزب عنه مثقال ذرة**، إلى آخر ما ذكر، في الأفعال والأعمال، يخبر أنه لا يخفى عليه شيء ولا يغيب عنه شيء من أفعالهم وأعمالهم ليكونوا أبدًا على حذر.

---

[1] سورة الأنعام، ٦/٣٣.

[2] ر ث م: الغيوب. «قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ورُوَيس عن يعقوب ﴿عالمُ الغيب﴾ بالرفع، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ورَوح وزيد عن يعقوب وخلف ﴿عالمِ الغيب﴾ بالخفض، وقرأ حمزة والكسائي ﴿علّامِ الغيب﴾ بالخفض واللام قبل الألف» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٦٠).

[3] ر م: نفيا.

[4] ر: فأما.

[5] ر: في قوله.

[6] جميع النسخ: وكلاهما. والتصحيح من نسخة جارالله، ٢ظ.

[7] قرأ الكسائي وحده ﴿لا يعزِب﴾ بكسر الزاي، وقرأ الباقون ﴿لا يعزُب﴾ بضم الزاي» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٢٣٥).

[8] الآية السابقة.

[9] م – المختلفة.

ألا ترى أنه ذكر على إثر ذلك الجزاء، حيث قال: لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.[١] أو أن يكونا واحدًا، لأنه[٢] ذَكَر في الآية الأولى الداخل في الأرض والخارج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ولم يذكر في ذلك الساكن فيهما والمقيم وما يكون فيهما،[٣] فذكر ذلك في قوله: **لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض**، يخبر عن إحاطة علمه بالأشياء كلها من الساكنة والمقيمة والمتحرّكة والمنقلبة[٤] فيهما. ***والله أعلم.***

**﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٤]**

/ وقوله: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم**، [٦١٥ظ] المغفرة هي التغطية والستر. ثم يكون الستر بوجهين. أحدهما يستر[٥] على أعين الزلات وأنفسها[٦] أن لا تُذكَر، والثاني يستر بالجزاء الحسن[٧] إذا لم يجز للزلات. هذا للمؤمنين، يستر عليهم الزلات مرة بترك ذكرها ومرةً بترك الجزاء عليها. وأما الكافر فإنه إذا جُزِيَ على سيئة فقد أظهر وأفشى[٨] ولم يستر عليه.[٩] أو أن يكون قوله: **أولئك لهم مغفرة**، أي سَتْر، وهو أنه[١٠] إذا أدخلهم[١١] الجنة أنساهم زلّاتهم حتى لا يذكرون أبدًا، لأن ذكر زلّاتهم لربهم ينغّص عليهم لذّاتهم وتنعمهم. وقوله: **ورزق كريم**، قيل: الكريم الحسن. وجائز أن يكون سمّاه كريمًا لأن من ناله كرُم وشرُف، كقوله: أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ.[١٢] ***والله أعلم.***

---

[١] الآية التالية.

[٢] جميع النسخ: إلا أنه. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٢ظ.

[٣] ر: فيما.

[٤] ر ث: والمتقلبة.

[٥] م – يستر.

[٦] ر ث م: أنفسها.

[٧] ن: الجزاء.

[٨] ر م: وفشى.

[٩] وعبارة السمرقندي رحمه الله هكذا: «وأما الكافر إذا جزي على سيئة فقد أظهرها الله تعالى في القيامة ولم يسترها عليه» (ورقة ٦١٤و).

[١٠] ن + إنهم.

[١١] ر: إذا دخلهم.

[١٢] سورة المعارج، ٣٥/٧٠.

**﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾[٥]**

وقوله: **والذين سعَوْا في آياتنا معاجزين**، يحتمل حقيقة سعيهم في آياته بما ذكر، كقوله: وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ،[١] ذكر مرورهم عليها والإعراض عنها فهو سعي. وجائز على التمثيل، أي يعملون عمل من أعجز الآيات للجحود لها والرد والعناد. والمعجز هو السابق،[٢] وقوله:[٣] وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ،[٤] أي سابقين[٥] فائتين، أي لا تُعجزونني[٦] ولا تفوتونني.[٧] **أولئك لهم عذاب من رجز أليم**، الرجز العذاب الأليم، أي مؤلِم، وذلك جائز في اللغة. وقال أبو عَوْسَجَة: المعاجز الهارب، يهرب لكي يُعجز.[٨]

**﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٦]**

وقوله: **ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق**، قال بعضهم: **الذين أوتوا العلم**، هم مؤمنو[٩] أهل الكتاب الذين أوتوا العلمَ:[١٠] علمَ التوراة والإنجيل وغيرهما.[١١]

---

[١] سورة يوسف، ١٢/١٠٥.
[٢] جميع النسخ: المسابق. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٣و.
[٣] جميع النسخ – وقوله. والزيادة من المرجع السابق.
[٤] سورة العنكبوت، ٢٩/٢٢؛ وسورة الشورى، ٤٢/٣١.
[٥] جميع النسخ: مسابقين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٤و.
[٦] ر م: لا يعجزونني.
[٧] جميع النسخ: ولا تفوتون عني. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٣و.
[٨] «أعجزتُ فلانا وعجّزته وعاجزته: جعلته عاجزا. قال: ﴿واعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ [التوبة ٩/٢]، ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ [الشورى ٤٢/٣١]، ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين﴾ [الحج ٢٢/٥١]، وقرئ: "مُعَجِّزين"؛ فمعاجزين قيل: معناه ظانّين ومقدِّرين أنهم يُعجزوننا؛ لأنهم حسبوا أن لا بعث ولا نشور فيكون ثواب وعقاب، وهذا في المعنى كقوله: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا﴾ [العنكبوت ٢٩/٤]، و"معجِّزين": ينسبون إلى العجز من تبع النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك نحو: جهَّلته وفسَّقته، أي: نسبته إلى ذلك. وقيل معناه: مثبِّطين، أي: يثبِّطون الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم، كقوله: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ [الأعراف، ٧/٤٥]» (*المفردات* للراغب الإصفهاني، ٥٤٧–٥٤٨). «معنى الإعجاز الفوت والسبق. يقال: أعجزني فلان، أي فاتني. وقال الليث: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. وقال ابن عرفة في قوله تعالى: ﴿معاجزين﴾ أي يعاجزون الأنبياء وأولياء الله، أي يقاتلونهم ويمانعونهم ليصيّروهم إلى العجز عن أمر الله، وليس يعجز الله، جل ثناؤه، خلق في السماء ولا في الأرض ولا ملجأ منه إلا إليه» (*لسان العرب*، «عجز»).
[٩] ر ث م: هم المؤمنون مؤمنوا. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٣و.
[١٠] ن – هم مؤمنو أهل الكتاب الذين أوتوا العلم.
[١١] ر م: وغيرها.

يقول -والله أعلم-: يعلم الذين أوتوا منافع تلك الكتب أن ما أنزل إليك من ربك هو الحق. أو[١] هم[٢] بأجمعهم جميعًا الذين[٣] أوتوا العلم بتلك الكتب، لِما يجدون نعته وصفته فيها، يعلمون أنه هو الحق من ربك، لكن بعضهم عاندوا ولم يؤمنوا[٤] وبعضهم قد آمنوا به. وقال بعضهم قوله: **ويرى الذين أوتوا العلم**، هم أصحاب محمد صلوات الله عليه، أي الذين أوتوا منافع ما أنزل إليك هم يعلمون أنه هو الحق من ربك، فأما من لم يُؤتَ منافع العلم فلا يعلم ذلك. وفي حرف ابن مسعود "ويعلم الذين أوتوا الحكمة من قبلُ الذي أنزل إليك من ربك هو الحق"، يعني القرآن.[٥]

وقوله: **ويهدي إلى صراط العزيز الحميد**، قوله: **يهدي**، يحتمل يدعو، ويحتمل، **يهدي**، أي يبيّن لهم صراط العزيز الحميد.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾**[٧]

وقوله: **وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبّئكم**. كان بعضهم يقول لبعض: هل ندلكم على رجل ينبّئكم[٦] إذا مُزّقتم كل ممزّق إنكم لفي خلق جديد، قوله: **إذا مزّقتم**، يحتمل أن قالوا: إنه[٧] يقول: إذا تفرقت جوارحكم وأعضاؤكم تكونون[٨] خلقًا جديدًا. فإن كان على هذا فهو -والله أعلم- كأنه من أهل الدهر ذلك القولُ، لأنهم يقولون بقِدم العالَم ولا يقولون بفنائه. لأن أهل مكة كانوا فرقتين، فرقة تذهب مذهب أهل الدهر، وفرقة يقولون بحدث العالَم ويقرّون بفنائه لكنهم ينكرون إحياءه بعد الفناء. فإن كان ذلك من هؤلاء فيكون قوله: **ينبّئكم إذا مزّقتم كل ممزّق**، أي إذا ذهبت أجسادكم وفَنِيتَ اللحوم والعظام وكنتم رمادًا ورُفاتًا، **إنكم لفي خلق جديد**، أي تكونون[٩] خلقًا جديدًا. يخرج ذلك منهم على أحد وجهين. إما على استبعاد[١٠]

---

[١] جميع النسخ - أو. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٣و.
[٢] ر ث م - هم.
[٣] ر م: الذي.
[٤] ر ث م + به.
[٥] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٥٩.
[٦] ن - كان بعضهم يقول لبعض هل ندلكم على رجل ينبئكم.
[٧] جميع النسخ: للنبي. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٣ظ.
[٨] ر م: تكونوا.
[٩] ن: يكونون.
[١٠] جميع النسخ + في. والتصحيح من المرجع السابق.

ذلك في أوهامهم وعقولهم، أي لا يكون ذلك. أو على التعجب أن كيف يكون ذلك؟ فقالوا[1] عند ذلك [كما أخبر عنهم بقوله]:[2]

﴿أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾[٨]

**أفترى على الله كذبًا أم به جنة**، يقولون: أفترى محمد على الله كذبًا أم به جنون؟ إذ لم يُسْمَع ذلك من أحد من قبل، ولا رأينا ذلك أنه كان ما ذَكَر. فرد الله ذلك عليهم وقال: **بل الذين لا يؤمنون بالآخرة**، أي بالبعث والإحياء بعد الموت هم المفترون على الله، هم **في العذاب والضلال البعيد**. فيكون العذاب لهم[3] جزاء قولهم: إنه افترى على الله، ويكون قوله: **والضلال البعيد**، جزاء قولهم:[4] أم به جنون؟ يقول: بل هم في ضلال بعيد. الضلال البعيد كأنه هو الذي لا يرجع إلى الهدى أبدًا، فتكون[5] الآية في قوم[6] عَلِم الله أنهم يُختَمون على الضلال ولا يؤمنون أبدًا، فيكون في ذلك دلالةُ إثبات الرسالة.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[٩]

وقوله: **أفلم يَرَوْا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض**، قد ذكرنا قوله: **أفلم يروا**، و أَلَمْ تَرَوْا[7] ونحوه أنه يخرج على وجهين. أحدهما أي[8] قد رأوا، على الخبر. والثاني على الأمر، أي[9] انظروا.[10] ثم يقول بعضهم:[11] حيثما قدم الإنسان رأى بين يديه من السماء

---

[1] ر م: فقال.

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٤ظ.

[3] ر م – فيكون العذاب لهم.

[4] ر م – أنه افترى على الله ويكون قوله والضلال البعيد جزاء قولهم.

[5] ر ث م: فيكون؛ ن: ويكون.

[6] ر ث م: في قولهم.

[7] م: أفلم يروا أو أولم تروا. انظر مثلا: سورة الرعد، ٤١/١٣؛ وسورة لقمان، ٢٠/٣١.

[8] جميع النسخ – أي. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٤و.

[9] جميع النسخ: أن.

[10] جميع النسخ + إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٤ظ. وعبارته هكذا: «أي "انظروا"، في المخاطبة، و"انتظروا" في المعاتبة. قال قتادة: لينظروا كيف أحاطت بهم السماوات والأرض. وقيل: أي حيث ما قدم الإنسان يرى بين يديه من السماء مثل الذي خلفه وكذلك الأرض تحيط به السماء والأرض ويراهما أمامه وخلفه، وهو مثل قول قتادة».

[11] جميع النسخ + لبعض. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٤و.

مثل الذي يرى خلفه، وكذلك الأرض. وقتادة يقول: لينظروا كيف أحاطت بهم السماء والأرض، وهما واحد.[١]

**إن نشأ نَخسفْ بهم الأرض**، كما خسفنا بمن كان قبلهم، **أو نُسقطْ عليهم كِسَفًا من السماء**، أي عذابًا من السماء، كما أنزلنا[٢] على من كان قبلهم بالتكذيب والعناد. يذكر هذا على إثر قولهم: أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ،[٣] أي لو نظروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض لعرفوا أنه رسول الله وأنه صادق وأن ما يقوله:[٤] / إنه بَعْثٌ بعد الموت وإن العذاب ينزل، يقوله [٦١٦و] لا عن جنون ولكن على علم[٥] وعقل ومعرفة، لأن من قدر على إنشاء السماء على ما أنشأ من سَعَتِها وغِلَظِها وشدتها وكذلك الأرض قَدَر على البعث، وخسفِ من يشاء أن يَخسف، وإسقاطِ السماء على من يشاء أن يسقط. أو يقول: لو نظروا لعرفوا أنه لم ينشئ ما ذكر من السماء والأرض عبثًا باطلًا، ولكن أنشأهما على الحكمة، وإنما يصير إنشاؤهما[٦] حكمة[٧] بالبعث والإحياء بعد الموت ومصيرِهم إليه، وأما للفناء خاصة فلا يكون حكمة. والله أعلم ما أراد بذلك.

وقوله: **إن في ذلك لآيةً لكل عبد منيب**، المنيب،[٨] قيل: هو المطيع لله، وقيل: هو المقبل على أمر الله. والمنيب كأنه هو المؤمن، لأنه هو المصدّق بالآيات، فإذا كان المؤمن هو المصدق بالآيات فيكون هو المنتفعَ بها، فيكون الآية له،[٩] وأما المكذّب بها فلا ينتفع بها فلا يكون الآية له في الحقيقة آيةً.[١٠]

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾**[١٠]

وقوله: **ولقد آتينا داود مِنا فضلًا**، أي علمًا، كقوله: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا.[١١] وقال بعضهم: **فضلًا**، أي نبوةً. وقال بعضهم: الفضل هو الملك الذي آتاه الله.

---

[١] *تفسير عبد الرزاق*، ٥٧/٣؛ *والنكت والعيون* للماوردي، ٤٣٤/٤.
[٢] جميع النسخ: كما أنزل.
[٣] الآية السابقة.
[٤] ر ث: وأن ما يقول.
[٥] جميع النسخ: عن علم. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٤و.
[٦] ر م: إنشاهما؛ ن ث: إنشاؤهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] م − حكمة.
[٨] م − المنيب.
[٩] ر ث م − له.
[١٠] ر ث م − آية.
[١١] سورة النمل، ١٥/٢٧.

وجائز أن يكون ما ذكر من الفضل أنه آتاه هو ما ذُكَر على إثره من تسخير الجبال له[1] والطير والتسبيح معه وإلَانة الحديد له بلا نار ولا شيء، حتى اتخذ منه ما شاء أن يتخذ من الدروع[2] وآلات الحروب، وقد آتى الله داود من الفضل ما لو تكلفنا عدّه وإحصاءه ما قدرنا عليه.

وقوله: **يا جبال أوبي معه**، قيل: سبّحي معه. وقوله: **والطيْرَ**، من نَصَب الطير جعلها مسخّرة له، كأنه قال: سخرنا له الطيرَ. ومن رفعها جعله على النداء: يا طيرُ أوِّبِي معه، أي سبّحي معه.[3] ثم اختلف في تسبيح الجبال والطير. قال بعضهم: تسبيح خلقة لا تسبيح قَول ونُطق، لِما جعل في خلقة كل شيء الشهادة له بالوحدانية والألوهية. لكن ذكر هاهنا أن سبّحي معه، ولو كان تسبيح خلقة لم يكن لذكر التسبيح مع داود فائدة، لأن تسبيح الخلقة يكون، كان معه داود أو لم يكن. ولكن جائز أن يجعل الله تعالى في سرّيّة الجبال مِن التسبيح ما يفهم منها داود ولم يفهم ذلك غيره، على ما ذكرنا في قِيل النملة لسائر النمل،[4] حيث قال: قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ،[5] الآية، جعل الله تعالى في سرّيّة النمل معنى ألقى ذلك في مسامع سليمان ففهم منها ذلك، ولم يلق ذلك في مسامع غيره من الجنود، فعلى ذلك تسبيح الجبال والطير. *والله أعلم*.

وقوله: **وألنّا له الحديد**، جعل له آية لنبوّته لما ألان له الحديد بلا نار ولا سبب يلينه حتى كان يعمل منه ما شاء، ولم يجعل في وسع أحد من الخلائق سواه استعمال الحديد إلا بالنار وأسباب أخر، ليكون له في ذلك آية.

﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١١]

وقوله: **أن اعمل سابغات**، كأنه قال: وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ،[6] وقلنا له: **أن اعمل سابغات**. قال بعضهم: السابغات هي الدروع، وقال بعضهم: هي الواسعات. وقيل: هي الطِّوال. فكأنه أمر أن يتخذ من الدروع ما يأخذ من الرأس إلى القدم ما يَصلُح لحرب العدوّ.

---

[1] ر ث م – له.

[2] ث م: من الدرع.

[3] «قرأ رَوح وزيد عن يعقوب ﴿والطيرُ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون ورُوَيس ﴿والطيرَ﴾ بالنصر» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٦١).

[4] ن: النملة.

[5] ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يَحْطِمَنّكم سليمان وجنودُه وهم لا يشعرون﴾ (سورة النمل، ١٨/٢٧).

[6] الآية السابقة.

وقوله: **وقدّر في السرد**، قال بعضهم: كانت الدروع قبل ذلك صفائحَ مضروبةً، فَسَرد[1] نبيُّ الله حَلَقَها[2] بعضَها في بعض، والسرد المسامير في الحلق.[3] يقول: قَدِّر المسامير في الحلق، لا تُدِق[4] المساميرَ وتُوسِعَ[5] الحلق فتسَلْسَلُ،[6] ولا تُضَيِّقِ الحَلقَ وتُعظِّمَ المسامير فتَقْصَمُ وتَكَسَّرُ، ولكن [اصنعْ] مستويًا لتكون أحكم. وقال[7] أبو عَوْسَجَة والقُتَبِي: **وقَدِّرْ في السرد**، أي في النسج،[8] أي لا تجعل المسامير دِقاقًا فتَقْلَق،[9] ولا غلاظًا فتَكْسِر الحلقَ. ومنه قيل لصانع الدروع: سرّاد وزرّاد، كما يقال: صِراط وسِراط وزِراط.[10] والسرد الخَرْز[11] أيضًا. وقال غيره: السرد الخُرُوق في طبق الحلق وإدخال الحَلَق بعضِها في بعض.

وقوله: **واعملوا صالحًا**، جائز أن يكون قوله: **اعملوا صالحًا**، فيما ذكر من عمل الدروع، ويحتمل في غيره من الأعمال. **إني بما تعملون بصير**، هو على الوعيد. ***والله أعلم***.

**﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[١٢]**

وقوله: **ولسليمان الريح غدوّها شهرٌ ورواحها شهرٌ**، كأنه يقول: سخرنا لسليمان الريح، كما ذكر[12] في آية أخرى: فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ.[13]

---

[1] سَرَد الدرع: نسجها فشكَّ طرفَيْ كل حلقتين وسمّرهما أي شدها. والسَّرْد أيضا: اسم جامع للدروع وسائر الحلق، بطريق التسمية بالمصدر (*المعجم الوسيط*، «سرد»).

[2] ن ث: حلقا. الحَلَق: جمع حَلْقَة، وكل شيء استدار.

[3] ر م: والحلق. المسامير: جمع مسمار، وهو ما يصنع من حديد ونحوه وأحدُ طرفيه بيِّن والآخر ذو رأس، يُدق في الخشب وغيره للتثبيت (*المعجم الوسيط*، «سمر»).

[4] ر: لا بدق.

[5] ر م: وتوقع.

[6] ر ث: فتتسلسل.

[7] ر ث م: قال.

[8] ر: التسبيح.

[9] أي لا تستقرّ على حال.

[10] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٤. وانظر: *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٢٨/١؛ و*لسان العرب*، «زرط».

[11] ن: المحرز.

[12] ر م: كما ذكرنا.

[13] سورة ص، ٣٦/٣٨.

وقوله: **غدوّها شهر ورواحها شهر**، أي[1] تجري به الريح في غدوّها مسيرة شهر وفي رواحها مسيرةَ شهرٍ وذلك آية له. فمثلها من الآية كان لرسول الله حيث أُسْرِيَ في ليلة واحدة مسيرةَ شهرين من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.[2] وما كان لسليمان من المُلْك بالأعوان[3] من الجن والإنس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، حيث قال: «نُصرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهرَيْن»،[4] فإن لم يكن ما[5] ذكر من الرعب مسيرة شهرين[6] أعظم مما كان لسليمان فلا يكون دونه. وما كان لأبيه داود من إلَانة الحديد له بلا سبب وما ذكر[7] كان لمحمد انشقاق القمر،[8] وذلك أعظم في الآية مما ذكر. وما كان لموسى من انفجار العيون من الحجر[9] كان لمحمد من أصابعه، حتى ذكر أنهم كانوا ألفًا وأربعمِائَةِ نفرٍ شربوا جميعًا منه ورَوُوا،[10] فذلك إن لم يكن أعظم في الآية لا يكون دونه. وما كان لعيسى من إحياء الله الموتى وإجرائه على يديه،[11] كان لمحمد مقابلَ ذلك كلام الشاة المَصْلِيَة[12] المسمومة التي أخبرته "أني مسمومة فلا تتناول مني"، لمّا أراد التناول منها.[13] فآياته كثيرة / [٦١٦ظ] حتى لم تذكر لأحد من الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم آيةٌ إلا ويمكن أن يذكر لمحمد جميعًا مقابل ذلك مثلها أو أعظمُ منها. ثم يحتمل ذكر ملك سليمان وأبيه لئلّا يَحْسُدوا محمدًا عليه الصلاة والسلام على ما أعطاه الله له من الملك والشرف، ليعرفوا أنه ليس هو المخصوص بالملك والشرف، ولكن له في ذلك شركاء وإخوان أعطاهم الله مثل ذلك. *والله أعلم.*

---

[1] ث – أي.

[2] يقول الله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١).

[3] ر: الأعوان.

[4] *المعجم الكبير* للطبراني، ٦١/١١، ٦٤؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٦٠٨/٢. وفي الرواية المشهورة: «نصرت بالرعب مسيرة شهرٍ» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠١/١؛ و*صحيح البخاري*، التيمم ١؛ و*صحيح مسلم*، المساجد ٣).

[5] جميع النسخ: مما. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٥و.

[6] ر م – فإن لم يكن مما ذكر من الرعب مسيرة شهرين.

[7] انظر: الآية السابقة.

[8] جميع النسخ + له. يشير إلى قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ (سورة القمر، ٥٤/١) وما روي في تفسيرها من الأحاديث.

[9] انظر: سورة البقرة، ٦٠/٢؛ وسورة الأعراف ١٦٠/٧.

[10] م: وروا. *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٠١/١؛ وصحيح البخاري، الأشربة ٣١؛ و*سنن النسائي*، الطهارة ٦١.

[11] انظر: سورة آل عمران، ٤٩/٣؛ وسورة المائدة، ١١٠/٥.

[12] ن – المصلية. المَصْلِيَّة المَشْوِيَّة (*لسان العرب* «صلا»).

[13] *سنن الدارمي*، المقدمة ١١؛ و*سنن أبي داود*، الديات ٦.

وقوله: **وأَسَلنا له عين القِطْر**، قيل: النحاس، وقيل: الصُّفْر. قيل: أسيلت له يعمل بها[1] ما أحبّ، كما أُلين[2] لأبيه الحديد فيعمل به ما أحبّ من الدروع وغيرها بلا سبب. *وقال[3] [٦١٦ظ س٢٦] أبو عَوْسَجة والقُتَبِي: **وأسلنا له عين القطر**، أي أَذَبْنَا له عين النحاس.[4] * ***والله أعلم***.

وقوله: **ومن الجنّ من يعمل بين يديه بإذن ربه**، قيل: بأمر ربه، أي سخر الله الجن له وأمرهم بطاعته في جميع ما يأمرهم فيما أحب، شاءوا أو كرهوا. يخرج قوله: **بإذن ربه**، على وجهين. أحدهما على التسخير له فيكون الإذن كناية عن التسخير. والثاني، **بإذن ربه**، أي بأمر ربه، أي أمرهم ربهم أن يطيعوه في جميع ما يأمر وينهى. وقوله: **ومن يَزِغ منهم عن أمرنا**، أي عصاه فيما أمره به، **نُذِقه** ما ذكر. تحتمل[6] إضافة الأمر[7] إلى نفسه لما يأمره ما يستعملهم فيما يستعملهم.[8] ***والله أعلم***.[9]

**﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[١٣]**

وقوله: **يعملون له ما يشاء من محاريب**، قال بعضهم: المحاريب هي المساجد، وقال بعضهم: هي القصور. والمحاريب هي أشرف المواضع، ذكر كناية عن غيرها. ***والله أعلم***.

وقوله: **وتماثيل**، قال بعضهم: هي التماثيل كهيئة تماثيل الرجال، يصوّرون في المساجد تماثيل الرجال العبّاد الزهّاد والملائكة والنبيّين والرجال المتواضعين، لكي إذا رآهم الناس مصوَّرًا عبدوا عبادتّهم وتشبّهوا بهم. أو أن تكون تماثيل لا رأس لها، نحو الأواني والكيزان ونحوها. أو أن تكون[10] التماثيل يومئذ غير منهيّ العمل بها، فأما اليوم فقد نهوا عن العمل بها مخافة

---

[1] جميع النسخ: يعمل به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٥و.
[2] ن + به.
[3] ر ث م: قال.
[4] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٤.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦١٦ظ/سطر ٢٦.
[6] جميع النسخ: يحتمل.
[7] جميع النسخ: أمره. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٥ظ.
[8] وعبارة *الشرح* هكذا: «وإنما أضاف أمره إلى نفسه لأن الله تعالى أمرهم بأن يعملوا له إذا استعملهم فيما استعملهم، كما قال: ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾» (ورقة ٦١٥و).
[9] ث – وقوله ومن يزغ منهم عن أمرنا أي عصاه فيما أمره به نذقه ما ذكر يحتمل إضافة أمره إلى نفسه لما يأمره ما يستعملهم فيما يستعملهم والله أعلم.
[10] جميع النسخ: أو أن يكون.

أن يدعو[1] ذلك إلى عبادة غير الله، وبذلك[2] غرّ إبليس قومًا حتى عبدوا الأصنام، وإلا ليس من الأصنام ولا فيها ما يغترّ به المرء على عبادته. *والله أعلم*.

وقوله: **وجِفان كالجواب،** قال بعضهم: أي قصاع كالجواب كهيئة حياض الإبل، حتى يجلس على القصعة الواحدة ألف وزيادة يأكلون منها. وقال بعضهم: **وجفان كالجواب،** أي كالجوبة من الأرض التي تحفر للماء، يصف عظم ذلك. ففيه أنهم كانوا يجتمعون في الأكل لا ينفردون به.

وقوله: **وقُدُور راسيات،** أي كانوا يتخذون له قدورًا عظامًا في الجبال التي لا تُحَرَّك من مكانها،[3] **راسيات،** أي ثابتات كما ذكر، والجبال الرواسي أي الثوابت. وقال بعضهم: **وقُدور راسيات،** هي القدور العظام التي أُفرغت إفراغًا وأُكفئت[4] لعظمها إكفاءً، وهما واحد. *والله أعلم*.

وقوله: **اعملوا آلَ داود شكرًا،** قال[5] بعضهم: أي اعملوا لآل داود شكرًا، لأنه ذكر أنه ليس من زمان في ليل ونهار إلا ويكون من آل داود صائم[6] بالنهار ومصلّ[7] بالليل، أو كلام نحوه، فأمروا بالشكر لهم. وقال بعضهم: كأنه قال: اعملوا يا آل داود شكرًا لما أعطيتكم من الملك والفضل. **وقليل من عبادِيَ الشكورُ،** أي قليل من عبادي المؤمن،[8] والشكور كناية عن[9] المؤمن على ما ذكرنا في قوله: إنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ،[10] أي لكل مؤمن. *والله أعلم*.* **والشكور،** هو الفعول، والفعول[12] والفعّال هما اللذان يُكثِران الفعل، فكان "الشكور" هو الذي يعتقد الشكر لربه ويشكر مع الاعتقاد، فيكون منه الاعتقاد والمعاملة جميعًا.

---

[1] ر ن م: يدعوا.
[2] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٦و.
[3] ر م: مكان.
[4] ر: أو كيفيت.
[5] ن: وقال.
[6] جميع النسخ: صائما.
[7] ر ث م: ومصليا؛ ن: مصليا.
[8] ر م: المؤمنين.
[9] ن – كناية عن.
[10] انظر مثلا: سورة إبراهيم، ١٤/٥.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦١٦ظ/سطر ٢٦.
[12] ن – والفعول.

**﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾**[١٤]

وقوله: **فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلا دابّة الأرض**، دل هذا على أن موته كان بحضرة أهله وبمشهد منهم، حيث ذكر:[١] **ما دلّهم على موته إلا دابّة الأرض تأكل منسأته.** ثم يذكر بعض أهل التأويل أنه سأل ربه أن يُعمي على الجن موته حتى يعلم[٢] الإنس أنهم لو كانوا يعلمون الغيب، يعني[٣] الجن، ما لبثوا في العذاب المهين. وبعضهم يقول: سأل ربه أن يعمي على الجن موته حتى يفرغوا[٤] من بناء بيت المقدس، فدأبوا حولا يعملون فلما فرغوا من بنائه خر سليمان ميتًا من عصاه وكان متكئًا عليها. وبعضهم يقول: لما حضره الموت وكان على فراشه في البيت، لم يكن على عصاه، فقال لأهله:[٥] "لا تخبروا الجنّ بموتي حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس"، وكان بقي عمل سنة ففعلوا، فلما فرغوا من بنائه خرّ عَتَبة الباب،[٦] فعند ذلك علمت الجن بموته. *والله أعلم*.

وقوله: **فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين،** وفي حرف[٧] ابن مسعود: "فلما قضينا عليه الموت وهم يَدأبون له حولاً ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت[٨] الإنس[٩] أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين"،[١٠] لأنهم كانوا يدّعون علم الغيب فَابْتُلُوا بذلك.

ودلّ قوله: **ما دلّهم على موته إلا دابّة الأرض،** على أنهم كانوا لا يدنون منه لأحد وجهين. إما لهيبته وسلطانه على الناس، فإن كان ذلك فلذلك[١١] أطاع له كل شيء

---

[١] ن: حيث ما ذكر.
[٢] ر ث م: حتى يعلمه.
[٣] جميع النسخ: أعني. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٦٦ظ.
[٤] ن: تفرغوا.
[٥] ر ث م - لأهله.
[٦] جميع النسخ + والباب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٥ظ.
[٧] ر ث م: في حرف.
[٨] م + الجن.
[٩] جميع النسخ: للإنس على. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] "وهم يدأبون له حولا" (*تفسير الطبري*، ٢٤٢/١٩؛ *والدر المنثور*، ١٨١/١٢). "تبينت الإنس" (*تفسير عبد الرزاق*، ٦٠/٣؛ وتفسير *ابن أبي حاتم*، ٢٩١٤/٩؛ وتفسير *القرطبي*، ٢٨٢/١٧).
[١١] ر ث م - فلذلك.

[٦١٧و] / وخضعوا[١] له من الجن والطير والوحش وغير ذلك. أو لِما كان يُكثر[٢] العبادة لله والخضوعَ له يتوحّد ويتفرّد بنفسه لم يجترءوا أن يدنوا منه، وإلا لو دنَوا منه لرأوا فيه آثار الموتى. اللّٰهم إلا أن يكون ما ذكر بعضهم أنه قال لأهله: لا تخبروا أحدًا بموتي، وأمرهم أن يكتموا موته. *والله أعلم*.

وقوله: **تأكل مِنسأته**، قيل المنسأة العصا،[٣] سمي منسأة من النَّساء،[٤] لأنه كان بها يؤخر ما أراد تأخيره وبها يدفع ما أراد دفعه.[٥] ثم في إمساكه العصا أحد وجهين. إما لضعفه في نفسه كان يتقوّى بها في أمور ربه، أو يمسكها لخضوعه لربّه[٦] وطاعته له.

وفيه دلالة أن الأنبياء والرسل[٧] عليهم السلام[٨] كانوا لا يَشغلهم الملك وفضل الدنيا، ولا الحاجة ولا الفقر عن القيام بأمر الله وتبليغ الرسالة إلى الناس، وهما شاغلان لغيرهم. وهم كانوا فريقين: فريق[٩] قد وُسّع[١٠] عليهم الدنيا نحو سليمانَ وإبراهيمَ وغيرهما، وفريق قد اشتدّت بهم الحاجة والفقر، وكلاهما مانعان شاغلان[١١] عن القيام بأمور الله وتبليغ الرسالة، لِيُعلم أنهم لم[١٢] يأخذوا من الدنيا ما أخذوا للدنيا ولكن أخذوا للخلق، ولِلّٰه قاموا فيما قاموا،[١٣] لذلك لم يشغلهم ذلك عن القيام بما ذكرنا. *والله أعلم*.

ودلّ قوله: **ما لَبِثوا في العذاب المُهين**، أنه[١٤] كان يأمرهم ويستعملهم في أمور شاقة وأعمال صعبة حيث ذكر لبثهم في ذلك لُبثًا في العذاب المهين. *والله أعلم*.

---

[١] م – وخضعوا.
[٢] ن: ليكثر.
[٣] ر م: العصى.
[٤] النَّساء: التأخير.
[٥] ن – دفعه.
[٦] جميع النسخ: ربه. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٧و.
[٧] جميع النسخ – والرسل. والزيادة من المرجع السابق.
[٨] ث: عليهم الصلاة والسلام.
[٩] جميع النسخ – فريق. والزيادة من المرجع السابق.
[١٠] م: وسع الله.
[١١] م: وشاغلان.
[١٢] ر م: لما.
[١٣] ن – فيما قاموا.
[١٤] ن + لو.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[١٥]

وقوله: **لقد كان لسبإٍ في مسكنهم آية**، يحتمل الآية التي ذكر لهم في مساكنهم الجنتين اللتين ذكرهما، إحداهما[١] عن اليمين والأخرى عن الشمال، ويكون لهم فيهما عبرةٌ فتحملهم على الشكر لربهم عليهما والحمد له والثناء عليه في تلك النعم. أو يذكرهم قدرة خالقهم وسلطانه وهيبته فيحملهم ذلك على الخوف في العواقب والعِقاب على خِلافه ورجاء الثواب على طاعته، فلم يتذكروا. أو أن تكون[٢] الآية التي ذكر لهم في تبديل الجنتين[٣] اللتين كان لهم فيهما كل سعة وخصب وكل ألوان الفواكه والجواهر على غير مئونة تلحقهم،[٤] لأنه قال في غير آي من القرآن: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ.[٥] فأخبر هاهنا لهم أن لهم في تبديل جنتَيهم جنتَين آية، لو اعتبروا واتعظوا[٦] لما وقعت[٧] لهم الحاجة إلى النظر في آثار من تقدم منهم، بل العبرة في ذلك لهم أكثر لأنهم عاينوا هذا على ما عاينوا من أنواع النعم ثم غيّر ذلك وبدّل عليهم، وما تقدم منهم إنما يعرفون ذلك عن خبر يبلغهم لأن أهلهم[٨] قد هلكوا، وهذا على[٩] المشاهدة والمعاينة. وقوله: **عن يمين وشمال**، قيل عن يمين الوادي وشماله، ويحتمل عن يمين الطريق وشماله، فتكون عن يمينهم وشمالهم.[١٠]

وقوله: **كلوا من رزق ربكم واشكروا له**، كأنه قالت لهم الرسل: كلوا من رزق ربكم واشكروا له، إذ ذكر أنه بعث فيهم كذا كذا رسولاً. ثم وصف بلدة سبأ أنها طيّبة، حيث قال: **بلدة طيبة**، يحتمل ما ذكر من طِيبِها هو سعتها وكثرة رِيعها ومِياهها وألوان ثمارها وفواكهها. وقوله: **وربٌ غفور**، أي إن ربكم إن شكرتم فيما رزقكم وأنعم عليكم ربٌ[١١] غفور لذنوبكم.

---

[١] ر م: احدهما.
[٢] جميع النسخ: أو أن يكون.
[٣] انظر: الآية التالية.
[٤] ن: يلحقهم.
[٥] انظر مثلا: سورة الأنعام، ١١/٦.
[٦] م: وانقطعوا.
[٧] جميع النسخ: فلا يقع.
[٨] جميع النسخ: لأن أصلهم.
[٩] ن – على.
[١٠] ر م: وشماله.
[١١] م: ورب.

أو يقال: **وربّ غفور**، أي ستور يستر عليكم ذنوبكم ولا يفضحكم إذا صدقتموه وأطعتموه وشكرتم نعمه. ذُكر أن المرأة منهم كانت تحمل الْمِكْتَل على رأسها والمِغزل[1] بيدها فتدخل البستان فتمتلئ[2] مكتلها من ألوان الفواكه والثمار من غير أن تمسّ شيئًا بيدها لكثرة رِيعها ونُزُلها. *والله أعلم*.

ثم ذكر سبب تبديل الجنتين اللتين كانتا لهم وبما كان التبديل، وهو ما قال:

**﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾**[١٦]

**فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم**، قال بعضهم: كان أهل سبأ إذا مُطروا يأتيهم السيل من مسيرة شهر أيامًا[3] كثيرةً فعمدوا فسدّوا العَرِم -وهو الوادي ما بين الجنتين- بالصخر[4] والقِير[5] وجعلوا عليه الأبواب. فلما عصوا ربهم وأعرضوا[6] عنه وكفروا نعمه سلّط[7] الله على ذلك السد الذي بنوا الفأرةَ، فنقبت الردْم، فغشي الماء أرضهم فعقر أشجارهم وأَبَدت[8] أنعامهم ودَفَن مجاريهم وذَهَب بجناتهم. ومنهم من يقول: "العَرِم" هو المُسَنّاة،[9] واحدها عَرِمَة،[10] فذهب السيل الذي أرسل عليهم بالمُسَنّاة[11] فيَبِست جناتهم، وأبدل لهم مكان الثمار والأعناب ما ذَكَر من الخَمْط والأَثْل والسِدْر، حيث قال: **ذواتي أُكُل خَمْط وأَثْل وشيء من سِدْر قليل.**

---

[1] ث + على.
[2] ن ث: فيمتلئ.
[3] جميع النسخ: أيام. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٧ظ.
[4] م: بالصخرة.
[5] القير: الزفت.
[6] جميع النسخ: فأعرضوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: فسلط. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦١٦و.
[8] جميع النسخ: وأبد. أبدت: أي توحّشت.
[9] جميع النسخ: المسنيات.
[10] في الصحاح: العَرِم المسناة لا واحد لها من لفظها؛ ويقال: واحدها عَرِمة. والعَرِم السيل الذي لا يطاق. ومنه قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ قيل: أضافه إلى المسناة أو السدّ. وقيل: إلى الفأر الذي بَثَق السِّكْر عليهم. قال الأزهري: وهو الذي يقال له الخُلد وله حديث. وقيل: العَرِم اسم واد. وقيل: العَرِم المطر الشديد وكان قوم سبأ في نِعمة ونَعمة وجِنان كثيرة وكانت المرأة منهم تخرج وعلى رأسها الزبيل فتعتمل بيديها وتسير بين ظهراني الشجر المثمِر فيسقط في زبيلها ما تحتاج إليه من ثمار الشجر، فلم يشكروا نعمة الله فبعث الله عليهم جُرَذًا، وكان لهم سِكر فيه أبواب يفتحون ما يحتاجون إليه من الماء فنقبه ذلك الجُرَذ حتى بَثَق عليهم السِّكر فغرّق جنانهم (*لسان العرب*، «عرم»).
[11] جميع النسخ: بالمسنيات.

"الأُكُل" قيل:[١] هو الثمر. و"الخمط" قال بعضهم: هو[٢] الأراك، وقال بعضهم: شجر الغَضاة، وهي شجرة ذات شوك. و"الأَثْل" قيل: هو شبيه بالطَّرفاء إلا أنه أعظم منه. و"السدر" هو معروف عندهم. وقال أبو عَوْسَجة قريبًا من ذلك، قال: "الأُكُل" الحَمْل، و"الخمط" عندي السدر وحَمْله. وقيل:[٣] "الخمط"[٤] الريح الطيبة، وتقول: هذا شجر له خمطة، أي ريح طيبة، والخمط أن تأخذ شيئًا من هنا وثمة وتَخْلِطه.[٥] و"الأَثْل" شجر أيضًا لا حمل فيه. والزجّاج يقول: "الخمط"[٦] هو الثمرة التي فيها المرارة، تَذهب تلك المرارة بطعمها، أو كلام نحوه.[٧]

**﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[١٧]**

وقوله: **ذلك جزيناهم بما كفروا**، أخبر أنه[٨] جزاهم / بما كفروا نِعمه ولم يشكروا ربهم [٦١٧ظ] عليها. وقوله: **وهل نجازي إلا الكفور**، لله في نعمه.

**﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[١٨]**

وقوله: **وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قُرًى ظاهرة**، قيل متواصلة بعضُها ببعض من أرضهم إلى الشام، على كل مِيل قرية وسوقٌ وكل شيء فيها. وقوله:[٩] **وقدرنا فيها السير سِيروا فيها لياليَ وأيامًا آمنين**، من الجوع والعطش والسباع وكل ما يخاف منه.

ثم جائز أن يكون ما ذُكر من القرى الظاهرة كانت[١٠] لهم مع الجنان التي ذكر[١١] بدءًا، فيكون هذا موصولاً بالأول، فلما لم يشكروا ربهم في ذلك كلّه أبدل لهم الكل بما ذكر.

---

[١] ر م: قليل.
[٢] جميع النسخ – قال بعضهم هو. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٧ظ.
[٣] جميع النسخ: قال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٦و.
[٤] ن: والخمط.
[٥] ن ث: فتخلطه.
[٦] ر ث م: الأثل؛ ن: والأثل.
[٧] «يقال لكل نبت قد أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله: "خمط"» (*معاني القرآن* للزجاج، ٤/٢٤٩).
[٨] ن: أنهم.
[٩] جميع النسخ – وقوله. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٨و.
[١٠] جميع النسخ: كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: ذكرنا. والتصحيح من المرجع السابق.

وجائز أن يكون لا على الصلة بالأول ولكن على ما ذكر[1] بعض أهل التأويل أنه لما غيّر عليهم ذلك وأبدل ضاق بهم[2] الأمر فمشوا إلى رُسلهم فقالوا: ادعوا ربكم فَلْيَرُدَّ علينا ما ذهب عنا ونعطيكم ميثاقًا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، فدعوه فرد الله ذلك[3] عليهم وجعل لهم ما ذكر من قرًى ظاهرةٍ، فذكرهم الرسل ما[4] وعدوا ربهم، فأبوا فغيّر ذلك. *والله أعلم.*[5]

قسبأ؛ ذكر أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أخبرني عن سبأ، أجَبل هو أم أرض؟ قال: فقال له: «لم يكن جبلاً ولا أرضًا ولكن كان رجلاً من العرب، وَلَدَ عشْرَ قبائلَ، فأما ستٌّ[6] فتَيَامَنُوا[7] وأما أربعٌ فتشاءموا».[8] وقال بعضهم: كان سبأ رجلاً اسمه سبأ. و"سبأ" هم الذين ذكرهم الله في سورة النمل.[9] وقال بعضهم: هو اسم قرية.

وفي قوله: **وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السَّيْر،**[10] دلالة خلق الأفعال، لأنه أخبر أنه جعل بينهم وبين القرى المباركة قرًى ظاهرة والقرى ما اتخذها أهلها. ثم أخبر أنه جعل ذلك والجعل منه خلق، دلّ أنه خلق أفعال العباد. وأخبر أيضًا أنه قدّر السير فيها والسير هو فعل العباد والتقدير هو الخلق أيضًا، دلّ أنه خلق سيرهم وخلق اتخاذهم القرى. وذلك على المعتزلة لإنكارهم خلق أفعال العباد.

---

[1] ن ث: ذكره.

[2] ن: عليهم.

[3] ر ث م – ذلك.

[4] ر م – ما.

[5] ر م – والله أعلم.

[6] م – ست.

[7] ر ث م: فيتامنوا.

[8] ر: فيتشاءموا؛ م: فيتشاموا.     روي أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ: ما هو، أرجل أم امرأة أم أرض؟ فقال: «بل هو رجل ولد عشرةً فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فمَذْحِج وكِنْدة والأَزْد والأشْعَرِيون وأنمار وحِمْيَر عربًا كلها، وأما الشامية فلَخْم وجُذَام وعَامِلَة وغَسّان» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣١٦/١؛ وسنن *أبي داود*، الحروف والقراءات ١؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ٣٤).

[9] يشير الإمام إلى قوله تعالى: ﴿فمكث غيرَ بعيدٍ فقال أحطتُ بما لم تُحطْ به وجئتُك مِن سبإ بنبإ يقين﴾ (سورة النمل، ٢٢/٢٧).

[10] جميع النسخ + سيروا فيها ليالي وأياما آمنين. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٨ظ.

وقوله: **قرى ظاهرة**، قال عامة أهل التأويل: قرى متواصلة بعضها ببعض، يسيرون من قرية إلى قرية وينزلون فيها من غير أن تقع لهم الحاجة أو يلحقهم مئونة. وجائز أن يكون قوله: **قرى ظاهرة**، أي ظاهرة[١] نِعمها بينةً.

وقوله: **وقدَرنا فيها السَّيْر سِيروا فيها ليالِيَ وأياما آمنين**،[٢] يحتمل قوله:[٣] **وقدرنا فيها السير سيروا فيها**،[٤] أي قدرنا فيها السير لتسيروا فيها. أو على الأمر،[٥] أي قدرنا فيها السير وقلنا لهم سيروا فيما أنعم الله عليكم[٦] وتقلّبوا فيها ليالي وأيامًا آمنين من الجوع والعدوّ وكلّ آفة. وقال بعضهم في قوله:[٧] **وقدرنا فيها السَّيْر**، أي جعلنا ما بين القرية والقرية مقدارًا واحدًا.

**﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾**[١٩]

وقوله: **فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا**، فيه لغات من خمسة أوجه.[٨] أحدها، **ربنا باعِد**، و[الثاني] بعِّد، كلاهما على الدعاء والسؤال. والثالث باعَدَ،[٩] و[الرابع] بعُد، و[الخامس] بعَّد. قال أبو معاذ: ولولا تغيير[١٠] الكتابة لكان يجوز "بُوعِد". ومن قرأ: "ربنا بَاعَدَ" على الخبر، وكذلك "بعُد"، ومن قرأ "بعَّد بين أسفارنا" يخرج على الشكاية عما بَعُدَ من أسفارهم. فأما على السؤال والدعاء فهو -والله أعلم- لأنهم سَئِموا ومَلّوا لكثرة ما أنعم الله عليهم ورفع عنهم المُؤَنَ وطال مُقامهم فيها سألوا ربهم أن يحوّل ذلك عنهم سفهًا منهم وجهلاً. وكان كقوم موسى حين أنزل عليهم المنّ والسلوَى ورفع عنهم المُؤْنة سَئِموا ومَلّوا من ذلك[١١]

---

[١] جميع النسخ - أي ظاهره. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٨ظ.
[٢] جميع النسخ - سيروا فيها ليالي وأياما آمنين. والزيادة من المرجع السابق.
[٣] ث - يحتمل قوله.
[٤] جميع النسخ - سيروا فيها. والزيادة من المرجع السابق.
[٥] ر م + أي قدرنا فيها السير لتسيروا فيها أو على الأمر.
[٦] ن ث: أنعم عليكم.
[٧] ن + قدرنا عليكم وتقلبوا.
[٨] انظر: *تفسير القرطبي*، ١٧/٣٠٠-٣٠١.
[٩] جميع النسخ - باعد. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٨ظ.
[١٠] م: تغير.
[١١] جميع النسخ: في ذلك. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٩و.

وقالوا: لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا،[1] وما ذكروا، فعلى ذلك هؤلاء. ومن قرأ "بعَّد بين أسفارنا" على الشكاية، شكا إلى ربه لما ذهب عنهم من[2] السعة والخصب وأصابهم الجهد والمؤنة. وأما قوله: "باعَد" على الخبر فكأنه كان[3] فيهم ذلك[4] كله، فيهم[5] من سَأَل تحويله، وفيهم[6] من شكا إذا زال ذلك وتحوّل، وفيهم من أخبر بزواله. وعلى ذلك يخرج قول موسى لفرعون حيث قال: لَقَدْ "عَلِمْتُ" مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ،[7] بالرفع، و لَقَدْ عَلِمْتَ، بالنصب.[8] كأنه كان ذلك من موسى الأمران جميعًا، قال في البدء:[9] "لقد علمتُ"، فلما تحقّق عند فرعون وعرف أنه من الله تعالى فعند ذلك قال: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ،[10] لَا أنه كان أحدهما، فعلى ذلك الأوّل وما يشبه ذلك. *والله أعلم*.

وقوله: **فجعلناهم أحاديث**، أي أهلكناهم إهلاكًا، وكذلك قوله: **ومزّقناهم كلَّ مُمَزَّقٍ**، أي أهلكناهم[11] كل إهلاك، حتى صاروا عظة وعبرة لمن بعدهم. وقيل:[12] **فجعلناهم أحاديث**، [أي جعلناهم أحاديث][13] للناس على حقيقة الحديث، يتحدّثون بأمرهم وشأنهم، **ومزقناهم كل ممزق**، أي فرقناهم كل تفريق، أي في كل وجه التفريق حتى وقع بعضهم بمكة وبعضهم بالمدينة وبعضهم بالشام وبعضهم بالبحرين وعمّان ونحوه. *والله أعلم*.

---

[1] ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله﴾ (سورة البقرة، ٦١/٢).

[2] ر ث م – من.

[3] جميع النسخ: كانت. والتصحيح من نسخة جارالله ورقة، ٩و.

[4] ر م: وذلك.

[5] ر م: منهم.

[6] ث: ومنهم.

[7] سورة الإسراء، ١٠٢/١٧.

[8] «قرأ الكسائي وحده ﴿لقد علمتُ﴾ بضم التاء، وقرأ الباقون ﴿لقد علمتَ﴾ بفتح التاء» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٢٧٢).

[9] جميع النسخ: في البدئ.

[10] ر م – بالرفع ولقد علمت بالنصب كأنه كان ذلك من موسى الأمران جميعا قال في البدء لقد علمت فلما تحقق عند فرعون وعرف أنه من الله تعالى فعند ذلك قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر.

[11] ر م – إهلاكا وكذلك قوله ومزقناهم كل ممزق أي أهلكناهم.

[12] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٦ظ.

[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٦ظ.

وقوله: **إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور**، يحتمل أن يكون الصبار والشكور هو المؤمنَ، كأنه قال: إن في ذلك لعِبَرًا وعِظاتٍ لكل مؤمن. أو، **لآيات لكل صبار**، على طاعة الله وأمره، **شكور**، لنعمه. أو **لآيات لكل صبار**، على البلايا والمحارم، **شكور**، لنعم الله.[١] ثم [الصبر والشكر][٢] يخرج على وجهين. أحدهما في الاعتقاد له، والثاني في المعاملة. فيعتقد[٣] الصبر لربه على جميع أوامره ونواهيه[٤] والشكرَ له على جميع نَعْمائه. والمعاملة أن يصبر على ذلك ويشكر له في نعمه.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٠]

وقوله: **ولقد صدّق عليهم إبليسُ ظنّه**، اختلف في ظنه. قال بعضهم: ظنّ بهم ظنًّا فوافق ظنه فيهم حين قال: / لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً،[٥] مَن عصمتَ[٦] مني، [٦١٨و] وما قال:[٧] لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ،[٨] إلى آخر ما ذكر، فقد صدّق ما ظن فيهم. وقال بعضهم: **صدق عليهم إبليس ظنه**، وذلك أن إبليس خُلق من نار السَّموم وخلق آدم من طين، ثم قال إبليس: إن النار ستغلب الطين، فمِن ثَمّةَ صدّق ظنَّه فقال: وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ.[٩] يقول الله: **فَاتَّبَعُوه**، ثم استثنى عباده المخلصين فقال: **إلا فريقًا من المؤمنين**، يعني عباده المخلَصين فإنهم لم يتبعوه، الذين قال[١٠] [فيهم]: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ.[١١] وقال قائلون: "مِن"، هاهنا صلة، كأنه قال: فاتبعوه إلا فريقًا وهم المؤمنون، وجائز أن يكون قوله: **فاتبعوه إلا فريقًا**[١٢] **من المؤمنين**، الذين هم في الحقيقة مؤمنون،[١٣]

---

[١] ر م: – عليه.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٦ظ.
[٣] ر ث م: يعتقد.
[٤] ن ث: ومناهيه.
[٥] سورة الإسراء، ٦٢/١٧.
[٦] ر: عصمة.
[٧] ن: وقال.
[٨] ﴿إنْ يدعون مِن دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانًا مَريدًا لعنه الله وقال لَأتخذنّ من عبادك نصيبًا مفروضًا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فلَيُبَتِّكُنّ آذان الأنعام ولآمرنهم فلَيُغَيِّرُنّ خَلْقَ الله﴾ (سورة النساء، ١١٧/٤-١١٩).
[٩] سورة الحجر، ٣٩/١٥-٤٠؛ وسورة ص، ٨٢/٣٨-٨٣.
[١٠] ث: قالوا.
[١١] سورة الحجر، ٤٢/١٥؛ وسورة الإسراء، ٦٥/١٧.
[١٢] ر م – وهم المؤمنون وجائز أن يكون قوله فاتبعوه إلا فريقا.
[١٣] ر ن م – مؤمنون.

فأما من كان عندكم من المؤمنين في الظاهر فقد اتبعوه، لأنه لا كل مؤمن عندنا هو في الحقيقة مؤمن. أو أن يكون قوله: **فاتبعوه**، أي أصحابُ الكبائر، **إلا فريقًا من المؤمنين**، وهم الذين عصمهم الله من الكبيرة، لأن[1] أصحاب الكبائر قد اتبعوه[2] فيما دعاهم إليه. ***والله أعلم***.

**﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾**[٢١]

وقوله: **وما كان له عليهم من سلطان**، قال الحسن: والله ما ضربهم بالسيف ولا طعنهم بالرمح ولا أكرههم على شيء وما كان منه إلا غرور[3] وأمانيُّ[4] ووسوسة[5] دعاهم إليها فأجابوه.[6] وقال بعضهم: قوله: **وما كان له عليهم من سلطان**، أي حُجَة، ليس له حجة عليهم، أي لم يُمَكِّن من الحجة عليهم،[7] ولكن إنما مَكَّن له[8] الوساوس والتمويهات، ثم جعل الله للمؤمنين مقابل ذلك حججا يدفعون بها شبهه وتمويهاته.

وقوله: **إلا لِنَعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شكّ**، هذا يخرج على وجوه. أحدها ليعلم كائنًا ما قد علمه أنه يكون. والثاني ليعلم شاهدًا للخلق ما قد علمه[9] غائبًا عنهم. والثالث يُكَنِّيَ[10] بالعلم معلومه،[11] أي ليَكُون المعلومُ، وذلك جائز في اللغة، كقوله: حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ،[12] أي الموقَن به، وذلك كثير في القرآن.

وقوله: **وربك على كلّ شيء**،[13] من الإيمان والشرك وغيره من الأعمال، **حفيظ**، عالم به.[14]

---

[1] ر ث م: ولأن.
[2] ر م – أي أصحاب الكبائر إلا فريقا من المؤمنين وهم الذين عصمهم الله من الكبيرة لأن أصحاب الكبائر قد اتبعوه.
[3] جميع النسخ: إلا غرورا. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ٩ظ.
[4] ن: أو أماني.
[5] ن: وسوسة؛ م: ووسة.
[6] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٦٤؛ و*تفسير الطبري*، ١٩/٢٧١.
[7] ر ث م – عليهم.
[8] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من نسخة جارالله ورقة ٩ظ.
[9] ر م – أنه يكون والثاني ليعلم شاهدا للخلق ما قد علمه.
[10] ث: يكفي.
[11] جميع النسخ: معلومة.
[12] ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٩٩).
[13] ر ن م + حفيظ. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٠و.
[14] ث – وقوله وربك على كل شيء من الإيمان والشرك وغيره من الأعمال حفيظ عالم به.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾[٢٢]

وقوله: **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله**، أنهم آلهة: الملائكة والأصنام ومن عبدوهم من دونه، هل يملكون لكم شيئًا من دفع ضُرّ أو جر نفع؟ فيقول: **لا يملكون مثقالَ ذرة في السماوات ولا في الأرض**، ولا أصغر من ذلك ولا أكبرَ، فكيف تسمونها[١] آلهة؟ أو أن يقول: **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله**، أنها آلهة فليكشفوا عنكم الضرّ الذي نزل بكم من الجوع وغيره، كقوله: هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ،[٢] فالواجب[٣] لذلك أن يقولوا: لا يملكون مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبرَ فكيف يملكون[٤] ما ذكر؟ يذكر -والله أعلم- سفههم وفَرْطَهم في عبادتهم مَن يعلمون أنه لا يضر ولا ينفع، وتسميتَهم إياها آلهة.

[٦١٨و س٣٧] *وقوله: **قل الدعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض**، أي لا يملكون إنشاء ذرة في السماوات والأرض، وما لهم في إنشاء ما[٥] فيهما من شرك، وما له منهم في إنشاء ذلك[٦] من عون،[٧] فكيف تعبدونهم وتسمونهم آلهة؟* [٦١٨و س٣٩]

**وما لهم فيهما**، يعني في خلق السماوات والأرض وحفظهما [لِ]مَن تعبدون[٩] دونه، **من شرك وما له منهم من ظهير**، أي من عون في ذلك، فكيف سَميتموها آلهة وشركاء في العبادة.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[٢٣]

وقوله: **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**، يقول -والله أعلم-: لا يملك أحد الشفاعة لأحد إلا لمن أذن الله بالشفاعة[١٠] له، فهو لم يَأذن بالشفاعة لأحد من الكفرة.

---

[١] جميع النسخ: تسمونه.

[٢] ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنيَ الله بضر هل هنّ كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هنّ ممسكات رحمته﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣٨).

[٣] جميع النسخ: فالجواب. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٠و.

[٤] ر م: يذكرون.

[٥] ر م: إنشائها.

[٦] ن - ذلك.

[٧] ر ث م: من عود.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦١٨و/سطر ٣٧-٣٩.

[٩] ر ث م + من.

[١٠] ر: أذن الله له الشفاعة؛ م: أذن الله له بالشفاعة.

يذكر[1] هذا –والله أعلم– لقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[2] ولقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[3] أو يذكر أن من ترجون منهم الشفاعة بالمحل الذي ذَكَرهم من الخوف والفزع، فكيف ترجون شفاعتهم؟ كقوله: **حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم**. أو، لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،[4] ولا أصغر منه ولا أكبرَ، فكيف يملكون الشفاعة لكم؟ أو نحوه من الكلام. *والله أعلم*.

وقوله: **حتى إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق**، ليس لهذا الحرف في ذا الموضع صلةٌ يوصَل بها، ولا تقدم ما[5] يعطف عليه، وعلى الابتداء لا يستقيم. فبعض أهل التأويل يقول: كان بين عيسى ومحمد فترة زمان طويلٍ، لا يجيء[6] فيها الرسل. فلما بعث الله محمدًا وكلم جبريل بالرسالة[7] إلى محمد سمع الملائكة ذلك فظنوا أنها الساعة قامت فصعقوا مما سمعوا. فلما انحدر جبريل جعل كلما يمرّ[8] يكلمهم[9] حتى[10] جَلَّى عنهم وكشف، فقال بعضهم لبعض: **ماذا قال ربكم قالوا الحق**، أي الوحي. وقال بعضهم: كان الوحي إذا نزل من السماء نزل كأنه سلسلة على صخرة،[11] قال: فيفزع الملائكة بذلك فيخرون سُجدًا، **حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم**، قال: إذا انجلى عن قلوبهم، **قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير**.

---

[1] جميع النسخ: فذكر. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٠و.

[2] سورة يونس، ١٠/١٨.

[3] سورة الزمر، ٣٩/٣.

[4] الآية السابقة.

[5] جميع النسخ – ما. والزيادة من المرجع السابق.

[6] جميع النسخ: لا يجري. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٧و.

[7] ن – بالرسالة.

[8] ث: تمر.

[9] ر م: منهم؛ ن ث: بكل منهم. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٠ظ.

[10] جميع النسخ – حتى. والزيادة من المرجع السابق.

[11] عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الْجَرَس وهو أشده عليّ فيَفْصِم عنّي وقد وعيتُ عنه ما قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فَأَعِي ما يقول». قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصّد عَرَقًا (*صحيح البخاري*، بدء الوحي، ١).

وقوله: **حتى إذا فُزّع عن قلوبهم**، قيل: جُلّي وكُشف الغِطاء. قال الكسائي: **حتى إذا فُزّع**، مشتقة من الفزع، يقول: أُخرج ما فيها من الفزع،[١] كما تقول: هَيّبه عن قلبه ورَقّه[٢] وفَزّع، كله[٣] واحد. ومن قرأ "فُرّغ" بالراء[٤] يقول:[٥] أُخرج وتُرك فارغًا من الخوف والشُغُل، وهي قراءة ابن مسعود.[٦]

وقال[٧] بعضهم في قوله: **قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق**، يقول: يخبرون بالأمر الذي جاءوا به ولا يقولون إلا الحق، لا يزيدون ولا ينقصون.*

[٦١٨ظ] وجائز أن يكون قوله: **حتى إذا فزّع عن قلوبهم / قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق**، ذلك الفزع منهم وذلك القول منهم في القيامة، فَزِعوا لقيامها. وقد قُرئ: **حتى إذا فَزّع**، بنصب الفاء،[٩] أي حتى إذا فزع الله، أي كشف الله عن قلوبهم الفزع وجلّى ذلك[١٠] عنهم. *والله أعلم*.

[٦١٩و س٢] * قال أبو عَوْسَجة: **فُزّع**، ذُهب. وقال القُتَبي: **فزع**، خُفِّف.*[١٢]

**﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** [٢٤]

وقوله: **قل من يرزقكم من السماوات والأرض**، هذا في الظاهر وإن كان استفهامًا فهو على التقرير والإيجاب، لأنا قد ذكرنا أن كل استفهام كان من الله فهو منه[١٣] على التقرير والإيجاب.

---

[١] ر م – يقول أخرج ما فيها من الفزع.
[٢] ر م: ودقه.
[٣] جميع النسخ: كل. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٠ظ.
[٤] ر ن م: بالزاي.
[٥] ر ث م – يقول؛ ث + أي.
[٦] نسبت هذه القراءة إلى عبد الله بن عمر والحسن البصري وقتادة. انظر: *تفسير الطبري*، ١٩/٢٨٢، و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٧/٢٦٦.
[٧] جميع النسخ: قال. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٠ظ.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦١٨و/سطر ٣٧-٣٩.
[٩] «قرأ ابن عامر ويعقوب ﴿فَزّع﴾ بفتح الفاء والزاي، وقرأ الباقون ﴿فُزّع﴾ بضم الفاء وكسر الزاي» (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٣٦٣).
[١٠] م – ذلك.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية الآتية برقم ٢٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦١٩و/سطر٢.
[١٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٦.
[١٣] ر ث م – منه.

ثم لو كان ذلك ممن[1] يكون منه الاستفهام لكان جواب قوله: **من يرزقكم من السماوات والأرض**، أن يقولوا:[2] "الله يرزقنا"، كقوله: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثم قال في آخره: فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ.[3] فيقول لهم: فإذا علمتم أن الله هو[4] رازقكم فكيف صرفتم عبادتكم عنه إلى مَن تعلمون[5] أنه لا يملك شيئًا من رزقكم؟ كقوله: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ.[6] وذكر[7] في حرف ابن مسعود وحفصة: "قل من يرزقكم من السماوات والأرض قالوا الله قال وإنا[8] أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين".

وقال بعضهم في قوله: **قل من يرزقكم [من السماوات والأرض]**، من السماوات من المطر ومن[9] الأرض النبات، فإن أجابوك فقالوا: الله، وإلا فقل: الله يفعل ذلك[10] بكم فكيف تعبدون غيره؟

**وإنا أو إياكم لعلى هدى**، يقول ذلك رسول الله لأهل مكة: إنا لعلى هدى أو إنكم لعلى هدى، وإنا أو إياكم[11] لفي ضلال مبين. وقال بعضهم: معناه وإنا لعلى هدى وإياكم لفي ضلال مبين، ولكن ليس هذا في ظاهر هذا الكلام. وجائز أن يكون هذا على تعريض الشتم لهم بالضلال والكناية لذلك، كما يقول الرجل لآخر في حديث أو خبر يجري بينهما: إن أحدنا لكاذب في ذلك، أي أنت كاذب في ذلك،[12] لكنه تعريض منه ذلك ليس بتصريح. وقال[13] قتادة: هذا قول محمد وأصحابه لأهل الشرك: واللهِ ما نحن وأنتم على أمر واحد،

---

[1] ر م: من.

[2] جميع النسخ: أن يقولون.

[3] ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ (سورة يونس، ٣١/١٠).

[4] ر ث م: فهو.

[5] ر م: تعلمونه.

[6] جميع النسخ + أنه لا يملك شيئا من رزقكم. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١١و. سورة العنكبوت، ١٧/٢٩.

[7] جميع النسخ: ذكر. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١١و.

[8] ر ث م: إنا؛ ن: إني. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ث: وفي.

[10] ن + بهم.

[11] ر م: وإياكم.

[12] ن – أي أنت كاذب في ذلك.

[13] ن: وهذا.

والله إن أحد الفريقين لمهتد[١] والفريق الآخر في ضلال مبين،[٢] فأنتم تعلمون أنّا على هدًى لِما أقمنا من الدلائل والحجج والبراهين على ذلك، وأنتم لا.[٣] وقال بعضهم: قال ذلك لأن كفار مكة قالوا للنبي وأصحابه: "تعالوا ننظر[٤] في معايشنا: مَن أفضل دينًا، أنحن أم أنتم؟ فعلى ذلك يكون في الآخرة". فردّ الله ذلك عليهم في قوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ،[٥] الآية.

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢٥]

وقوله: **قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون**، قال بعضهم: قال ذلك لهم[٦] لأنهم كانوا يُعيّرون رسول الله وأصحابه[٧] ويوبخونهم[٨] في طعنهم الأصنام التي عبدوها وذكرِهم إياها بالسوء، وما يدّعون عليه من الافتراء على الله[٩] بأنه رسول الله، فيقول لهم: لا تسألون أنتم عمّا أجرمنا نحن، ولا نسأل عما تعملون. وهو كقوله في سورة هود: قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ.[١٠] أو أن يكون قوله: **قل لا تسألون عما أجرمنا**، أي عما دِنّا[١١] من الدين أو عما عملنا من الأعمال، **ولا نسأل عما تعملون** أنتم، أي[١٢] عما تدينون[١٣] من الدين، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[١٤] وكقوله: لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ.[١٥] وقوله: لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ.[١٦] وإنما يقال هذا بعد ظهور العناد والمكابرة، فأما عند الابتداء فلا. ***والله أعلم***.

---

[١] جميع النسخ: لمهتدي. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١١و.
[٢] *تفسير الطبري*، ٢٨٤/١٩؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٨٦/١١.
[٣] ن - وأنتم لا.
[٤] ر م: انتظر.
[٥] ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الجاثية، ٢١/٤٥).
[٦] ر ث م - لهم.
[٧] ر ث م - وأصحابه.
[٨] ر م: ويوبخوهم.
[٩] ر ث م - على الله.
[١٠] سورة هود، ٣٥/١١.
[١١] ر م: ديننا؛ ن: دننا؛ ث: دينا. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١١ظ.
[١٢] ر م - أي.
[١٣] ث + أنتم.
[١٤] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[١٥] ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ (سورة يونس، ٤١/١٠).
[١٦] سورة البقرة، ١٣٩/٢؛ وسورة القصص، ٥٥/٢٨؛ وسورة الشورى، ١٥/٤٢.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾[٢٦]

وقوله: **قل يجمع بينا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم**، هذا -والله أعلم- صلة ما تقدم من قوله: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ،[١] وصلة قوله: قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا،[٢] كأنهم قالوا لرسول الله وأصحابه: إنا لعلى هدى وأنتم على ضلال مبين، فقال عند ذلك جوابًا لهم: **قل يجمع بيننا ربنا**، أي يجمع بيننا، **ثم يفتح**، أي يقضي، **بيننا بالحق**، مَن مِنّا على الهدى ومَن مِنّا على[٣] الضلال، نحن أو أنتم؟

**وهو الفتاح العليم**، أي وهو الحاكم العليم ما ظهر وما بطن حقيقة. والمفاتحة هي[٤] المحاكمة، يقال: هلمّ حتى نُفاتحك إلى فلان، أي نحاكمك، وذلك جائز في اللغة.

ويحتمل قوله: **ثم يفتح بيننا بالحق**، أي يكشف كل خفي منا وكل ستير وباطن فيجعله ظاهرًا بيّنًا لِيَظْهَر الذي[٥] هو على الحق من الباطل، والهدى من الضلال. **وهو الفتّاح العليم**، أي الكاشف المظهر، **العليم**، يعلم الظاهر والباطن جميعًا والإعلان والإسرار جميعًا. ***والله أعلم***.

﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢٧]

وقوله: **قل أروني الذين ألحقتم به شركاء**، أي أروني الذين ألحقتم بالله شركاء في تسميتكم الأصنام آلهة. أو، **أروني الذين ألحقتم به شركاء** في العبادة. وجائز أن يكون قال ذلك للذين عبدوا الملائكة وأشركوهم[٦] فيها. كأن فيه إضمارًا يقول: **أروني الذين ألحقتم به شركاء**، هل خلقوا شيئًا، أم هل رَزقوا، أم هل أحيَوا، أم هل أماتوا؟ فإذ عرفتم أنهم لم يخلقوا ولم يرزقوا ولا يقدرون على[٧] ذلك وعلمتم أن الله تعالى هو خالق ذلك كلّه وهو الرازق[٨] فكيف أشركتم من لا يملك ذلك في ألوهيته؟[٩]

---

[١] الآية ٢٤ من هذه السورة.

[٢] الآية السابقة.

[٣] ر – الهدى ومن منا على.

[٤] ن: هو؛ ث: على.

[٥] جميع النسخ + من. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١١١ظ.

[٦] ر م: وأشركوا.

[٧] ر ن م – على.

[٨] ث: الرزاق.

[٩] ر م: في ألوهية.

**كلّا بل هو الله العزيز الحكيم**، منهم من يقول: **كلّا**، رد[١] على قولهم: **شركاء**، أي ليسوا بشركائه[٢] بل هو المتفرد الواحد الحكيم. ومنهم من يقول: هو رد على قوله: هل خلقوا شيئًا، أم هل / رزقوا شيئًا؟ يقول: **كلا**، أي لم يخلقوا ولم يرزقوا، بل[٣] الله هو المتفرد بذلك.[٤] ***والله الموفق***.* [٦١٩و]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢٨]

وقوله: **وما أرسلناك**، يا محمد، **إلا كافة للناس بشيرًا**، بالجنة لمن اتبعه، **ونذيرا**، بالنار لمن خالفه وعصاه. وقوله: **كافة للناس**، قال بعضهم: أي ما أرسلناك إلا جامعًا للناس إلى الهدى داعيًا إليه. ومنهم من يقول: **وما أرسلناك إلا كافة للناس**، أي ما أرسلناك إلا إلى الناس جميعًا، إلى العرب والعجم وإلى الإنس والجن ليس كسائر الأنبياء، إنما أرسلوا إلى قوم دون قوم وإلى بلدة دون بلدة. وكذلك روي عن النبي[٦] صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أُعطيتُ أربعًا لم يُعْطَهُنّ نبي قبلي -أحدها ما ذكرنا-: بعثت إلى الناس جميعًا عامة إلى الأحمر والأسود والعرب والعجم، وجُعلتْ لِيَ[٧] الأرض مسجدًا وطَهورًا، وأُرعِبَ لنا عدوُّنا شهرًا،[٨] وأحلت لي الغنائم».[٩]

وقوله: **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، قال بعضهم: لا يصدّقون، ويحتمل، **لا يعلمون**، أي لا ينتفعون بما يعلمون، وإلا يعلمون. أو لا يعلمون[١٠] حقيقة لِما لم ينظروا في الحجج[١١] والآيات، وقد مُكّن لهم ذلك،[١٢] لو نظروا علموا. ***والله أعلم***.[١٣]

---

[١] جميع النسخ: ردا. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٢و.
[٢] ر م: بشركائي.
[٣] جميع النسخ + هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ن + هل خلقوا شيئا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٢٣، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦١٩و/سطر٢.
[٦] ر ث م: عن نبي الله.
[٧] ر: والثاني جعلت إلى؛ ن ث م: والثاني جعلت لي.
[٨] جميع النسخ: وأرعب لنا عدونا مسيرة شهرين. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٢و.
[٩] عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم و لم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» (*تفسير عبد الرزاق*، ٦٥/٣؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٤٨/٥؛ و*صحيح البخاري*، التيمم ١، الصلاة ٥٦.
[١٠] م – أو لا يعلمون.
[١١] م: إلى الحجج.
[١٢] ث م – ذلك.
[١٣] ر – وقوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قال بعضهم لا يصدقون ويحتمل لا يعلمون أي لا ينتفعون بما يعلمون وإلا يعلمون أولا يعلمون حقيقة لما لم ينظروا في الحجج والآيات وقد مكن لهم ذلك لو نظروا علموا والله أعلم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢٩]

وقوله: **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**، هذا القول منهم إنما يقولون على الاستهزاء والسخرية ليس على الاسترشاد، على أنه لا يكون ذلك وأنه كذب، كقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا،[1] أخبر أن أولئك يستعجلون بها لتركهم الإيمان بها استهزاء منهم، والذين آمنوا خائفون منها لإيمانهم بها[2] أنها كائنة لا محالة. لكن الله سبحانه لم يجبهم بما[3] يجاب المستهزئ[4] ولكن أجابهم بما[5] يجاب المسترشد بلطفه وكرمه وجوده. حيث قال:

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾[٣٠]

**قل لكم ميعاد يوم**، أي لكم ميعاد الذي وعدكم محمد أنه كائن لا محالة، وهو يوم **لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون**. وهكذا الواجب على كل مسئول إذا كان سائله يسأله سؤال استهزاء أن يجيبه جواب ما يجاب [به] المسترشد لا ما يجاب المستهزئ، ولا يَدَعَ علمه وحكمته لسفه السفيه ولا لِهُزْءِ الهازئ، ولكنه يحفظ حكمته وعلمه وعقله ولا يشتغل بجوابِ مثله. ***وبالله العصمة***. وقوله: **لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون**، فإن كان على طلب التأخير وطلب التقديم ففيه تعيير وتوبيخ لهم، كأنه يقول: ليس لكم من الخَطَر والقَدْر والمنزلة ما يؤخر لكم ما تستأخرون،[6] أو يقدم لكم ما تستقدمون. وإن كان على تحقيق ترك التأخير وترك التقديم كأنه يقول: ميعادكم يوم لا تملكون تأخيره إذا جاء ولا تقديمه عن وقته ولا دفعه. ***والله أعلم***.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[٣١]

وقوله: **وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه**، كأن هذا القول منهم -والله أعلم- خرج عن مخاصمة وقعت بينهم وبين المؤمنين في شأن القرآن وفي[7] شأن محمد،

---

[1] سورة الشورى، ٤٢/١٨.
[2] ن - لتركهم الإيمان بها استهزاء منهم والذين آمنوا خائفون منها لإيمانهم بها. صح هـ.
[3] جميع النسخ: ما. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٢ظ.
[4] ن: المستهزء؛ ث: المستهزؤ.
[5] جميع النسخ: ما. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] م: لا تستأخرون.
[7] جميع النسخ: أو في. والتصحيح من المرجع السابق.

فتحاكموا إلى الكتاب على اتفاق منهم على ما في كتبهم، فلما خرج ذلك على موافقة قول المؤمنين ومخالفة قول أولئك قالوا عند ذلك: **لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه،** وإلا على الابتداء من غير تنازع وخصومة كان بينهم في ذلك غيرُ مستقيم. ويذكر بعض أهل التأويل عن[١] ابن عباس وغيره أن رهطا بعثهم قريش إلى المدينة إلى رؤساء[٢] اليهود يسألونهم عن محمد وبعثه، فأخبروهم[٣] أنه كائن وأنه مبعوث. فلما رجعوا إليهم فأخبروهم أنهم قد عرفوه وهو عندهم في التوراة والإنجيل فعند ذلك قالوا ما قالوا.[٤]

ثم كأنه اشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل عليه فقال له على التعزية والتصبير على ذلك: **ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم،** أي محبوسون عند ربهم[٥] على محاسبة ما كان منهم من العناد والمكابرة والتكذيب، أي لو رأيت[٦] ما فيهم من الذلّ والهوان والخضوع لَرحمتهم ولأخذتك الرأفة لهم. ***والله أعلم.*** وقوله: **يرجع بعضهم إلى بعض القول،** أي يلوم بعضهم بعضًا فيقولون ما ذكر: **يقول الذين استضعفوا،** أي السفلة والأتباعُ، **للذين استكبروا،** أي القادة منهم والرؤساءِ: **لولا أنتم،** فيما صرفتمونا عن دين الله وصددتمونا عنه، **لكنا مؤمنين،** به تابعين له. لأنهم كانوا يصدرون لآرائهم ويقبلون قولهم لما هم كانوا أهل شرف ومعرفة والسفلةُ لا، فيقولون: لو لا أنتم لكنا نتبع رأي أنفسنا فنؤمن[٧] به، لكن قلتم لنا: إنه كَذِب وإنه افتراء[٨] وإنه سحرٌ، فنحن صدقناكم في ذلك.

**﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾**[٣٢]

**قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم.** قوله: **أنحن صددناكم،** هو على التقرير، أي لم نصدّكم، وإن كان ظاهره استفهاما،

---

[١] جميع النسخ – عن. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ١٢ظ.
[٢] ن: إلى رسوساء.
[٣] ن: فأخبروه.
[٤] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢/٢٨٠؛ *وبحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٢/٢٩٠.
[٥] ر ث م + أي؛ ن – محبوسون عند ربهم. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٣و.
[٦] جميع النسخ: لو رأيتم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] م: أفنؤمن.
[٨] ر م: افترى.

ولكن أنتم بأنفسكم تركتم اتباعه. لأن الرؤساء منهم كانوا يقولون للأتباع: مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ،[1] أخبروا أنه بشر مثلهم،[2] ثم أخبروهم أنكم لئن أطعتم بشرا مثلكم إذًا تكونوا خاسرين، ونحن بشر فكيف اتبعتمونا / وأطعتمونا؟ [٦١٩ظ] **بل كنتم** قومًا **مجرمين**، في اتباعكم بما اتبعتموه.

أو أن يكون قوله: لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ،[3] أي لولا تلبيسكم علينا وتمويهكم أن الرسل كذبة وأنهم سحرة فيما يقولون ويدّعون وأنهم يفترون على الله وإلا كنا[4] مؤمنين بهم.[5] والثاني لولا منعكم إيانا عن النظر والتفكّر في أمورهم والتأمل في الحجج والآيات لَكُنَّا مؤمنين. هذا قول الأتباع للرؤساء. ثم أجاب لهم الرؤساء فقالوا: **أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين**، يقولون –والله أعلم–: إن صددناكم ومنعناكم عن اتباعهم ظاهرًا وعلانية فمتى منعناكم سرًّا؟ فهلا اتبعتموهم سرًّا من غير أن نطّلع ونعلم نحن بذلك، أو ما ذكرنا من قوله: وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ،[6] وقد عرفتم أنا بشر مثلكم فأطعتمونا، وتركتم طاعة الرسل لأنهم بشر.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣٣]**

فأجاب لهم الأتباع فقالوا: **بل مكر الليل والنهار**، قال بعضهم:[7] بل بمكركم إيانا وقولكم في الليل والنهار: إنهم كذبة سحرة[8] وخِداعِكم إيانا أنهم[9] بشر مثلكم، تركنا اتباعهم،

---

[1] ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٣٣-٣٤).

[2] ن: مثلكم.

[3] الآية السابقة.

[4] ر م: لكنا.

[5] ر ث م – بهم.

[6] سورة المؤمنون، ٢٣/٣٤.

[7] ر ث م – قال بعضهم.

[8] ن: وسحرة.

[9] ر ث م: وانهم؛ ن: وأنتم.

**إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا.** أو يقولون: بل مكركم في الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله، أي من تخويفكم إيانا وهيبتكم لنا من الأخذ على البغتة والغفلة تركنا اتباعهم في السر إذا ظهر وبلغكم الخبر به. هذه مناظرات أهل الكفر فيما بينهم يومئذ وردّ بعضهم على بعض ولعنُ بعضهم بعضًا، يذكرها في الدنيا ليُلزمهم الحجة وأن لا يقولوا يومئذ: إنا كنا عن هذا غافلين.

فإن قيل: إنهم كانوا لا يؤمنون بهذا القرآن ولا بالبعث فكيف يلزمهم ذلك وهم لا يستمعون له؟ قيل: إنهم قد مُكّنوا من الاستماع[1] له[2] والنظر فيه، فيُلزمهم الحجة وإن لم يستمعوا له. *والله أعلم.*

وقوله: **وأسَرّوا الندامة لما رأَوُا العذاب**، قال بعضهم: أسرّ الرؤساء الندامة بصرف الأتباع وصرف أنفسهم عن دين الله واتباع الرسل، **لمّا رأوا العذاب**. وقيل: **أسروا الندامة**، الأتباع[3] والرؤساءُ جميعًا. وقوله: **وأسروا الندامة**، قيل[4] من الإسرار والإخفاء، أخفى بعضهم عن[5] بعض. وقال بعضهم: أخفى الكفرة الندامة[6] عن المؤمنين. وقال القُتَبي: **أسروا الندامة**، أي أظهروا، وهو من الأضداد، يقال:[7] أسررت الشيء أخفيته، وأظهرته.[8] وأما غيره من أهل التأويل فإنهم قالوا: هو من الإخفاء.

وقوله: **وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا**، الأغلال جماعة الغُلّ، وهو ما يجعل في اليد ثم يشد اليد إلى العنق. **هل يجزون إلا ما كانوا يعملون**، أي لا يجزون إلا جزاء عملهم في الدنيا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[٣٤]

وقوله: **وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون.** قال بعضهم: المترف المتكبر. وقال آخرون: المترف هو الذي يجمع صُنوف[9] المال مع العناد والتكبر.

---

[1] م: الاستمتاع.
[2] ر ث م – له.
[3] ر: والأتباع.
[4] ر ث م: قال.
[5] ر ن م: من.
[6] ر م: والندامة.
[7] جميع النسخ: ويقال. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٣ظ.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٧.
[9] ر م: أصناف.

وقال بعضهم: المترفون هم الرؤساء منهم. وهذا ينقض على المعتزلة في[1] قولهم: إن الله لا يفعل[2] بأحد[3] إلا ما هو أصلح له في الدين. ولا شك أن هؤلاء المترفين إنما قالوا ما قالوا[4] وفعلوا ما فعلوا لِسَعَتهم وبسطهم في المال، فلو لم يكن ذلك لهم ما فعلوا ذلك، دلّ أن المنع لهم عن ذلك أصلح لهم من البسط. *والله أعلم*. وقوله: **وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها**، المترف ما ذكرنا،[5] قال بعضهم: المتكبر المتجبر. وقال بعضهم: المترف الذي يجمع مع الكبر والعناد الأموالَ.[6] وقال بعضهم: **مترفوها**، أغنياؤها، وكلّه واحد، وهم رؤساؤها. وفيه رد قول المعتزلة في الأصلح على ما ذكرنا.

**﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[٣٥] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٦]**

وقوله: **وقالوا نحن أكثر أموالًا وأولادًا**، يخرج قولهم ذلك لوجهين. أحدهما قالوا ذلك: إنا إذًا[7] أوتينا في الدنيا الأموال والأولادَ[8] فلا[9] يعذّبنا في الآخرة على ما تزعمون. أو أن يقولوا ذلك: إنك لو كنت بُعثت رسولًا على ما تزعم فنحن أولى بالرسالة منك لأنّا أكثر أموالًا وأولادًا.[10] *والله أعلم*.

وقوله: **قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**، هذا أيضًا ينقض على المعتزلة ومن يقول بأن الله لا يبسط على أحد الرزق إذا لم يكن في البسط صلاح[11] له وخير، وكذلك لا يُقتَّر على أحد ذلك إذا لم يكن في التقتير خير له. وعندنا يبسط الرزق لمن يشاء وإن لم يكن خيرًا له،

---

[1] جميع النسخ - في. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ١٤و.
[2] ر: لا يفعلون.
[3] ر ث م - بأحد.
[4] ر: لما قالوا.
[5] ر م: ما ذكر.
[6] ر م: والأموال.
[7] ث - إذا.
[8] ن: والأموال.
[9] ن: فلم.
[10] ن - وأولادا.
[11] ر م: إصلاح.

وكذلك يقتّر على من يشاء وإن[1] كان شرًّا له، على ما نطق به[2] ظاهر الآية[3] ليس عليه حفظ الأصلح لهم ولا الأخير.[4] *والله أعلم*.

وقوله: **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، أي لا ينتفعون بعلمهم، أو لا يعلمون حقيقة لِما تركوا النظر والتفكر في أسباب العلم ليعلموا، فلا يُعْذَرون لما مُكّن لهم العلم به.[5]

وقولهم:[6] **نحن أكثر أموالاً وأولادًا وما نحن بمعذَّبين**، قالوا ذلك لما لم يروا في الحكمة أن يُحسن أحد إلى عدوّه، والسعة هي من الفضل والإحسان، ثم [إذ] رأوا لأنفسهم ذلك ظنّوا أنهم أولياء الله، وأن الرسل حيث ضيّقت عليهم الدنيا إنما ضُيّقت[7] لأنهم ليسوا بأولياء الله، لذلك قالوا: **نحن أكثر أموالاً وأولادًا وما نحن بمعذبين**. وهذا القول منهم لإنكارهم البعث، فلو[8] كانوا مقرّين به لكانوا لا يقولون ذلك ويعلمون أن السعة في الدنيا والضيق فيها بحق الامتحان. وأما إذا كان بعثٌ ودار أخرى للجزاء ففي الحكمة أن يجزى الولي جزاء الولاية، / والمسيء والعدوّ[9] جزاء الإساءة والعداوة. وأما الدار التي هي دار امتحان [٦٢٠و] وابتلاء فيجوز ذلك بحق الامتحان في الحكمة، ولذلك خرج الجواب لهم، حيث قال: **قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**، أي يبسط الرزق لمن يشاء[10] لا لفضل وقدر له ونعمة عنده، ويقتر على من يشاء لا لعداوة وجناية كانت منه إليه، ولكن[11] بحق الامتحان. ألا يرى أنه قد وسّع على بعض المؤمنين وضيّق على بعض أولئك، فظهر أن التوسيع لأهل السعة ليس لفضل لهم وقدر أو نعمة كانت لهم عنده حتى[12] يكونَ ذلك منه مكافأة[13] لذلك،

---

[1] ث + لم يكن خيرا له وكذلك يقتر على من يشاء وإن.
[2] ر ث م - به.
[3] ن + الكريمة.
[4] ر م: ولا الخير.
[5] ن: وبه.
[6] ن: قولهم.
[7] ر م + عليهم الدنيا.
[8] جميع النسخ: فإن.
[9] جميع النسخ: من العدو. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٤ظ.
[10] ر ث م - لمن يشاء.
[11] ر ث م - ولكن.
[12] جميع النسخ: وحتى. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر: مكافات.

وكذلك التضييق لأهل الضيق[1] لم يكن لجناية أو إساءة كانت منهم إليه لما ذكروا ولكن لما ذكرنا. ألا ترى أنهم إذا رأوا أنه وسّع على بعض وقتّر على بعض هلّا علموا أنه يملك أن يوسّع على من قتر عليه ويقتر على من وسّع عليه؟ فيكون في ذلك لهم ترغيب في التوحيد واختيار له، وتحذير عن الكفر وعما هم فيه، إذ يملك التقتير على من وسع عليه والتوسيع على من قتّر عليه. فيُبطل هذا كله قولهم: **نحن أكثر أموالاً وأولادًا**، الآية، ويبيّن أن التقتير والتوسيع ليس لفضل ولا قدر ولا نعمة، ولا لجناية[2] ولا لذنب ولكن للامتحان. *والله أعلم*.

**﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾**[٣٧]

وقوله: **وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى**، يخبر أن أموالكم وأولادكم لا تقربكم[3] عندنا زلفى[4] ولكن ما ذكر، حيث قال: **إلا من آمن وعمل صالحًا**، أي ذلك الذي يقرّب عندنا زلفى:[5] مَن أتى به سواءً كان له مال وولد أو لم يكن،[6] **فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا**. من الناس من احتج بتفضيل الغناء على الفقر بهذه الآية يقول: أخبر أن لهم جزاءَ الضعف إذا آمنوا وعملوا الصالحات بالأموال التي أعطاهم، وأما الفقير فليس له ذلك إذ ليس[7] عنده ما يضاعف له، أو كلام يشبه هذا. وأما عندنا أن قوله: **فأولئك لهم جزاء الضّعف بما عملوا**، لهم جزاء الضعف[8] بالصالحات والحسنات التي عملوها، لأن الله وعد أن يجزي لكل من عمل بحسنة عشر أمثالها، ووعد لمن عمل السيئة أن لا يجزي إلا مثلها.[9] فلكل من عمل بحسنة[10] أو صالحة عشر أمثالها، وذلك جزاء الضعف له، وذلك للغني[11] والفقير جميعًا.

---

[1] ر ن م: التضييق.
[2] ث – ولا لجناية.
[3] ث: لا تقربه بكم.
[4] ر م – يخبر أن أموالكم وأولادكم لا تقربكم عندنا زلفى.
[5] ن + ولكن ما ذكر؛ م + ولكن ما ذكر حيث قال إلا من آمن وعمل صالحا أي ذلك الذي يقرب عندنا زلفى.
[6] ر + فما.
[7] ر م + له.
[8] ث – بما عملوا لهم جزاء الضعف.
[9] يشير الإمام إلى قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالِها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزَى إلا مثلَها وهم لا يُظلمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٠).
[10] ر م – عشر أمثالها ووعد لمن عمل السيئة أن لا يجزي إلا مثلها فلكل من عمل بحسنة.
[11] ر: المغني.

وقد[1] ذكرنا في غير موضع أن التكلّم في فضل الغَناء على الفقر أو الفقر على الغناء كلام لا معنى له، لأنهما شيئان[2] لا صنع لأحد في ذلك، يمتحنان[3] في تلك الأحوال، أحدهما بالشكر والآخر بالصبر. فمن وَفَى بما امتُحن هو في تلك الحال فهو أفضل ممن لم يفِ بذلك، وبه يستوجب الفضل إن استوجب، فأما بنفس تلك الحال فلا. لكن[4] من يفضّل الغناء على الفقر يذهب إلى أن الله تعالى سمّى الضِيق بلاءً وشرًّا وسيّئة[5] في غير موضع من القرآن، وسمّى السعة خيرًا ونعمة وحسنة في غير موضع. ولا شكّ أن الخير والحسنة أفضل وأحمد من الشر والسيئة، فلو لم يكن هذا شرًّا وسيّئة في الحقيقة لم يسمّه بذلك، وهذا خيرًا لم يسمه. ومن يقول بتفضيل الفقر على الغَناء[6] يذهب إلى أن الغنيّ[7] إذا أعطى وبذل إنما استوجب ذلك الفضل لما يُفقر نفسه ويحوج، وأصله ما ذكرنا.

[٦٢٠و س٣٢] * قال القُتَبِي: **فأولئك لهم جزاء الضِعْف بما عملوا**، لم يُرد فيما يرى أهل النظر -والله أعلم- أنهم يُجازَون عن الواحد بواحدٍ مثلِه ولا اثنين. وكيف يكون هذا والله يقول: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا،[8] و [مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ] خَيْرٌ مِنْهَا؟[9] ولكنه أراد لهم جزاء التضعيف،[10] وجزاء التضعيف[11] إنما هو مثلٌ[12] يُضَمّ إلى مثل إلى ما بلغ. وكأن "الضعف" الزيادة،[13] أي لهم جزاء الزيادة. ويجوز أن يجعل "الضعف" في معنى جميع، أي: جزاءُ الأضعاف، ونحوُه: فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ،[14] أي مضعَّفًا.[15]

---

[1] ر م – قد.
[2] ن: سيان.
[3] أي الغني والفقير. وعبارة الشارح هكذا: «يمتحن بهما...» (ورقة ٦١٩و).
[4] ر: ولكن.
[5] جميع النسخ: وشدة. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٥و.
[6] ر م – على الغناء.
[7] ر: الغنا.
[8] سورة الأنعام، ١٦٠/٦.
[9] سورة النمل، ٨٩/٢٧؛ وسورة القصص، ٨٤/٢٨.
[10] جميع النسخ: الضعف. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ١٥ظ.
[11] ر م – وجزاء التضعيف؛ ن ث: وجزاء الضعف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٨ظ.
[12] ر م: مثله.
[13] جميع النسخ: الزائدة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٨ظ.
[14] سورة ص، ٦١/٣٨.
[15] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٧-٣٥٨.

وقال أبو عَوْسَجَة: **جزاء الضعف**، أي جزاء المضاعف أن يَجعل معه مثله، يقال: أضعفت، أي[١] جعلت مثله، وخَيْطٌ مضاعف، أي قد ضُمّ إليه خيط آخر قد فُتلا.

قال: **زلفى**،[٢] هي الدنوّ، يقال: تزلفت إليه، ومنه أزلفته، أدنيته. وقال القُتَبي: أي قربة ومنزلةً عندنا،[٣] وهما واحد. *والله أعلم*.

وقوله: **وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى**، ذكر الأموال والأولاد، ثم ذكر "التي" بالتأنيث. قال بعضهم: هذا من مقاديم الكلام، كأنه قال: وما أموالكم بالتي تقربكم / عندنا زلفى ولا أولادكم، ولولا ذلك لغلب فعل الآدميين فعلَ الأموال.[٤] قال أبو معاذ: [٦٢٠ظ] يجوز أن نجمع الأموال والأولاد ثم نقول "التي"، لأنك تقول: ذهبت[٥] الأموال وهلكت الأولاد، كقوله: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا،[٦] و قَالَتْ رُسُلُهُمْ،[٧] ونحوه كثير في القرآن،[٨] فعلى ذلك عند الجمع.* [٦٢٠ظ س٣]

وقوله: **وهم في الغرفات آمنون**، من العذاب والموت، أو آمنون من الإخراج، أي لا يكون لهم خوف الإخراج[١٠] والزوال، لأن خوف زوال النعمة مما ينغص على[١١] صاحبه النعمة ويحزنه. *والله أعلم*.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[٣٨]

وقوله: **والذين يسعون في آياتنا معاجزين**، أي يسعون في آياتنا سعي من يكون معاجزًا، وإلا كانوا يعلمون أنهم ليسوا بمعاجزين في سعيهم وأنهم لا يقدرون على[١٢] ذلك،

---

[١] ر ث م – مضعفا وقال أبو عوسجة جزاء الضعف أي جزاء المضاعف أن يجعل معه مثله يقال أضعفت أي.

[٢] ن: الزلفى.

[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٧.

[٤] المَقاديم: جمع المِقْدَام، وهو الكثير الإقدام. وقول الإمام رحمه الله: «هذا من مقاديم الكلام» أي مجيء اسم الموصول بصيغة التأنيث "التي" إنما هو بتأثير "أموالكم" فالتي صلة لها. فلو لم يكن كذلك لكانت العبارة هكذا: "بالذي يقربكم"، وتصير الصلة تصف "أولادكم". لذلك قال الإمام: «ولولا ذلك لغلب فعل الآدميين فعل الأموال».

[٥] ن: ذهب.

[٦] سورة الحجرات، ٤٩/١٤.

[٧] سورة إبراهيم، ١٤/١٠.

[٨] ر ث م: من القرآن.

* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٢٠و/سطر٣٢–٦٢٠ظ سطر٣.

[١٠] ن + أي لا يكون لهم خوف الإخراج.

[١١] ر م – العذاب والموت أو آمنون من الإخراج أي لا يكون لهم خوف الإخراج والزوال لأن خوف زوال النعمة مما ينغص على.

[١٢] ن – على.

لكن[1] ما ذكرنا: يسعون في آياتنا سعي من يكون معاجزًا،[2] لا سعي من لا يكون، وهو ما قال: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ،[3] أي يعملون عمل من يحسب أنه يسبق، لا عمل من لا يسبق، وهو كقوله: يُخَادِعُونَ اللهَ،[4] لا أحد يقصد قصد مخادعة الله لِعلمه أنه لا يخادَع، ولكن كأنه قال: يعملون عمل مَن يخادع الله، لا عمل من يعلم[5] أنه لا يخادَع، فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*.

وقوله: **في آياتنا**، إنما كان سعيهم في الآيات إما[6] في آيات الوحدانية أو آيات النعمة أو آيات الرسالة، ليُسقطوا عن أنفسهم مئونة ذلك وقبولها والعمل بها، **أولئك في العذاب محضرون**.*

**﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**[٣٩]

وقوله: **قل إنّ ربّي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**،[8] قال ابن عباس رضي الله عنه: فهو يخلفه في الدنيا والآخرة،[9] لأن ما أنفق العبد لو كان الله أخلفه له في الدنيا [بتمامه] ما أحصى أحدكم ماله، ولا يجد مكانًا يجعله فيه، أو كلام هذا معناه. وقال آخر: كل نفقة كانت في طاعة الله فإن الله يُخلفها في الدنيا أو يدّخرها لوليّه في الآخرة. ومجاهد يقول: إذا أصاب أحدكم مالاً فليقتصد[10] في النفقة ولا يتأوَّلَنَّ[11] قوله:[12] **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه**، فإن الرزق مقسوم.[13]

---

[1] ر ث م – لكن.

[2] ر م – وإلا كانوا يعلمون أنهم ليسوا بمعاجزين في سعيهم وأنهم لا يقدرون على ذلك لكن ما ذكرنا يسعون في آياتنا سعي من يكون معاجزا.

[3] ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون﴾ (سورة العنكبوت، ٤/٢٩).

[4] سورة البقرة، ٩/٢؛ وسورة النساء، ١٤٢/٤.

[5] ر م: يعمل.

[6] ر م – إما.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٢٠و/سطر٣٢-٦٢٠ظ سطر٣.

[8] ن: وهو جزاء الرازقين الآية.

[9] *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٤٥٦.

[10] جميع النسخ: فليقصد.

[11] ر: ولا يتولن.

[12] ن – قوله.

[13] *تفسير سفيان الثوري*، ٥٩/١، ٢٤٤؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ٤٠٣/٦؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٩٤/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٢٤/١٢.

وقال بعضهم: **فهو يخلفه**، إذا كانت في غير إسراف ولا تقتير. وهذه التأويلات كلها ضعيفة، لأن الآية كأنها[1] نزلت[2] -والله أعلم- في منع أولئك الإنفاقَ مخافة الفقر وخشيةَ الإملاق، لأنها نزلت على إثر قوله: **قل إن ربي**[3] **يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له**، يقول -والله أعلم-: تعلمون[4] أن الله هو الباسط لكم والموسع عليكم وعلى الخلق كله الرزقَ، وهو المقتر أيضًا على من شاء التقتير عليه، فإذ[5] كنتم تعلمون أنه هو الفاعل لذلك فكيف تمتنعون[6] عن الإنفاق خشية الفقر؟ فهو القادر على البسط والخَلْف لما أنفقتم، وهو القادر على التقتير من غير إنفاق كان منكم. أو أن يذكر[7] هذا ليقطعوا أطماعهم عن الخَلْف من الناس والبذل لهم فيما ينفقون، على ما ينفق الرجل من النفقة فيطمع من الناس البِرّ له والمعروف مكافأة لما أنفق، فيقول: اقطعوا الطمع من الناس فيما تنفقون،[8] فإن الله هو المُخْلِف لذلك، لا الناس. ويحتمل ما قال ابن عباس أنه[9] يخلف في الآخرة [أيضا]، إذ لو أعطى لكل ما[10] أنفق في الدنيا خلفا ما أحصى أحدكم ماله ولا [علم] أين يجعله.[11] هذا هكذا إذا كان الخَلَف من نوع ما أنفق وأعطى، فأما إذا جاز[12] أن يكون الخلف من نوع ما أنفق ومن غير نوعه: من نحو ما يدفع عن المرء وعن المتصلين به[13] من أنواع البلايا والشدائد، ويعطيه من أنواع النعم من السلامة له في نفسه ودِينه والصحة وغير ذلك مما لا يُحْصَى فذلك كلّه بَدَل وخَلَفٌ عما أنفق. وذلك أنه إذا علم في سابق علمه أنه ينفق، جعل ذلك في الأصل خَلَفًا عما أنفق. وعلى ذلك يخرج ما روي عن النبي[14] أن «صلة الرحم تزيد في العمر»،[15]

---

[1] جميع النسخ: كانت. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٦و.
[2] ر م - نزلت.
[3] ر م: إثر قول الرجل إن ربكم.
[4] جميع النسخ: يعلمون.
[5] ر م: فإذا.
[6] جميع النسخ: يمتنعون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٩و.
[7] ر م: وأن يذكر.
[8] ن ر: ينفقون.
[9] ن: أن.
[10] ر م: رجل.
[11] م: جعله.
[12] ر: جازه.
[13] جميع النسخ: المتصلين له. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٦و.
[14] ر ث م - عن النبي.
[15] انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١٥٦/٣ وصحيح *البخاري*، الأدب ١٢؛ وصحيح *مسلم*، البر والصلة ٢١.

إذ علم أنه يَصِل رَحِمه زاد في عمره في الأصل، ما لو يعلم أنه لا يصل رحمه لكان[1] يجعل عمره دون ذلك، فعلى ذلك الأول. وروي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل معروف صدقة،[2] وما أنفق المرء على نفسه وأهله أو وَقَى به عِرضه فهو له صدقة، وكل نفقة أنفقها المؤمن[3] فعلى الله خَلَفُها ضامنًا، إلا نفقة في معصية أو نفقةً في بنيان»،[4] أي لا يحتاج إليه.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[٤٠] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾[٤١]

وقوله: **ويوم يحشرهم جميعًا**، الملائكة ومَن عبدهم،[5] **ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن.**[6] ليس قول الملائكة فيما خاطبهم ربهم جوابًا[7] لما خوطبوا بقوله: **أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون**، حيث قالوا: **سبحانك أنت ولينا من دونهم**، لأنه قال لهم: **أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون**، فجوابهم أن يقولوا: "بلى" أو "لا". فأما أن يكون قولهم: **سبحانك أنت ولينا من دونهم**[8] **بل كانوا يعبدون الجن**، الآية، جوابًا لذلك فلا يحتمل. إلا أن يقال: إن أولئك الكفرة ادّعوا على الملائكة الأمر لهم بالعبادة إياهم دون الله، فهناك[9] يحتمل أن يقول: أهؤلاء عن أمركم عبدوكم؟ فعند ذلك قالوا: **سبحانك أنت ولينا من دونهم**، ونحن بُرَآء[10] منهم، ما أَمَرْناهم بعبادتنا وأنت أعلم منا، **بل كانوا يعبدون الجن**، بل كانوا أطاعوا أمر الجن والشياطين في ذلك، إذ لو كنا أمرناهم بذلك لم نكن[11] أولياءك[12] ولا كنت أنت ولينا من دونهم.

---

[1] ر: فكان.

[2] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣/٣٤٤، ٣٦٠؛ وصحيح *البخاري*، الأدب ٣٣؛ وصحيح *مسلم*، الزكاة، ٥٢.

[3] جميع النسخ: مؤمن. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٦ظ.

[4] مسند *أبي يعلى الموصلي*، ٤/٣٦؛ *والمنتخب من مسند عبد بن حميد*، ٢/١٦٦؛ وسنن *الدارقطني*، ٣/٤٢٨؛ *والمستدرك* للحاكم، ٢/٦٣.

[5] ر ث م: عندهم؛ ن: عبدوهم. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٦ظ.

[6] ر م – بل كانوا يعبدون الجن؛ + لأنه قال لهم أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون الجن.

[7] ر ث م – جوابا.

[8] ر + منا؛ م + أعلم منا.

[9] ر م: فهنالك.

[10] ن: نحن برآؤ؛ ث: ونحن برءاؤ.

[11] ث: لم يكن.

[12] ن: أولياء.

وهذا كما يقول لعيسى حيث قال: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ،[1] وقد كان عَلِم جلّ وعلا أنه لم يقل لهم[2] ذلك، ولكن كان أولئك ادعَوا عليه الأمر والقول لهم في ذلك، فذكر ذلك[3] لعيسى تعييرًا لهم وتوبيخًا على صنيعهم وإظهارًا لكذبهم في دعواهم. فعلى ذلك الأول يحتمل أن يخرج على ذلك. *والله أعلم*.

وقوله: **بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم مؤمنون**، هم[4] كانوا لا يقصدون عبادة الجن ولكن لِما بأمرهم كانوا يعبدون ما يعبدون[5] نسب العبادة إليهم، كقوله: يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ،[6] وهو كقول إبراهيم: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ،[7] وهم كانوا لا يقصدون بعبادتهم الشيطان لكنهم لِما عبدوا ما عبدوا[8] من دونه بأمر الشيطان نسب العبادة إليه كأنهم عبدوه.

**﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[٤٢]**

وقوله: **فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعًا ولا ضرًّا**، أي لا يملك [أحد][9] يوم القيامة ما أملوا وطمعوا[10] / من عبادتهم لأولئك من التقريب لهم إلى الله زلفى والشفاعة لهم عنده، [٦٢١و] لقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[11] ومَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[12] يقول: **لا يملك بعضكم لبعض**، ما أملوا وطمعوا[13] من عبادتهم لأولئك.[14]

---

[1] سورة المائدة، ١١٦/٥.
[2] ر م – لهم.
[3] م – ذلك.
[4] ث – هم.
[5] ر ث م: يعبدون ما تعبدون؛ ن: تعبدون ما تعبدون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦١٩ظ.
[6] ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ (سورة يس، ٦٠/٣٦).
[7] سورة مريم، ٤٤/١٩.
[8] ر ث م – ما عبدوا.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٦١٩ظ.
[10] ر ث م: أو طمعوا.
[11] سورة يونس، ١٨/١٠.
[12] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[13] ر ث م: أو طمعوا.
[14] ن ث: أولئك.

**ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون**، أي كنتم تكذبون[١] الرسل بما أوعدوكم[٢] بها في الدنيا.

**﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٤٣]**

وقوله: **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**، قد ذكرنا الآيات والبينات في غير موضع.[٣]

وقوله:[٤] **ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم**، لا شك أنه كان يريد أن يصدّهم عما كان يعبد آباؤهم، وكذلك كان يريد[٥] كلّ رسول أن يصدّ قومه عما كان يعبد آباؤهم من الأصنام والأوثان، لكن هذا القول من أولئك الرؤساء إغراء الأتباع على الرسل، يقولون: ألا ترون أن واحدًا قد خالف الآباء في دينهم ويريد أن يصدكم عن دين آبائكم، و **ما هذا إلا إفك مفترى**، أي ما يدعو محمد إليه ليس إلا إفك مفترى.[٦]

**وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين.** وقوله: **للحق لما جاءهم**، أي ما جاء للحق،[٧] وهو القرآن والتوحيد[٨] من البيان والإيضاح له أنه الحق وأنه من عند الله جاء، وهو الآيات والبراهين التي جاءت له أنه حق وأنه من عند الله جاء، لا أنه مفترًى وإفك[٩] وسحرٌ على[١٠] ما تزعمون.[١١] ولم يزل طعن أولئك الكفرة في الآيات والحجج بأنها سحر

---

[١] ن ث - أي كنتم تكذبون.

[٢] ر م: بما أوعدكم.

[٣] انظر مثلا: تفسير الآية ٤٩ من سورة العنكبوت. ر م + وقوله بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون هم كانوا لا يقصدون عبادة الجن ولكن لما بأمرهم كانوا يعبدون ما تعبدون نسب العبادة إليهم كقوله يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان وهو كقول إبراهيم يا أبت لا تعبد الشيطان لكنهم لما عبدوا من دونه بأمر الشيطان نسب العبادة إليه كأنهم عبدوه.

[٤] ر + فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا أي لا يملك يوم القيامة.

[٥] ر ث م - أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم لا شك أنه كان يريد أن يصدهم عما كان يعبد آباؤهم وكذلك كان يريد.

[٦] ث - أي ما يدعو محمد إليه ليس إلا إفك مفترى.

[٧] ن ث: الحق.

[٨] ن: أو التوحيد.

[٩] ر م: أو إفك.

[١٠] ر م - على.

[١١] ر م + و لم تزعمون.

وأنها إفك وأنها مفترى، يلبّسون بذلك على أولئك الأتباع والسفلة ويُموّهون عليهم ويُغرُّون[1] لئلّا يتّبعوه[2] ويستسلموا له.[3] *والله أعلم*.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾[٤٤]

وقوله: **وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير**، هو[4] -والله أعلم- صلة قوله: مَا هٰذَا[5] إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى، وقوله:[6] إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ،[7] يقول -والله أعلم- جوابًا لقولهم: **وما آتيناهم من كتب يدرسونها**، فيخبرهم[8] أن ليس قول محمد[9] إفك مفترى ولا أرسلنا إليهم[10] أيضا من قبله رسولاً يخبرهم أنه كَذِبٌ مُفْتَرًى. وظهور الكذب في القول والخبر إنما يكون بأحد هذين الأمرين، إما بكتاب أو نبيّ، وهم لا يؤمنون بكتاب ولا نبي فكيف يدّعون عليه الكذب والافتراء؟ يخبر عن سفههم وقلة عقولهم وعنادهم بعد ما خصّهم عز وجل وفضّلهم على غيرهم من البشر، حيث بعث الرسول منهم ومن أنفسهم والكتابَ على لسانهم وبلغتهم، بعد قَسَمهم أنه لو بعث إليهم نذيرًا ورسولاً[11] لاتبعوه،[12] حيث قال:[13] وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ[14] لم يؤمنوا به[15] ولم يعرفوا منة الله عليهم وخصوصيّتهم فيما خصّهم. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م: ويغزون.
[2] ن ث: يتبعونه.
[3] جميع النسخ: ويستسلمون لهم. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٧ظ.
[4] ر ث م: وهو؛ ن - هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م: صلة وما هذا.
[6] جميع النسخ: وقولهم.
[7] الآية السابقة.
[8] ر ن ث: فتخبرهم.
[9] جميع النسخ: أن ما يقول محمد. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ن: عليهم.
[11] ن ث م: ورسول.
[12] ر م: لا اتبعوه.
[13] جميع النسخ: قالوا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٦١٩ظ.
[14] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).
[15] ن - به.

**﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾**[٤٥]

وقوله: **وكذب الذين من قبلهم**، يذكر رسوله ويصبره على تكذيب أولئك له،[١] يقول: قد كذب الذين كانوا من قبلهم رُسلهم، لست أنت بأوّل مكذَّب، بل كُذِّب إخوانك من قبل. ***والله أعلم***.[٢]

وقوله: **وما بلغوا معشار ما آتيناهم**، يقول -والله أعلم-: لم يبلغ هؤلاء الذين كذبوك عُشْرَ أولئك في القوة والغَناء والفضل والعلم والأتباع والأعوان و غير ذلك. ثم[٣] مع ما كانوا كذلك لم يقوموا في دفع العذاب الذي نزل بهم بالتكذيب عن أنفسهم. فقومك الذين هم[٤] دون أولئك بما ذكر[٥] أحقّ أن لا يقوموا لدفع عذاب الله[٦] عن أنفسهم إذا نزل بهم بالتكذيب.

وقوله: **فكذبوا رُسُلي فكيف كان نكيرِ**، يقول -والله أعلم-: أليس[٧] وجدوا عذابي حقا؟ قال الزجاج: هو "نكيري"[٨] بالياء، لكن طُرحت الياء لأنه آخر الآية وختمها، فأبقيت الكسرة علامةً لها، أو كلام يشبه هذا.[٩] وقال[١٠] أبو عَوْسَجَة: نكيري عقوبتي، وقال القُتَبِي: أي إنكاري.[١١]

**﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾**[٤٦]

وقوله: **قل إنما أعظكم بواحدة**. قال بعضهم: **بواحدة**،[١٢] أي بكلمة الإخلاص والتوحيد، وقال بعضهم: أي بطاعة الله، وقال بعضهم: **بواحدة**، أي بكلمة واحدة، كقول الرجل لصاحبه: أُكلمك كلمة واحدة، واسمع مني كلمة. لكن الواحدة التي وعظهم بها عندنا ما ذكر على إثره،

---

[١] ر - له.

[٢] ث - وقوله وكذب الذين من قبلهم يذكر رسوله ويصبره على تكذيب أولئك له يقول قد كذب الذين كانوا من قبلهم رسلهم لست أنت بأول مكذب بل كذب إخوانك من قبل والله أعلم.

[٣] ر م - ثم.

[٤] ث م + هم.

[٥] ر م: بما ذكروا.

[٦] ر م: العذاب.

[٧] ث: ليس.

[٨] ر م: نكير.

[٩] *معاني القرآن* للزجاج، ٤/٢٥٦.

[١٠] ر ن م: قال.

[١١] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٨.

[١٢] ث - قال بعضهم بواحدة.

حيث قال: **أن تقوموا لله مَثْنَى وفرادَى**، أي تقوموا لله[1] بهما: جميعًا وفرادى وتتفكروا وتنظروا فيما بينكم، هل رأى أحد منكم به جنونًا قط. وقال بعضهم: يريد **بالمثنى** أن يتناظر الرجلان في أمر النبي، **وفرادى**، أي تفكروا،[2] فإن في ذلك[3] ما دلّ[4] على أن النبي ليس بمجنون ولا كذاب على ما تزعمون.

ثم كان الذي حملهم على أن نسبوه إلى الجنون وجوهًا. أحدها أنهم رأوه قد خالف الفراعنة والجبابرة الذين كانوا يقتلون مَن خالفهم على الغضب في أدنى شيء، بلا أعوان ولا أتباع له، فقالوا: لا يخاطر بهذا إلا من به جنون، فنسبوه إلى الجنون. والثاني أنهم رأوه قد خالف / دينهم ودين آبائهم جملة من بينهم، فقالوا: لا يُحتمل أن يصيب هو[5] دينًا بعقله من بين الكل لا يصيب أحد ذلك، فاتهموه في عقله.[6] والثالث أنه كان في حال صغره وصِباه لم يروه اشتغل بشيء من اللعب أو خالط الصبيان في شيء من أمورهم، بل اعتزلهم من حال صباه إلى أن بلغ[7] الوقت الذي بلغ، فقالوا: إن به جنونًا وإلا لم يعتزل الناس كلَّ هذا الاعتزال. ثم أخبر أنكم لو تفكرتم ونظرتم[8] عرفتم أن ليس بصاحبكم جنون. [٦٢١ظ]

وقوله:[9] **إن هو**، أي ما هو، **إلا نذير لكم**،[10] أي رسول[11] إليكم ونذير، **بين يَدَي عذاب شديد**، في الآخرة، إن عصيتم عوقبتم في الآخرة.

وقال بعضهم في قوله: **أن تقوموا لله مَثْنى وفُرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة**، يقول -والله أعلم-: أَلَا يتفكر الرجل منكم وحده أو مع صاحبه فينظران في خلق السماوات والأرض وما بينهما أن[12] الذي خلق هذه الأشياء وحده، أنه واحد لا شريك له، وأن محمدا لصادق في قوله بأن الله واحد لا شريك له، وما به جنون، **إن هو إلا نذير**.

---

[1] ر م - مثنى وفرادى أي تقوموا لله.
[2] ر ث م + قط وقال بعضهم يريد بالمثنى أن يتناظر الرجلان في أمر النبي.
[3] ر ث م: فإن ذلك.
[4] ن ث: دلهم.
[5] ر ث م - هو.
[6] ر م: في العقل.
[7] ر م - بلغ.
[8] ر ث م + ثم.
[9] جميع النسخ - وقوله. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ١٨ظ.
[10] ر ث م + بين يدي عذاب شديد في الآخرة إن عصيتم؛ ن + بين يَدَي عذاب شديد.
[11] ر ث م: رسول الله.
[12] ر ث م - ان.

**﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[٤٧]

وقوله: **قل ما سألتكم من أجر فهو لكم**، هذا يحتمل وجهين.أحدهما[١] [ما] قال بعضهم: إنه صلى الله عليه وسلم[٢] سأل قومه أن يَوَدُّوا قرابته وأن لا يؤذوهم، كقوله: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى،[٣] وقال[٤] في آية أخرى: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا،[٥] يقول: **ما سألتكم من أجر** يعني المودة في القربى، **فهو لكم**، أي الذي سألتكم هو لكم، وهو المودة في القربى واتخاذ السبيل إلى ربي. والثاني قوله: **ما سألتكم من أجر فهو لكم**، أي لم أسألكم على تبليغ الرسالة إليكم أجرًا منكم فيمنَعكم ثِقَلُ ذلك الأجر وغُرْمه عليكم عن الإجابة، كقوله: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ.[٦]

وقوله: **إن أجريَ إلا على الله**، أي ما أجري إلا على الله. **وهو على كل شيء شهيد**، بأني نذير وما بي جنون، أو **هو على كل شيء شهيد**، بأني لم أسألكم عليه أجرًا، أو **على كل شيء**، من صنيعكم، **شهيد**، عالم به. ***والله أعلم***.

**﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾**[٤٨] **﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾**[٤٩]

وقوله: **قل إن ربي يقذف بالحق**، هذا يحتمل وجوهًا. يحتمل، **يقذف بالحق**، أي يقضي بالحق، أو **يقذف بالحق**، أي يتكلم بالوحي ويُلقيه.[٧] وقوله: **علّام الغيوب**، كلِّ شيء غاب عن الخلق، وقد ذكرنا[٨] ذلك في غير موضع.

وقوله: **قل جاء الحق وما يُبدئ الباطل وما يعيد**،[٩] اختلف فيه. قال بعضهم: ما يبدئ الأوثان والأصنام التي عبدوها وما يعيد، أي لا يخلق شيئًا ولا يحييه ولا يميته، كقوله:

---

[١] ر م + أنه سأل؛ ن ث – أحدهما.

[٢] ث – وسلم.

[٣] سورة الشورى، ٢٣/٤٢.

[٤] ر ث م: وما قال.

[٥] سورة الفرقان، ٥٧/٢٥.

[٦] سورة الطور، ٤٠/٥٢؛ وسورة القلم، ٤٦/٦٨.

[٧] ن: وتلقيه.

[٨] ر ث م: وقد ذكر.

[٩] ر ث م + الآية.

وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا.[1] وقال بعضهم: ما يبدئ الشيطان الخلق فيخلقهم، وما يعيد خلقهم في الآخرة فيبعثهم[2] بعد الموت، بل الله يفعل ذلك. أو أن يكون قوله: **قل جاء الحق**، أي حجج الحق، **وما يبدئ الباطل**، ما يَظهر[3] الباطل،[4] أي ذهبت شُبه[5] الباطل وتلاشت. وعلى ذلك جائز أن يكون قوله تعالى: **قل إن ربي يقذف بالحق**، أي[6] يقذف بحجج الحق، **علامُ الغيوب**، أي علام بحجج الحق من شبه الباطل.

وقوله: **قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب**، قال بعضهم: هو ما ذكر في آية أخرى: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ،[7] إلى آخر الآية، قال: يَزهَق الباطل ويَثبُت الحق، أي نقذف بالحق على الباطل فيُهلِك الباطلُ ويثبت الحق، وهو أيضا ما ذكر: فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ.[8]

﴿**قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**﴾[٥٠]

وقوله: **قل إن ضللت**، بكسر اللام ونصبها كلاهما لغتان.[9] قال الكسائي: تقول العرب ضَلَّ يَضِلّ ضلالة، وضل يَضَلّ بالخفض والنصب جميعًا. ثم قوله: **قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي**، يخرج على وجهين. أحدهما إن ضللت فإنما[10] يكون ضرر ضلالي[11] على نفسي لا يكون على الله من ذلك شيء، كقوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا،[12]

---

[1] ﴿واتَّخذوا من دونه آلهة لا يَخلقون شيئا وهم يُخلَقون ولا يملكون لأنفسهم ضَرًا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٣).

[2] ر م: فبعثهم.

[3] ر ن م: ما أبدأ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٦٢٠و.

[4] ر م + وما أبدأ الباطل؛ ث – ما يظهر الباطل.

[5] الشُبه هنا بمعنى الدلائل التي يذكرها أهل الباطل ويتشبهون بها كأنها دلائل.

[6] ر ث م – ذهبت شبه الباطل وتلاشت وعلى ذلك جائز أن يكون قوله تعالى قل إن ربي يقذف بالحق أي؛ ر م + لا.

[7] ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١٨).

[8] سورة الرعد، ١٣/١٧.

[9] مختصر في *شواذ القرآن* لابن خالويه، ١٢٣؛ و*تفسير القرطبي*، ١٧/٣٣٢-٣٣٣؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ٢٢/١٥٧.

[10] ر م: فما.

[11] ر: ضلال.

[12] سورة الإسراء، ١٧/٧.

وقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا.[١] والثاني إن ضللت فإنما يكون ذلك على نفسي ولا يكون على أنفسكم من ضلالي شيء، كقوله: قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ.[٢] ونحوه.

وقوله: **وإن اهتديت فبما يوحي إليّ ربي**، هذا يخرج أيضًا على وجهين. أحدهما[٣] إن اهتديت إلى طاعة الله وشرائع[٤] الدين فبما يوحي إلي ربي في ذلك، أي فبوحيه اهتديت إلى ذلك. والثاني وإن اهتديت إلى دينه وهدايته فبتوفيقه إياي وعصمته[٥] اهتديت. أضاف الهداية إلى الله والضلال إلى نفسه، فهو لما ذكرنا أن من اهتدى[٦] كان من الله إليه لطف في ذلك، ليس ذلك في الضلال. وعلى قول المعتزلة يجيء أن يكون المعنى فيهما واحدًا، لأنهم يقولون: إنه لا يكون من الله سوى الأمر[٧] والنهي فلا يكون منه إليه في الهداية إلا كما كان منه إليه في الضلال. **والله أعلم**.

وقوله: **إنه سميع قريب**، قال بعضهم: **سميع**، أي مجيب للداعي، كقوله: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ،[٨] الآية. وقال بعضهم: **سميع**، لمقالتكم لمحمد، حيث قالوا له: لقد ضَلَلْتَ حين تركت دين آبائك، **قريب**، أي مجيب له. وقيل: **سميع** الدعاء، **قريب** الإجابة. **والله أعلم**.

**﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾**[٥١]

وقوله: **ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب**، اختلف فيه. قال بعضهم: ذلك[٩] أنهم بَعَثوا بعثَيْن قاصدِين تخريب الكعبة،[١٠] فلما بلغوا البَيْدَاء خُسف بأحدهما والآخر ينظر،

---

[١] سورة فصلت، ٤١/٤٦؛ وسورة الجاثية، ٤٥/١٥.
[٢] سورة هود، ١١/٣٥.
[٣] م – أحدهما.
[٤] ن + أهل.
[٥] ن: وبعصمته.
[٦] جميع النسخ – من اهتدى. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ١٩ظ.
[٧] ر م – الأمر.
[٨] جميع النسخ – أجيب دعوة الداع إذا دعان. والزيادة من المرجع السابق. سورة البقرة، ٢/١٨٦.
[٩] جميع النسخ: وذلك.
[١٠] ن: تخريبا للكعبة.

[٦٢٢و] وينفلت / منهم مخبرًا فتحوّل[١] وجهه إلى قفاه[٢] فيخبرهم بما لَقُوا،[٣] فذلك[٤] قوله: **ولو ترى إذ فزعوا**، عن الخسف والعذاب، **فلا فوت**، أي لا فوت[٥] عن عذاب الله. **وأُخذوا من مكان قريب**، أي[٦] من تحت أقدامهم تخسف[٧] بهم الأرض.[٨] وعلى ذلك يخرج قوله: وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ، من تخريب الكعبة، كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ،[٩] وهم أصحاب الفيل. وعلى ذلك روي عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:[١٠] «يغزو هذا البيتَ جيش حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم فلا[١١] ينفلت منهم إلا واحد يخبر[١٢] عنهم»، قالت:[١٣] يا رسول الله وإن كان فيهم الْمُكْرَهُ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُبعثون على نياتهم».[١٤]

وقال بعضهم قوله: **ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت**، وهو عند الموت يفزعون منه ولا فوت لهم عنه، **وأُخذوا من مكان قريب**،[١٥] أي على المكان. والحسن يقول: **فَزِعوا**، من القبور، **فلا فوت**، يقول: أُخذوا عند ذلك وهو المكان القريب.[١٦] وقال بعضهم: ذلك يوم[١٧] القيامة، يفزعون عند معاينتهم العذاب وأفزعهم ذلك، ولا يفوتون الله.

---

[١] جميع النسخ: مخبر فيحول.

[٢] جميع النسخ: في قفاه. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٩ظ.

[٣] وعبارة *الشرح* هكذا: «فلما بلغوا إلى موضع خسف بأحدهما والآخر ينظر فانفلت ليخبرهم بما لقوا فتحول وجهه إلى قفاه وأخبرهم بذلك» (ورقة ٦٢٠و).

[٤] ر ث م: وذلك. والتصحيح من نسخة جارالله، ورقة ١٩ظ.

[٥] ر ث م – أي لا فوت.

[٦] ر م: أو.

[٧] جميع النسخ: يخسف.

[٨] انظر: *تفسير الطبري*، ٣١٠/١٩.

[٩] الآية ٥٤ من هذه السورة.

[١٠] ر م – قال.

[١١] ن: ولا.

[١٢] ن: للخبر.

[١٣] ر ث م: قال.

[١٤] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٩٠/٦؛ وصحيح مسلم، الفتن ٤-٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الفتن ٣٠.

[١٥] ث + اختلف فيه قال بعضهم.

[١٦] *بحر العلوم* لأبي الليث السمرقندي، ٧٨/٣؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٩٩/١١.

[١٧] ر ث م عند.

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٥٢]

**وقالوا آمنا به**، وهو كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ،[1] الآية، وكقول فرعون حين[2] أدركه الغَرَق:[3] آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ،[4] ونحوه.

وقوله: **وأنى لهم التناوش من مكان بعيد**، يقول: التناول من مكان بعيد.[5] وقال بعضهم: **من مكان بعيد**، أنهم سألوا الرَّجْعة والرد أن ينالوه، **من مكان بعيد**، قال: من الآخرة إلى الدنيا. وقال بعضهم: أي لا سبيل لهم إلى الإيمان في ذلك الوقت، وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ،[6] في حال الدَّعَة والرَّخاء فلم يؤمنوا. وقال بعضهم: **من مكان بعيد**، أي من حيث لا يُنال ولا يكون، فذلك "البعيد"، كقول الله: أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ،[7] أي من حيث لا يكون أبدًا، ليس على إرادة حقيقة المكان. وقتادة يقول: هو عند الموت وعند نزول العذاب بهم.[8] ليس من أحد بلغ ذلك الوقت إلا وهو يؤمن ويتمنى الإيمان لكن لا ينفع، كقوله: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا،[9] الآية، على ما ذكر.[10]

[٦٢٢و س٢٣ *و**التناوش** عند عامة أهل التأويل التناول. وقال بعضهم: الرَّجْعة والرد، لأنهم طلبوا الرجعة والرد[11] إلى الدنيا. قال أبو عَوْسَجَة: **التناوش**، التناول من موضع بعيد، لا يكون من قريب.[12] والقُتَبِي يقول: **وأنى لهم التناوش**، أي تناول ما أرادوا بلوغه وإدراكُ ما طلبوا من التوبة، [**من مكان بعيد**] من الموضع الذي لا يقبل فيه التوبة.[13] قال أبو معاذ والزجاج: النَّأْش في كلام العرب الطلب، تقول: نأشت إليه، أي طلبت منه لكن هذا ليس من باب التناوش.* ٦٢٢و س٢٧]

[1] سورة المؤمن، ٨٤/٤٠.
[2] ر م: حتى.
[3] م + قال.
[4] سورة يونس، ٩٠/١٠.
[5] ر م – يقول التناول من مكان بعيد.
[6] ث – من قبل. الآية التالية.
[7] سورة فصلت، ٤٤/٤١.
[8] *تفسير عبد الرزاق*، ٦٦/٣؛ و*تفسير الطبري*، ٣١٢/١٩-٣١٣.
[9] سورة الأنعام، ١٥٨/٦.
[10] ن ث + والله أعلم.
[11] ر م – لأنهم طلبوا الرجعة والرد.
[12] ث: بعيد.
[13] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٣٥٨-٣٥٩.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٦٢٢و/سطر٢٣-٢٧.

**﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٥٣] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾[٥٤]**

وقوله: **وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد**، قال بعضهم: معناه -والله أعلم- وذلك أنهم كانوا في الدنيا يَكْذِبون[١] بالآخرة[٢] ويكفرون بالغيب، ويقولون:[٣] لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نارَ، ذلك قذفهم من بعيد. وفي حرف ابن مسعود: ويقذفون بالغيب[٤] ويَرجُمون بالظن. وقال بعضهم: **يقذفون بالغيب**، أي يتكلمون بالإيمان من مكانٍ تباعدَ عنهم فلا يُقبل منهم، وقد غاب عنهم الإيمان عند نزول العذاب فلم يقدروا عليه.

**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**، من قبول التوبة والإيمان عند نزول العذاب بهم[٥] أو عند معاينتهم إياه. **كما فُعل بأشياعهم من قبل**، يقول: كما عُذِّب أوائلهم من الأمم الخالية من قبل هؤلاء، **إنهم كانوا في شك**، من العذاب أو البعث والقيامة، **مُريبٍ**. وقال بعضهم: **وحيل بينهم وبين ما يشتهون**، من أهل أو مال أو زَهْرة. وقال بعضهم في قوله: **ويقذفون بالغيب من مكان بعيد**، هو قولهم: هو ساحر هو شاعر كاهن.*

وقوله: **وحيل بينهم وبين ما يشتهون**،[٧] هو ما ذكرنا[٨] من اختلافهم. منهم من قال: بين الإيمان والتوبة، ومنهم من قال: بين شهواتهم التي كانت لهم في الدنيا. لكن إن[٩] كان على الإيمان والتوبة فإنما حيل بينهم وبين القبول للإيمان والتوبة، وإلا نفس الفعل قد أتوا به. وإن كان على الشهوات فهو على حقيقة حيلولة الفعل، وكذلك إن كان على تخريب البيت على ما يقوله بعض أهل التأويل. *والله أعلم*.

وقوله: **كما فعل بأشياعهم من قبل**، قال أبو عَوْسَجَة: **بأشياعهم**، بأمثالهم[١٠] وأشباههم، فهو -والله أعلم- بأشباههم وأمثالهم في التكذيب والجحود. وقال بعضهم: هو من شيعة الرجل.

---

[١] ر م: يكونون.
[٢] ر م: في الآخرة.
[٣] ر ث م: يقولون.
[٤] ر م - يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار ذلك قذفهم من بعيد وفي حرف ابن مسعود ويقذفون بالغيب.
[٥] ن - بهم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٦٢٢و/سطر ٢٣-٢٧.
[٧] ر م + ما.
[٨] ر: لما ذكرنا.
[٩] ر م - إن.
[١٠] ر: وأمثاهم؛ م: أثالهم.

وقوله: **إنهم كانوا في شك مريب**، قال بعضهم: **إنهم كانوا في شك**،[١] من العذاب بأنه غير نازل بهم. وقال بعضهم:[٢] **إنهم كانوا في شك**، من البعث والإحياء بعد الممات. وشكهم وريبهم لما استبعدوا الإحياء بعد الهلاك وبعد ما صاروا رمادًا، فمن هذه الجهة[٣] أنكروا، ثم لما[٤] لم يروا خلقَ الشيء للفناء خاصة لا لعاقبة وحكمة فارتابوا في ذلك. *والله أعلم*.

وقيل "الشك" في القلب، فإذا ظهر في اللسان قيل: "الريب". وفيهم الشك في القلب وإظهار اللسان. *والله أعلم*.[٥]

---

[١] ر م - مريب قال بعضهم إنهم كانوا في شك.

[٢] جميع النسخ - بعضهم؛ صح ن هـ.

[٣] ر م: الحجة.

[٤] ر م - لما.

[٥] جميع النسخ - وقيل الشك في القلب فإذا ظهر في اللسان قيل الريب وفيهم الشك في القلب وإظهار اللسان والله أعلم. والزيادة من نسخة جارالله، ورقة ٢١و.

# الفهارس

- فهرس الآيات المستشهد بها
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس الشعوب والقبائل والأماكن
- فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات
- فهرس الكتب
- فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

# فهرس الآيات المستشهد بها

# فهرس الأحاديث والآثار

# فهرس الأعلام

# فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

# فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

# فهرس الكتب

# فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

# المصادر والمراجع

# المصادر والمراجع


- *أحكام القرآن*،
تأليف أبي بكر أحمد بن علي بن الرازي الجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، بيروت ١٤٠٥هـ.

- *الأدب المفرد*،
تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- *أسباب النزول*،
تصنف أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالواحدي، بيروت بدون تاريخ (عالم الكتب).

- *الاستذكار*،
تصنيف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- *الاستيعاب*
*في معرفة الأصحاب*، تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، تحقيق عادل مرشد، عمان ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- *الأسماء والصفات*،
تأليف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، جدة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- *الإصابة*
*في تمييز الصحابة*، تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- *الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة*،
تأليف أحمد بن حسن بن سنان الدين المشهور ببياضي زاده، تحقيق إلياس جلبي، استانبول ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- *الاعتبار*
*وأعقاب السرور والأحزان*، تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، عمان ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- **الأعلام**
*قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*؛ تأليف خير الدين الزركلي، بيروت ٢٠٠٢م.

- **الأنساب**؛
تأليف أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق أكرم البوشي، القاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- **الأوسط**
*في السنن والإجماع والاختلاف*؛ تأليف أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق أبي حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، رياض ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- **بحر العلوم**؛
تأليف أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود - زكريا عبد المجيد النوتي، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- **البحر المحيط**؛
تأليف أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- **بدائع الصنائع**
*في ترتيب الشرائع*؛ تأليف علاء الدين أبي بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- **التاريخ الكبير**؛
تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، تحقيق السيد هاشم الندوي، بيروت بدون تاريخ (دار الفكر).

- **تاريخ بغداد**
*أو مدينة السلام*؛ تأليف أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق بشار بن عواد معروف، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- **تاريخ مدينة دمشق**؛
تصنيف أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- **تفسير ابن أبي حاتم**
... المسمى *تفسير القرآن العظيم*؛ تأليف عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكة المكرمة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- **تفسير ابن كثير**
... المسمى *تفسير القرآن العظيم*؛ تأليف الحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق مصطفى السيد محمد - محمد السيد رشاد - محمد فضل العجماوي - علي أحمد عبد الباقي - حسن عباس قطب، القاهرة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

– *تفسير الثعالبي*
... المسمى *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*؛ تأليف عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
– *تفسير سفيان الثوري*
تأليف أبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
– *تفسير الطبري*
... المسمى *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق عبد المحسن التركي، القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
– *تفسير القرطبي*
... المسمى *الجامع لأحكام القرآن*؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تحقيق عبد المحسن التركي، بيروت ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
– *تفسير عبد الرزاق*؛
تصنيف عبد الرزاق بن هَمّام بن نافع الصنعاني، تحقيق دكتور محمود محمد عبده، بيروت ١٩٩٩م.
– *تفسير غريب القرآن*؛
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
– *تفسير مقاتل بن سليمان*
تأليف أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، تحقيق أحمد فريد، بيروت ٢٠٠٣م.
– *تنوير المقباس*
*من تفسير ابن عباس*؛ بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
– *تهذيب الأسماء واللغات*؛
تأليف أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مُرِّي النووي، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).
– *تهذيب التهذيب*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق خليل مأمون شيحة – عمر السلامي – علي بن مسعود، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
– *تهذيب اللغة*؛
تأليف أبي منصور محمد بن أحمد بن أزهر الهروي الأزهري، تحقيق عبد السلام محمد هارون وآخرون، القاهرة ١٣٨٤-١٣٨٧هـ/١٩٦٤-١٩٦٧م.
– *الثقات*؛
تأليف محمد بن حبان بن أحمد التميمي، حيدرآباد ١٣٩٣-١٣٩٨هـ/١٩٧٣-١٩٧٨م.
– *الحاوي الكبير*؛
تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- *حجة القراءات*؛
تأليف الإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- *حلية الأولياء*
*وطبقات الأصفياء*؛ تأليف أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الإصفهاني، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- *الدر المصون*
في *علوم الكتاب المكنون*؛ تأليف أحمد بن يوسف بن محمد المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دمشق ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- *الدر المنثور*
في *التفسير بالمأثور*؛ تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، تحقيق عبد المحسن التركي، القاهرة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- *روح المعاني*
في *تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*؛ تأليف أبي الثناء شهاب الدين محمود شكري بن عبد الله بن محمود الآلوسي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).
- *سنن ابن ماجة*؛
تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سنن أبي داود*؛
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي؛ نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .
- *سنن الترمذي*؛
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سنن الدارقطني*؛
تصنيف أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- *سنن الدارمي*؛
تصنيف أبي محمد عبد الله عبد الرحمن بن الفضل الدارمي؛ نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *السنن الكبرى*؛
تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- *السنن الكبرى*؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- *سنن النسائي*؛
تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سنن سعيد بن منصور*؛
تصنيف أبي عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ١٩٨٥م.
- *سنن سعيد بن منصور*؛
تصنيف أبي عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، تحقيق سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- *سير أعلام النبلاء*؛
تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط – محمد نعيم العرقسوسي، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- *السيرة النبوية*؛
لأبي محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري، تحقيق مصطفى السقا – إبراهيم الأبياري – عبد الحفيظ شلبي، القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
- *شرح التأويلات*؛
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة مخطوطة بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ ومكتبة طوبقابي سرايي، قسم مدينة، رقم ١٧٩ [Topkapı Sarayı ktp., Medine nr. 179].
- *شرح السير الكبير*؛
تأليف أبي بكر شمس الأئمة محمد بن أحمد بن سهل السرخسي، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- *شرح مشكل الآثار*؛
تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- *شرح معاني الآثار*؛
تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار – محمد سيد جاد الحق، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- *شعب الإيمان*؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد – مختار أحمد الندوي، رياض ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- *صحيح ابن حبان*؛
تصنيف أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- ***صحيح البخاري؛***
*الجامع الصحيح*؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعْفِي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ***صحيح مسلم؛***
*الجامع الصحيح*؛ تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، نسخة مصورة ضمن - موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ***الطبقات الكبرى؛***
تأليف أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري المعروف بابن سعد، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- ***عمدة القاري***
شرح *صحيح البخاري*؛ تأليف أبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- ***الفردوس بمأثور الخطاب؛***
تأليف أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي، تحقيق السعيد بسيوني زغلول، بيروت ١٩٨٦م.

- ***فضائل الصحابة؛***
تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، رياض ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- ***القند***
في ذكر *علماء سمرقند*؛ تأليف نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي، تحقيق يوسف الهادي، تهران ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- ***الكامل***
في *ضعفاء الرجال*؛ تأليف أبي أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني المعروف بابن عدي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، بيروت ١٩٩٧م.

- ***كتاب الأصل***
تأليف أبي عبد الله محمد بن حسن بن فرقد الشيباني الحنفي، تحقيق أبي الوفاء الأفغاني، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- ***كتاب الأغاني***
تأليف أبي الفرج علي بن حسين بن محمد الإصفهاني، القاهرة ١٩٩٢م.

- ***كتاب التوحيد؛***
تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، تحقيق بكر طوبال أوغلي - محمد آروتشي، أنقرة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

- ***كتاب الزهد؛***
تأليف أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

– *كتاب السبعة*
*في القراءات*؛ تأليف أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة ١٤٠٠هـ.
– *كتاب الفتن*؛
تأليف أبي عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية المروزي، تحقيق سهيل زكار، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
– *كتاب المصاحف*؛
تأليف أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق Arthur Jeffery، Leiden ١٩٣٧م.
– *كشف الخفاء*
*ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس*؛ تأليف أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني، القاهرة ١٣٥١هـ.
– *كشف الظنون*
*عن أسامي الكتب والفنون*؛ تأليف كاتب جلبي مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
– *كنز العمال*
*في سنن الأقوال والأفعال*؛ تأليف علاء الدين علي بن عبد الملك حسام الدين بن قاضيخان المتقي الهندي، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
– *لسان العرب*؛
تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، بيروت ١٤١٤هـ.
– *المبسوط*؛
تأليف أبي بكر شمس الأئمة محمد بن أحمد بن سهل السرخسي، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
– *المبسوط في القراءات العشر*؛
تأليف أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
– *مجاز القرآن*؛
تأليف أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق فؤاد سزكين، القاهرة ١٩٨٨م.
– *المحرر الوجيز*
*في تفسير الكتاب العزيز*؛ تأليف أبي محمد ابن عطية عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
– *مختصر في شواذ القرآن*
*من كتاب البديع*؛ تأليف أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، القاهرة بدون تاريخ (مكتبة المتنبي).
– *المستدرك*
*على الصحيحين*؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، القاهرة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- ***مسند أبي يعلى الموصلي***؛
تصنيف أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دمشق ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ***مسند أحمد بن حنبل***؛
تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ***مسند الروياني***؛
تصنيف أبي بكر محمد بن هارون الروياني، تحقيق أيمن علي أبو يماني، القاهرة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- ***مسند الشهاب***؛
تصنيف أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- ***مشارق الأنوار***
*على صحاح الآثار*؛ تأليف أبي الفضل القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصوبي السبتي، القاهرة بدون تاريخ (المكتبة العتيقة ودار التراث).
- ***مصنف ابن أبي شيبة***؛
تصنيف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق محمد عوامة، بيروت ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- ***مصنف عبد الرزاق***؛
تصنيف أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ***المطالب العالية***
*بزوائد المسانيد الثمانية*؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق سعد بن ناصر الشثري وآخرين، الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- ***معالم التنزيل***
تأليف أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، بيروت ١٤٠٩هـ.
- ***معاني القرآن***؛
تأليف أبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السَّري بن سهل، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ***معاني القرآن***؛
تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء؛ تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، بيروت ١٩٥٥م.
- ***معاني القرآن***؛
تأليف أبي جعفر النَّحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري؛ تحقيق محمد علي الصابوني، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- *معجم الأدباء*،
تأليف أبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، المعروف بياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٩٣م.
*معجم القراءات القرآنية*،
تأليف عبد العال سليم مكرم وأحمد مختار عمر، القاهرة ١٩٩٧م.
- *المعجم الكبير*،
تصنيف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الموصل ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
- *المعجم المفهرس*
*لألفاظ القرآن الكريم*، إعداد محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
- *المعجم الوسيط*،
تأليف إبراهيم مصطفى وآخرين، القاهرة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- *مفاتيح الغيب*،
تأليف أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي،، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- *المفردات*
... المسمى *مفردات ألفاظ القرآن*، تأليف أبي القاسم الراغب الحسين بن محمد بن المفضل الإصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داودي، دمشق ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- *المنتخب من مسند عبد بن حميد*،
تصنيف أبي محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي، تحقيق أبي عبد الله مصطفى بن العدوي، الرياض ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- *الموطأ*،
تصنيف أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *النشر في القراءات العشر*،
تأليف أبي الخير ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد الجزري، تحقيق محمد بن محفوظ بن محمد أمين الشنقيطي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- *النكت والعيون*،
تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- *النهاية*
*في غريب الحديث والأثر*، تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).

- *نوادر الأصول في أحاديث الرسول*؛
تصنيف أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي، تحقيق عبد الرحمن عميرة، بيروت ١٩٩٢م.

- *الوافي بالوفيات*؛
تأليف أبي الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق أحمد الأرنؤوط - تركي مصطفى، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- *وفيات الأعيان*
*وأنباء أبناء الزمان*؛ تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت بدون تاريخ (دار صادر).

دارالميزان
MİZAN YAYINEVİ